﴿ تزيين الاسواق ﴾

ترجمة المؤلف رحمه الله مختصرة من خلاصة الاثر في ذكر اعيان القرن الحادي عشر

هو داود بن عمر البصير الانطاكي نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور رئيس الاطباء في زمانه شيخ العلوم الحكمية واعجوبة الدهر وقد اطال في توصيفه أبو المعالي الطالوي في سانحاته ثم قال وقد سألته عن مسقط رأسه ومشتعل نبراسه فقال ان مولدي بانطاكية وولدت بعارض ريح تحكم في الاعصاب يمنع قوائمي من حركة الانتصاب وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار له كرم وخيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطا للواردين فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتب له رواتب وكنت أحمل كل يوم الى صحن الرباط حتى حفظت القرآن واتقنت مقدمات تثقيف اللسان الى ان نزل بساحة الرباط رجل من أفاضل العجم ذو قدر منيف يسمى بمحمد شريف فاستأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه فابتدأ في بعض العلوم الالهية فكنت استأنفه اليه فلما رأى ما رأى مني استخبر من هنالك عني فأجبته ولم يكن غير الدمع سائلا ومجيبا فعند ذلك اصطنع لي دهنا مدني به في حر الشمس ولفني بلفافة من فرقي الى قدمي حتى كدت افقد عن الحس وكرر ذلك ففشت الحرارة الغريزية في مجريات الحس في المفاصل ثم شد وثاقي وفصدني من عضدي وساقي فقمت بقدرة الواحد الاحد بنفسي لا بمعونة احد ودخلت المنزل على والدي ففرح بي وضمني الى صدره وسألني فحدثته بالقصة فذهب الى الاستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه واجزل عطيته فقبل منه شكره واستعفاه بره ثم قرأت عليه المنطق واتبعته بالرياضي ثم اللغة اليونانية ثم سافر وانقطعت عنا أخباره وخلت الديار من أهلها واقفرت بتنكرها على لانقلاب ابوي فكان ذلك داعية المهاجرة لديار مصر القاهرة فسافرت وهبطت مصر هبوط آدم من الجنة فوجدتها كما قال ابو الطيب ملاعب جنة غير انها تنبو عن قبول الحكمة فيها طباع الرجال نبو قنياتهم الحسان عن حي شيب القذال ينفر احدهم عن كماله السرمد نفرة الظليم وأي الظلام يجود ثم تمثل بقول المتنبي

ما مقامي بدار نخلة الا * كمقام المسيح بين اليهود

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

(وكان) اذا سئل عن شيء من الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية املى على السامع ما يبلغ الكراسة والكراستين وقد سأله رجل عن حقيقة النفس الانسانية فأملى عليه رسالة عظيمة في ذلك وله كثير من التآليف الكبيرة والرسائل كالتذكرة وكتاب البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الادوية المجربة وله رسالة في الحمام الفها باسم الاستاذ البكري

وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا التي اولها

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع

(وله) منظومة في هذا المعنى تشعر باعتراضه فيها على الشيخ الرئيس واولها

من بحر انوار اليقين بحسنها * فاوصل او فصل تئوب كما ادعى

وكان كثيرا ما يتمثل بقصيدة الفاضل والفيلسوف الكامل ابي علي الحسين بن سطراء البغدادي التي خاطب بها الفلك وتشتمل على مباحث حكمية ومسائل فلسفية وهذا اولها مع ابيات منها

يربك ايها الفلك المدار * اقصد ذا المسير ام اضطرار
مسيرك قل لنا في اي شئ * ففي افهامنا منه انبهار
وفيك نرى القضاء فهل قضاء * سوى هذا القضاء به تدار
وعندك ترفع الارواح ام هل * مع الاجساد يدركها البوار
وموج ذي المجرة ام فرند * على لجج الدروع له اوار
وفيك الشمس رافعة شعاعا * باجنحة قوادمها قصار

الى آخر ما قال (وله) غاية المرام في تحرير المنظوم من الكلام ونزهة الاذهان في اصلاح الابدان وزينة الطروس في احكام العقول والنفوس والفية في الطب ونظم قانونچه وشرح عليه وله تآليف كثيرة لا نطيل بذكرها * ومن اعجب ما يحكى عنه في قوة معرفته بعلامات الامراض ما اخبرني به من اثق به بالقاهرة المعزية قال كان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذها لاجتماعه بالناس ومداواة اصحاب الباس فورد عليه في بعض الايام رجل من الاجناد جاهرا بالسلام فلما سمع سلامه عرف مرامه وقال اذهب فلا شفى الله لك علة ولا برد لك غلة تشرب الخمر وتفعل ذلك الامر حتى يحدث لك هذا الداء وتاتي الضرير تروم منه الدواء ثم استتابه وشفاه من دائه بعد ما اشفاه وما فهم كنه علته الا من تحرك شفته وعجائبه في هذا الباب لا تحصى وغرائبه لا تستقصى واذا اردت تفاصيل احواله ومعتقداته واقواله فعليك بكتاب خلاصة الاثر المذكورة تجد اوصافه فيها مسطورة

(فهرسة الجزء الاول من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق)

صحيفة

٥ المقدمة فيما جاء فى العشق من الاحاديث والآثار وفى حده ومراتبه

١٢ فصل فى الترغيب فى العشق والحث عليه

١٢ فصل فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم فى ذلك

١٤ فصل فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه الخ

٢٠ فصل فيما ذكره من العلامات

٢١ (الباب الاول فيمن استشهد من المحبين شوقا الى حضرة رب العالمين)

٣٠ فصل من الباب فى ذكر من فارقته روحه من الاحباب

٣٥ (الباب الثانى فى ذكر أحوال عشاق الجوارى والكواعب وذكر ما شاهدناه من العجائب وفيه خمسة اقسام)

٣٥ الاول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته

٣٦ عروة بن قيس

٣٨ أخبار جميل وصاحبته بثينة

٤٧ أخبار كثير عزة

٥٣ أخبار قيس ولبنى

٦٢ أخبار المجنون وصاحبته ليلى

٨٤ أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء

٩٠ أخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند

٩٢ أخبار ذى الرمة وصاحبته مى

٩٦ أخبار مالك وصاحبته جنوب

٩٧ أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش

٩٨ أخبار نصيب وصاحبته زينب

١٠١ أخبار المرقش وصاحبته أسماء

١٠٣ أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا

١٠٤ أخبار الصمة وصاحبته ريا

١٠٦ أخبار كعب وصاحبته ميلاء

١٠٨ القسم الثانى فيمن جهل اسمه أو اسم محبوبته اوشئ من سيرته اوما آل حقيقته

١٣١ فصل فيمن أناخ به الحب ثقله حتى أذهب عقله

١٣٧ فصل فى ذكر من جرع كاس الضنى وصبر على مكابدة العنا الخ

١٤٠ القسم الثالث فيمن خالسته عيون الاماء فأسلمته الى الفناء الخ

صحيفة
١٤٨ القسم الرابع فى ذكر من حظى بالتلاق بعد تجرع كاس الفراق وهم صنفان
١٤٨ فمن الصنف الاول عبد الله بن أبى بكر الصديق
١٥٥ ومن الصنف الثانى ما حكى عن على رضى الله عنه
١٥٦ ويحكى عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية له الخ
١٦٦ القسم الخامس فى ذكر من وسموا بالفساق من العشاق وهو أصناف
١٦٧ الصنف الاول فى ذكر من حمله هواه على أذية من يهواه
١٧٣ الصنف الثانى فى ذكر من اشتدت به الغيره الى ان شاهرته الحيره
١٧٥ الصنف الثالث فى ذكر من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شوه ولم يلتق بمحبوبه
١٧٧ الصنف الرابع فى ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق
١٧٩ القسم السادس فى ذكر من حل عقد المحبه وخالف سنن الاحبه وفيه ثلاثة اصناف
١٧٩ الصنف الاول فى ذكر من تاب عن الخلاف ورجع الى حسن الائتلاف
١٨٢ الصنف الثانى فى ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على اخلاف الوعد
١٨٤ الصنف الثالث فى ذكر من أشبه العشاق فى محبته وشاكلهم فى مودته
١٨٤ فمنهم صخر بن عمرو وهو أخو الخنساء
١٨٥ ومن لطيف شعر الخنساء فى صخر الخ

(تمت)

(فهرسة الجزء الثانى من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق)

صحيفة

٢ (الباب الثالث فى ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ماجرى عليهم من تصاريف الزمان)
٣ القسم الاول فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رمسه وهو نوعان
٣ الاول فيمن عرف اسمه واشتهر فى العشاق رسمه
٣ أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلانى
٦ أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم
٧ أخبار مدرك وصاحبه عمرو
٨ قصيدته المزدوجة مع زيادة الحلى خامسة الاشطار وما أبداه صاحب الاصل الخ
١٦ النوع الثانى فى ذكر من جهل حاله وكان الى الموت فى الحب مآله
١٩ القسم الثانى فيمن اشتهر فى العشق حاله ولم يدر مآله
١٩ القسم الثالث فى ذكر من ساعده الزمان فى المراد حتى بلغه ما اراد
٢١ منهم الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسى
٢١ قصيدته المشهورة فى مملوكه تتر
٢٤ القسم الرابع فى ذكر من منعه الزهد والعباده ان يقضى من محبوبه مراده وهو نوعان
٢٥ الاول فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى
٢٨ النوع الثانى فى ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه من الغلمان
٢٩ خاتمة فى ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى
٣١ (الباب الرابع فى ذكر ماسوى البشر ومالقوا من العبر وهو نوعان)
٣١ الاول فى الجنة ومالقوا من المحنه
٣١ النوع الثانى فى ذكر من كلف وهو غير مكلف وهو خمسة اصناف
٣٢ الصنف الاول فى الطيور
٣٣ الصنف الثانى فى ذكر بعض ماوقع للحيوان من أمور العشق فى اختلاف الازمان
٣٥ الصنف الثالث فى ذكر ماجرى من القوة العاشقية والمعشوقيه بين الانفس النباتيه
٣٥ الصنف الرابع فيما بث من الاسرار بين أصناف الاحجار
٣٦ الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكيه بين الاجسام والاجرام الفلكيه
٣٦ (الباب الخامس فى تتمات يفتقر اليها الناظر فى هذا الكتاب ويحسن موقعها

عند

صحيفة

عند أولى الالباب)

٣٦ فصل فى تحقيق معنى الحسن والجمال وما استلطف فى ذلك من الاقوال

٤٠ فصل فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين

٤٣ فصل فى مراتب الغيره وما توقعه بالمحب من الحيره

٤٤ فصل فى أحكام اسرار المحبه وما فيها من اختلاف آراء الاحبه

٤٧ فصل فى ذكر المغالطة والاستعطاف واستدرار ما صدر عن المحبوب من الانحراف

٤٨ فصل فى ذكر الرسل والرسائل وتلطف الاحباب بالوسائل

٤٩ فصل فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال

٥٢ فصل فى أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار الخ

٥٤ فصل فيما ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العدول وسوء عقله الذى أوقعه فى الفضول

٥٨ فصل فى أحكام الزياره وما جاء فى فضلها من البراعة والعباره

٦٥ فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح ان يكون معه فى باب الصبر الخ

٦٦ وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى أربعة أقسام

٦٦ القسم الاول هجر الدلال

٦٧ القسم الثانى هجر الملال

٦٧ القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبه

٦٨ القسم الرابع الهجر الخلاق

٧٢ فصل فى نفى كدر الهم والصدود باستجلاب الامانى والوعود

٧٦ فصل فى ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب

٧٩ تتمة تشتمل على ذكر مقاطيع فائقه وأبيات رائقه يشير مجموعها الى جميع الاصول السابقه

١١٣ خاتمة تشتمل على لطائف متفرقة تروق بالمسامع وتزين بها المجامع

١١٥ فصل فى النوادر والحكم

١١٩ فصل فى المجون

١٢٣ فصل فى ذكر نبذة من لطائف الاشعار

١٢٨ لطيفة وخاتمة تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والسكك وغيرهما

(تمت)

الجزء الاول من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق تاليف العالم العلامة الشيخ داود الانطاكي المعروف بالاكمه مؤلف التذكرة الطبية طيب الله ثراه آمين

وبهامشه ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي رحمة الله تعالى عليه

(ترجمة ابن أبي حجلة من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار)

هو شهاب الدين أحمد بن يحيي بن ابي بكر بن عبد الواحد المغربي مولدا الدمشقي منشأ نزيل القاهرة الشهير بابن أبي حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعمائة بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد أبي حجلة عبد الواحد قدس الله روحه ونور ضريحه وكني جده بذلك لصلاح حاله وتعلق الحجل والوحوش باذياله وزاوية جده بالمغرب مشهورة وأحاديث بركته مأثورة يؤخذ منها التراب لطلب الدواء والتماس الشفاء وقدم من المغرب مع أبويه واخوته فبلغوا السول بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تنقلت به بعد موتهم الاحوال وشاهد بمصر بعد رؤية أبي الهول الاهوال فصنف كتابه غرائب العجائب وعجائب الغرائب وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا * تغني النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * الا الحسود ليس يعجبه العجب

وله أكثر من ثمانين مصنفا في الحديث والفقه والنحو والادب
وله شعر ونثر سيأتي شيء منه في أثناء ديوان الصبابة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اطلع فى بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال وأهل فى منازل السعود بدور اللطائف والكمال وزين أغصان القدود برمان النهود ورياض الوجوه بنرجس اللحاظ وورد الخدود وألف بين ما تنظم فى الثغور وقلائد النحور وجعل تسريح الابصار لذوى البصائر ولطافة الافكار من أسباب الافتتان بتأمل الحسان فتراهم وان اختلفت اغراضهم منزلة الاغراض لرشق قسى الحواجب بسهام الالحاظ (نحمده) على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل فى حسن التجمل وتصفية نفس لازمها الاستبصار والتبصر فى الفرق بين الجهل والتعقل ونصلى ونسلم على من بعث بنهى النفس عن الهوى والارشاد الى طريق العدل والاستوا والامر باعلاء العقل على النفس وقهر شهوات الجسم وتقييد مدارك الحس فحث على تهذيب النفس الابية عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين بأكرم الاخلاق والاوصاف وأجل اللطافة والعفاف ما نضرت الحدائق ونظرت الحدق وتأنق المتأنق وتألق الفلق *(وبعد)* فلما دل تنويع أصل الايجاد وتفريع عالم الكون والفساد مع قدرة الموجد على جعل ما أوجد من أصل واحد على سأم النفس من ملازمة الشئ الواحد فى كل حال واستراحتها فى اختلاف الاطوار بالنظر والانتقال وكان أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التى هى سبب السعادة الدينية وتشييد المبانى الشرعية وجب اسعافها بالمفاكهات الانيقة والاخبار اللطيفة الرشيقة لتنشط من

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعل للعاشقين بأحكام الغرام رضا وحبب اليهم الموت فى حب من يهوونه فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا فكم فيهم من عاشق ومحب صادق

رأى غب فرام الوصل فامتنعوا
فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(أحمده) حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وشبب بذكر محبوبه ان كان تهاميا فى حجازا وشاميا فى نوى

طورا يمان اذا لاقيت ذا يمن
وان لقيت معديا فعدنانى

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد شهادة من أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد وقال لعاذله لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد

ولو أن ما بى من حبيب مقنع
عذرت ولكن من حبيب معمم

وأشهد ان محمدا عبده ورسوله شهادة من أخلص فى موالاته وتبرأ من الاثم حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراءته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه ويقفون عند ما أمرهم ولا يتعدونه ما ذر شارق وهام عاشق *(أما بعد)* فان كتابنا هذا كما قيل

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى
وسار بهم فى الحب فى كل مذهب
مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل * تشبب فيه بالرباب وزينب

فهم ماهم تعرفهم بسيماهم قد تركهم الهوى كهشيم عقال المحتظر وأصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فهم ما بين قتيل وشهيد وشقى وسعيد

عقال التعب وتستريح فتعود الى المطلوب منها خفيفة من كل الوصب والنصب وذلك هو العلوم الادبية كالتواريخ والاخبار ولطائف الحكايات والاشعار ولما من الله تعالى على بعد تحرير العلوم العقلية وتهذيب النفس بالدقائق الحكمية بالهجرة الى الديار المصرية فتلت بها بين يدى الاماثل وخدمت من مجاميعها من أرباب الفضائل من أيضا سبحانه وتعالى بجارى عوائده السنية بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية بيد أنى بحيث فى خلال الاشتغال بما شوش الفكر وغير البال وهيج أليم البلبال

من هموم وحاجة واغتراب * كدرت منى القوى النفسيه
فهى فى كل ساعة فى ازدياد * غبت منه عن مدرك الحسيه
فأنا وهى فى التلازم صرنا * كالهيولى والصورة الجنسيه

لا أجد من يفرج الكرب اذا شكوت اليه ولا من أعول اذا ضاق الامر عليه كان الزمان كما قيل

فنى المساوى بدا التساوى * فلا معين ولا معين

فغير ذلك ادراكى الثاقب فقصرت عن بلوغ المآرب فاعملت الحيلة فيما به أريح النفس وأنفى اللبس فانقدح فى الفكر بعد طول التعب ان امتطى غارب الادب فارست من الاصحاب من هوله كالعناصر فمال اليه ذهنى الفاتر فشرعت فى جمع شئ فى محاسنه المختلفه وضمها بحيث تكون فى الجنس وان اختلفت بالنوع مؤتلفه فكان أول ما سطرته واحكمت قواعده وحررته طبقات ذكرت فيها أخبار الحكماء ولطائف الاطباء ثم لم أزل أجيل النظر فى مجاميع مختلفة الى ان وقع اختيارى على اختصار أسواق الاشواق المأخوذ من مصارع العشاق المنسوب الى أبى بكر محمد بن جعفر البغدادى السراج رحمه الله فانه وان كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله وظرائف نكت العشق وأهله ورقيق اللفظ وجزله اذ هو صنيعة وحيد زمانه ورئيس اقرانه وواحد عصره ونادرة دهره مولانا أبى الحسن ابراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعى تغمده الله برضوانه وأسكنه فسيح جنانه الا انه كتاب طال فى غير طائل وجمع ما لا حاجة بهذه الصناعة اليه من المسائل كذكر الاسانيد والتكرار الذى هو شأن الاحاديث النبويه لتوثيق الاحكام الدينيه وكالاخلال بمحاسن الاخبار ولطائف الاشعار التى هى بهذا الفن أعلق من الجوى باهل الهوى وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب وكالاعراض عن ذكر غالب أسباب وقوع بعض العشاق فى شرك الحب الى غير ذلك مما يظهر للمتأمل كتابه مع أصله اذا طرح الهوى وانتظم فى سلك الانصاف وأهله فألفت هذا الكتاب الذى هو فى قلادة هذا الفن درة بيضاء وفى جبهة جواده غرة غراء أكملت فيه فوائده ورددت شوارده وأضفت ما تبذه ظهريا ولم آت شيأ فريا فزاد على أصله بامور اثنى عشر أحدها وهو الاعظم تبديل ما فى الباب

على اختلاف طبقاتهم وأشكالهم وتباين مراتبهم واحوالهم وغير ذلك مما تسبح به اوراقه يانعة الثمر وتسرى به صفحاته فى كل ناحية من وجهها القمر فاذا نظرت الى الوجود بأسره شاهدت كل الكائنات الاما ٣ على ان جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بما تألف فى هذا الباب ولم يفرق غالبهم فى التشبيب بين زينب والرباب

وكل يدعى وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذا كا

فربيع كتابنا هذا بذكر العامرية معمور وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب محمود مشكور ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام وأنشد فى تصديق هذه الدعوى اذا قالت حذام مؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى مجلته يحجل وصاحب منازل الاحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل وعذرت طيفك فى الجفاء لانه

يسرى فيصبح دوننا بمراحل

(آخر)

فيادارها بالخيف ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال

فان قلت الفضل للمتقدم وهل غادر الشعراء من متردم قلت نعم

فى الخمر معنى ليس فى العنب
وأحسن ما فى الطاوس الذنب

فدع كل صوت بعد صوتى فاننى
انا الصائح المحكى والآخر الصدا

فكم ترك الاول للآخر ولا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لاول منزل

فقد سقط فى يديه وقيل فى الرد عليه

اخر يا آخر من كلفت بحبه * لا خير فى حب الحبيب الاول
اتشك فى ان النبى محمدا * ساد البرية وهو آخر مرسل

وقال ديك الجن الحمصى يرد على حبيب قوله المتقدم

كذب الذين تصدقوا ان الهوى * لاشك فيه للحبيب الاول .

تالى احن الى خراب مقفر * درست معالمه كأنْ لم يوهل فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور
كذب الذين تخرصوا فى قولهم * ما الحب الا للحبيب المقبل ٤ اطيب فى الطعم ما قد ذقته * من مأكل او طعم مالم يؤكل

فقال ديك الجن أيضا حين بلغه
قول حبيب هذا
ارغب عن الحب القديم الاول
وعليك بالمستأنف المستقبل
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى
كهوى جديدا وكوصل مقبل
وقال ابو البرق وسلك بينهما جادة
الانصاف وبقوله يجب الاعتراف
لانه احسن فى المقال حيث قال
زادوا على المعنى فكل محسن
والحق فيه مقالة لم يجهل
الحب للمحبوب ساعة وصله
ما الحب فيه لآخر ولاول
على انى لم اجحد ما فى منازل
الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل
ولاتحملت على مصنفه فواعجبا من
قلبى المتحمل ولكن قصدت التنبيه
على ان حسن التأليف مواهب
وان الناس فيما يعشقون مذاهب
ومعلوم ان الجنون فنون وكل
حزب بما لديهم فرحون ولم يزل
كتابنا هذا فى مسوداته مندمج
وبيوته من بحورها فى لجج لا ابيح
مافيه من منازل الاحباب لساكن
ولا امكن عاشقا من المرور بتلك
الاماكن
اغارا اذا آنست فى الحى أنة
حذارا وخوفا ان تكون لحبه
حتى برزا طالبه المرسوم الشريف
الملكى الناصرى ادام الله نشر
اعلامه ولا اخلى كنانة من
سهامه ما نفذت مراسيم سهام

المقل وتفى قوام الحبيب الذى طاب به الزمان واعتدل فبادرت الى تجهيزه وسبك ابريزه حسب المرسوم والمعدن
الشريف من غير تسويف ولا تكليف ولم ابح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الانام لانه كان يقال كل مايصلح

العاشر الذى سماه بالشارع الجامع لما فى المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير
بهذا الرسم ضمنته ما حل مما تقدمه محل الاصول من الفروع بحيث الغيرة أصلا
لنحو حكاية ديك الجن وكتم الاسرار لنحو صاحب الجارية فى عرفة وتأمل انتقال لنحو
من عشق فى نومه الى غير ذلك وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره وهو نمط ما بسط قبل
وثانيها حسن التقسيم فى الابواب وثالثها لطف الترتيب وضم الانواع المتماثلة
ورابعها حذف الاسانيد والتكرار مع ذكر ما اختلف باشارات كاو وقيل وخامسها
ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها وسادسها تمييز من جهل شئ من أحواله ممن
علم بسائر أقواله وأفعاله وسابعها تفصيل من علق الاحرار من أهل الرق والمسلمين من
أهل الشرك وامثال ذلك من قديم ومحدث وثامنها ذكر ما فى الاصل من الالفاظ
اللغوية مفسرا ذلك بازائه مبدلا ذلك باوضح منه وتاسعها شرح ما فى الاشعار من
الغريب وعاشرها تعليل الاسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكمية مأخوذا من
الاصول والادلة الفلسفية والقواعد الطبية وحادى عشرها ذكر تعلق هذا الفن
بانواع المواليد الثلاثة وكيفية دخوله فيها وثانى عشرها الزيادات فى الابواب فربما
كانت أنواعا مستقلة او تكميلا لما وجد بعضه فى الجملة وربما زاد عليه باشياء غير
المذكورة فى مطاوى معانيه فتر عن استحضارها الذهن هنا كل ذلك مما استخرجه فكرى
القاصر وذهنى الفاتر او ظفرت به فى كتب ربما سمى بعضها فيه هذا كله مع انى والله
لم أخل فى يوم من أيام عمله من مشوش طارئ على ما عندى مما سبقت الاشارة الى ذكره ولما
كمل واتسق وانتظم فى أكمل نسق (سميته) بتزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق
ورتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة والله المسؤل ان ينفع به فيما قصد بترتيبه وان
يوفقنا الى أصح القول وتهذيبه انه أكرم من أعطى المراد وسئل فجاد (فالمقدمة) فيما
جاء فيه من الاخبار والآثار ويلى ذلك أربعة فصول الاول فى الترغيب فيه والثانى
فى رسمه والثالث فى مراتبه والرابع فى علاماته *(والباب الاول)* فى مصارع
محبى الله تعالى وفيه فصل ميزنا فيه من قتله التذكر بنحو سماع آية *(والباب الثانى)*
فى عشاق الجوارى وهو ستة أقسام الاول فيمن اشتهر الثانى فيمن جهل الثالث فى
عشاق الاماء الرابع فيمن حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق الخامس فيمن
وسموا بالفساق من العشاق السادس فيمن نكث الصحبة وحل عقد المحبة وفى كل
قسم أصناف وأنواع بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام *(والباب الثالث)*
فى عشاق الغلمان وهو أربعة أقسام الاول فيمن استلب الهوى نفسه الثانى فيمن جهل
حاله الثالث فيمن ظفر بمطلوبه الرابع فيمن منعه الزهد والعبادة ان يقضى مراده
والحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدوا للسلو عن الهوى *(والباب الرابع)* فى ذكر
دخول العشق فيما سوى البشر وهو نوعان الاول فى الجن والثانى فى الحيوان والنبات

والمعدن والعناصر والافلاك *(والباب الخامس)* قد اشتمل على فصول كل فصل منها قد احتوى على النكت والعجائب واللطائف والغرائب من أصول هذه الصناعة وقد الزمت نفسي ان افتتح كل فصل منه بكلام استاذ الحقيقة ورئيس أهل الطريقة مسكت كل لافظ ومبين ما في الطريق من القواطع والعوارض سيدى عمر بن الفارض عمرنا الله تعالى ببركاته وطيبنا بنفحاته متبعا ذلك بما تيسر من حل ألفاظه حسب ما سنح في الذهن ثم أقول بعد انتهاء متعلق الطريقة رجع الى كلام المترسمين من أهل الظاهر واختم الفصل بما سمحت به القريحة الفاترة والفكرة القاصرة من لطائف النظم المناسب لما ذكر عن أهل الصناعة هنالك واتبعت الفصول بتتمة في لطائف الغزل الخاص والعام وتقسيم ذلك *(وأما الخاتمة)* ففي لطائف ونكت متفرقة لا التزم تعلقها بالعشق وبها يتم الكتاب

(المقدمة فيما جاء في العشق من الاحاديث والآثار وفي حده ومراتبه)

(اعلم) ان واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر اقربه من الكمال الذاتي فالعود اليه وطلب القرب منه واجب على كل ذى نفس قدسية ومن ثم تطابقت الادوار شاهدة بذلك ويدل له عموم فقال له اقبل الحديث وعنه النفس الكلية ثم قسما الاجسام الفلكية والعنصرية كما هو في محله الى ان كان أشرف النفوس وأرفعها على الاطلاق النفس الانسانية ولشبه الشئ باصوله كما هو واضح مقرر في محله بالبراهين انقسمت هذه النفس باعتبار أصولها الى ثلاثة أقسام أحدها النفوس المعدنية وهى الجامدة التى لا تعقل ما يراد منها ولا تعرف الاما تقوم به بنيتها او يصدر عنها وذلك اما بالخاصية او بامر اودعه صانعها فيها المصالح يعلمها ويشهد لذلك ما يشاهد من صور في الجبال والطين ونحوهما وثانيها النباتية وهى ارفع من الاولى باعتبار الذبول والتحلل الظاهر وثالثها الحيوانية وتفضل السابقة بالحركة الارادية والحساسية ونحوهما من العوارض ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابه من النوع كانقسامه في نفسه وذلك كانقسام الاولى الى ما يكون صافى الجوهر جيده كالياقوت والذهب والثانية الى ما هو كثير النفع طيب الطعم والرائحة كالعنبر والعود والثالثة الى ما هو صالح للنفع والزينة كالخيل والى شجاع كالاسد وخبيث كالنمر وحافظ للعهد كالكلب وقوام على حفظ ما يستحفظ كالقرد ونظائر ذلك ولما كانت النفس الانسانية زبدة الكائنات وخاتمة طرفى سلسلة العلل والمعلولات لاجرم كانت مقتدرة على ان تتبع شهوات الجسم وعوارض الكثيف فتكون حيوانية بحتة او تعمل في خلاص النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم فتلحق بعالمها الاصلى وهى النفس الملكية المقرة بالمبدا والمعاد المخلصة من محض الكثافة المنتظمة في سلك محض اللطافة او تجمع بين

للمولى على العبد احترام لاجرم انه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة لتلحظ الحجر فهو للسلطان بستان وللعاشق سلوان وللمحب الصادق حبيب موافق ٥ وللمهجور نجوة وللنديم قهوة وللناسى تذكرة وللاعمى تبصرة وللشاعر المجيد بيت القصيد وللاديب الماهر مثل سائر وللمحدث قصص وللحاسد غصص وللفقيه تنبيه وللحبيب بالقمر تشبيه

تبادره بالبدر منه بوادره
وتحلو له عند المرور نوادره
ففيه له في كل يوم وليلة •
حبيب ملم او نديم يسامره
ولى فيه نظم ان تضوع نشره
ففى طيه حلو الكلام ونادره
ولى فيه منثور غدا في مقامه
وعرف سناه مشرق الروض عاطره
ولى فيه من سحر البيان رسائل
اذا ما جفانى احور الطرف ساحره
ولى فيه اسرار الحروف لانه
ينقطه دمعى فتبدو سرائره
فنثور دمعى مثل نظم سطوره
خدودى اذا ما خط فيها دفاتره
تمدمدادا الدمع اقلام هدبه
فدمعى حبرى والسواد محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا
فباشر قتلى من سبانى ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلى عاشق
ولا عمرت بالعامرى مقابره
وفي غزلى ذكر الغزال ومربع
تطارحنى فيه الحديث جآذره
انزهه عن وصف خدر عنيزة
ومنزل قفر سرن عنه اباعره
تجر قوافيه معان غدا بها
جرير كعبد اوثقته جرائره
يشيب بها مود الوليد لانه * يسير وجنح الليل سود ضفائره واست ارى يوما بدارة جلجل * سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسى ذكرى حبيب ومنزل * فانى لم اهواه ما عشت ذاكره اجاور في سفح المقطم جيرة * فيا حبذا المحبوب حين تجاوره

الامرين وتؤلف بين الطريقين وهذه هى الانسان المطلق والاولى الحيوانى والثانية الملكى فقد بان لك ان الانسان منقسم كاصله وممتز بفعله ثم لاشبهة فى انقسام كل كالمنتسب اليه ويكون كالممنزلا عليه فالحكيم محتاج فى اصلاح الاولى الى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور او بالضرب والاهانة كالدب والحمار او باطعام الطعام كالخيل والكلاب او بالارسال والجذب والتحفظ من غدرها كالاسود والجمال والثانية وان تفاوتت مراتبها غنية عن الاصلاح الامن قبل مبدءها والثالثة هى المحتاجة الى العلاج وملاطفة المزاج والعشق الحقيقى لها غالبا لانه تابع للامزجة ولان عشق الملكى والحيوانى بسيط اذ الاول يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والجود والثانى لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة اذا تقرر هذا فاعلم ان العشق بعد ان سمعت ما سمعت يختلف باختلاف المزاج على انحاء أربعة سريع التعلق والزوال كما فى الصفراويين وعكسه كما فى السوداويين وسريع التعلق بطىء الزوال كما فى الدمويين وعكسه كما فى البلغميين ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان وأما المعتدل فيكون العشق فيه كذلك فعلى هذا يكون قواهم لكل أحد صبوة الامن جفت خلقته او تشتت بنيته او خرجت عن الاعتدال أمزجته محمولا على الاعتدال النسبى الذى اذا حصل لشخص كان به على ما ينبغى ان يكون عليه لا الحقيقى لعزة وجوده ولزوم ندور العشق حينئذ والواقع خلافه ثم هو متى وقع على ما وصفناه امكن حصول المزايا المذكورة فيه فقد قال الاستاذ ان أقل مزاياه تعليم الكرم والشجاعة والنظافة وحسن الاخلاق وذلك ان غاية مراد العاشق رضا معشوقه ورضا المعشوق يكون باتصاف العاشق بما يوجب المدح ويحسن المرتبة فى القلب فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه واللازم واقع فكذا الملزوم وبيان الملازمة ظاهر وايضاحه ان العاشق وان بخل جدا فلا يمكن بخله على المعشوق ومنه يتطرق الحال الى من يعلم انه متى بخل عليه اوصل الامر الى معشوقه وهكذا فيؤدى الحال الى مطلق الكرم وكذا باقى الصفات المذكورة ولذلك جاء الناموس الشرعى بمطابقة القانون الحكمى كما هو شأن الشارع فى غير هذا أيضا ليكون التطابق بين الحكمة والشرع فى كل شئ ولا عبرة بكلام بعض الاغبياء * عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات دخل الجنة زاد الخطيب عنه فظفر ثم أبدل قوله دخل الجنة بقوله مات شهيدا وفى أخرى وكتم والحديث بسائر ما ذكر صححه مغلطاى وأعله البيهقى والجرجانى والحاكم فى التاريخ بضعف سويد وتفرده به ورواه ابن الجوزى مرفوعا وأبو محمد بن الحسين موقوفا وأخرج الخطيب عن عائشة رفعه أيضا وحاصل الامر اما صحته او حسنه والجواب عن تفرد سويد المنع بوروده عن غيره وحكايته تحديثا وكونه قبل عماه فلا تدليس واذ قد ثبت فهو شاهد بما قلناه لان غاية الغايات دخول الجنة

ياطيف من اهواه طرفى ان غفا * اتهجره بالقدام انت زائره وحقك لو سايرته بعض ليلة * ...
تلك الشوق الشديد لطرفه * فتجرى به كالجارى محاجره ٦ ويا تيه طيف من خيالك طارق * فيطرق اجلالا كانك ناظره

بى من يحكى الغصن رمح قوامها
ذابات فى الروض النضير يناظره
ذا اقبلت فى الحلى والطيب قيل لى
حبيبك بستان تضوع ازاهره
وان رمت منها وهى غضبى التفاتة
ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
ايبرد ما القاه من حر هجرها
وقد حميت يوما على هواجره
تحصنت فى حصن الهوى من عواذلى
وبات لقلبى جيش هم يحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلى
لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندها
يشاهدها يغضى ويطرق ناظره
ألالغصن خد كالشقيق اذا بدا
وشعر كجنح الليل سود غدائره
الئن طاب ذلى فى هواها فانى
وحقك ممن عز فى مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده
كما اهتز غصن طار فى الحب طائره
مليك ترى به قبل ما هو كائن
بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا
جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما سار كالبدر فى الدجى
فاولاده مثل النجوم تسايره
مليك ارى من حوله كل عالم
يذكره فى العلم ما هو ذاكره
مليك له فى كل يوم وليلة
بشير توالت بالهناء بشائره
مليك اسود الغاب تحذر بأسه

لان ملوك الارض طرا تحاذره ترى عيهم شهب السما وبروقه * وما هى الا سمره وبواتره
اذا اقترعت اشكال حال اجتماعهم * فاى ضمير لم يدس فيه ضامره واى كاة لم يرعهم نزاله * واى مكان ما علته منابره

الجنة وهو مستلزم لرضا الله الذى لا مطلب أعلى منه وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالى العفة وهى مذهب الحكماء بل أساس الحكمة وهى كما صرح به المعلم ثمرة الاصل الطاهر لان أعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل ومنها الكتم وهى ثمرة المروأة والشهامة وكلاهما مستلزم علو النفس وصحة المزاج فقد اتضح ما قلناه * وعن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب من شاب لا صبوة له ووجه الاعجاب القدرة على حكم زمام النفس وزجرها مع تركيب الشهوة وتوفر الدواعى وما تكلفه فى الاصل من ان المراد بالاعجاب أثره واضح لا يحتاج اليه لانه وما شاكله من الرحمة التى هى رقة القلب لا تكون الا لذى المزاج ولما علم بالضرورة تنزهه عن الاجسام والاعراض علم بروزه من لوازمها فما وقع مما يوهم شيأ فالمراد لازمه ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الاكابر جاء تضمينه فى أشعارهم كثيرا فن ألطف ما قيل فى ذلك قول ابن الصائغ

سأكتم ما ألقاه يا نور ناظرى * من الاجر كيلا يذهب الاجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد * ومن كان برا بالعباد وواصلا
بان الذى فى الحب يكتم وجده * يموت شهيدا فى الفراديس نازلا
رواه سويد عن على بن مسهر * فما فيه من شك لمن كان عاقلا
وماذا كثير اللذى مات مغرما * سقيما عليلا بالهوى متشاغلا

(وألطف من ذلك) ما حكاه التاج السبكى فى الطبقات الكبرى عن أبى نواس قال مضيت الى باب أزهر والمحدثون ينتظرون نحو وجهه فما كان الا ان خرج وجعل يعطلهم واحدا بعد واحد حتى التفت الى فقال ما حاجتك فقلت

ولقد كنتم رويتم * عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب * ان سعد بن عباده
قال من مات محبا * فله أجر شهاده

فقال أزهر نعم وذكر الحديث ولابى نواس أيضا

حدثنا الخفاف عن وائل * وخالد الحذاء عن جابر
ومسعر عن بعض أصحابه * يرفعه الشيخ الى عامر
وابن جريج عن سعيد وعن * قتادة الماضى وعن غابر
قالوا جميعا ايما طفلة * علقها ذو خلق طاهر
فواصلته ثم دامت له * على وصال الحافظ الذاكر
كانت لها الجنة مبذولة * تمرح فى مرتعها الزاهر
واى معشوق جفا عاشقا * بعد وصال ناعم ناضر
ففى عذاب الله مثوى له * بعدا له من ظالم غادر

واى قصيد جوهر المرقه * وغاص فكرى ناظم الدر ناثره ولى فيه من غر التصانيف تحفة * وهذا الذى طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما * تراوحه ريح الصبا وتباكره فكم فيه لى من مرقص حول مطرب
بتشبيه فى الحى يطرب زامره
ولو لم يكن مثل السكردان ماغدا
بحضرته يوما تطيب حواضره
ثم القيته باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح وتوليت لاجله عمله بنفسى فجاء كما قيل عمل الروح للروح

اهيم بمن هام الحبيب بحبه
ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

وسلكت فى تأليفه الاختصار والاقتصار على النوادر القصار لانه كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار ووضع له تجار وقال يحيى بن خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا احسن ما تكتبون وحدثوا باحسن ما تحفظون وخذوا من كل شئ طرفا فانه من جهل شيأ عاداه *(وسميته)* ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه مولها ويعلم انه ان لم أكن أنا للصبابة من لها

ما يعلم الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

اى والله

قلما يبرح المطيع هواه
كلفا ذا صبابة وجنون

(ورتبته) على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمة أما المقدمة ففى ذكر حد العشق واشتقاقه وما قيل فى وصفه ورسمه وأسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى او اضطرارى ونحو ذلك واما الابواب فالباب الاول فى ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال والباب الثانى فى ذكر المحبين والظرفاء من الملوك والخلفاء . والباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع

وفى رستاق الاتفاق فى ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الامام

حدثنا سفيان عن جابر * عن خالد عن سهل الساعدى
يرفعه من مات عشقا فقد * استوجب الاجر من الماجد

(وأما) الآثار فكثيرة لا تكاد تحصى ولكن نورد ألطفها اكاه وشأنا فمن ذلك ما روى عن المهدى قال اشتهى ان أصلى على جنازة عاشق مات فى الحب وكان شريح يكثر الجلوس فى الطرقات ويقول لعلى أرى صورة حسنة وكان ابن الليث قاضى مصر يكتب فى فتيا فسمع جارية تقول

ترى فى الحكومة يا سيدى * على من تعشق ان يقتلا

فرمى القلم من يده وهو يقول لا وعن ابن عباس الهوى الاله المعبود فقيل له اتقول ذلك فقال نعم أليس الله تعالى يقول أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال العباس بن الاحنف

ويح المحبين ما أشقى جدودهم * ان كان مثل الذى بى بالمحبينا
يشقون فى هذه الدنيا بعشقهم * لا يدركون بها دنيا ولا دينا
يرق قلبى لاهل العشق انهم * اذا رأونى وما ألقى يرقونا

(وله أيضا)

أيها النادب قوما هلكوا * صارت الارض عليهم طبقا
اندب العشاق لا غيرهم * انما الهالك من قد عشقا

وأخرج ابن الحسين الجاذرى عن معن بن عيسى قال دخل ابن سحنون على مالك فقال يا امام اجعلنى فى حل من أبيات قلتها فيك فقال وقد ظن انه هجاه أنت فى حل من ذلك فانشد الابيات بين يديه وهى

سلوا مالك المفتى عن اللهو والغنا * وحب الحسان المعجبات الفوارك
ينبئكم انى مصاب وانما * أسلى هموم النفس عنى بذلك
فهل فى محب يكتم الحب والهوى * اثام وهل فى ضمة المتهالك

فضحك وقال لا ان شاء الله وأظرف من ذلك ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن الربيع بن سليمان قال دخل شاب على الشافعى برقعة فوقع فيها بعدما نظر وناوله اياها فقيدته على انها فتيا كتبها فاذا هى

سل العالم المكى هل فى تزاور * وضم لمشتاق الفؤاد جناح

(فكتب تحته)

أقول معاذ الله ان يذهب التقى * تلاصق أكباد بهن جراح

فانكرت كتابته مثل هذا الشاب وذكرته له فقال انه هاشمى وقد دخل بعرسه فى هذا الشهر يعنى رمضان فسأل عن الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم فقلت له لا قال الربيع

فعاودته

الى الحبيب فى نزاع والباب الرابع فى ذكر من نظر اول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة والباب الخامس فى ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة ٨ وحمرة وخجل ووجل وما فى معنى ذلك من عقد اللسان وحصر البيان والباب السادس فى ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن والباب السابع فى ذكر افشاء السر والكتمان عن ابناء الزمان والباب الثامن فى ذكر مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافى غيظه وانحرافه والباب التاسع فى ذكر الرسل والرسائل والتلطف فى الوسائل والباب العاشر فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه والباب الحادى عشر فى ذكر قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وما فى معنى ذلك والباب الثانى عشر فى ذكر قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول والباب الثالث عشر فى ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة والباب الرابع عشر فى ذكر الرقيب والنمام والواشى الكثير الكلام والباب الخامس عشر فى ذكر العتاب عند اجتماع الاحباب وما فى معنى ذلك من الرضا والعفو عما مضى والباب السادس عشر فى ذكر اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين والباب السابع عشر فى ذكر دواء علة الجوى وما يقاسيه اهل الهوى والباب الثامن عشر فى ذكر تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من اقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر والباب التاسع عشر فى ذكر الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب والباب العشرون فى ذكر الخضوع وانسكاب الدموع

فعاودته فاذا الامر كذلك فعجبت من فراسته وحكى في الاصل عن ابن حجر قال اخرج ابونعيم أيضا عن ابن سيرين انهم كانوا يعشقون بلا ريبة وفي الطبقات الكبرى لابن السبكي وحكاه في الاصل مترددا قال كتب جلال الدولة الى أبي الطيب الطبري سؤالا صورته

يا أيها العالم ماذا ترى * في عاشق ذاب من الوجد
من حب ظبي اهيف اغيد * سهل المحيا حسن القد
فهل ترى تقبيله جائزا * في الصدر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة * بل بعناق جائز الحد
ان أنت لم تفت فاني اذا * أصيح من وجدي واستعدي

(فاجابه)

يا أيها السائل اني أرى * تقبيلك العين مع الخد
يفضي الى ما بعده فاجتنب * قبلته بالجد والجهد
فان من يرتع في روضة * لا بد ان يجني من الورد
وان من يحسبه ناسكا * لا بد ان يغلب بالوجد
فاستشعر العفة واعص الهوى * يسلم لك الدين مع الود
تغنيك عنه كاعب ناهد * تضمها بالملك والعقد
علك منها كلما تشتهي * من غير ما فحش ولا رد
هذا جوابي لقتيل الهوى * فلا تكن بالحق تستعدي

واخرج الخطيب البغدادي عن العنزي قال رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من أول الليل الى الغداة ثم قاما الى الصلاة وفي معناه انشد العلامة محمود لنفسه وهو من لزوم مالا يلزم

لله وقفة عاشقين تلاقيا * من بعد طول نوى وبعد مزار
يتعاطيان من الغرام مدامة * زادتهما بعدا من الاوزار
صدقا الغرام فلم يمل طرف الى * فحش ولا كف لحل ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما * لم يخش مطعن عائب اوزاري

ومنه ماحكي عن بعضهم قال حكت لي امرأة عن شخص هويها وهويته انه قال لها يوما هل لك ان نحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله ان افعل ذلك وأنا اقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لاعرابي ليلة تزوج محبوبته ايسرك ان تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب في لثمها واعصي الشيطان في اثمها * وعن الاصمعي قيل لاعرابي ما تصنع ان ظفرت بمحبوبتك قال امتع عيني من وجهها وسمعي من حديثها واستر منها ما يحرم كشفه الا عند حله وانشد ابن القاسم في المعنى وان كان فيه

---

٣ والباب الحادي والعشرون في ذكر الوعد والاماني ومافيهما من راحة المعاني والباب الثاني والعشرون في ذكر الرضا من المحبوب بأيسر مطلوب والباب الثالث والعشرون في ذكر اختلاط الارواح ٩ كاختلاط الماء بالراح والباب الرابع والعشرون في ذكر عود المحب كالخلال وطيف الخيال ومافي معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب والباب الخامس والعشرون في ذكر مايكابده في طلب الاحباب من الامور الصعاب والباب السادس والعشرون في ذكر طيب ذكرى حبيب والباب السابع والعشرون في ذكر طرف يسير من المقاطيع الفائقة والاغزال الرائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك مما هنالك والباب الثامن والعشرون في ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال ومافي معنى ذلك من ذكر مروالاتهم ووصف آلاتهم والباب التاسع والعشرون في ذكر من ابتلي من أهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان والباب الثلاثون في ذكر من اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف وأما الخاتمة ففي ذكر من مات من حبه وقدم على ربه من غني وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وتباين مطالبهم ولاجل ذكرهم اسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب ومن هنا نشرع في ذكر مايجلب الراحة كرواح الجيش

٢ تزل وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش وهذه المقدمة في ذكر رسم العشق ووسمه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري او اضطراري ويشتمل ذلك على خمسة فصول (الفصل الاول في رسم العشق ووسمه وماقيل في اسمه)

اقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم العشق وحده وبيان بحره المتلاطم ومده وما التمس فيه من الكلام البائن والقول المتباين اذ فيهم من التبس عليه فسماه باسم سببه او باسم ما يؤل اليه وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب واصابة الصواب وعذرهم الظاهر قول الشاعر

يقول أناس لو نعت لنا الهوى
ووالله ما ادرى لهم كيف أنعت
فليس لشيء منه حد أحده
وليس لشيء منه وقت موقت

فمن حدوده المليحة ورسومه الصحيحة قول فيثاغورس الذى أخذ عن أصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما ذكره صاعد فى كتاب الطبقات العشق طمع يتولد فى القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى ويجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوى زاد صاحبه فى الاهتياج واللجاج والتمادى فى الطمع والفكر والامانى والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء أو التهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمنى ما لا يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعا وعشرين ساعة فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه فى تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه هرب دمه واستحال لونه قال الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهرى وتكرار واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عن هذه حالته لا سبيل اليه بتدبير الادوية ولا شفاء له

بعد لانك تعتبر الحياء من الايمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن اهوى فيمنعنى * منه الحياء وقد اودى بعقولى
يأبى الحياء وشيبى ان ألم به * وخشية اللوم من قال ومن قيل

واصرح منه فى المقصود ما أنشده ابراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الحسان وأهوى ان اجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

واخرج صاحب الاصل عن سعيد بن عقبة الهمدانى قال لاعرابى حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم اذا عشقوا ماتوا فقال عذرى ورب الكعبة ثم سأله عن علة ذلك فقال لان فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة واخرجه فى الخلفيات ايضا وفى معناه انشد حرب

ما ان دعانى الهوى لفاحشة * الا عصانى الحياء والكرم
فلا الى محرم مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

هذا ما جاء فى الآثار من العشق مع العفة واما ما يدل على كثرة وقوعه واختصاص قوم بمزيد منه فكثير * فمن ذلك ما اخرجه التنوخى عن عروة بن الزبير قال قلت لعذرى انكم ارق الناس قلوبا يريد اصبأهم الى الحب فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل ما بهم داء الا الحب وقيل لشخص منهم مثله فقال كقوله وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها وفى منازل الاحباب للشهاب محمود ليس حى اصدق فى الحب من بنى عذرة ولا تضرب الامثال فيه الا بهم وقال (٣) قلت يوما لعذرى اتعدون موتكم فى الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال اما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الاسلام وراء ظهوركم (وعن) أبى عمرو بن العلاء قال استنطقت اعرابيا عند الكعبة واستنسبته فاذا هو فصيح عذرى فسألته هل علقه الحب فانبأ عن شدة ولوع فسألته ما قال فى ذلك فأنشد

تتبعن مرعى الوحش حتى رميننا * من النبل لا بالطائشات لخاطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف
وللعين ملهى فى البلاد ولم يقد * هوى النفس شئ كاقتياد الظرائف

وقال بعض حكماء الهند ما علق العشق بأحد عندنا الا وعزينا أهله فيه * وحكى الحافظ مغلطاى ان العشق يختلف باختلاف أصحابه فان الغرام اشد ما يكون مع الفراغ

(٣ فى نسخة وقال فزارى)

وتكرار التردد الى المعشوق والعجز عن الوصول اليه فعلى هذا يكون اخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذللون للمحبوب لما فى ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا

تركته جآذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا

يجعل الخد واضعا تحت ترب * للذى يجعل الحرير أريكا

هكذا يحسن التذلل بالحر اذا كان فى الهوى مملوكا

وقول الرشيد أيضا

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

وقال ابن الاحمر سلطان الاندلس

ايا ربة الخدر التى اذهبت نسكى * على كل حال انت لابد لى منك

فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال ابن طاهر صاحب خراسان

فانى وان حنت اليك ضمائرى * فما قدر حبى أن يذل له قدرى

ودونهم افرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بسوا ثق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به * ثم اعلم ان العشق متى استولى لم يبق صفة سواه ولذلك يذهب الاخلاق العسرة وقوة النفس وفى معنى ذلك انشد بعضهم حيث قال فى رسالة أرسلها الى محبوبته

شكوت فقالت كل هذا تبرم * بحبى أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الحب قالت لشدما * صبرت وماهذا بفعل شجى القلب

وادنو فتقصينى فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبى

فشكواى يؤذيها وصبرى يسوءها * وتجزع من بعدى وتنفر من قربى

فياقوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

ومنهم من تحمله الانفة على ان يفارق بعد اظهار شدة شوق وقوة ميل وكذا شدة الاقبال من المحبوب فيتوهم حيث تشبع نفسه أن الشوق لايعاوده فيفارق ويعود ذلك عليه بتلف نفسه والحق ان ذلك كله مع عدم التمكن وهو الموسوم بالاشراك والا فالصادق منه لايرى وجودا لسوى المحبوب ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالا لمحبوبه او يظن وجوده ودونوا ما صدر عن بدأ بالسلوان ثم ندم فمن الطف ما قيل فى ذلك قول الهذلى

الا بلطف ربه العالمين وذلك ان المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه يتهيأ التلطف فيه بزوال سببه فاما ان [illegible] السببان وكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان ١١ اتصال الفكر سببا لاحتراق [illegible] والصفراء وقلبهما الى تقوية السوداء [illegible] هو الداء العضال الذى يعجز عن معالجته الاطباء * ومنها قول افلاطون الآخذ الحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل نام بنصال الهيكل الطبيعى محدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفسانى والجنون الشوقى فيؤديانه الى الداء العضال الذى لا دواء له * ومنها قول ارسطاطاليس الآخذ الحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم وقول الشاعر

فلست براء عيب ذى الود كله
ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

(وقول الآخر)

وعين السخط تبصر كل عيب
وعين أخى الرضا عن ذاك عميا

ومنها ما مشى عليه أبو على بن سينا وغيره من الاطباء العشق مرض وسواسى شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفاء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا ظريف * وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية والهام شوقى اوجبهما كرم الله تعالى على كل ذى روح لتحصل به اللذة العظمى التى لا يقدر

ويمنعني من بعض اظهار ظلمها * اذا ظلمت يوما وان كان لي عذر
مخافة أني قد علمت اذا بدا * لي الهجر منها ما على هجرها صبر
واني لا ادري اذا النفس اشرفت * على هجرها ما يبلغن بي الهجر

وقال ابن الجهم

نوب الزمان كثيرة واشدها * شمل تحكم فيه يوم فراق
ياقلب لم عرضت نفسك للهوى * او ما رأيت مصارع العشاق

(فصل في الترغيب في العشق والحث عليه)

قيل ان بهرام جور لم يرزق سوى ولد فأخذ في ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة الى ان اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على ان لا نافع له غير العشق فسلط عليه الجواري يعبثن به الى ان علق بواحدة منهن فامرها الملك بالتجني عليه وانها لا تطلب الا رفيع الهمة ذا رغبة في العلم والملك فكان بسبب ذلك من اجل ملوك الفرس واعلمها وفي المعنى قال ابن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

(وقال بعضهم)

وما سرني اني خلي من الهوى * ولو أن لي ما بين شرق الى غرب

وقال ابن أبي كثير لابن أبي الزرقاء هل عشقت حتى تكاتب وتراسل فقال لا قال لن تفلح والله أبدا وأنشد الشعبي

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فانت وعير في الفلاة سواء

وعجزه غيره فقال * فكن حجرا من يابس الصخر جلدا *

وانشد ابن معاذ

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر * خليلا ولم ينظر اليك حبيب

وقالت امرأة فيه أيضا

رأيت الهوى حلوا اذا اجتمع الشمل * ومرا على الهجران لا بل هو القتل
ومن لم يذق للهجر طعما فانه * اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل
وقد ذقت طعميه على القرب والنوى * فأبعده قتل وأقربه خبل

(فصل في رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم في ذلك)

قال بعضهم العشق مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جد وجده هزل وهذا في الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة واشارات الى اختلاف الحالات الكائنة عنه فان الجهل يعتري العشاق عند تزايد الحب فيوجب الحيرة في الامر وعكسه عند انفصاله عن المخيلة والهزل مباديه والجد تمكنه ونحوه ما أجاب ابن ا كثم به وقد سأله المأمون ما العشق فقال سوانح للمرء تؤثرها النفس ويهيم بها القلب فقال له ثمامة اسكت

على مثلها الابتلاءات الالهية وهي موجودة في الانفس بقدر مراتبها عند اربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان اشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع كونها مخبرا لهم عنها بصورة اللفظ وقال الاصمعي سألت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى وخفي عن ابصار الورى فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته اورى وان تركته توارى وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه واحتج بقول قيس

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين
اني جننت فهاتوا من جننت به * ان كان يشفي جنوني لا تلوموني

وقيل لابي زهير المدايني ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء أهل الظرف وقيل لابي وائل الاوضاحي ما تقول في العشق فقال ان لم يكن طرفا من الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين المتحرك وقال المأمون ليحيى بن ا كثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه فقال له ثمامة اسكت يا يحيى انما عليك أن تجيب في مسئلة طلاق أو محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمامة قال العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها قد أعطي عنان طاعتها وقوة تصرفها وقياد ملكها وتوارى عن الابصار مدخله وعمي عن القلوب مسلكه

مسلكه فقال له المأمون احسنت يا ثمامة وأمر له بألف دينار وهذا القدر كاف في معرفة العشق ورسمه * (الفصل الثاني في أسبابه وعلاماته) * أقول هذا الفصل عقدناه للكلام على اسباب العشق النفسانية وعلاماته الجثمانية على ان هذا النوع الاخير كثير والمتصف به من المحبين جم غفير وسنورد من ذلك ما يعذب وروده ويتحقق كقلب العاشق بنوده ان شاء الله تعالى قال بعض الاطباء سبب العشق النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني ارتفاع بخار رديء الى الدماغ عن مني محتقن ولذلك أكثر ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن الاكفاني في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ان أكل الطيور المسموعة يورث العشق وقال أيضا في الخلاصة علامته نحافة البدن وخلاء الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخرة وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كأنه ينظر الى شيء لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعداء ونبض غير منتظم لاسيما عند ذكر أسماء وصفات مختلفة فانها أشد عنده اختلاف النبض وتغير الوجه فهو وقال ارسطاطاليس الفلكي للعشق من النجوم زحل وعطارد والزهرة جميعا ولذلك اذا اشتركوا في أصل المولد أو اجتمعوا وتناظروا في أشكال محمودة وقع بينهم العشق والمحبة في بيت أحدهم أو في حده وكان رب البيت أو صاحب الحد ناظرا اليه أو كانت الكواكب المذكورة ناظرة في أشكال محمودة ومتقاربة فزحل يهيئ الفكرة والتمني والطمع والهم والهيجان والاحزان والوسوسة والجنون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق والخلاعة وتنميق الكلام والكذب.

شأنك ان تفتي في مسئلة طلاق أو محرم فقال المأمون قل يا ثمامة فقال العشق جليس ممتع واليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها واعطي عنان طاعتها وقياد ملكها وقوى تصرفها توارى عن الابصار مدخله وغمض في القلوب مسلكه فقال له المأمون احسنت يا ثمامة وأمر له بالف دينار * وفي رواية انه قال له اذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقل ويتصور من ذلك اللوامع نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى عشقا اقول وهذا تعريف له بحقائقه وموارده الذاتية والاول تعريف بالعوارض والغايات وهذا بالحكمة أليق وايضاحه ان نور البصر يوصل ما يدركه الى المشترك وهو الى الواهمة حتى يرتسم في القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة فقوله بوصل المشاكلة يريد ان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن ودقائق لطف الشمائل يوجب ارتسام انوار في النفس تشبه الجواهر المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد بينهما في اللطف والصفاء وهذا دليل على ان العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع ووصفه بعض البلغاء بانه فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان الاعجم وتبعث حزم العاجز الضعيف وهو عز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية للادب وأول باب تفتق به الاذهان والفطن ويستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن به فوائر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس أليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقال سعيد بن سالم وقد قيل له ان ابنك شرع في الرقيق من الشعر فقال دعوه يتلطف ويلطف ويظرف يعني أنه يطلع من رقيق الشعر على اسرار البلغاء وليس ارق من الغزل ولا ادق لما فيه من تعلق العشق ومدح المحبوب وذلك يؤدي الى ما ذكر فان العاشق اذا علم ما يقربه الى محبوبه بذل فيه امكانه والظرافة واللطافة والنظافة اعظم مقرب فكأنه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم يصلح سوق هذا هنا لانه على ظاهره ترغيب في مطلق الشعر فليتأمل ونقل ابن خلكان في ترجمة العلاف ما ملخصه ان العشق جرعة من حياض الموت وبقعة من رياض الثكل لكنه لا يكون الا عن اريحية في الطبع ولطافة في الشمائل وجود لا يتفق معه منع وميل لا ينفع فيه عذل وفي معنى شدة العشق انشد المؤمل

شق المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

يكفي المحبين في الدنيا عذابهم * والله لاعذبتهم بعدها سقر

وعرفه ارسطو بانه جهل عارض صادف قلبا فارغا دق عن الافهام مسلكه وخفي عن الابصار موضعه وحارت العقول في كيفية تمكنه غير ان ابتداءه حركة وعظم سلطانه من

القلب ثم يتغشى على سائر الاعضاء فيبدى الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الابدان والجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه الى الجنون زادت اعرابية يذهب العقل وينحل الجسم ويهمل الدمع بجدده مرور الايام ولا تفسده بل لا تغيره اساءة المحبوب على الدوام ومن ثم قال الاصمعى وقد سأله الرشيد ما حقيقة العشق فقال انه شئ يستغرق القلب فى محاسن المحبوب ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب اعظم من المسك والعنبر وتعاتب امرأتان من أهل المدينة فى الهوى فقالت احداهما تعذل الاخرى ذكروا فى الحكمة لا تلم من اساء بك الظن اذا جعلت نفسك غرضا للتهمة ومن لم يكن عونا على نفسه من خصمه لم يكن عنده شئ من عقدة الرأى ومن قدم على الهوى وهو يعلم ما فيه من المنعة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم فقالت المعذولة ليس الهوى الى الرأى فيملكه ولا الى العقل فيدركه أما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبئك عنه مثل خبير

ليس أمر الهوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير

انما الامر فى الهوى خطرات * محدثات الامور بعد الامور

وقيل هى لعلية بنت المهدى حكاه الصولى ووجد على صخرة العشق ملك غشوم سلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الالباب وخضعت له النفوس فالعقل اسيره والنظر رسوله واللحظ عامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيمان نائبه بحر مستقره غامض وبم تياره طافح وفائض وهو دقيق المسلك عسير المخرج وضرب بعض الحكماء مثلا للشهوة والعشق فقال هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله وربما قتل بسمه وذلك لان الانسان اما ذو عقل ملكى يتعقل الاشياء فينزجر او نفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك ومن ثم اذا وقع عن صدق جعل المتحابين كنفس واحدة * حكى الغنوى قال دعيت الى عيادة مريض احبه آخر فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه فكان اذا اشتكى المريض شيأ اشتكى الآخر مثله فقدر ان قضى ونحن عنده فحال مفارقة نفسه فارق الصحيح نفسه ومثله ما حكاه فى ذيل الامالى عن التميمى ان اخوين من امرأة يقال لهما فضل وفضيل قضى احدهما فلما دفن طأطأ الآخر ينظره فما سوى عليه اللبن أنشد

سابكيك لا مستقصيا فيض عبرة * ولا مبتغ بالصبر عاقبة الصبر

ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد

* (فصل فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل والحزن ويسهل الوقوع فى المهالك ويغرى على سلوك أوعر المسالك *)

والتلطف والزهو تهيئ العشق والوله والهيمان والرقة وتبعث فى النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث والمغازلة التى تبعث على الشبق والغلمة وتدعو الى الطرب وسماع الاغانى وما شابهه وقال بطليموس سببه ان تكون الشمس والقمر فى برج واحد او متناظرين من تثليث او تسديس فتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما لكون سهمى سعادتهما فى مولديهما فى برج واحد أو يتناظر السهمان من تثليث أو تسديس بعد ان يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة وأن أحدهما ينتفع بمودة صاحبه فتجلب المنفعة ما بينهما المحبة والمودة ويمتزجان ويؤيد هذا قول الخبزارزى

ولكن أرواح المحبين تلتقى
اذا كانت الاجساد عنهن نوما

وأحسب روحينا من الاصل واحدا
ولكنه ما بيننا متقسما

ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت
لمهجتى بالغيب لما تألما

ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من مهابته له وحيائه منه وعظمته فى صدره ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبرا عن كمال أدب نبيه صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح متجاوزا الى ما هو وراءه ومنها اضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه كما قيل

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج اشجان الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * أطار بليلى طائرا كان في صدرى دعا باسم ليلى أسخن الله عينه * وليلى بأرض الشام في بلد قفر
ومنها أنه يستدعى سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام في أخباره ويحب آهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فيا ساكنى أكناف دجلة كلكم
الى القلب من أجل الحبيب حبيب

وقال آخر

أحب لحبها السودان حتى
أحب لحبها سود الكلاب

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتى به ولو أنه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف سلك والاسراع بالسير نحو المكان الذى يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته والتباطى في المشى عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يمتنع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبدله سؤالا وتضرعا كانه يأخذه من المحبوب حتى انه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبى صلى الله عليه وسلم فى الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل

يفديك بالنفس صب لو يكون له
أعز من نفسه شئ فداك به

ومنها الانبساط الكثير الزائد والتضايق فى المكان الواسع والمحاربة على الشئ يأخذه أحدهما وكثرة الغمز الخفى والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما أبقى المحبوب فى الاناء قلت ومنها تقبيل

اعلم انه الطف موجود نشأ فى الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فتعلقه لابد وان يشا كله لاحتياج كل اثنين تألفا الى نسبة تأليفية ولا شبهة ان الروح ألطف ما فى البدن فلذلك كان العشق أول ما يتشبث بها فهذا دليل على انه يقابل الامراض كلها ومن ثم قال المعلم العشق نصف الامراض وشطر الاعراض وقسيم الاسقام وجل الآلام وهذا واضح لان الروح هى الجزء اللطيف والبدن الجزء الكثيف والامراض تبدأ بالبدن والعشق الروح ولاشك ان سريان اللطيف فى اللطيف أسرع ملاكا وأعظم استهلاكا ويليه اللطيف فى الكثيف كالحمى فى البدن ثم الكثيف فى الكثيف كالفالج فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل أقول ان العشق غالب الامراض وليست بالنسبة اليه الا كالعشر الى الكل والقطرة الى البحر وبرهانه ان الامراض غالبا تخص البدن وانما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير والا فهى فى نفسها صحيحة واما العشق فعاقبته افساد البدن وتعطيل الفكر والحاق العقلاء باهل الجنون ثم مرتبته الثانية تتولد عن تكرار نظر أو سماع خطاب يتعقل له فى الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسا جاذبا ولانظارها السفسطية برهانا غالبا ويسمى حينئذ العشق الحسى وقال فيثاغورس لا يسمى حسيا الا اذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندى ليس بشرط وان اشترط ففى حق البلداء من الناس ومن فى حواسهم الباطنة ضعف والا فاحد الحاستين الاصليتين كاف فى ايصاله الى الحس المشترك ثم مرتبته الثالثة الخيالية وهى عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل الا صورة المعشوق وان شارك الناس فى الامور الظاهرة كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الافعال والاحتياج الى محرك باعث ثم مرتبته الرابعة مرتبة الحفظ وهى الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر الى كل جمال وهذا هو العشق الذى يرى صاحبه الميل الى سوى المحبوب اشراكا والفكر فى غيره ضياعا واشتغال الزمان بما سواه فسادا ونحو ذلك واليه اشار الفارضى بقوله

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فتعبيره بالسهو اشارة الى تقصى المراتب واستيفاء الشروط وكأنه يقول من المعلوم ان السهو لا يحدث الا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبى وارد سواك فكيف اسهو ومن ثم اشار بعد ذلك الى طرح المراد واماطة العلائق واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنينية بقوله

وكل الذى ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

بعد ان كان قبل الوصول الى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مرادا حيث قال

وعيد لى وعد وانجازه منى * ولى بغير البعد ان يرم يثبت

ثم الخامسة مرتبة الاستغراق وهى استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة

نسله في غيبته وقد رأيت من فصل هذا ذمنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما العالم ما في هذا من اللذة ثم اني وجدت هذا المذكور بمكة وأرسل معي كتابا الى محبوبه ١٦ المذكور لانه جاور فقلت له كيف أمكن الصبر يا زيد عن عمرو فأنشد

وقد منى جانب لا أضيعه

وللهو مني والخلاعة جانب

ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

أمر على الديار ديار ليلى

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي

ولكن حب من سكن الديارا

ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ولا سيما اذا كانت المحبة محبة مشاكلة ومناسبة فكثيرا ما يتكلم المحبوب بكلام أو يريد أن يتكلم به فيتكلم المحب به بعينه وكثيرا ما يعرض المحب بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا غير مرة للسلطان الملك الناصر أحمد لما كان بالكرك مع محبوبه الشهيب فانه كان يمرض لمرضه ويصح لصحته أخبرني بذلك من لا ارتاب في قوله ممن كان في خدمته ملازما له واما وقوع ذلك للمتقدمين فكثير فمن ذلك ما حكى عن أبي نواس انه مرض فدخل عليه بعض أصحابه يعودونه فوجدوا به خفة قال فانبسط معنا وقال من أين جئتم فقلنا من عند عنان جارية الناطفي فقال او كانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله لقد أنكرت علتي هذه ولم اعرف لها سببا غير اني توهمت ان ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعا

أسرها وارتسام صورة المحبوب في مرآة العاقلة وحدها مع محو ما سواها والى ذلك أشار العارف المذكور بقوله

ولا غرو ان صلى الانام الى أن * ثوت بفؤادي فهي قبلة قبلتي

وقوله

* ووجدي بها ماحيّ والفقد مثبتي *

يعني ان وجدي الصحيح بالمحبوبة محاني أي صورتي التي كانت مع العالم الدنيوي فكان فقدي اياها هو الذي اثبتني وهذه المرتبة على الاصح من كلام كثير هي أول المراتب التي يقع ببلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذي ذكرته الاطباء كالنظر في الحساب والمحاورات وتذكر مساوي المحبوب والنظر الى أمثاله وما يقاد به الى غير ذلك مما هو مقرر في مواضعه السادسة مرتبة الانقلاب وهي مرتبة ينقلب فيها ادراك العاشق في سائر آلاته فيصير اذا لمس الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الايذاء او رأى شيأ كالجيفة أو شم رائحتها فضلا عن أضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب واليه أشار بقوله

فلم تهوني مالم تكن فيّ فانيا * ولم تفن مالم تجتلي فيك صورتي

وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية اذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمية والا الحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الاطباء بالمانيا والسرسام والسهر السباتي والماليخوليا * والسابعة مرتبة العدم الكلي والمفارقة الابدية وهي التي اذا بلغتها النفس لم تستقر في البدن وربما كانت مفارقتها بتذكار وسماع ذكر او تنفس صعداء او امر من المحبوب وحالها ان يصير الموت اعظم امنية للنفس كما أشار اليه بقوله

فوتي بها وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت في الحب عشت بغصتي

وقد صرت ارجو ما يخاف فاسعدي * به روح ميت للحياة استعدت

الى غير ذلك مما لو منح الله تعالى شخصا مددا يستغرق المدد وحياة تستفرغ الابد وفراغا يذر الشواغل سدى ونفحات قدسية تصقل مرآة عقله لقبوله النبض أبدا وافرغ ذلك كله في تحرير ما اودعه عارف الزمان وسلطان الآفاق وفرد دائرة الاكوان وجامع فضائل العشاق سيدي عمر بن الفارض اعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وادواره وتقلاته واطواره لفنى الزمان ولم يدرك معشاره وبادت الاكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق هذا المختصر لاوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته في اقل أبياته وكلماته ما يدعك في حيرة الفكر وبحار التعجب غارقا ويسكتك وان كنت مصقاعا ناطقا ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت لتمني كل عند حصول ذلك أما ما نقل عنه في بيان مراتبه خصوصا ما ذكره هنا فليس بالجيد اذ البعض دال على الاسماء والبعض على

ان يكون الله عافاه منها قبلي ثم دعا بدواة وكتب الى عنان اني حممت ولم أشعر بحمالك حتى تحدث عوادي بشكوالك الماضية فقلت ما كانت الحمى لتطرقني * من غير ما سبب الا بحمالك وخصلة كنت فيها غير متهم * عافاني الله منها حين عافاك

الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا احدفا حفظ مقاديرما ظفرت به وهانا ابين لك عدم انطباق ماذكروه على المطلوب قال ابن صاعد فى طبقات الامم عن فيثاغورس صاحب سليمان نبى الله عليه السلام العشق طمع يتولد فى القلب يعنى عن النظر ثم ينمو ويحدث اللجاج والاستراق حتى ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من شهقة اوبرؤية المحبوب بغتة وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت وفى سيرة الاسكندر أن هذا الابقراط زاد القيسى فى كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس ان العشق من فعل النفس وذلك كامن فى الاعضاء الرئيسة فتى تمكن افسدها وهذا كله اشارة الى المراتب اجمالا وفى كتاب المتيمين نظر رجل الى معشوقته فغشى عليه فقال حكيم انه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر الى اهلنا فقال محبة الاهل قلبية وهذه روحانية فهى ادق والطف واعظم سريانا ونماء وقال افلاطون العشق غريزة تتولد عن الطمع زاد المعلم وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة حيث قال حبك الشئ يعمى ويصم رواه أبوداود واحمد وانشد فيه

فلست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

ورأيت فى نسخة * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا * وهى الىق بتحسين الكلام لما فيها من المقابلة وفى اخرى * ولا بعض ما فيه وان كنت رائيا * وهذا أليق بالمقام والطف واحسن دلالة على المقصود لما فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فانه يقول لا ارى له عيبا مع انى صحيح النظر فهذا على حد قوله

فوالله ما أدري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقال السكرى وابن أبى طاهر فى المنثور والمنظوم وابو عبيد البكرى فى كتابه اللآلى فى شرح الامالى ان البيتين لجرير بن الخطفى وقال السمعانى هما لعلى والاول اصح قال الحاتمى وقد سرق ابن عبد الاعلى هذا المعنى حيث قال

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين اخ الرضا عن ذاك تعمى

واما الشيخ فقد حده بانه مرض يشبه الماليخوليا تولده الفكرة من استحسان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع وقالت اعرابية العشق جل ان يرى وخفى عن الورى فهو كامن فى الصدور كالنار فى الحجر ان قدح اورى وان ترك توارى وهذا حده بحقيقته فى النفس ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه واحسن قول بعضهم

وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به الروح تكلف

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله اذا زالت لانه عرض واما الكائن عن مشاكلة فى النفس وارتسام فى الذهن فلا يزول ومتى صح ارتسم عند كل من المتحابين ما عند

حتى اذا اتفقت نفسي ونفسك لى * هذا وذاك وفى هذا وفى ذاك * ومنها انها اذا سئل عن أسبابه بخلافه وكثرة التثاؤب والتمطى والتكسل اذا نظر الى شئ وبه ونكته فى الارض بابهام رجله وهذا كثيرا ما يقع للنساء وعضها على شفتها السفلى وضربها عضديها وثدييها واظهارها لمن تهواه توهمه انها ترى لبعض اهلها ونظرها الى اعطا ووضعها الحديث فى غير موضع (اياك اعنى واسمعى ياجاره) و الانقياد للمحبوب فى جميع ما من خير وشر فان كان المحبو مشغوفا بالعلم اجتهد المحب فى طلبه اشد من اجتهاده وان كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار المليحة المستحسنة بالغ المحب فى طلبها وحفظها وان كان مشغوفا بحرفة أو صناعة اجتهد فى تعلمها ان امكنه ذلك فالمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال والبلية كل البلية ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به * وفى اخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من اجل سراويل معشوقته فوجد فى تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويلات ذكره الصيمرى وعشق آخر الهاونات من أجل صوت هاون محبوبته فوجد فى تركته عشرة آلاف منها وقد وقفت من هذا على أشياء كثيرة والجنون فنون

(الفصل الثالث فى مراتبه واسمائه)

اقول هذا الفصل عقدناه لذكر مراتب الحب وسياقه واسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته ومن المعلوم ان الشئ اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالهزبر والرمح والخمر والسيف والداهيه والمحبة المحرقة وما أدراك ما هيه

الآخر لصفاء جوهر النفس وخلوها للمحبوب وقد تكون العوارض المذكورة سببا لانقلابه الى الحد الاصلى كما ستجده وامامثل الرسيس والحب وغيرهما فاسماء اقترحتها الشعراء للتغزل والتشبيب لاتنطبق فى الحقيقة على ماذكر الكن وربما كان لبعض منها مسيس مناسبة فالرسيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب فى النفس وزعموا انه اول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوى ويليه الحب وهو فى الحقيقة اول الالفة واشتق من حبة القلب اومن حباب الماء اومن حب البعير اذا برك اومن حبب الاسنان وهو بياضها وحدت المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم اوقيام المحبوب بما يحب وعدم مشاركة شئ معه وفيه انشد المتنبى

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وانشد بعضهم

ومن عجب انى احن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين اضلعى

والطف منه قوله

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب

والحب اخص من العشق لانه عن اول نظرة واقصاه امتزاج الارواح والرأفة اشد لانها مبالغة فى الرحمة قال الحرانى هى ارق الرحمة والرحمة اعم لوقوعها على غير ذى صلة بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الود وأخالصه فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة وفى معناه المقة والتتيم حالة يتلبس بها المعشوق العاشق فاذا ازداد فهو الوله اعنى الخروج عن حد الترتيب وانشد فى المعنى

الحب اوله ميل يهيم به * قلب المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت * اومزحة اشعلت فى القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت احرقت مستجمع الحطب

(وانشد ايضا)

ثلاثة اسباب فحب علاقة * كذا حب تملاق وحب هو القتل

والشجو هو الحزن والطرب أيضا ضده ويطلق على القهر والغلبة وهو هنا عشق يقترن بالهم كما فى ديوان الصبابة والخلة هى تمام المحبة سواء كانت بلاعلة وهى الصداقة او بها اوهى فرط العشق الذى لايخالطه غيره اخذت من الخلو أو التخلى فكان القلب لما تخلى للمحبوب دون غيره اتصف بها والعلاقة وهى فى الصحيح اسم لمبادى المحبة اخذت من علق بالتحريك اى حب وكصحاب الهوى وبهاء ويجوز أن يراد به اشدة اختلاط القلب بالحب ويقرب منها الغرام وهو أشد لانه ولع واشتغال بالحب والهوى مطلق الميل والارادة ويطلق على ذهاب العقل فى العشق وعلى نفس المحبوبة واما العشق فاعم منها

وضعوا لها اسماء كثيرة وتسكانت عنايتهم به شهيرة ولاشئ يعدل اعتناءهم بالحب الذى يسلب اللب فأول مراتبه
الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر ان التى زعمت فؤادك ملها *
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب كما قال الشاعر

ولقد اردت الصبر عنك فعاقنى
علق بقلبى من هواك قديم

وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب واصله من الكلفة وهى المشقة يقال كلفه تكليفا اذا أمره بما يشق عليه فكان الحبيب يكلف المحب مالايطيق ويتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الاوسعها وقيل هو مأخوذ من الاثر وهو شئ يعلو الوجه كالسمسم والكلف أيضا لون بين السواد والحمرة وهى حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب وفى الصحاح العشق فرط الحب وهو عند الاطباء من جملة انواع الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعى الى الفساد وهو أمر هذه الاسماء وقلما نطقت به العرب وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده فى شعرهم القديم وانما اولع به المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ فى القرآن ولافى السنة الافى حديث ابن داود الظاهرى كما يأتى بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب يكون فى عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق وتصفر قال الزجاجى واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت لزج فسمى العشق الذى يكون

وقيل اخص وهو اعجاب بالحب أو افراط فيه واخذ من العاشقة وهي شجرة تعلق وتلصق بما يليها وهي اللبلاب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر والغمرة سكر القلب بتذكار الحب واشتغاله به والشغف شدته مأخوذ من شغاف القلب اي غلافه او سويدائه وبالمهملة رأس القلب مما يلي نياطه ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم علما عليه قد بلغ هذا المحل والمراد من القلب هنا أمر معنوي في الانسان لا الشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام واما الاستكانة فالخضوع او شوق ينزع النفس من البدن الى لقاء الحب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية والشوق ارفع وهل يزيده الوصل او ينقصه خلاف واستدل للاول بقول الشاعر

واعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وللثاني بقوله

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والاصح انه ان كان لمجرد شهوة نقص بقضائها بل ربما عدم والا بان كان كلفا الا تكلفا وطبعا لا انطبعا ومن لا نفسانيا أنشأته المشاكلة فلا يزيده الوصل الا رسوخا على انه لا دليل في الثاني على الدعوى لعدم ذكر الشوق في الشعر لانه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذي هو اعم فيجوز تفسيره بفرد غير الشوق على ان المحققين اجمعوا على ان الشوق حال الغيبة يغاير الشوق حال الحضور كما أنشد ابن الرومي في ذلك

اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني

وألثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان

كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان

واما الصبوة فلا تطلق حقيقة الا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق تجوزا على مطلق الميل للمشابهة والنزوع والاشتياق كالصبابة او هي رقة وحرارة في الشوق والوجد شدتها والكلف الاستغراق والاشتغال وبالكسر العاشق نفسه والشجن الهم والكرب يحمل النفس كل مشقة متعلقها الحب والكآبة شدة الحزن كالتفجع او هو توجع وبكاء على الفقد والبرح والغل شدة العشق والغل من الغلل يعني العطش والجامع ميل النفس والحنين شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر يهيج الباعثة والبلبال شدة الشوق والجوى ضيق الصدر وكتم الهوى والارق والسهد شدة السهر وتواتر احوال المحبوب على القلب وفي معناه التحرق واللذع والولع وكذا اللوعة واللاعج واما الوصب والنصب فلوعة مع مرض وغم وكذا الكمد والدنف شدته قيل مع صفرة او الكمد تغير الى سواد والدنف الى صفرة وهو مرادف والتبل والخبل الجنون وهذا في الاصح آخر المراتب والجزع عدم الصبر على الفرقة والهلع اشده والدله بالمهملة احتراق القلب بنار الحب والخلابة سلب العقل والهيام مجرد الحب أو هو السياحة فيه

بالانسان لزوجته ولصوقه بالقلب وقال ابن الاعرابي العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الشجر فاشتق من ذلك العاشق ذكره في ديوان العاشقين والعشيق يكون الفاعل والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال في المرأة عاشقة وامرأة عاشق ايضا وقد تقدم ذكر ذلك والله اعلم ثم الشغف قال العزيزي في غريب القرآن شغفها حبا اصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف القلب ويقال هو حبة القلب وهي علقة سوداء في صميمه وشعفها حبا ارتفع حبه الى اعلى موضع في قلبها مشتق من شعاف الجبال أي رؤسها وقولهم فلان مشغوف بفلانة أي ذهب به الحب اقصى المذاهب واما الشعف بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال في الصحاح شعفه الحب اي احرق قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج اعني مثل الشعف في الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه واحرق جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب حرقته فهذا هو الهوى المحرق ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفي الصحاح الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن ثم التتيم وهو أن يستعبده الحب ومنه سمي تيم الله اي عبد الله ومنه قيل رجل متيم ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى ومنه رجل متبول وفي الصحاح تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب اي حيره ثم الهيام وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيام بالكسر الابل العطاش وقوم هيم اي عطاش والصبابة رقة الشوق وحرارته والمقة المحبة والوامق المحب والوجد الحب الذي يتبعه

والبله حق او غفلة فيكون هنا استغراقا في الحب فهذه حقيقة اسمائه التي يجعلها مراتبه وليست الا باعتبار صفة او اول او تسمية جزء او سبب بكل او مسبب وعكس ذلك وانما المراتب ما قررناه وفي ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد اوضحنا نفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله

(فصل فيما ذكره من العلامات)

وهي احوال يتصف بها البدن كتغير الالوان والعينين وتواتر النبض والخفقان وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب او سماع ذكره حتى انها قد تفضي بالهلاك وكذا اعتقال اللسان واحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن والتعقل وقدمر ثم هذه قد يستدل عليها بالتطور والتنقل (قيل) أتى بشاب الى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألما فقال وهو قابض على نبضه لغلامه قد أخذني البرد فأتني بالفرجية فتغير نبض الشاب تحت يده فقال لامه ان هذا عاشق امرأة اسمها فرجية فقال وهو كذلك وانشد

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج اشواق الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان في صدري

وفي معناه محبة كل ما نسب الى المحبوب حتى الجدار وفيه قيل

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن الوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل والاستلذاذ بتقبيل النعل قال ابن أبي حجلة وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى في ذلك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيته بمكة كيف تصبر على ما اعلم فيك فانشد يقول

ولله مني جانب لا اضيعه * وللهو مني والخلاعة جانب

(اقول) وفيه تطرف عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفا وعدد المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال بالله حيث لم يجعل المقاسم واحدا خصوصا والله وفي شعر ما اعم من ان يكون بالمحبوب او غيره واما التشبه بالمحبوب في سائر الافعال والاقوال والميل الى ما يحبه والاستلذاذ باستعمال ما كان من اثره فامر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى قيل ان شخصا وجد في تركته اثنا عشر حملا وفرد من السراويل لكونه رأى ميل محبوبه اليها وآخر الف هاون لسماع صوت هاون محبوبته واما اتحاد الاجساد والمرض حيث يمرض الآخر فكثير قيل مرض ابو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص فاخبره بمرض عنان جارية الناطفي وانها انشدت فكتب اليها

اني حممت ولم أشعر بحماك * حتى تحدث عوادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني * من غير ما سبب الا لحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم * عافاني الله منها حين عافاك

الحزن واكثر ما يستعمل في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون وانما استعملته العرب في المرض والشجو حب يتبعه هم وحزن والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشئ وقد جاء في السنة واسألك النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واختلف في الشوق هل يزول بالوصال او يزيد فقالت طائفة يزول لانه سفر القلب الى المحبوب فاذا وصل اليه انتهى السفر

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر

واعظم ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام

قالوا الان الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب وذلك مما يزيده القرب والمواصلة والصواب ان الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن المحب قال ابن الرومي

اعانقها والنفس بعد مشوقة
اليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاها كي تزول صبابتي
فيشتد ما ألقى من الهيمان
كان فؤادي ليس يشفي غليله
سوى ان ترى الروحين يمتزجان

والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل الشوق وهي وساوسه والتباريح الشدائد والدواهي يقال برح به الحب والشوق اذا اصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر القلب من حب او سكر او غفلة والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة المحب اشد الى حتى محبوبه . وقال الراجز

اني سأبدي لك فيما ابدي * لي شجنان شجن بنجد * وشجن لي ببلاد السند *

وقال آخر   فقل لأصحابي ولم يجدوا وجدى * والناس اشجان ولى شجن وحدى   والوصب الم الحب ومرضه فان

اهل الوصب المرض   والكمد الحزن المكتوم والكمد تغير اللون   والارق السهر وهو من لوازم المحبة

والحنين الشوق والجنون اصل مادته الستر والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا والود خالص الحب والطفه وارقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذي يوحد حبه لمحبوبه وهى مرتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفى الصحيح عنه لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت ابابكر خليلا وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة بجميع اجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت موضع الروح منى
وبذا سمى الخليل خليلا

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب افضل من الخليل وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وهذا الزعم باطل لان الخلة خاصة وهى توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا خليلا فحصل من انعام الحب العام على الخاص

والعام   ـلاب بهدا ـلة ثم ـلة * بهدا مطاب الواديات كلاهما   والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفى الصحاح الغرام الولوع والغريم الذى يكون عليه الدين وقد يكون الذى له الدين   قال كثير

حتى قد اتفقت نفسى ونفسك فى * هذا وذاك وفى هذا وفى ذاك

وفى معناه انشد

وقف الهوى بى حيث انت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم

ويقرب من هذا قول الشافعى

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذرى عليه
واتى الحبيب يعودنى * فبرئت من نظرى اليه

اذا تقرر هذا فليكن الاخف منه كالغيرة وبذل النفس وترك ماسوى المحبوب بالطريق الاولى وكذا انتظارها كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث وملبوس ورؤية ما ينسب اليه ويقوله مستحسنا وان كان بالخلاف ولم ينسب نحو هذا الى المبالغة عند العشاق للاتيان باعظم منه كما سمعت (قال الزراع) ودع هندى جارية كان يهواها فذرفت احدى عينيه فغمض الاخرى عن الملاذ عقوبة لها اربعا وستين سنة حتى مات * واما حصول العشق برؤية فى النوم او بالاثر او بالسماع او بالكلام او الوصف او اللمس او باول نظرة او بالمطاولة والمعاشرة وزيادته بالبعد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الامزجة وقد اسلفت فى طالعة الكتاب تفصيل ذلك وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر لى فى ذلك أن الناس اما ناظرون بالاحب او بها اما من العاشق والمعشوق معا او من احدهما فقط ويختلف الحب لطفا وصفاء وعكسهما فهذه اسباب الاختلاف وان كانت لاهل الحقيقة بالذات

(الباب الاول فيمن استشهد من المحبين شوقا الى حضرة رب العالمين)

لما كان غاية المحبة اما وصولا الى المطلوبات الدنيوية والاخروية ومبدؤها من الحواس الظاهرة غالبا او الباطنة ومطالبها العالية ومقاصدها الذاتية اما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية تنتقش فى العقل من الخلق او ميل نفسى الى المبدع باستيحاش عمن سواه لا جرم قسمت المحبة قسمين اشرفها متعلقا الثوانى وهو الحب فى الله لانه لا يفنى متعلقه ولا تتكيف غايته ولا يفضله شئ فى الحقيقة اذ ما سواه اوهام تضمحل وتزول واعراض تفنى وتحول ولا شبهة فى ان ادخار ما لا يتطرق اليه تغير ولا فناء اولى فى الحكمة عند العقلاء فلذلك صدرت به الابواب ومدار ما يذكرها فى الاصل على ذكر من افنى نفسه فى طاعة ربه واكثر اغترافه من الحلية لابى نعيم اذا تقرر هذا فحد المحبة كما قال المصرى وصول الى مقام الانس والنعمة باطنا والوحشة والبلاء ظاهرا بشرط الاشراف على الغيوب وفناء الكل فى بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة وكان عليه ان يورد التعريف التام العام اولا ثم يفصل وقال الاستاذ ابو يزيد

البسطامى هى استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندى قريب من الاول غير ان بعض شراح الفصوص قال ان فيه تعريضا بقاء المادة واظنه اخذ ذلك من قوله استهلاك وفيه تكلف ونقل الحديث البحرانى فى شرح التائية على قول الاستاذ فقالت هوى غيرى قصدت واقربهما واحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد رضى الله عنه وقد سئل ما المحبة فقال هى الصفاء فى الباطن مع حقائق الحق والوفاء فى الظاهر مع استعمال دقائق الشرع فهذا والله هو الحد التام وان كان الى الخاص اميل فان قوله الصفاء فى الباطن يريد به الخلوة الحقيقية التى هى قفل ابواب الحواس عن ممارسة الخلائق ونشر القلب بالاستكانة والخضوع على اعتاب الحق ونفى الكدورات الحسية عن الحواس النفسية لالحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قبل فك العوائق وقطع العلائق والخروج من شوائب الخلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق

هنالك وجدت الكائنات تحالفت * على انها والعون منى معينتى

حيث انتفت معاندات الاغيار وتحققت مجازيات الاخيار حتى انتقشت المطلوبات الحقية فى مرآة الصورة الخلقية وانبسطت اشعة الاحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشيه

فلم تهوتى مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وقوله والوفاء فى الظاهر يعنى لكل معاهد بعهده وموعود بوعده وضال برده ومتغفل بتنبيهه وتقويته جده لان العارف المتصف بما ذكر خليفة الله على خلقه ينفذ فيهم أوامره ويقيم شرائعه فان فعل ذلك ظاهرا وباطنا فهو النبى وخلفاؤه ومن فعله على الاول فهم السلاطين او على الثانى فهم الافراد الاقطاب جوامع الاسرار ومعادن الحقائق والاستبصار علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل وورثة الانبياء

فعالمنا منهم نبى ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسلية

واما قوله استعمال دقائق الشرع فاشارة الى معنى لايدركه الا الخواص وان غاص عليه من غاص فان فيه اشارة الى حفظ الكليات التى عليها مدار النظام واستقصاء الجزئيات التى قصر عنها الكلام واجتهاد النفس فى جمع ما تفرقت فيه الآراء وتشعبت اليه الاهواء بيد ان ذلك قباء لم يخط على كل ذى قد واشكال اقيسة فكر لم يستخلصها كل ذى جد اللهم حققنا بحقائق معارفك وارفعنا من حضيض زوايا الخمول الى اوج استقامة اطائفك وانقل أنفسنا من مراكز عكس الصعود الى اشرف منازل السعود واما قول بعضهم وينسب الى ذى النون المصرى المحبة ارق بلا رقاد وجسم بلا فؤاد وتهتك فى العباد وتشتت عن البلاد فتعريف بصورة الحالة الراهنة من المحبة بعد قطع الطرق فان الارق الذى هو السهر من الفكر فى الامور

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله اسماء آخر غير هذه اضربت عنها خوف الاطالة والمحبة أم باب هذه الاسماء كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه الاترى ان كل محبة شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى ان يهوى الشئ فيتبعه غيا كان اورشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواجد والذى يهوى الامر محب وللناس فى حد المحبة كلام كثير فقيل هى الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل هى قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الانفاس كما قال المتنبى

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وقيل هى مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

ومن عجب انى احن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين اضلعى

وقيل هى حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الآخر

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب

وفى اشتقاقها ايضا اقوال فقيل هى مشتقة من حبة القلب وهى سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل هى مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه اوما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب الماء الذى يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره اذا امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع

الطارئة

الطارئة على النفس لا يكون الا بعد تمكن تلك الامور في الذهن وان الجسم لا يكون بلا فؤاد الا اذا فني فهي كناية عن عدم الالتفات الى ما من شأنه ان يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام وفيه تكلف وخلط لحالة الجانبين باحوال المحبين وباقي الكلام ظاهر وعندي ان المحبة ميل نفساني الى المراد يعقده الجزم بالاعتقاد ورؤية ماسوى المطلوب من الفساد وفي الدين ارتداد واليه اشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليقة بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا قضيت بردتي

فقولنا ميل كالجنس ونفساني كالفصل والى المراد فصل قريب ولذلك اخره وهذا هو فصل المادة والصورة والجزم في الاعتقاد بالفاعلية وغاية ذلك الثبات على الحب حيث ثبت ان ما سواه فساد فقد جمع هذا الحد مطردا ومنعكسا احوال المحبة على وجه العموم فمن اراد تخصيصه فبالفصول اللائقة ثم لهذه المحبة اوصاف وشروط منها ان لا يبالي المحب بما يرد من المحبوب وان يؤثر رضاه على نفسه فيتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور والهجر كالوصل والفناء كالبقاء اذا كان ذلك رضا المحبوب قال العارف

فكل الذي ترضاه والموت دونه * به انا راض والصبابة ارضت

فانظر الى هذا الاستاذ كيف اوضح طرق السلوك للسالك ودل على المطالب والمسالك واوضح مرقاة الوصول للدارج ونكب عن المعارج الى اسنى المعارج حيث قال *نم بالصبا قلبي صبا لاحبتي* لان الزمان المذكور محل الميل الى مرادات النفس وشهواتها ففي البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام تحرير احوال الغرام باقصى المرام ثم اكد ما اسس وأبدع ما جانس وقوى جزئي الميل حتى صار كليا عاما وشح من بديع نظامه وانق من لطيف كلامه بقوله

محجبة بين الاسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت

ممنعة خلع العذار نقابها * مسربلة بردين قلبي ومهجتي

فجدوا ايها المقصرون وانتبهوا ايها الغافلون وبادروا ايها المشمرون فان المطلوب خطير والوصول عسير وليس هذا قطعا عن الطريق وتخذيلا للهمم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعة الظانين ان الوصول الى هذا النفس بالظاهر من البلاغة والبراعة كلا بل هو تبيين وتحقيق لئلا يقدم على هذا الامر الا من أراد علو همته وغلو قيمته ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا يتلبس بالعلم غير أهله ولا يبسق الفرع على غير أصله

فللحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب يا خلي

الى غير ذلك مما دلت عليه ابياته الفائقة وعباراته الرائقة والفاظه الشائقة التي

فيه اقسير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذي يسميه المصريون الزير ما أحسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا في كوز الزير وفيه اعتراض بشينه وحسن نظم يزينه

وذي اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب

فقل ماشئت في الصب

(الفصل الرابع في مدحه وذمه)

اقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه وترياقه وسمه فكم مدحه عاقل وذمه متعاقل هيهات فات من ذمه المطلوب ومن أين للوجه المليح ذنوب فمن خصاله المحموده وفضائله الموجوده ما قاله العلامة قدامة العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان العجم وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس اليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه وملحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجادت رسائله وجلت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح وقيل لآخر كذلك فقال لا بأس بذلك انه اذا عشق لطف وظرف ودق ورق وقيل لبزرجمهر متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى او حبيبا وقد صدق فيما قال العباس ابن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

هي امواد قالهمم الى مقام الوصول سائقه ولولا ما فى ذلك من التطويل الذى يستغرق المدد مع المدد ويستنفد الابد فضلا عن طول الامد لاوضحت لك ما فى كلامه من الاسرار الحقيقية الدالة على ان ابيات القصيدة وضعت كدرج المرقاة فى الابرام والنقض لايجوز تقدم بعضها على بعض (ومن لطيف ما اتفق لى) انى خلوت بنفسى ليلة وكانت ليلة الجمعة سادس رجب الفرد من شهور واحدى وسبعين وتسعمائة فاخذت أتفكر فى كلامه متصفحا فى دقائقه الى أن قام فى فكرى معارضة بين ما اتفق له من قوله وعيدك لى وعد البيت وقوله عذب بما شئت غير البعد وقوله واصعب شئ دون اعراضكم سهل * وبين قوله وكل الذى ترضاه البيت فانه فى جميع الابيات أشار الى انه راض بكل أفعال المحبوب خلا البعد والهجر ثم اشار فى هذا البيت الى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قام عندى جواب ان ذلك عام مخصص ثم غشيني النوم فرأيت كانى بالمدرسة الاشرفية وقد زينت بانواع الزينة وليس فيها غيرى واذا برجل طويل غليظ شديد البياض فى يده عكاز أخضر متوشح بثوبين أبيضين وعلى رأسه كالازار فقام عندى انه الشيخ فاذا هو هو فسلم على ووضع يده على كتفى ووقفنا متقابلين وهو يقول لى هذا جواب الفقهاء ولم أقصده فقلت يا سيدى وما الذى قصدت قال اما تعلم ان المسافر أثقل ما يكون فى مبادى سفره ثم لم يزل يخف اذا طالت طريقه حتى لم يبق الا هو وربما فنى قلت نعم قال وكذلك السالك لم يزل يلقى مرادات نفسه حتى اذا وصل انطوى فى دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب كما فى الحديث القدسى فبى يسمع وبى يبصر فعلمت ان هذا الشأن لايدرك بالعلوم الظاهره ان لم تداركها نفحات من الحضرة الطاهره فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة الا ان تداركنى الالطاف الباهره (وقال بعض العارفين) شرط المحبة أن تكون ميلا بلا نيل وشرطا بلا جزاء لئلا تزول عند زوال العوض وينبأ كذلك فى احياء الله عز وجل روى عن على رضى الله عنه أنه كان يقول فى مناجاته الهى ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ولكنى وجدتك أهلا للعبادة ومن ثم قيل أفضل الحمد ما وقع دالا على استحقاق الله له بلا شرط نحو نحمدك يا من جلت صفاته عن الاحصاء بخلاف ما وقع فى مقابلة شئ كالحمد لله على ما أنعم وأخبر السراج عن أبى بكر الازدستانى بسنده الى ابن كثير قال لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع اليه فيه الناس حتى الوحوش والطيور فينوح ويعظ مذكرا الجنة ثم النار ثم الاهوال ثم الخوف من الله وفى كل واحدة يموت من كل طائفة خلق وولده قائم على رأسه فيقول حسبك يا ابت قد مات الناس ثم يقول له العباد لا تعجل بطلب الجزاء فيخر ساجدا مغشيا عليه فتأخذ كل طائفة من مات منها وتذهب ثم يدخل بيت عبادته وهو يقول يا اله داود أغضبان أنت عليه أم راض الى أن يخر مغشيا عليه وأخرج عبد العزيز بن على الطحان عن ابن عطاء فى

وماسرنى انى خلى من الهوى * ولو ان لى ما بين شرق ومغرب وقال آخر ولا خير فى الدنيا بغير صبابة * ولا فى نعيم ليس فيه حبيب وقال آخر اسكن الى سكن تلذ بحبه * ذهب الزمان واثت سال مفرد وقال آخر

اذا لم تذق فى هذه الدار صبوة
فموتك فيها والحياة سواء

وقال آخر

ولا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر
حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال آخر

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها
فيما مضى أحد اذا لم يعشق

وقال المتنبى

وعذلت أهل العشق حتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت انا معضدا لقول المتنبى هذا مع زيادة التورية

ان تسألوا عما لقيت من الهوى
فانا الذى مارسته وعرفته
خالفت فى رشف الرضاب وطعمه
وعذلت أهل العشق حتى ذقته

(حكى) ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنئ النفس فسلط عليه الجوارى والقيان فعشق منهن واحدة فاعلم الملك بهرام بذلك ففرح وارسل الى التى قيل انه عشقها ان تجنى عليه وقولى انى لا اصلح الا لشريف النفس عالى الهمة ملك او عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع فى ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم واثبت ذلك فى حكمة الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا أعظمهم أجرا

معنى قوله عز وجل انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ان أيوب لم يزل يأكل الدود حتى لم يبق غير قلبه ولسانه فأكل بعضه بعضا حتى بقيت واحدة فدبت الى قلبه فقال ذلك لانه قال أى رب لم أخف من بلاء ما دام قلبى عارفا بك ولا وذكرك فأوحى الله اليه بم تنظر الى غدا قال بهاتين العينين قال لا ولكن أخلق لك عينين يسميان البقاء لتنظر الى البقاء بالبقاء (وقيل) خرج عيسى عليه السلام فى سياحته ليلة برد وريح ومطر فعاج الى كهف ليستظل فخرج اليه أسد فقال أنت أحق بمكانك وعاد وهو يقول رب لكل ذى روح ملجأ الا عيسى فأوحى اليه كأنك استبطأتنى فوعزتى وجلالى لازوجنك بجوارى ولأولمن عليك أربعة آلاف سنة (وحكى) المنذرى عن ابن سعد يرفعه ان انصاريا بكى من خشية الله خوفا من النار حتى حبسه البكاء فى بيته فحكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فلما اعتنقه خر ميتا فقال جهزوا صاحبكم فان الفرق بحريك الراء يعنى الخوف فلذ بالمهجة يعنى قطع كبده (وحكى) أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض ان ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال أن يريه رفيقه فى الجنة فاذا بقائل يقول له هى ميمونة السوداء قال فقلت وأين هى قال بالكوفة فخرجت فى طلبها فلما سألت عنها قالوا هى مجنونة وانها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهى تصلى فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتينى فقالت الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفى رواية أخرى قالت جالت روحى وروحك فى عالم الملكوت فتعارفنا فقلت لها عظينى فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد اعطاه الله شيأ من الدنيا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة وأنشدت

يا واعظا قام لاحتساب * يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا * هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا * غيك أوتبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبى * موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى * وأنت فى النهى كالمريب

قال ثم سألتها ما بال الذئاب التى مع الغنم لا تضرها فقالت أصلحت ما بينى وبينه فاصلح ما بين الذئاب والغنم (وفى الكتاب المذكور) عن ابن المبارك قال بينما أطوف فى الجبال اذا أنا بشخص فلما دنا منى اذا هو امرأة عليها أثواب من صوف فلما دنت سلمت ثم قالت من أين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء

قالوا وأرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم ضعيفة وأرواحهم باينة الانقياد لمن قادها حتى سكنتها الذى سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد فى العقول وتحرك النفوس وتطرب الارواح وتجلب الافراح وتشوق الى سماع أخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفى العاشق المسكين الذى لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الابطال انه يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر فى مجالس الملوك والخلفاء فمن دونهم تدور أخباره وتروى أشعاره ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم ولا رفع له راس ولا ذكر مع الناس * وقال المرزبانى سئل أبو نوفل هل سلم أحد من العشق فقال نعم الجلف الجافى الذى ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز وظرف أهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلو أحد من صبوة الا أن يكون جافى الخلقة ناقصا أو منقوص البنية أو على خلاف تركيب الاعتدال

فواعجبا للدهر لم يخل مهجة
من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ويكفى العاشق انه يرتاح للمعروف واغاثة الملهوف كما قيل

ويرتاح للمعروف فى طلب العلا
لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقال أبو السائب رأيت فى الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بان الحب يجمع كله
فيقذف فى قلبى وينغلق الصدر
فلا ينقضى ما فى فؤادى من الهوى * ومن فرحى بالحب أو ينقضى العمر

فقلت يا فتى أما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب ملأ قلبى فتمنيت المنى والله ما سرنى ما بقلبى منه ما فيه

وبحدث الفقر فبكيت فقالت ما بكاؤك ما أسرع ما وجدت طعم الدواء قالت هكذا العليل ثم قلت عظيني يرحمك الله فانشدت

دنياك غرارة فذرها * فانها مركب جموح
دون بلوغ الجهول منها * منيته نفسه تطوح
لا تركب الشر فاجتنبه * فانه فاحش قبيح
والخير فاقدم عليه جهرا * فانه واسع فسيح

فقلت زيديني قالت سبحان الله أوما في هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد قلت لاغنى لي عنه فقالت أحب ربك شوقا الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه لاوليائه (وفيه) عن أبي الفيض ذي النون المصري رضي الله عنه قال بينما أنا في السياحة اذ لقيتني امرأة فقالت من أين قلت غريب فقالت كما قيل لابن المبارك الا انها زادت حتى نمت عن البكاء بان قالت البكاء راحة القلب فما كتم شيء أحق من الشهيق والزفير فاذا أسبلت الدمعة استرحت وهذا ضعف عند العقلاء فتعجبت من ذلك وقال وصف لي رجل فقصدته فاقمت على بابه أربعين يوما فلما رآني بعدها هرب مني فقلت له سألتك بالله الا ما وقفت فقال ما تريد فقلت تعرفني بما عرفته فقال ان لي حبيبا اذا قربت منه قربني وأدناني واذا بعدت صوب بي وناداني واذا قمت بالسير رغبني ومناني واذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني واذا عملت بالمعصية صبر على وتاناني فهل رأيت مثله انصرف عني ولا تشغلني ثم ولى يقول

حسب المحبين في الدنيا بأن لهم * من ربهم سببا يدني الى سبب
قوم جسومهم في الارض سائرة * وان أرواحهم تختال في الحجب
لهم على خلوة منه تسددني * اذا تضرعت بالاشفاق والرغب
يا رب يا رب أنت الله معتمدي * متى أراك جهارا غير محتجب

(وعن ابي الفتح بن سحنون) قال كان سعدون صاحب محبة لله لهجا بالقول صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنونا لترددقوله في المحبة فغاب عنا زمانا وكنت مشتاقا الى لقائه فبينما أنا بفسطاط مصر على حلقة ذي النون واذا به وعليه جبة من صوف فنادى يا ذا النون متى يكون القلب أميرا بعدما كان أسيرا فقال اذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فيه الا هو قال فخر مغشيا عليه ثم أفاق وهو يقول

ولا خير في شكوى الى غير مشتكى * ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ثم قال يا أبا الفيض ان من القلوب قلوبا تستغفر الله قبل أن تذنب قال نعم تلك قلوب تثاب قبل أن تطيع قال يا أبا الفيض اشرح لي ذلك قال يا سعدون أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين فهم قد فطموا النفوس عن روح الشهوات فهم رهبان من الراهبين وملوك في العباد وامراء في الزهاد للغيث الذي أمطر في قلوبهم المواهبة

أميرا المؤمنين من الملك والى أدعو أن يثبته الله في قلبي عمري ويجعله ضجيعي في قبري در يتبعه ثم لا أدري هذا دعائي وا قصدت وفيه ترغيب بما يعطي الله سائر خلقه ثم مضى (قلت) ذكرت هنا ما قاله الاخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال ليت شعري ما يعجبك فيها وأولها مرار وآخرها خمار فقال لكن بينهما والله نشوة لا أبيعها بخلافتك يا أمير المؤمنين أخذه الشاعر فقال

ان يكن اول المدام كريها
أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذا النشوات
وصفها بالسرور لن يستطاعا

* وأما ما جاء في ذمه وسريان سمه فأكثر من أن يحصر فكم ترك الغني صعلوكا والمالك مملوكا كما قيل

ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته بنا ذر القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا

وهذه الابيات لبعض ملوك الاندلس وسيأتي ذكرها في الباب الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه ووقع فيما يأباه الله

والعشق يجتذب النفوس الى الردى
بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس بالقدوم فاذا أنا بفتى يجر رمحه بين يدي فالتفت فنظر الي فقال انت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم أنشد

أنا في أمري رشاد * بين حب وجهاد
بدني يغزو عدوي * والهوى يغزو فؤادي

ثم قال كيف ترى قلت جيد والله

بالقدوم الى الله تعالى شوقا فليس فيهم من آنس بمخلوق ولا مسترزق من مرزوق فهو فى الملأ حقير وعند الله خطير ثم ولى (وعن أبي سليمان) قال مررت ليلة فسمعت فى جبل اللكام رجلا يقول فى دعائه سيدى واملى ومولى ومن به تم عملى أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وقلب لا يشتاق اليك ودعاء لا يصل اليك وعين لا تبكى عليك فعلمت انه عارف ثم صعق فتركته وانصرفت واذا أنا برجل نائم فركضته وقلت قم فان الموت لم يمت فرفع رأسه وقال ما بعد الموت أشد منه (وعن عبد الله بن المبارك) قال مررت فى سياحتى بالشام بطبيب يصف لكل ما يجب فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب فقال نعم فلما تفرق الناس قال لى يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان وسقمونيا الاحزان فامرسهم بماء الاجفان ودعهم فى طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق وصفهم بمنخل الارق واشربهم على الحرق فانه شفاؤك وانشد

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصفوه لكل داء غريب

ليس حزنى عليك شئ عجيب * انما الصبر عنك شئ عجيب

(وسئل ابو بكر الشبلى) ما علامات العارف قال صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح قيل من العالم قال من عرف الله وعمل بما علمه الله واعرض عما نهاه الله قيل فما الصوفى قال من صفا قلبه ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى قيل فما التصوف قال التألف والاعراض عن التكلف وأحسن منه تصفية القلوب لعلام الغيوب وأحسن منه التعظيم لامر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر (وعن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه) قال كنت يوما من الايام مارا بقبر فترحمت عليه وبكيت عليه فسألنى من معى عنه فقلت قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن غرق فى الدنيا ثم استنقذه الله بلغنى انه سر يوما من الايام بما هو فيه ثم نام مع بعض محاظيه فرأى رجلا واقفا على رأسه وفى يده كتاب فناوله اياه ففتحه فاذا هو مكتوب بالذهب لا تؤثرن فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك فان الذى انت فيه جسيم لولا انه عديم وملك لولا ان بعده هلك وفرح وسرور لولا ان بعده غرور فسارع الى امر الله فانه يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم فانتبه مرعوبا وخرج الى هذا الجبل فما زلت اتعهده حتى مات ودفن ههنا (وحكى) ان ملكا اراد الركوب يوما فدعا بثياب الزينة فجئ بها فردها وقال اريد ثياب كذا فجئ بها فردها حتى جئ باصناف كثيرة ثم اختار ما اراد وفعل كذلك بالدواب فلما ركب نفخ ابليس فى انفه فملاه من التكبر ما لا يوصف حتى انه لم يخاطب احدا فبينما هو فى موكبه اذا برجل رث الهيئة قد قبض على لجام دابته وهو يقول لى اليك حاجة قال حتى ارجع قال لا بل مكانك قال اذكرها فقال ادن منى فطأطأ فقال له انا

قال فوالله ما شربحت الاهدار بامن الحب ثم قاتل حتى قتل (وقال الواواء الدمشقى)

سبيل الهوى وعر وحلو الهوى مر * وبرد الهوى حر ويوم الهوى دهر . (وقال غيره)

العشق مشغلة عن كل صالحة
وسكرة العشق تنفى سكرة الوسن

وقال عبد المحسن الصورى

وكان ابتداء الذى بى مجونا
فلما تمكن امسى جنونا
وكنت أظن الهوى هينا
فلاقيت منه عذابا مهينا

(وقال محمد اليزيدى)

كيف يطيق الناس وصف الهوى
وهو جليل ما له قدر
بل كيف يصفو لمدنف الهوى
عشق وفيه البين والهجر

(وما أحسن قول عبد الله بن اسباط القيروانى)

قال ان لى الهوى محال
فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب
ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع
ان لم ترد جريه كففته
فقلت من بعد كل وصف
لم تعرف الحب اذ وصفته

(تنبيه) الهوى أكثر ما يستعمل فى الحب المذموم قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد يستعمل فى الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ أفرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو فى الخير والصلاح وهوى مذموم وهو فى الشر والفساد

*وفى كتاب السهل المواتى فى فضائل ابن عماتى ان بعض الصوفية قال انما سمى الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه الى النار

قلت لو قال يهوى بصاحبه الى الهاوية لكان أنسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان أزيل عنه النون

وقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه قيل أخلد الى الارض أي سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه أرضية سفلية لا سماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد الى الارض يهبط من السماء * قال سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما دفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل القضية ان العشق والهوى أصل كل بلية وفيه ذل كل نفس أبية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه قال الامام أحمد تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فأنه اذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في * شرع الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر

مساكين أهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنا * فأوله سقم وآخره قتل

وكان

ملك الموت فتغير واضطرب وسأله ان يعود فيودع اهله فأبى وقبضه مكانه (وحكى) انه عارض في ذلك الوقت رجلا زاهدا فقال له كما قال للملك فقال حبا وكرامة فقال له ملك الموت هل لك حاجة تقضي اليها فقال لا حاجة احب الي من لقاء الله فقال اختر على اي حالة اقبضك فقال ألك ذلك قال نعم فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه (وعن عتبة المعروف بالغلام) وسمي بذلك لكثرة خدمته انه كان مقيما بالجبانة فبلغ خبره علي بن سليمان امير العراق فخرج حتى وقف عليه فسلم فرفع رأسه فرد عليه فقال له الامير كيف اصبحت قال متفكرا في القدوم على الله بخير أم بشر ثم بكى وأطرق رأسه منكسا الى الارض فقال الامير قد أمرت لك بألف درهم فقال قبلتها على أن تقضيني معها حاجة فقال وقد سر بذلك وما هي قال تقبل مني ما وهبتني فقال قد فعلت وانصرف ولقد كان عتبة هذا لا ينام الا أول الليل ثم يستيقظ فزعا مرعوبا ينادي النار النار قد شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ و يقف للخدمة وان البكاء ليمنعه القراءة وكثيرا ما يقول اللهم يا عالم بحاجتي غير معلم بما أطلب وما أطلب الا فكاك رقبتي من النار اللهم ان الجزع قد أرقني من الخوف فلم يؤمني وكل هذا من نعمتك السابغة علي وكذلك فعلت باوليائك وأهل طاعتك الهي قد علمت لو كان لي عذر في التخلي ما اقمت مع الناس طرفة عين (وعن سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه) الناس ثلاثة أصناف صنف مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة (وعن حيان القيسي) العباد مع الله على ثلاث طبقات قوم ظعن بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع سرهم فيكون هذا حكمة أو يكون في صدورهم حرج من قضائه وقوم ظعن بهم عن مساكنة أهل المعاصي لئلا تغتم قلوبهم فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم وقوم صب عليهم العذاب صبا فما ازدادوا بذلك الا حبا (أقول) والتقسيم الاول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقي الا ان القسم الاول أسعد السعداء وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لاهل الله فقط على ان لنا أن نتكلف للاول أن يكون مثله وفي هذا تلميح الى التسليم البحت في القضاء والقدر والاول الى الاختيار (وعن ممنون بن حمزة الخواص) ان أبا بكر البصري وكان رجلا من أكابر الاولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمى نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو

فليس لي في سواك حظ * فكيفما شئت فامتحني

فحصر بوله اثر قوله هذا فانحصر فسمى نفسه الكذاب في المحبة (غيره)

ولو قيل طأ في النار اعلم انه * رضا لك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * سرورا لاني قد خطرت ببالك

وله أيضا

(الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري أو اختياري)

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه * فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وان كان شيء في البلاد بأسرها * اذا غبت عن عيني بعيني يملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل * فلست أرى قلبي بغيرك يصلح

وله ايضا

يا من فؤادي عليه موقوف * وكل همي اليه مصروف
يا حسرتي حسرة أموت بها * ان لم يكن لي اليك معروف

(وعن الجنيد رضي الله عنه) قال انفذني السري في حاجة فلما قضيتها دفع الى رقعة وقال قد أجزتك هذه الرقعة ففتحتها فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * ألست أرى منك العظام كواسيا
وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا
وتضعف حتى لا يبقى لك الهوى * سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

(ودخل أبو بكر الشبلي) يوما المارستان فوجد غلاما أسود قد غل الى سارية فلما رآه قال يا أبا بكر قل لربك ما كفاه أن تيمني بحبه حتى قيدني وانشد يقول

على بعدك لا يصبر من عادته القرب
وعن قربك لا يصبر من تيمه الحب
فان لم ترك العين * فقد أبصرك القلب

فصعق الشبلي وخر مغشيا عليه فلما أفاق وجد القيود مطروحة ولم ير الاسود * وعن علي ابن سعيد العطار قال مررت ببغداد بمكفوف مجذوم فاذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه وفتح من عيني ما أغلق من عينيه قال فبينما أنا ارتد الجد اذ صرع فبينما هو يتخبط نظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد مجذوم قال فما استتممت كلامي حتى صاح بي فقال ما دخولك فيما بيني وبين ربي دعه يفعل بي ما يشاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتني اربا اربا أوصببت علي العذاب صبا ما ازددت لك الا حبا وللشبلي رضي الله عنه

ان المحبين احياء ولو دفنوا * في الترب أو غرقوا في الماء او حرقوا
او يقتلوا بسيوف وسط معركة * اوحتف انف وان أضناهم الفرق
لو يسمعون منادي الحب صاح بهم * يوما لباه من بالحب يحترق

(وعن أحمد بن عيسى الخزاز) قال دعتني امرأة الى غسل ولدها فلما جردته قبض على يدي فقلت سبحان الله احياة بعد موت فقال انا المحبين لله احياء وان ماتوا * ودعا عبد الواحد يوما جماعة من الصوفية فاولم وكان فيهم عتبة الغلام فقام لخدمتهم ولم يأكل

أقول هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره وأسفر كالصباح سفره اذ للناس فيه كلام من الطرفين وتشاجر بين الصفين فقائل بأنه اضطراري وقائل بأنه اختياري ولكل من القولين وجه مليح وقد رجح ونحن نذكر من ذلك ما يتم به الانتفاع ونتكلم في طوله وعرضه بالباع والذراع فمن ذلك ما قاله القاضي أبو عمرو محمد ابن أحمد النوقاني في كتابه تحفة الظراف العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال اذ العشق اقتادهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار والمرء انما يسلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضي عليه والمقدور وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف ترى هذه وضعته أباختيار منها كان ذلك ام باضطرار اولا بل باضطرار وفقد اقتدار هذا مما لا يشك فيه ذولب ولا يختلج خلافه في قلب (قلت) وجاء في تفسير قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه اى رأينه في اعينهن كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس أمذين وأمنين من الدهش وقطعن أيديهن بحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن ألما لحز أيديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكمدا عليه * وما أحسن قول بعض بني عذرة وقد قال له بعض العرب ما لاحدكم يموت عشقا في هوى امرأة يألفها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى * وقال الفضيل بن عياض لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت

فلما انصرفوا قال له عبد الواحد لم لا تأكل قال ذكرت أهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤوسهم فاشتقت إلى ذلك فأبت نفسي الطعام فبكى عبد الواحد وتفرقا متعاهدين على أن لا يولما ولا يشبعا من نوم ولا طعام وقيل إن عتبة عاهد الله على أن لا ينام الا مغلوبا وقرأ غلام يوما بين يدي صالح المري بالمهملة نسبة إلى قرية بدمشق وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فقال كيف يكون لهم حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين والملائكة تسوقهم بمقامع الحديد يسحبون تارة على الوجوه ويمشون أخرى ما بين الدموع والويل ثم صاح ياويلاه وياسوء منظراه وبكى وبكت الناس فقام شاب فيه تأنث فقال أو كل ذلك في القيامة يا أبا بشر فقال وأكثر من ذلك لقد بلغني أنهم يصرخون إلى أن تنقطع أصواتهم فقال الشاب إنا لله وإنا إليه راجعون ثم بكى وخر ميتا بعد أن استقبل ودعا بالتوبة فرؤي بعد قليل في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أدخلني الجنة ببركة مجلس صالح ودعا صالح يوما فقربه مخنث وهو يقول في دعائه اللهم اغفر لأقسانا قلبا وأجمدنا عينا وأقربنا بالذنوب عهدا فسمع المخنث فمات فرؤي في المنام فقال كما قال الشاب * وقال عبد الوارث نظرت إلى رباح القيسي يقبل غلاما من أهله فقلت أتحبه قال نعم قلت ما كنت أظن أن في قلبك بقية لأحد فخر مغشيا عليه فلما أفاق مسح وجهه وقال إنما هي رحمة منه ألقاها في قلوب العباد (وحكى) ابن سعيد التميمي قال نظرت إلى جارية سوداء تسف الخوص وهي تقول

لك علم بما يجن فؤادي * فارحمن ذل ذاتي وانفرادي

فقلت لها ما علامة الحب وكان إلى جانبها رجل يصرع فقالت يا بطال الحب أن تقول لهذا المجنون قم فيقوم بزيه فقام والجني يقول ويحك لا عدت إليه أبدا فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر في الأصل ما لا علاقة له إلا بمعين النظر بهذا المحل وربما يأتي بعضه حيث نجد له محلا

(فصل من الباب في ذكر من فارقت روحه من الأحباب)

قال عبد الرحمن الصوفي مررت في أسواق بغداد وفي النخاسين فرأيت جمعا كبيرا على شاب مطروح فقلت ما باله قالوا سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فسقط مغشيا عليه قال فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول

ألم يأن للهجران أن يتصرما * وللغصن غصن البان أن يتبسما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى * ألم يأن أن يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي * كتابا حكى نقش الوشاة منمنما

ثم صاح وخر مغشيا عليه (وروى) عن ابن أبي الأزرق مثل ذلك إلا أنه زاد وللغصن غصن البان أن يتكلما * وفي البيت الأخير كتابا حكى نقش الوشاة * وقام أبو زهير في مجلس المري فقال له اقرأ فقرأ صالح وقدمنا إلى ما عملوا من عمل الى قوله وأحسن مقيلا

الله تعالى بها أن يغفر للعشاق لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية * وروى أبو السائب المخزومي وكان من أهل العلم والدين بمكان متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقوّ قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال والله للدعاء لهم أفضل من عمرة من الجعرانة ثم أنشد

يا هجير كف عن الهوى ودع الهوى
للعاشقين يطيب يا هجير
ماذا تريد من الذين جفونهم
قرحى وحشو قلوبهم جمر
متذبلين من الهوى ألوانهم
مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم
درر تفيض كأنها قطر

والظاهر أن قوله أفضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جسر الفتح ابن خاقان على قوله من أبيات

أيها العاشق المعذب صبرا
فخطايا أهل الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب
من غزاة وحجة مبروره

قلت وقد بالغ في هذا الكلام حتى استحق الملام فليته اكتفى بما قيل في التمثيل

على أنني راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا علي ولا ليا

والظاهر أن الحامل له على هذا ما ذهب إليه الشافعي في أن الميت عشقا من الشهداء للحديث الوارد في ذلك وسيأتي ذكره في باب العفاف إن شاء الله تعالى * وقال التميمي في كتابه امتزاج الأرواح سئل بعض الأطباء عن العشق فقال إن وقوعه بأهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لأكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والأمراض المتلفة فقال لا فرق بينه وبين ذلك * وقال العتابي لام رجل رجلا من أهل الهوى فقال لو كان الذي هوي اختيارا لاخترت أن لا يهوى ولكن

لااختيار لذي هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لايختار العذاب لنفسه وفي هذا قال المؤمل
شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر يكفي المحبين في الدنيا ٣١ عذابهم * والله لاعذبتهم بعدها سقر
حكي انه نال ماتمنى لانه عمي بعد قوله هذا * وقال أبو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب ياأمير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لايملك وقال كامل في سلمى

يلومونني في حب سلمى كأنما
يرون الهوى شيأ تمنيته عمدا
الا انما الحب الذي صدع الحشا
قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما أرادوا به التمثيل وأن العشق من تحميل مالايطاق والمراد بالتحميل ههنا التحميل القدري لا الشرعي الامري انتهى كلامه * وقال عبيد الله بن طاوس في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد في تفسيره وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم أن يعافيهم الله من العشق ولو كان اختياريا لازالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم في هذه الحال بمنزلة عذل المريض في مرضه وما احسن قول بعضهم

ياعاذلي والامر في يده * هلا عذلت وفي يدي الامر

وانما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب وانصباب دمع العاشق الصب * وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه اختياري لا اضطراري وقد تقدم في حد العشق الذي ذكره ابن سينا وغيره انه

فقال له اعدها فلم يزل يكررها حتى سقط ميتا وفي رواية الحافظ مغلطاي عن ابي القاسم في الامالي وابن ابي الدنيا في كتاب الخائفين عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البناني ومالك بن دينار انهم قالوا تبينا ابا زهير الضرير المذكور وقت الظهيرة للزيارة فخرج الينا وكأنه نشر من قبر فصلى وجاس كالمهموم فسلمنا عليه فقال لصالح اقرأ فقرأ الآية المذكورة فخر ميتا فقلنا هل له من احد فقال الحاضرون نعرف امرأة تأتيه من هنا بعض حاجاته فاستحضرناها واخبرناها بالقصة فقالت لعل فيكم صالحا قلنا وما يدريك به قالت كثيرا ما كان يقول لي ان قرأ علي صالح قتلني فجهزناه رحمه الله تعالى (اخبرنا ابو الطيب) وكان صوفيا من اهل سر من رأى مدينة بالعراق قال حضرنا يوما في مجلس ومعنا رجل صوفي يقال له ابو الفتح فقرأ قارئ اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فقال الرجل بلى وخر مغشيا عليه فلم يفق الى ان ذهب النهار ثم مضى فبلغني بعد ايام انه حضر بالكرخ مجلسا فانشدت فيه جارية الابيات المنسوبة الى عبد الصمد المغربي الاشبيلي المعروف بالمعدل

يابديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج
ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج
وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبية كيف قلت فلما بلغت البيت خر ميتا وأخرج في الامالي عن عبد المؤمن القصة الا ان البيت الاخير * وجهك المأمول حجتنا * قلت ولعل الذي مات من سماعه الرجل هو هذا لان العارفين اذا سمعوا مايدل على صاحب البقاء كان أكثر أخذا من نفوسهم ولاشبهة في ان المأمول أبلغ * وحكى ابو الفرج الصوفي قال كنا نجتمع للخدمة وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركي يرعى عنيزات وكلما دعوناه الى السماع ابى فغر به صبي يوما يغني

ان هواك الذي بقلبي * صيرني سامعا مطيعا
أخذت قلبي وغمض عيني * سلبتني العقل والهجوعا
فدع فؤادي وخذ رقادي * فقال لابل هما جميعا
فراح مني بجانبيه * وبت تحت الهوى صريعا

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبي كيف قلت فخاف الصبي منه ومضى فجعل يقول له لا بأس عليك كيف قلت فلم يجبه وانصرف فرجع هائما الى رجل هناك نطيرية يقال له حامد الفاخوري وكان عارفا بالاشعار فجعل يردد الابيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات * وأخرج مغلطاي عن ابن أبي الدنيا والمنذري آخر الترغيب في فضل الخوف عن ابن عمر وصححه الحاكم ان رجلا حبشيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله فضلتم علينا بالالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت

أكون معك في الجنة قال نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله كتب له بها مائة ألف حسنة فقال رجل يا رسول الله كيف يهلك بعد هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ثم نزلت هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا الى قوله وملكا كبيرا فقال الحبشي يا رسول الله وهل ترى عيني في الجنة مثل ماترى عينك فقال نعم فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه رضي الله عنه قال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته بيده رواه الطبراني عن أيوب بن عتبة وأخرج مغلطاي عن ابن أبي الدنيا في كتاب الخوف باسناده الى عاصم البصري قال كنت اماما بمسجد ابن جراد وكان يتردد الي رجل فسألني يوما مصحفا ينظر فيه فأعطيته اياه فخرج وهو يقول فسيكون لي ولهذا المصحف نبأ عظيم واختفى فلم أره بقية اليوم يحضر الصلاة فلما كان الصباح دخلت عليه فوجدته ميتا والمصحف على صدره فخرجت متفكرا في أي شيء أكفنه واذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع ومع كل كفن وحنوط فقالوا أتعرف هنا رجلا مات فقلت لا أعرف الا رجلا غريبا كان يصلي هنا فقالوا أنت اشقى من أن تعرف ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون في تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه ورأيت هذه الحكاية في أنيس الجليس الا انه زاد ورأيت المصحف مفتوحا وأول سطر فيه الله نزل احسن الحديث الآية وفي الحلية عن ابن السماك قال دخلت البصرة على رجل أعرفه فسألته ان يدلني على رجل من العباد فدخلنا على رجل منكس الرأس كثير الصمت لابس الشعر لم يكلمنا وخرجنا فقال لي اتدخل على ابن العجوز فدخلنا على شخص يشبه الاول وعنده أم له عجوز فقالت لاتذكروا لولدي نارا ولا جنة فتفجعوني فيه فلما جلسنا عنده رفع رأسه فقال أما للعباد موقف يقفون فيه فقلنا بين يدي من خلقهم فشهق شهقة فارق الدنيا وفيها قال دخل جماعة على أبي سعيد القطان فقرأ رجل منهم سورة الدخان فلما انتهى الى قوله ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين جعل يضطرب ويعلو صدره حتى غشي عليه وأصاب صدره فأدماه وجاءت النساء وخرجنا الى الباب فلما سكنت الغوغاء دخلنا عليه فاذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضى عليه * وحكى مغلطاي عن ابن أبي الدنيا قال كرر ابن خليد قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فناداه مناد كم تكرر هذه الآية فقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لايرفعون رؤسهم حتى ماتوا ورأيت في أنيس الجليس القصة وزاد فيه ان رجلا قصد الحاج فعدل عن الطريق تائها اثر نوم فاذا هو في أرض لا يعهد مثلها واذا بقوم قد أقبلوا الى ماء هناك فتوضؤا ودعوه الى الصلاة بهم فصلى وقرأ الآية فخروا الى الارض وحركوا فوجدوا أمواتا وقائل يقول له يا عبد الله ان هؤلاء قوم من الجن قد

مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم بان الانسان هو المختار في العشق بتسليط فكرته الواقع في بحار سكرته قالوا ولان المحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته ولهذا يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وأخبر ان عذابهم اليم ولو كانت المحبة لاتملك لم يتوعدهم بالعذاب على مالا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال أن ينهى الانسان نفسه عما لايدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب مايتضرر بمحبته وهذه فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بأني لا املك قلبي لم يقبلوا له عذرا (قلت) والقول الصحيح الذي ليس فيه رد ولا عن محبوبه صد التفصيل في ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بني آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا رأى الصورة الحسنة مات من شدة مايرد على قلبه من الدهش كما تقدم في حق النسوة اللاتي متن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب ابن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله
تجلت بنوره الظلماء

ومنهم من اذا رأى المليح سقط من قامته ولم يعرف نعله من عمامته قال الشاعر

اعتزلوا
فما هو الا ان يراها فجاءة فيصطك رجلاه ويسقط للجنب

فهذا وامثاله عشقه اضطراري والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس

اعتزلوا ههنا للعبادة وان الخوف لم يترك فيهم بقيـة وأنت ان أردت الحاج فامض أمامك فاستظفر باصحابك طلوع الفجر قال الرجل فكان كذلك * وعنه عن محمد بن صالح قال خرجنا ومعنا قارئ يقرأ فسمعته امرأة من أهل البصرة على سطح فاضطربت حتى غشي عليها واحتملت الى بيتها فلم تبرح حتى قضت نحبها وكان لها مشهد عظيم * وعن محمد عن منصور بن عمار قال مررنا في جوف الليل فاذا بشاب قائم يصلي وهو يقول في مناجاته الهي ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ولكن خطيئة عرضت وأعانني عليها شقائي وغرني سترك المرخى وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي فالآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من أتصل ان أنت قطعت حبلك مني واشباباه واشباباه فلما فرغ تلوت آية من كتاب الله وهي فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فسمعت دكدكة وانقطع الصوت فلما أصبحنا رجعنا على الاثر واذا بجنازة وعجوز قد أخذ منها الكبر فسألناها فقالت مر قارئ بولدي فقرأ آية فتقطعت مرارته ومات * وعنه من طريق آخر الحكاية زاد فيها بعد قوله ان قطعت حبلك عني واسوأتاه اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا فياليت شعري أمع المثقلين أحط أم مع المخفين أجوز ويحي كلما طال عمري كثرت ذنوبي ويحي كلما كبر سني كبرت خطاياي فيا ويلي كم أتوب وكم أعود ولا استحيي من ربي قال منصور فلما سمعت كلام الشاب وضعت فمي على باب داره وقرأت الآية المذكورة وعلمت الباب فلما رجعت الحكاية الا أنه ذكر عن العجوز ان الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء الخوص * وعن ذي النون المصري قال بينا أنا أسير على جانب البحر في الليل واذا أنا بجارية عليها أطمار شعر وهي ناحلة ذابلة فدنوت منها لأسمع ما تقول واذا هي متصلة الاحزان بالاشجان وقد عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت وسقطت الى الارض فأفاقت وهي تقول سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك العلي القهار وأنشدت

أحبك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فوقفت متعجبا واذا بنسوة على أحسن ما يكون من الحالات قد أقبلن فاحتملنها ثم غبن وأقبلن بها قد جهزت فقدمنني للصلاة وهن ورائي فلما فرغت مضين بها * قال المختصر عن مغلطاي رأيت غير مرة شيخا مغربيا يحمل على ظهره

ومنهم من يكون أول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد التتيم فيصير ولها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وامثاله مبدأ عشقه اختياري لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا النوع أيضا اذا انتهى بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق أول ما يكون مجانة
فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم أر حقا أشبه بباطل ولا باطلا أشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل أوله لعب وآخره عطب قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق
فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة
فلما تمكن منها غرق

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر اختياري وما يتولد عنه من السكر اضطراري فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما تولد عنه بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما في قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطراريا تارة وتارة اختياريا وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطراري مطلقا أو اختياري مطلقا غير مقبول عند ذوي العقول والله تعالى

أعلم أقول وإلى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التي طاب زمانها واعتدل وظهر بها في وجنة الورد حمرة الخجل وما بقي الا الدخول في الابواب على الوجه المقترح

والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق باب كريم فتح

(الباب الاول في ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال)

أقول هذا باب عقدناه للكلام على الحسن وأقسامه * والحبيب وكلامه * ولاسيما اذا ابتسم عن حبب * واضطرب في ثغره الضرب * فعذب مقبله * وتساوى من حسنه في الحال ماضيه ومستقبله * هنالك يحتوى من الجمال على القسمين الذين هما الظاهر والباطن * والظاعن والقاطن * فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعه * والجود والشجاعه * والجمال الظاهر ماظهر من غصن قوامه الرطيب * ووجهه الذي فاق البدر بلا غيبة للشمس عند المغيب * فعند ذلك يشمت بالبدر شاماته * ويقول تلده الذي ازداد بها حسنا من زاد الله في حسناته * فلذلك قيل الحسن الصريح * ما استنطق الافواه بالتسبيح * وقيل بل هو كما قيل شئ به فتن الورى غير الذي يدعى الجمال ولست ادرى ماهو قلت وهو الصحيح لانه لايدرى كنهه ولا يعرف شبهه * حتى كأنه نكرة لاتتعرف * ومجهول لايعرف * ولذلك قال بعضهم للحسن معنى لاتناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق من الحسنة قلت والذي يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات حسنات قال بعضهم في سوداء مليحة يارب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات ماذا يعيبون فيها رؤيته * وكلها حسنات وقلت أنا ووجه زال رونقه فاضحت * محاسنه بلحيته عيوبا قابل الخط بالشامات امسى * فما حسناته الاذنوبا

الحضر من باب زويلة الى الكتبيين ويكثر من انشاد شعر بلا وزن مضمونه ان الملا كم أخذ ماله المتروك عن والده وأو راقا كثيرة منها هذا الشعر وانه استمع ليلة لمحدث في سيرة البطال وقد ذكر أن جماعة قتلوا في الجهاد فقال المغربي للمحدث وفيم قتل هؤلاء قال في سبيل الله قال المغربي وانا أيضا أموت في سبيل الله فقال له المحدث افعل فقعد الى جانبهم فحركه فاذا هو ميت * وعن أبي الحسين احمد بن أبي الحوارى قال مررت في الشام بقبة واذا أنا بامرأة تدق الحائط فقلت لها مابالك فقالت امرأة ضالة دلني على الطريق فقلت اي الطريق تريدين قالت طريق النجاة قلت هيهات ان بيننا وبينه عقبات لاتقطع الا بسير حثيث ونصح المعاملة وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا والآخرة فقالت سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تتقطع وحفظ عليك فؤادك فلم ينصدع ثم خرت مغشيا عليها فقلت للنساء حركنها فاذا هي ميتة ووصيتها الى جانبها ان كفنوني في أثوابي وخلوا ما بيني وبينه فان كان لي عنده خير فهو اسعد لي والا فبعدا لنفسي * وفي الاصل قيل كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا اسمعيل وانه سمع يوما قارئا يقرأ وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فبكى حتى غشى عليه ثم اسلم وصحب فتحا الموصلي فحدث عنه انه نظر يوما الى الدخان يفور من المدينة فبكى وقال قد قرب الناس قربانهم فليت شعرى ما قربانى وجعل يبكى حتى فارق الدنيا هذا ما قرره من أول الباب الى هنا وفي كل نظر وذلك انه عقد الباب كله لعشاق الله ثم ذكر فصلا لمن مات بذلك على انه قد ذكر قبل الفصل من مات وبعده من لم يمت ثم فصل بآخر وقال انه لعشاق الحور العين وقد أعطنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر الاما يظهر فيه طرف المناسبة ومن هنا الى آخر الباب لم يخالف أوله فلا فائدة في الفصل فتأمل * عن منصور بن عمار قال بينا انا في السياحة اذ مررت بخدم وقصر ملكى لاتمكن الاحاطة بوصفه فهممت أن ادخله فانتهروني فلم أبال بهم ودخلت فاذا أنا بشاب في أرفع طبقات الجمال والملابس وقد استحضر صبية تناسبه فلما رآنى هم بقتلى فقلت أنا طبيب وقد رأيت فيك داء فقال وما هو قلت ميلك الى الفانى وحبك مالا يبقى وغفلتك عما عند الله ثم وصفت له الجنة والنار وما فيهما فتجرد من وقته وكان ملك البصرة فلما خرجنا وقد زال ما في القصر من البهجة تعلقت به الصبية وقالت على من تتركنى ثم تجردت وخرجا هائمين فلما كان بعد عام وانا في الطواف اذا أنا به يتضرع وقد أخلقته العبادة حتى لم أعرفه الى أن قال لى اما تعرفنى يا طبيب ثم ذكرني بالحالة ثم قال لى هل لك ان تنظر الى نسوان يعنى الصبية قلت نعم فاخذ بيدى حتى أوقفنى عليها فلما رأتنى قالت مرحبا أيها الطبيب ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل انى على اثرها فلا تبرح ثم نظر اليها وخر ميتا * وعن عبد الواحد بن زيد قال اشتكيت ألما في ساقى حتى منعنى القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت ازارى في المحراب وتوسدته فغفلت واذا أنا بجارية كانها جوهرة فاقة وعليها من الملابس ما يبهر العين

رؤيته وخلفها جوار كانهن الاقمار فقالت لبعضهن احملنه ولا تؤذينه ثم قالت افرشنه ومهدنه وأقبلت تجلس على ألمي ثم قالت قم الى صلاتك بلا أذى فانتبهت كالذى نشط من عقال وعنه من رواية اخرى انها قالت له انا لك فجد فى طلبى فانى فى طلابك قال فلم أنم بعدها وفى اخرى عنه قال فما أخذتنى السنة حتى رأيت شابا وبيده ورقة بيضاء فناولنى اياها واذا فيها

يئنام من شاء على غفلة * والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الاعمال فيه كما * تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيرا ما يردد هذه ويقول فرّق الموت بين المصلين ولذة الصلاة ويعدد أفعال الخير واهل الوقائع متعددة * وعن صاحب المصارع بسنده الى محمد بن الفرج قال نظرت الى جارية تباع فقلت بكم هذه قيل بألف دينار فرفعت رأسى الى السماء وقلت اللهم انك تعلم انى لا قدرة لى على ذلك وانى لو سألتك اياها لوهبتها لى ولكنى أسألك انفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندى ان لا انام ليلا ولا اطعم نهارا ولا أضحك الى احد دونها أنا مجد فى المهر فلم ير بعد ذلك على غيرما قال حتى مات * وعن رابعة العدوية قالت كان لى ورد فى الليل قد اعتدته فرضت مرضا أعقبنى فترة عنه فبينما انا راقدة اذ نظرت كأنى فى روضة كثيرة النبات والقصور وجارية تطارد طيرا أخضر تريد أن تأخذه فالهتنى بحسنها عنه وقلت دعيه لانى لم أر احسن منه فقالت ألا أريك احسن منه فقلت بلى فاخذت بيدى فادخلتنى الى قصر ثم قالت لجوار فيه افتحوا باب القبة ففتح لها باب فدخلت الى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بايديهن مجامر الند والعنبر فقالت لهن الى اين آخذه بيدى الى اين فقالوا الى فلان قد قتل فى البحر فقالت الا تجمرن هذه المرأة فقالوا قد كان لها حظ فى ذلك فتركته فانتبهت فزعة ولم انم بعدها وبقى من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة فلذلك أضربنا عنها

(الباب الثانى فى أحوال عشاق الجوارى والكواعب وذكر ما صدر لهم من العجائب)

(وفيه خمسة أقسام الاول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته) قد تقدم فى أحوال العشق أنه من الاحوال القديمة حتى وردفيه ما سمعت من الاخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين واظنه الجنيد كان النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان اذ قد يتوصل العاقل من عشقهن الى معرفة مبدعهن لان المقدمات الصريحة تنتج الاغراض الصحيحة وبالحرى من امعن النظر فى مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته الى دائم فاعل وهذا مثل قولهم الرياء قنطرة

وقيل الحسن امر مركب من اشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية فى البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست فى الحسن بذاك ٣٥ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا تم بياض المرأة فى حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عائشة رضى الله عنها البياض شطر الحسن وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ بصرك فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم والمليحة أيضا من الملحة وهى البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام واحسن الحسن مالم يجلب بتزيين وقال امرؤ القيس

وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقال آخر

ان المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال بعض أهل اللغة العرب تقول الحلاوة فى العينين والملاحة فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان ومنه قول الحسن رضى الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع أى اذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما أحسن قول بعضهم البدن فيه الوجه والاطراف * وفى الوجه المحاسن واليها الاستشراف * وفى المحاسن النكت التى هى الغاية فى الاستحسان والاستظراف * كالملاحة فى العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن فى الفم ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة فى الجبين ونكتة الطلاوة البلج وكالرونق فى الخد ونكتة الخد الضرج * ومما يستحسن فى المرأة طول أربعة وهى اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها ...

أربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها والمراد بهذا القصر المعنوي فلا تبذر ما في بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها * وبياض اربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها وسواد أربعة اهدابها وحاجبيها وعينيها وشعرها * وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس واشراب بياضها بحمرة * وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وما هنالك * وسعة أربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها * وضيق أربعة فمها ومنخرها ومنفذ اذنيها وما هنالك وهو المقصود الاعظم من المرأة * قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفات المذكورة جميعها فما كان أحقها ان يقال في حقها

لو ان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

وحكى ان بعض ورا حد ملوك الصين اهدى الى كسرى انوشروان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب في شعرها وتتلألأ جمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة اذرع تضرب اهداب عينيها خديها كأن بين اجفانها لمعان البرق مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت

* (فصل) * قال في روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان ينظر كل يوم في المرآة فان رأى صورته حسنة فلا يشنها بقبيح فعل وان رآها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل قال وقد نظم بعضهم هذا فقال يا حسن الوجه توق الخنا * لا تفسدن الزين بالشين ويا قبيح الوجه كن محسنا * لا تجمعن بين قبيحين

الاخلاص * عن ابن عباس قال لما عتقت بريرة وكان زوجها حبشيا وفي رواية أسود وخيرت فاختارت الفسخ جعل يطوف في المدينة باكيا يترضاها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تزوجتيه فقالت ان أمرتني بذلك فقال لا آمرك ولكني شفيع وقد أخرج القصة البخاري وفي تتمة ذيل الامالي للقالي عن ابن الانباري قال دخلت على ابراهيم بن محمد وقد ساومه جارية له البيع فاجابها وكان يحبها فأنشد

أبت الغداة بوصلها غدار * فدموع عينك لا تجف غزار
واستبدلت بك صاحبا ومؤانسا * وكذا الغواني وصلهن معار

وكان ابن عباس يوما جالسا بفناء الكعبة اذ وضع بين يديه شخص قد حمله قومه الى الكعبة يستشفعون له فكشف عنه فانشد

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكن ما أبقى حشاشة ما ترى * على ما ترى عود هناك صليب

فرأى رمما عافيا وحسا خافيا وجسما باليا فمكث أربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته الا المعافاة من العشق وأخرج ابن عساكر في الامالي ان هذا المذكور عذري وقال السيوطي في شرح الشواهد ان اسمه عروة بن قيس وأنه ولع بجارية من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن علي فاقام معها مدة وكانت أمه تقسم عليه ان يفارقها وهو يقول انها اخاف تلاف نفسي فلم ترض فلما كان يوم حر شديد وقفت حافية على الرمل وأقسمت لا تزول أو يفارق عروة الجارية ففارقها رفقا بامه فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام والشراب وعاود أهلها فابوا عليه فاقام أياما وحمل كما ذكر الى الكعبة فلم يغن عنه فلما عادوا به توفي في الطريق * وحكى ان الاحوص بن جعفر الشاعر المشهور كان يهوى اخت زوجته ولا يفصح باسمها وفي الامالي ان اسمها خلة فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتد بالاحوص الغرام فباح به وأنشد

أأن نادى هديل ذات فلج * مع الاشواق في فنن حمام
ظللت كأن دمعك در سلك * هوى نسقا واسلمه النظام
تموت تشوقا طربا وتحيا * وأنت جوى بدائك مستهام
كأنك من تذكر آل حفص * وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه * تموت لها المفاصل والعظام
وانى من بلادك أم حفص * سقى بلدا تحل به الغمام
احل النعف من أحد وادنى * مساكنها الشبيكة او سنام
سلام الله يا مطر عليها * وليس عليك يا مطر السلام
فلا غفر الاله لمنكحيها * ذنوبهم وان صلوا وصاموا
كأن المالكين نكاح سلمى * غداة يرومها مطر نيام

فان يكن النكاح احل شئ * فان نكاحها مطر احرام
فلو لم ينكحوا الا كفاه * لكان كفيها الملك الهمام
فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرق الحسام

وساق فى المطرب الحكاية بعينها الا انه زاد بيتا فى الاول وهو

الا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

وقال فى البيت الاخير والا يعل مفرقك بدل عض * وأخرج أبو الفرج الاصفهانى عن زياد بن خطفان قال كنا بباب بعض الولاة واذا باعرابى ينادى من أراد ان يسمع العجائب فليدن منى فدنوت منه واذا هو الرماح بن مالك القيسى فقلت ما عندك فقال اعلم انى علقت امرأة يقال لها ام جحدر فاتصلت بها وطال الامر وانى عتبتها وما فقدت لها الوصل عليك مردود فقالت ماقضى الله فهو خير وارتحلوا عنا وطال الامر وراجعنى الشوق فنذرت مراجعتها ان دنت دارها فلما كان ذلك خرجت اتصفح احياء العرب حتى وجدت امرأتين امام البيت فى كساء فسلمت عليهما فردت احداهن وسالت عن شأنى فاخبرتها فاشارت لى بدخول بيت فدخلت واذا الساكنة ام جحدر وقامت لتدخل الى واذا بغراب ينعق فتغيرت فاقسمت عليها الا ما اخبرتنى عن تغيرك فقالت ان الغراب يخبرنى ان لا اجتماع فقارقتها وغدوت لما أصبح النهار فاخبرتنى امرأة أخيها ان شاميا خطبها الى أهلها فزوجوه بها فجئت بالقرب من خبائها مترددا أياما الى ان مضى بها فكنت أنشد

اجارتنا ان الخطوب تنوب * على وبعض الآمنين تصيب
اجارتنا امت الغداة بسارح * ولكن مقيم ما أقام عسيب
فان تسأليني هل صبرت فاننى * صبور على ريب الزمان صليب
جرى بانبتات الحبل من أم جحدر * ظباء وطير بالفراق نعوب
فظرت فلم اعيف وعافت وبينت * لها الطير قبلى واللبيب لبيب
فقالت حرام ان نرى بعد يومنا * جميعين الا ان يلم غريب
اجارتنا صبرا فيارب هالك * تقطع من وجد عليه قلوب

ومانقله هنا من ان ابن ميادة مسرق الابيات فغير مسلم فى الجميع وابن ميادة هو الرماح ابن مالك بن ابرد بن ميادة المشار اليه والابيات له ماعدا الاولين ولهما ثالث لم يورده والثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندى ولهما حكاية عجيبة هى انه لما قتل والده مضى الى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر فاقام بالقسطنطينية اياما فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها ونمى اليه ولا انم صباحا القصيدة المشهورة وان القصة بلغت قيصر فكره قتله جهارا للشنعة فالبسه حلة قد دهن زيقها بالسم وأمره بالمسير فلما بلغ جبلا يقال له عسيب عن القسطنطينية مسافتين لعب فيه السم فنزل الى جانب قبر فلما

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما فى القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال على بن أبى طالب وقد سئل أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفى صفته صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كأحمد * نظام لحق او نكال لمعتدى

(وقال أيضا)

فأجمل منه لم تر قط عينى * وأكمل منه لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا رآه يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المضئ لليلة البدر

ونظرت اليه عائشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت كأن أبا كثير الهذلى انما عناك بقوله

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وفى الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن فى الذروة العليا وروى ان بعض الصحابة لقى راهبا فقال صف لى محمدا كانى انظر اليه فانى رأيت صفته فى التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة أبيض اللون مشربا بالحمرة جعد الشعر ليس بالقطط جمته الى شحمة اذنه صلت الجبين واضح الخد ادعج العينين أقنى الانف مفلج الثنايا كأن عنقه ابريق فضة ووجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم سع ...

الحسن قد القيت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا فكان أحسن خلق الله خلقا وخلقا صورة ٣٨ ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام قال ربيعة قسم الحسن نصفين فبين سارة ويوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر الناس وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه رأى يوسف ليلة الاسراء وقد أعطى شطر الحسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن ان يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا ابردتم بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن أبي مليكة يرفعه من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وقال وهب قال داود يارب أي عبادك احب اليك قال مؤمن حسن الصورة فقال أي عبادك ابغض اليك قال كافر قبيح الصورة ويذكر عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظره نفر من أصحابه على الباب فجعل ينظر في المرآة ويسوي شعره ولحيته ثم خرج اليهم فقالت يارسول الله وأنت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيء نفسه فان الله جميل يحب الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فرأى في وجهه مايكرهه مما يمكن ازالته ماينع أحدكم اذا خرج من منزله ان يتعاهد اديم وجهه

(فصل) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم أي في أحسن تعديل لقامته وصورته وحسن شارته منتصبا يتناول ما كوله بيده مزينا بالعقل مع لا كالبهائم وعلى هذا حكاية الرشيد لما حلف بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني أحسن من هذا القمر فانت طالق فافتى

أحس بالموت سأل عن القبر فقيل هو قبر امرأة غريبة فقال ادفنوني الى جانبها وأنشد البيتين الاولين وبعدهما

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

واما قوله فان تسأليني هل صبرت الى آخر الابيات فللرماح وماذكر من ان الثالث لجاهلي لم يعلم له قائل وقد ساق القصة ابن هشام في شرح الدريدية وذكرها ابن عساكر في تاريخه الكبير وقوله تطيرت فلم أعيف يعني لم أدرك حال الفرقة من زجر الطير المعروف عندهم بالعيافة وهو علم نفيس ولنا فيه رسائل وأخبر ابن دريد عن عمه قال عشقت حبيبة الحضرمية ابن عم لها فدرى قومها فحجبوها فانشدت

هجرتك لما ان هجرتك أصبحت * بنا شمتا تلك العيون الكواشح
فلا يفرح الواشون بالهجر ربما * أطال المحب الهجر والحب ناصح
وبعد النوى بين المحبين والهوى * مع القلب مطوي عليه الجوانح

وهذا الذي ذكر من أول الباب الى هنا كالمقدمة لهذا الباب وقد آن الشروع في مقاصده واصدرها باحد العشاق الاربع قال الفارسي في تنزيه النفس من لدن ادارك الافق على نظام التربيع حيث جعل دائرة العالم العلوي أربعة والعناصر والرياح والطبائع كذلك جعل المذاهب وطريقة الحقيقة يعني مسالك الصوفية والعشاق كذلك وكل من هذه معروف في مواضعه فاما العشاق فجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة وقيس لبنى وهذا سر اشارة الاستاذ في التائية وغيرها الى ماذكرنا كقوله

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة

وأقدم الكلام على جميل لانه كما قال انسب الاربعة وأما تقديمه في نزهة النفوس المجنون فراعاة للاولية وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر يتصل نسبه بقضاعة كذا قاله مغلطاي عن ابي الفرج الاصفهاني كان شاعرا فصيحا منطيقا صادق الصبابة عفيفا منزها عن الرذائل عارفا بالنسيب روى عنه كثير وهو عن هدبة ابن الخشرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى بضم السين صاحب المعلقة نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب من قومه صغيرين فلما انتشأ خطبها فرد لان العرب كانت تستهجن ان تزوج من جرى بينهما عشق فكان يأتيها سرا يتحادثان فعلم ابوها فارادوا قتله وانها اعلمته عن ذلك فاستخفى وفي ذلك يقول

فلو ان الغادون بثنة كلهم * غيارى وكل حارب مزمع قتلي
لحاولتها اما نهارا مجاهرا * واما سرى ليل ولو قطعت رجلي

فلما شاع ذلك شبب حواش أخو بثينة باخت جميل وتفاخرا فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له قل ماشئت في نفسك وأبيك وأنت الباسل الجواد ولحواش قل وأنت دونه في نفسك ويقال ان سبب عشقه بثينة انه سرح ابله يوما بواد البغيض وانسطح فاتت

علماء زمانه بالحنث الاصمعي بن اكثم فانه قال لايقع عليه الطلاق فقيل له خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى به من هو أعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ٣٩ وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء انه الصوت الحسن والوجه الحسن ولهذا قال أبو فراس

قد فاق بدر السماء حسنا
والناس في حبه سواء
فزاده ربه عذارا
تم به الحسن والبهاء
لاتعجبوا ربنا قدير
يزيد في الخلق مايشاء

(وحكي) عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت انها تحسن الوجه وانا احب ان يحسن ٣ وجهي * وحكي ان المأمون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه ألكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع أثرها في الظاهر كانت صباحة واذا وقع أثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لاظاهر له ولا باطن وكل شخص له حكمان أحدهما من جهة جسمه وهو منظره والآخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرع أصحاب الفراسة من معرفة أحوال النفس الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم والحسن أول سعادة الانسان لان الله تعالى بلطف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما تجد الخلق الا تبع الخلقة تناسبا

مع جوار علا ون الماء فعبثت بفصيل له فقسا وهذا أخذ من قوله

وأول ما قاد المودة بيننا * بوادي بغيض يا بثين سباب
وقلنا لها قولا فجاءت بمثله * لكل كلام يا بثين جواب

واستعدى أهلها عليه مروان بن هشام الحضرمي وكان واليا من قبل عبد الملك على تيماء وقيل ربعي بن دجاجة فتوعده فمضى مستخفيا الى الشام وقيل الى سعد من بني عذرة فأحسن مكانه وزين سبع بنات له رجاء ان يعلق واحدة منهن فيزوجه بها فكن يرفعن الخباء اذا أقبل جميل ففطن لذلك فانشد

حلفت لكيما تعلمني صادقا * وللصدق خير في الامور وأنجح
لتكليم يوم واحد من بثينة * ورؤيتها عند مدى الذوائج
من الدهر أو اخلو بكن واننا * اعالج قلبا طامحا حيث يطمح

(وفي نزهة النفوس)

لرؤية يوم واحد من بثينة * الذ من الدنيا لدي واملح

وهو أحسن تركيبا واظهر في اعمال أفعل التفضيل وقوله من الدهر معمول ٣ حلفت وفي نسخة مدى الدهر وهو أحسن وأنسب فقال الشيخ أرخين الخباء فوالله لن يفلح أبدا يعني لا يرجع عن العشق ويدل للاول قوله

* أتاني عن مروان بالغيب انه * مقيد دمي أو قاطع من لسانيا
ففي العيش منجاة وفي الارض مهرب * اذا نحن دافعنا لهن المثانيا

ويحتمل تعدد الواقعة ولما عزل عاد وقيل مما استدل به على تمكن عشقه لها وانه لا يمكن سلوه عنها مع حكاية البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود في منازل الاحباب عنه

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل * الى الآن ينمي حبها ويزيد
وافنيت عمري في انتظار نوالها * وافنت بذاك الدهر وهو جديد

(وللعشاق من امثال ذلك كثير فمن ذلك قول عروة)

هواها هوى لا يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

(وقول المجنون)

* ولما ابى الا جماحا فؤاده * ولم يسل عن ليلى بمال ولا اهل
تسلى بأخرى غيرها فاذا التي * تسلى بها تغري بليلى ولا تسلي

واعظم ما قيل في هذا المعنى واسجم والطف وارق واصنع وامنع قول الاستاذ رحمه الله

حديثي قديم في هواها وماله * كما علمت بعد وليس له قبل

فانه قد جمع مع معاني الابيات المذكورة الصناعات البديعية من المقابلة الضدية والطرفية ولعمري انه لم تجتمع لغيره فيما نعلم وعن مغلطاي عن ابي الفرج وشت جارية

طرداواصلا لاينعكس واجماعا لايتقرد وما خلق الله نبيا قط الا وقد بعث أهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته أول مرة رأيته احسنهم صورة واتقنهم بنية فهو أولاهم مرتبة وأعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازى فى اسرار التنزيل ماملخصه حسن الصورة وان كان أمرا مرغوبا فيه فان حسن السيرة أفضل منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولاشك ان الحكمة أفضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل من حسن الصورة لامحالة ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع فى أنواع من البلايا منها ان اباه كان يحبه أزيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن فى أسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم الملك بعد ذلك حسن سيرته استخلصه لنفسه وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة ومعلوم ان حسن الصورة لا يبقى الا أياما قلائل وأما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا تبطل نتيجته (قلت) وممن حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر ليلا فسمع امرأة تقول

بجميل وبثينة الى ابيها وانه الليلة عندها فأتى واخوها مشتملين معقدين سيفيهما السائل فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها هل لك فى طفء مابى بما ينعل المتحابان فقالت قد كنت عندى بعيدا من هذا ولو عدت اليه ان ترى وجهى ابدا فضحك ثم قال والله ماقلته الا اختبارا ولو اجبت اليه لضربتك بسيفى هذا ان استطعت والا هجرتك اما سمعت قولى

وانى لأرضى من بثينة بالذى * لو أبصره الواشى اقرت بلابله
بلى وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى * أواخره لا نلتقى واوائله

فقالا لا ينبغى لنا ايذاء من هذه حالته ولا منع التزاور وانصرفا وسأل عبد الملك يوما كثيرا عن حال جميل وبثينة فقال يا اميرالمؤمنين سايرته يوما اليها فلما وصلنا بالقرب منهم اقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر ثم قالت حين ازمعا الفراق ادن منى فدنا فأسرت اليه فخر مغشيا عليه فلما أفاق انشد

فما ماء مزن فى جبال منيفة * ولا ماء كنت فى معادنه النحل
باشهى من القول الذى قلت بعدما * تمكن فى حيزوم ناقتى الرحل

وعن كثير قال سألنى جميل أخذ موعد من بثينة فقلت هل بينكما موعد قال بوادى الدوم وهى تغسل الثياب فجئت اباها وهو جالس فحادثته قليلا ثم أنشدته

وقلت لها ياعز ارسل صاحبى * على نأى دار والموكل مرسل
بان تجعلى بينى وبينك موعدا * وان تأمرينى بالذى فيه أفعل
وآخر عهد منك يوم لقيتنى * بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

فضربت سجاف البيت وقالت اخسأ فقال ابوها ماهذا فقال كلب اتينا من وراء هذه الرابية اذا نام الناس فمضيت واخبرته فاقبل حتى اجتمعا ليلة وسارته بما سلف الا انه انشد البيتين عندما فاقته لم يغير فيهما غير أن قال * فما مكنون فى مجامر جنة * ولا ما اسرت

وعن مغلطاى قال دخلت بثينة على عبد الملك وقد اخلقها الدهر فقال لها ما الذى رأى فيك جميل حتى عشقك فقالت مارأى فيك الناس حتى ولوك الخلافة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها ودخل مصعب بن الزبير يوما على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شغفا بها فوجدها تمشط فتمثل بهذا البيت

ماانس لاانس منها نظرة عرضت * بالحجر يوم جلتها ام منظور

فقيل له ان ام منظور المشار اليها فى هذا البيت موجودة فاستحضرها وسألها عن سبب قول جميل هذا البيت فقالت كنت ماشطة لبثينة وانى زينتها يوما فاقبل على بعيره مارا فرآها بمؤخر عينيه فانشد البيت فأمرها مصعب ان تصنع بعائشة كذلك وصنع هو كجميل وله فيها من الاشعار مالا يحصى ما بين وصف ونسيب وذكر حكاية الى غير ذلك

مستجادها اللامية التي أنشدها لعمر بن ابي ربيعة وكان من أجل معاصريه في الشعر لقيه يوما فتفاخرا واستنشده جميل فأنشد

الم تسأل الاطلال والمتربعا * ببطن خليات دوارس بلقعا
أتانا رسول من ثلاث كواعب * ورابعة تستجمع الحسن اجمعا
فلما توقفنا وسلمت اقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني * وقلن امرؤ باغ اضل واوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا
فقلت لمطريهن بالحسن انما * ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا

فانشده جميل اثر هذا القصيد قصيدته المشهورة التي أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي * بثينة أو ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وانني * لاقسم مالي عن بثينة من مهل
احلما فقبل اليوم كان أوانه * او أخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل

(ومنها)

اذا ما تناشدنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
كلانا بكى أو كاد يبكي صبابة * الى الفه فاستعجلت عبرة قبلي
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها * ويا ويح اهلي ما اصيب به اهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

ومنها بيتان أنشدهما وقد مر به رجل فأضافه فريدا فجعل يأكل ويبث وجدا به على ابنة عمه حتى اتى عليه وهما

ويعجبني من جعفر ان جعفرا * يلح على قرصي ويبكي على جمل
فلو كنت عذري العلاقة لم تكن * بطينا وانساك الهوى كثرة الاكل

ولما انشد جميل هذه القصيدة قال لعمر يا ابا الخطاب هل لك في هذا الروي شيء قال نعم وانشد

جرى ناصح بالود بيني وبينها * فقربني يوم الحصاب الى قتلي
وطارت بوجد من فؤادي ونازعت * قرينتها حبل الصفاء الى حبلي
فما انس ما الاشياء لا انس موقفي * وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما تواقفنا عرفت الذي بها * كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

(ومنها)

فسلمت واستأنست خيفة ان يرى * عدوي بكائي او يرى كاشح فعلي
فقالت وارخت جانب الستر انما * معي فتحدث غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها مابي لهم من ترقب * ولكن سري ليس يحمله مثلي

هل من سبيل الى خمر فاشربها * ام هل سبيل الى نصر بن حجاج فدعا نصر بن حجاج وهو من بني سليم فرآه احسن الناس وجها وله شعر حسن ففاق شعره فكان احسن منه بشعره فقال لا تساكني في بلد فتشفع نصر اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضي الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا امير المؤمنين لقد سمتني قتل نفسي فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما ابعدت لكن أقول ما قال شعيب عليه السلام ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر عطاءك ليكون ذلك عوضا لك (أقول) ذكرت بحلقه شعره فكان أحسن منه بشعر قول بعضهم في ذلك

حلوا رأسه ليزداد قبحا
غيرة منهم عليه وشحا
كان صبحا عليه ليل بهيم
فمحوا الليل وابقوه صبحا

وما أحسن قول السراج الوراق في مليح قلندري

عشقت من ريقته قرقفا
وماله اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا
منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله
فاختار ان يبقى بلا حاجب

(وقال) ابن سنا الملك

حكيت جسمي نحولا
فهل تعشقت حسنك
وكان جفنك مضنى
فصرت كالك جفنك
وزادك السقم حسنا
والله انك انك

(فصل) قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة ولنذكر ههنا ما قالته الشعراء في تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم أكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد

وقيل ان جميلا لم ينشده في هذه المرة شيأ بل قال له امض بنا الى بثينة فقال له قد هجر على فقال دلني على أبياتها ففعل ومضى عمر فاجتمع بها ثم عاد ثانية وتلاقيا فانشد جميل رائيته وهي

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما * على عذبة الانياب طيبة النشر
فانكما ان عجتما لى ساعة * شكرتكما حتى اغيب فى قبرى
وانكما ان لم تعوجا فانني * سأصرف وجدي فأذنا اليوم بالهجر
ومالى لا أبكى وفى الايك نائح * وقد فارقتنى شختة الكشح والخصر
أيبكى حمام الايك من فقد الفه * واصبر مالى عن بثينة من صبر
يقولون مسحور يجن بذكرها * فأقسم مابي من جنون ولا سحر
واقسم لا انساك ماذر شارق * وماهب آل فى معلمة قفر
ومالاح نجم فى السماء معلق * وما اورق الاغصان من ورق السدر
لقد شغفت نفسى بثين بذكركم * كما شغف المجنون يابثن بالخمر
ذكرت مقامى ليلة البان قابضا * على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم أملك اليها صبابة * أهيم وفاض الدمع منى على النحر
فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر
تجود علينا بالحديث وتارة * تجود علينا بالرضاب من الثغر
فليت الهى قد قضى ذاك مرة * فيعلم ربى عند ذلك ما شكرى
ولو سألت منى حياتى بذلتها * وجدت بها ان كان ذلك من أمرى

فلما سمعها عمر اعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وأنشد * امن آل نعم أنت غاد فمبكر *

(ومنها)

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتنى * وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك اذ هنا عليك ألم تخف * رقيبا وحولى من عدوك حضر
فوالله ما أدرى أتعجيل حاجة * أتى بك أم قد نام ما كنت تحذر
فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى * اليك وما عين من الناس تنظر
فيالك من ملقى هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكاء المسك منها مفلج * رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر
يرق اذا تفتر عنه كأنه * حصا برد أو أقحوان منور
وترنو بعينيها الى كما رنا * الى ربرب وسط الخميلة جؤذر
فلما تولى الليل الا أقله * وكادت توالى نجمه تتغور

والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين ومن احسن ماقيل فى ذلك قول محاسن الشواء ارسل فرعا ولوى هاجرى صدغا فأعيا بهما واصفه فخلت ذا من خلفه حية تسعى وهذا عقربا واقفه ذى الف ليست لوصل وذى واو ولكن ليست العاطفه

(وقول الآخر)

ياسين طرتها وصاد عيونها
انى أعوذها بسورة طه

(وقول ابن مطروح)

قالت انا الف العذار بخده
فى ميم مبسمه شفاء الصادى

(وقول ابن نقادة)

صنم الجمال فصاده من عينها
والنون حاجبها الخال نقط
والميم فوها فالحروف تألفت
مكتوبة والصبر عنها يكشط

(وقول الآخر)

لاتقل لى لا فمكتوب على
وجهك المشرق نورا نعم
بحروف صورت من قدرة
ماجرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها
طرفك الفتان والميم الفم

(وقال شهاب الدين أحمد بن الخيمى)

ان صدغ الحبيب والفم والعا
رض منه واو وصاد ولام
هى وصل بين المحاسن لما
تم حسنا وبالعذار التمام
غير انى أراه وصل وداع
فيه يقضى افتراقنا والسلام

(وقلت أنا)

حبيب تغالى قده حين سمته
وقال قوامى رمحه ماية وم
وخط عذارى أعجم الخال لامه
ولم أدر ان اللام فى الخط يعجم

(وقلت أيضا)

يرنو الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان (وقلت أيضا) فى عكس هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء فى تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن اشارت

اشارت بأن القوم قد كان منهم * هبوب ولكن موعد لك عزور
فاراعني الامناد برحلة * وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فاما أفوتهم * واما ينال السيف ثأرا فيثأر
فقالت اتحقيق لما قال كاشح * علينا وتصديق لما كان يؤثر
اذا كان مالابد منه فغيره * من الامر أدنى للخفاء واستر
أقص على اختي بدء حديثنا * ومالى عما يعلما متأخر
لعلهما أن يبغيالك حيلة * وأن يرحبا صدرا بما كنت أحصر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * اقلي عليك الخطب فالامر أيسر
يقوم فيمشي بيننا متسترا * فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما اجزنا ساحة الحي قلن لي * ألم تتق الاعداء والليل مقمر
وقلن اهذا دأبك الدهر سادرا * أما تنتهي أو ترعوي أو تفكر

وقد أنشد عمر هذه القصيدة لعبد الله بن عباس بحضرة نافع بن الازرق واتفق اهل ذلك العصر على انه ليس احد اشعر من جميل وابن ابي ربيعة وكان جميل يثني على ابن أبي ربيعة كثيرا وكان الناس يقولون هو في عينيته أشعر وجميل في لاميته والذي يظهر أن جميلا أشعر مطلقا عند التأمل ومن اشعار جميل ايضا قوله

ألا ليت ايام الصفاء جديد * ودهرا تولى يابثين يعود
فنبقى كما كنا نكون وأنتم * صديق واذ ما تبذلين زهيد
وما انس ما الاشياء لا انس قولها * وقد قربت نضوى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى * أتيتك فاعذرني فدتك جدود
خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر * ودمعي بما أخفي الفؤاد شهيد
الا قد أرى والله لا رب غيره * اذا الدار شطت بيننا سنزود
اذا قلت ما بي يابثينة قاتلي * من الحب قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردي بعض عقلي أعش به * مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فلا ذكر الخلان الا ذكرتها * ولا البخل الا قلت سوف تجود
فلا أنا مردود بما جئت طالبا * ولا حبها فيما يبيد يبيد
جزتك الجوازي يابثين سلامة * اذا ما خليل بان وهو حميد
وقلت لها بيني وبينك فاعلمي * من الله ميثاق له وعهود
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا * وما الحب الا طارف وتليد
وان عروض الوصل بيني وبينها * وان سهلته بالمنى لصعود

فكم ألف بها أمسى * رشيق القامة النضره
وكم شين بحاشية ال * ـكتاب تخالها طره
وعين أصبحت في العيـ * ـن مثل العين والنقره

(وقلت أيضا) في تقريظ كتاب ورد على من بعض الاحباب من رسالة افتتحتها بقصيدة منها

رفضت النوم بعدك يا علي * فلا تعجب لدمعي ان توالا
ووافاني كتاب منك عال * حكت الفاته السمر الطوالا
وكم شاهدت من خط ولكن * مثالك ما رأيت له مثالا
لئن امست به الفات قطع * فكم وصل به ضمن الوصالا
وكم ألف به للوصل لاحت * كغصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طورا وحينا * وآونة تعانقه شمالا
ظننت اللام فيه عذار خد * وخلت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطاآت فيه * يعلم لينه الغصن الكمالا

(وقال القاضي الفاضل) من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيرواني وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن ألفات الفت الهمزات غصونها حمائم ومن لامات بعدها يحسدها الحب على عناق قدودها النواعم ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادي والعيون الحوائم ومن واوات ذكرت ما في وجنة الاصداغ من العطفات ومن ميمات دنت الافواه من ثغورها لتنال جني الرشفات ومن سينات كأنها الثنايا في تلك الثغور ومن دالات دالات على الطاعة لكاتبها بالخفاء الظهور ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التي تخفق لروعات الاستحسان كالطيور وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وخالد فيها خالد وتحته فيها الجامد ويده تضرب في ذهب ذائب .

فأفنيت عيني بانتظار نوالها * وأبلت بذاك الدهر وهو جديد
فليت وشاة الناس بيني وبينها * يدوف لهم سما طماطم سود
وليتهم في كل ممسى وشارق * تضاعف أكبال لهم وقيود
ويحسب نسوان من الجهل أنني * اذا جئت اياهن كنت اريد
فأقسم طرفي بينهن فيستوي * وفي الصدر بون بينهن بعيد
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة * بوادي القرى اني اذا لسعيد
وهل اهبطن أرضا تظل رياحها * لها بالثنايا القاويات وئيد
وهل القين سعدى من الدهر مرة * وما رث من حبل الوصال جديد
فقد تلتقي الاهواء من بعد يأسها * وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
وهل ازجرن حرفا علاة شملة * بخرق تباريها سواهم قود
على ظهر مرهوب كأن نشوزه * اذا جار هلاك الطريق رقود
سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب * وصدر كمثل لون اللجين وجيد
تزيف كما زافت الى سلفاتها * مباهية طي الوشاح مبرد
اذا جئتها يوما من الدهر زائرا * تعرض منقوص اليدين صدود
يصد ويغضي عن هواي ويجتني * ذنوبا علينا انه لعنود
فاصرمها خوفا كأني مجانب * ويغفل عنا مرة فنعود
فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها * فذلك في عيش الحياة رشيد
يموت الهوى مني اذا ما لقيتها * ويحيا اذا فارقتها فيعود
يقولون جاهد يا جميل بغزوة * وأي جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
اذا فكرت قالت قد أدركت وده * وما ضرني بخلي ففيم اجود
ومن كان في حبي بثينة يمتري * فبرقاء ذي ضال على شهيد
الم تعلمي يا ام ذا الودع انني * اضاحك ذكراكم وانت صلود

وممن كان يلهج بهذه القصيدة لرصانتها واطفها معبد وكان من اشهر الناس بالدخول وضرب العود والغناء والغريض وكان اعظم منه حكي عنه في الاغاني ان الجن افتتنت به فاخرجوه الى مكة فاقام بها لا يفتح بابه وان معبدا أراد الاجتماع به فقصده واقام يطرق الباب فلم يجب فهجس له انه لا يخرجه الا الغناء فانشد ءالقت الهوى منها وابدا البيت فلم يشعر الا وقد فتح الباب وأذن له فدخل عليه فصادفا وانشده (وما انس ما الاشياء لا انس قولها) الى خمسة ابيات ثم قال اغناء غنيتك ذلك لاني علمت انك تريد ان اغنيك

وما انس ما الاشياء لا انس شادنا * بمكة مكحولا اسيلا مدامعه

وان الجن قد نهتني عنه قال معبد فقلت لم تعد ما اريد ثم فارقته حين رأيته يستثقل المجالسة

والناس تضرب في حديد بارد

(الباب الثاني في ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء) أقول هذا باب عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا واطولهم باعا واطيبهم عيشا واكثرهم طيشا وارقهم شعرا وادقهم فكرا واقربهم مرجوعا واكثرهم بالحبيب ولوعا اذهم في الحقيقة اولى الناس بذلك واحقهم بالنوم على تلك الارائك وذلك بحسب ما سولته لهم نفوسهم وزينه لهم جليسهم كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا ولحق مثل نور الدين الشهيد بالشهدا وستأتي حكايته في باب العفاف ان شاء الله تعالى ومنهم من أصبح دونه في العفاف واقام سالف محبوبه مقام السلاف ومنهم من خلع العذار واحتج بقول الشاعر في العقار

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

فجمع ما بين ذات العقود وابنة العنقود ولكن مع صيانة ورجوع الى ديانة فهو وان طال به المجلس اختصر وان جنى فيه على محبوبه اعتذر كما قيل

ان أكن قد جنيت في السكر ذنبا
فاعف عني يا راحة الارواح
اي عقل يبقى هناك لمثلي
بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة واخرج بها وجنة الحبيب من صورة الى صورة فجاري النديم في الجريال وسعى الى الحبيب سعي حباب الماء حالا على حال فافضى به ذلك الى هلاكه وفساد ملكه وطابت كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع قعد الامين يوما للناس وعليه طيلسان ازرق وتحته لبد أبيض فوقع في ثمانمائة

قصة فوالله لقد أصاب وما أخطأ واسرع فما أبطأ ثم قال يا ربيع أترانى لا أحسن التدبير والسياسة ولكن وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير أناس اشهى الى من مقابلة الناس

وطلبت ان يكمل لى السرور بأن أضم الى اجتماعى به اجتماعى بمن رأى جميلا لآخذ عنه القصيدة فنعت لى شيخ فى بنى عذرة فجئته فسألته عن جميل فحدث انه كان فى ابل له واذا رجل غشاه فنزل به فلما أتناه قال له هل لك ان تصنع معى من الخير مالو كانت لك الدنيا ذهبا وانفقتها على لم تبلغ معشاره قلت وما هذا قال تمضى الى وراء السفح فتنشد لى بكرة صفتها كذا قلت نعم ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحر فاستطعمتهم عنها ثم استأذنتهم فى البيوت وقلت لهم ان النساء ادرى بالمارة فأذنوا فانصرفت اتصفح الحى الى ان احتدم النهار ولم أظفر بطلبه واذا أنا بثلاث بنات فقلت لا أنصرف اليه وأدع هذا اليسير فجئتهن فسلمت فرددن ثم استنشدتهن البكرة فقالت احداهن قد أصبت حاجتك ثم أدخلتنى بيتا وأتتنى بقدح مفضض فيه تمر وصحفة شامية مفضضة فيها لبن فتناولت كفايتى ثم قالت ان بكرتك تأتى هذه الشجرة فتطوف بها الليل فرجعت اليه وحدثته القصة فابتهج كالذى أصاب بغيته وأنا لا أدرى فلما جاء الليل وآنس ان قد نمت عمد الى رحله فاستخرج بردين ملوكيين من برود الخلافة فاتزر بأحدهما واتشح بالآخر ومضى فتبعته بحيث لم يشعر حتى تلاقيا فلم يكن بينهما الا ما يرضى الوشاة الى ان رأيا الصبح فلما أزمعا الفراق سبقته ونمت وجاء فصلى ثم نبهنى وهو مسرور فأكل معى وشرب ثم اخبرنى انه جميل وانها بثينة ثم أعطانى بردا واعتذر وودعنى بعد ان قال هل لك ان تمضى فتنشدها أبياتا قلتها بعد مصرفى عنها قلت نعم فأنشدنى وما أنس ما الاشياء الابيات الحسنة فمضيت اليها فقلت قد جئت بالامس طالبا واليوم مسلما وذكرت ثناءه ووجده ثم قلت هل أنت بارزة الى قالت نعم فسمعت جارية تقول لها يا بثينة ان عليه بردجميل ثم خرجت فى زينة وقالت يا أخا تيم ان بردك لا يشبه ما عليك واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر واقسمت ان اتشح بها ففعلت وانشدتها ما قال ورجعت بملحفة بثينة وبرد جميل وحكى الشيخ لمعبد ان جميلا لما اجتمع ببثينة قالت له هل قلت شيأ فأنشدها

علقت الهوى منها وليدا ولم يزل * الى اليوم ينمى حبها ويزيد

وافنيت عمرى فى انتظارى نوالها * وافنت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد فرجعت جذلان بما اجتمع لى مما طلبت وعن أبى زيد حين قرئت عليه هذه القصيدة ان هذين البيتين يليهما قوله فلا أنا مردود البيت وفى نسخة ان قوله فما انس ما الاشياء بعد قوله فما أنا مردود ومنه برواية ملغطاى

وكأن طارقها على علل الكرى * والنجم وهنا قد دنا لتغور

نشوان ريح مدامة معلولة * بذكى مسك أو سحيق العنبر

انى لأحفظ غيبكم ويسرنى * لو تعلمين بصالح ان تذكرى

ويكون يوما لا أرى لك مرسلا * اوتلتقى فيه على كأشهر

ياليتنى أخشى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر

وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة والذى اراه طلاق ماذهبوا اليه بالصريح ومفارقة الجميع على وجه مليح كما قيل

لو رأى وجه حبيبى عاذلى
لتفارقنا على وجه مليح

(وما أحسن قول أبى الفتح البستى)

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا
فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس فى الميزان هابطة
لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا نشرع فى ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه مالكا كالمملوك وهم فى ذلك لشدة الباس على خلاف ما عليه الناس وذلك لأن العشق واصحابه طبقات فمنهم من لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين فى المحبة كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

ولو عز فيه الحب مالذلى الهوى
ولم يك لولا الذل فى الحب عزتى

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة
فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشريك كما قيل

ليس فى القلب موضع لحبيبين ولا احدث الامور اثنان * فكما العقل واحد ليس يدرى * خالقا غير واحد رحمن
فكذا القلب واحد ليس يهوى * غير فرد مباعدا ومدان * وكذا الدين واحد مستقيم * وكفور من عنده دينان

هو في شريعة المودة ذو شر * ك بعيد من صحة الايمان فمن كان على خلاف هذا ممن يرى التشريك في المحبة كالرشيد وغيره كما يأتي بيانه في بابه لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ما لديهم واختلاف الشكل

لو استطيع تجلدا عن ذكركم * فأفيق بعد صبابتي وتفكري
لو تعلمين بما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت ان لم تعذري
فلتبكين الباكيات ولم أبح * يوما بسرك معلنا لم اقدر

(ومنه)

منع النوم شدة الاشتياق * وادكار الحبيب يوم الفراق
ليت شعري اذا بثينة بانت * هل لنا بعد بينها من تلاق
ولقد قلت يوم نادى المنادى * مستحثا برحلة وانطلاق
ليت لي اليوم يا بثينة منكم * مجلسا للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنت فاني * غير ناس للعهد والميثاق

وعن ابن عياش قال لقيت عجوزا من بني عذرة فقلت لها هل تروي شيأ عن جميل ومحبوبته قالت نعم كنت يوما وبثينة قد انفردت تبرم غزلا والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة الى الشام واذا برجل قد اقبل الينا فاستثبتناه فاذا هو جميل فقلت له قد عرضتنا ونفسك شرا فمن أين جئت قال من هذه الهضبة ولي بها ثلاثة انتظر الفرصة لاحدث بكم عهدا فاني ذاهب الى مصر فحدثنا ساعة وهو لا يتماسك فجئته بقدح فيه تمر واقطفنا له منه يسيرا ثم ودع ومضى فلم نلبث ان جاء أهل الحي ومنه

ارى كل معشوقين غيرى وغيرها * يلذان في الدنيا ويغتبطان
وامشي وتمشي في البلاد كأننا * اسيران للاعداء مرتهنان
أصلي فابكي في الصلاة لذكرها * لي الويل مما يكتب الملكان
ضمنت لها ان لا أهيم بغيرها * وقد وثقت مني بغير ضمان
الا يا عباد الله قوموا لتسمعوا * خصومة معشوقين يختصمان
وفي كل عام يستجدان مرة * عتابا وهجرا ثم يصطلحان
يعيشان في الدنيا غريبين أينما * أقاما وفي الاعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدي [٢] قال قال لي رجل هل تعود جميلا فانه مريض فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه فنظر الي وقال ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما ويشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ خمسين سنة قلت من هذا فاني اظنه ناج قال انا قلت عجب منك تشبب ببثينة هذه المدة وأنت كذلك قال أنا في آخر يوم من الدنيا لا نالتني شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها بريبة وا كثر ما كان مني ان اسندها الى فؤادي استريح ساعة ثم أغمي عليه فلما افاق أنشد

صرح النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول
قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل

عليهم كما قيل

تنقل فلذات الهوى في التنقل
ورد كل صاف لا تقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود الناضة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ثم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما أكثر ما يظهر من أمر الملوك ان يضعوا محبوبهم في مقام مالكهم وهم مالكوه كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس

ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعا فوق ترب
للذي يجعل الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر
اذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار

ملك الثلاث الآنسات عناني
وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها
واطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهوى
وبه قوين أعز من سلطاني

(وقال) المستعين بالله بن الحكم الاموي أحد خلفاء المغرب واجاد

عجبا يهاب الليث حد سناني
واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا * فقضى بسلطان على سلطان

ولما

[٢] الذي في شرح الشواهد للسيوطي العباس بن سهل الساعدي

ولما حضرته الوفاة قال من ينعانى الى بثينة قال رجل أنا فأعطاه حلته فراح حتى جاء الحى فأنشد

بكر النعى وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول
بكر النعى بفارس ذى همة * بطل اذا حمّ اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول

وان سلوى عن جميل لساعة * من الدهر لا حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت بأساء الحياة ولينها

ثم قالت الناعى يا هذا ان كنت صادقا فقد قتلتنى وان كنت كاذبا فقد فضحتنى فقال لها والله انى اصادق واخرجت الحلة فلما رأتها صرخت وصكت وجهها واقبل النساء يبكين معها حتى خرت مغشيا عليها ثم افاقت وانشدت وان سلوى البيتين فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت

(اخبار كثير عزة)

هو ابو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الشهير بابى جمعة كذا وصله الكلبى فى جمهرة النسب الى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة المشهور أحد أولاد الازد ومن اجداده عمرو بن ربيعة الذى دعا العرب عن دين ابراهيم الى عبادة الاصنام واقترح السوائب والبحيرة فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يجر قصبه فى النار وهو من خزاعة سموا بذلك لانقطاعهم عن الازد أيام سيل العرم وجاؤا الى الشام وهو صاحب عزة بنت جميل ابن حفص بن اياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقها جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهى عاتق * على حين ان شبت وبان نهودها
نظرت اليها نظرة مايسرنى * بها حمر انعام البلاد وسودها

وكان سبب دخول الهوى بينهما ان كثيرا مر بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادى الخبت فارسلن له عزة بدريهمات تشترى بها كبشا لهن منه فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ما كان فرد الدراهم واعطاها الكبش وقال ان رجعت أخذت حقى فلما عاد سألنه ذلك فقال لا أقتضى الا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فأبى وأنشد البيتين فجعلن يبرزنها له كارهة ثم داخلها ما داخله وانه خرج لزيارتها يوما ومعه اداوة ماء فجفت من الحر ورفعت له نار فأمها واذا بعجوز فناشدته من الرجل فقال صاحب عزة فقالت له انت القائل

اذا ما أتينا خلة كى تزيلنا * ابين وقلن الحاجبية اول
سنوليك عرفا ان أردت وصالنا * ونحن لتلك الحاجبية أوصل

هلا قلت كما قال جميل

فابعن من قلبى الحى وتركنى * فى عز ملكى كالاسير العانى
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثانى
ما ضر انى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى

(قلت) وكم مثله من ملك قاهر وسلطان قادر تذل لهيبته الاملاك وتذعن لسطوته الفتاك هدم الهوى اركانه واذل عزه وسلطانه فقصر جفنه فى الليالى الطوال وارقه مع عقله الحسن فى اسر الاعتقال فقال

امايكفيك انك تملكينى
وان الناس كلهم عبيدى
وانك لو قطعت يدى ورجلى
لقلت من الرضا احسنت زيدى

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدى (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان) كان السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أحد ملوك الاندلس جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين رأيته مرارا بغرناطة وأنشدنى شعرا وحضرت عنده انشاد الشعراء ومن شعره

ايا ربة الخدر التى اذهبت نسكى
على كل حال انت لابد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى
واما بعز وهو اليق بالملك

(وقال الملك الامجد)

من مثلى فى عصرى
بستانى فى قصرى
معشوقى مملوكى
غنى لى من شعرى

(وقال الملك الظاهر) فى مملوكه ايبك الجامدار

انا مالك مملوك ظبى اغيد
ومن العجائب مالك مملوك
وانا الفتى واتى من وصله * بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دماء بيض عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

(وقال الملك الاشرف فى مملوكه) وكان خازنداره دوبيت

افدى قمرا تحار فيه الصفة * يسخو بدمى وهو أمين ثقة

يارب عارضة علينا وصالها * بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها بالقول بعد تأمل * حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة * فضلا لغيرك ما أتتك رسائلي

والله لاسقينك شيأ فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته انشد

يزهدني في حب مية معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الآذان الامن القلب

هكذا رواه ابن اسحق وقال الشهاب محمود بذلك ونقل في الطبقات الابيات الا انه قال *يزهدني في حب عزة معشر * ثم قال هذه الابيات لكثير وقد توهم قوم انها لذي الرمة بدليل قوله يزهدني في حب مية معشر وليس كذلك وانما كان سهوا ودخل كثير على عبد الملك ابن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشبيع بحق علي هل رأيت اعشق منك فقال لو أقسمت علي بحقك لاخبرتك فقال بحقي الا ما اخبرتني فقال يا امير المؤمنين خرجت يوما واذا أنا بصياد قد نصب شبكته ليصطاد ما يسد به رمقه فقلت له ان ساعدتك تاركتني فيما يكون قال نعم فجاءت ظبية فوقعت في الاحبولة فسبقني اليها فخلها ثم مسح وجهها وقبلها واطلقها وأنشد

ايا شبه ليلى لا تراعي فانني * لك اليوم من وحشية لصديق
اقول وقد اطلقتها من وثاقها * فانت لليلى ما حييت طليق
فعينك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على ام البنين بنت عبد العزيز فقالت لها اما الحق الذي مطلته كثيرا اذ قال

قضى كل ذي حق فوفى حقوقه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت فجزيها وعلي اثمها وفي رواية ان الحكاية مع سكينة بنت الحسين وفي الذيل من رواية الفارسي * قضى كل ذي دين فوفى ديونه * وفي أخرى غريمه وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هي ان كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فأعطى النساء الى أجل فلما اقتضى ماله ممن ماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت في نساء اما آن ان تقضي ما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاي حيث يقول قضى كل ذي دين وأنشد البيت فقلن له اتدري من غريمتك فقال لا فقلن هي والله عزة فقال أشهدكن علي انها في حل مما عندها ومضى فاخبر مولاه بالحكاية فقال له وأنت حر وما عندك لك ورأيت في روضة الدولتين لابي شامة ان الذي وهبه كثير ألف دينار وأنشد حين أعتق الغلام

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله
يود بأن يمسي سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله

فاذا اجبته نظر مالي وبري * تزوجني تلفت به ولا يلتفت وبقية ماله من المقاطيع ذكرتها في الباب الاول من نقل الكرام في مدح المقام وذكرت فيه أيضا حكاية محبوبه ابن الملوك وما بان فيها عشقه من حسن السيرة وهي من أغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم

بالله جد لي بوعد صدق
وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني أظل أشكو
مثل محبك ليس يشكا

(وحكى) عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها واعرضت عنه ثم أسلمه الغرام وأقلقه الشوق حتى أرسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فأنشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام
ولا يزري محاسنك السلام
أنا المأمون والملك الهمام
ولكني بحبك مستهام
يحق عليك ان لا تقتليني
فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا أمير المؤمنين والدك أمير المؤمنين هرون الرشيد أعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الآنسات الابيات المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها في الباب الثاني من السكردان وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون أيضا يوما غلاما مليحا لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك فقال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتحا بلواني
ويا عليما بطول شكواني
الحمد لله لا شريك له * مولاك عبدي وأنت مولاني

فبلغ ذلك أحمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل كل ما يصلح للمو * لى على العبد حرام

ويهتز للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أتروين قول كثير

لقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير
تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدرى هذا ولكن أروى قوله

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وقيل انه سألها عن قوله قضى كل ذى دين وهذان البيتان من قصيدة طويلة رواها فى الذيل عن ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثير وقال انها من عجائب شعره وهى

خليلىّ هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات الحزن حتى تولت

وفى رواية ولا موجعات القلب البيت

فقد حلفت جهدا بما نحرت له * قريش غداة المأزمين وصلت
اناديك ما حج الحجيج وكبرت * بفيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع الحبل بينى وبينها * كناذرة نذرا فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميتة * تغم ولا غماء الا تجلت

كأنى انادى البيتين

اباحت حمى لم يرعه الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فليت قلوصى عند عزة قيدت * بحبل ضعيف حز منها فضلت
وغودر فى الحى المقيمين رحلها * وكان لها باغ سواى فبلت
وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظلع لما تحاملت * على ظلعها بعد العثار استقلت
أريد الثواء عندها و أظنها * اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فما انصفت اما النساء فبغضت * الىّ واما بالنوال فضنت
يكلفها الخنزير شتمى وما بها * هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

ومن أول القصيدة الى قوله فما أنصفت لزوم ما لا يلزم ولم يخالفه الا فى البيت المذكور والبيتين اللذين بعده وحكايته هى ان كثيرا سافر مع جماعة الى مكة فاتفق ان خرجت عزة وزوجها فى ذلك العير فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيرا

وقصد والده الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على رأسها فأشار اليها ان تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه فما برحت مكانى حتى وثبت عليه فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها وأقام معها اسبوعا لا يدرى مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمعشوقة * كأنما قلبا هما قلب
روحاهما روح ونفساهما * نفس كذا فليكن الحب

(وحدّث) أبو جعفر قال بينما محمد ابن زبيدة يطوف فى قصر له اذ مر بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهى تسحب أذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين انك قد هجرتنى مدة ولم يكن عندى علم بوافاتك فأنظرنى الليلة حتى أتهيأ للقبالة وآتيك فى غد فلما أصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا أمير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشى وأبو نواس فأمر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخره كلام الليل يمحوه النهار فأنشأ الرقاشى يقول

متى تصحو وقلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

(وقال مصعب) أتعذلنى وقلبى مستطار * كئيب لا يقرّ له قرار
بحب مليحة صادت فؤادى *

بالحاظ يخالطها احورار * ولما ان مددت يدي اليها * لألمسها بدا منها نفار فقلت لها عديني منك وعدا * فقالت في غد منك المزار

فلما جئت مقتضيا أجابت * كلام الليل يمحوه النهار (وقال أبو نواس)

وخود أقبلت في القصر سكرى
ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها
من التخميش وانحل الازار
وهز الريح ارداقا ثقالا
وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا
فقام لها على المعنى اعتذار
وقالت في غد فضيت حتى
أتى الوقت الذي فيه المزار
وقلت الوعد سيدتي فقالت
كلام الليل يمحوه النهار
فقال له ويلك أكنت مطلعا علينا
أو ثالثنا في القصر فقال لا والله
يا أمير المؤمنين ولكن نظرت
اليك فعرفت ما في نفسك وعبرت
عما في ضميرك فأمر له بأربعة
آلاف درهم ولصاحبيه مثلها
وذكرت هنا ما قلته في ابن نهار
أقول لموعدي زورا بليل
بدا كالبدر فيه ثم غابا
كلام الليل يا ابن نهار زبد
اذا طلعت عليه الشمس ذابا
(وقلت)
أتبيت ريان الجفون من الكرى
وابيت اسهر فيك مع سماري
وتلوم ان اصبحت في يوم الجفا
مجنون ليلى فيك يا ابن نهار
(حكي) انه كان للمتوكل غلام اسمه
شفيع وكان من احسن الفتيان
فكان المتوكل يجن به جنونا
فاحب يوما ان ينادم حسين بن
الضحاك وان يرى ما بي من شهوته وكان قد اسن فأحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل انحه شر اخص

اكالمرتجى

ذلك فجاء الى جميل فخله وأطلقه من الحبل وانشد

حبتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحي ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لي فاردها * مكان يا جمل حييت يا رجل

زاد أبو علي بيتا بين هذين وهو

لو كنت حييتها مازلت ذا مقة * عندي ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق ان زوجها أمرها ليلة ان تقتبس نارا وقال في النزهة ان تستعطي سمنا فلقيها كثير فاخبرته بحاجتها فاخرج اداوة سمن وجعل يسكب في اناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعرا حتى غرقت أرجلهما فلما رجعت انكر زوجها كثرة السمن واقسم عليها فاخبرته فحلف ليضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيرا بحيث يسمعها ففعلت فأنشد بكائها الخزرين البيتين وفي منازل الاحباب انها وقفت عليه وهو يبري سهاما فجعل يبري ساعده فدخلت عليه فمسحت الدم بثوبها وان زوجها لم ينكر الا وجود الدم وقيل له أنت اشعر أم جميل فقال كيف يكون اشعر مني وهو القائل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى * وفي الغر من انيابها بالقوادح

وأنا القائل هنيئا مريئا البيت وليس فيما ذكر دليل على انه اشعر منه وانما يدل ذلك على ان كثيرا أرق قلبا واشفق على محبوبته وأشد عشقا فلو سيق الكلام لذلك لكان الصق بالمعنى وأولى وتمام القصيدة

ووالله ما قاربت الا تباعدت * بصرم ولا أكثرت الا أقلت
فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا * مناويح لو سارت بها العيس كلت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت * بعاقبة أسبابه قد تولت
خليلي ان الحاجبية طلحت * قلوصيكما اذ ناقتي قد أكلت
أسيئي بنا أو احسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
ولكن أنيلي واذكري من مودة * بنا خلة كانت لديك فضلت
واني وان صدت لمثن وصادق * عليها بما كانت علينا أدلت
فما أنا بالداعي لعزة بالجوى * ولا شامتا ان نعل عزة زلت
فلا يحسب الواشون ان صبابتي * بعزة كانت غمرة فتجلت
واصبحت قد ابليت من دنف بها * ولا بعدها من خلة حيث خلت
وما مر من يوم علي كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلت
وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده * فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس اذ وطنتها كيف ذلت
واني وتهيامي بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت

اكالمرتجى ظل الغمامة كلما * تبوّأ منها للمقيل اضمحلت

كأني واياها سحابة ممحل * رجاها فلما جاوزته استهلت

وخرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار في روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من اردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك اذا أوقد المندل الرطب على هذه الروثة أو بخرت به امك العجوز الشمطاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندي

ألم تر يانى كلما جئت زائرا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فناولها مطرف خز كان معه وقال استرى على ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شئ فان قوله اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لولم يطلب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما أراد الا المعنى المعترض فيكون هذا تحميما لاثبات قصده وتوفى كثير سنة خمس وما ئة فى اليوم الذى مات فيه عكرمة مولى ابن عباس ودفن فى مقابر المدينة وله فى عزة اشعار كثيرة من محاسنها قوله

يقولون سوداء العيون مريضة * فأقبلت من اهلي اليها أعودها

فوالله ماأدرى اذا أنا جئتها * أأبرئها من دائها ام أزيدها

اذا جئتها وسط النساء منحتها * صدودا كأن النفس ليس تريدها

ولى نظرة بعد الصدود من الجوى * كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها

وقيل ان هذه الابيات لذى الرمة لانه بعدما ذكر يقول

وكنت اذا ما جئت ميا ازورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز ان يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد

وقفت على ربع لعزة ناقتى * وفى البرد شاش من الدمع يسفح

فيا عز أنت البدر قد حال دونه * رجيع تراب والصفيح المضرح

وقد كنت أبكى من فراقك خيفة * فهذا لعمرى اليوم انأى وانزح

فهلا فداك الموت من ان ترشه * بمن هو أسوا منك حالا وأقبح

ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة * لشئ ولا ملجا لمن يتملح

فلا زال رمس ضم عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح

فان التى أحببت قد حال دونها * طوال الليالى والضريح الموجح

أرب بعينى البكا كل ليلة * فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرح

شدى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة * من الورد يمشى فى قراطق كالورد

تمنيت ان اسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد

سقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها الشفيع فأعطاها المتوكل فاستملحها وقال أحسنت يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتى يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وأمر له بمال كثير وكان شفيع المذكور يكتب على طراز قبائه الايمن

بدر على غصن نضير * شرق الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه * فى صفحة القمر المنير

(ومن غريب) ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان كان صبا بحبابة جاريته فخلا يوما فى لهو معها وقال لاكذبن قول من قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوما واحضر حاجبه وقال له لا تأذن لاحد يدخل على ولا تعلمنى بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكى مدة هذا اليوم وأقام معها فى أتم حال فتناولت رمانا فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه وبين الصبر ومنع من دفنها حتى سأله جماعة من بنى أمية فى دفنها ولاطفوه فى ذلك فأمر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة أيام ومات أسفا عليها ومثل فعله هذا فى عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته فى نقل الكرام فى مدح المقام فى الباب الرابع عن السلطان جلال الدين خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج منع من دفنه فكان يحمل معه فى

اذا لم يكن ما تسفح العين لى دما * وشر البكاء المستعار المسيح

ومنها

ألا حبيا ليلى اجد رحيلى * وآذن أصحابى غدا بقفول
تبدت له ليلى لتذهب عقله * وشاقتك ام الصلت بعد ذهول
اريد لانسى ذكرها فكانما * تمثل لى ليلى بكل سبيل
اذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة * تعل بها العينان بعد نهول

ومنها

حلفت برب الراقصات الى منى * خلال الملا يمددن كل جديل
يمين امرئ مستغلظ من أليه * بكذب قيلا قد ألح بقيل
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا ارسلتهم برسول
فان جاءك الواشون عنى بكذبة * فروها ولم يأتوا لها بحويل
فلا تعجلى يا ليل ان تتفهمى * بنصح اتى الواشون ام بحبول

ومنها

تذكرت اترابا لعزة كالمهى * حسين بلفظ ناعم وقبول
وكنت اذا لاقيتهن كاننى * مخالطة عقلى سلاف شمول

ومنها

كفى حزنا للعين ان رد طرفها * لعزة عير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكى * فقلت البكى اشفى اذن لغليلى
توليت محزونا وقلت لصاحبى * اقاتلتى ليلى بغير قتيل
لعزة اذ ما حل بالخيف أهلها * فأوحش منها الخيف بعد حلول
وبدل منها بعد طول اقامة * تبعث نكباء العشى جذول
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم * ومال بنا الواشون كل مميل
وما زلت من ليلى لدن طر شاربى * الى اليوم كالمقصى بكل سبيل

ومنها

لا تغدرن بوصل عزة بعدما * اخذت عليك مواثقا وعهودا
ان المحب اذا احب حبيبه * صدق الصفاء وأنجز الموعودا
* الله يعلم لو اردت زيادة * فى حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة خاشعين سجودا
والميت ينشر ان تمس عظامه * مسا ويخلدان يرالثرى خلودا

وهذا الشعر رواه الحافظ مغلطاى كما هو عن جميل وقد رأيته فى النزهة منسوبا اليه

محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج فقال له بعض الامراء أيها الملك قد مات قلج فضرب عنقه فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها فى ٥٢ الكتاب المذكور *(الباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب فى النزاع)*
أقول هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل ان يرى فنم عليه ما نم لما جرى من دمعه ما جرى فأصبح لا يقرله قرار بعد ان كان قرير العين وشهد على عينيه بما لم تريا فكان كمن كلف ان يعقد بين شعيرتين كم ليلة رقص فيها على السماع وجمعة سهر من لياليها مثنى وثلاث ورباع فهو اعلى طبقة ممن عشق باللمس أو غيرها من بقية الحواس الخمس والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب فى نفس الامر أو تعارف سابق فى عالم الذر كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس وأحسن فى الاقتباس

محبة ما عرفت الدهر سلوتها
تسرى الى النفس أو تجرى مع النفس
وما لها آخر لكن أولها
تعارف سابق فى حضرة القدس
فى عالم الذر ناجانى البشير بها
أهلا بحبيتها طهرا من الدنس
أشهى الى القلب من أمن على وجل
ومن مجال الكرى فى الاعين النعس

قولى لمشاكلة بينه وبين المحبوب الى آخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق فى بعض الصفات لا بد من هذا ولهذا اغتم ابقراط حين وصف له رجل من أهل النقص انه يحبه فقال ما أحبنى الا وقد وافقته فى بعض أخلاقه ويؤيد هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سال عائشة رضى الله تعالى عنها عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن قدمت المدينة فنزلت على امرأة

وبعد ماذكرنا استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف قال وكثيرا ما تقلبه النحاة هكذا

لالا أبوح بحب بثنة انها * اخذت علي مواثقا وعهودا

قال القالي هو لكثير وذكر بثنة سبق قلم والاصل عزة اوان الشعراء كثيرا ما يعدلون عن اسم من يريدون الى ما لا يريدون تورية وغيرة وسيأتي لذلك ايضاح

ومنها

تفرق انواع الحجيج على منى * وفرقهم شعب النوى بين أربع
فلم أر دارا مثلها دار غبطة * وملقى اذا التف الحجيج لمجمع
اقل مقيما راضيا بمقامه * واكثر جارا ظاعنا لم يودع
فشاقوك لما وجهوا كل وجهة * سراعا واخلوا عن منازل بلقع
فريقان منهم سالك بطن نخلة * وآخر منهم سالك خبت يفرع

(اخبار قيس ولبنى)

هو قيس بن ذريح بن سنة وفي رواية ابن الحباب يتصل نسبه ببكر بن عبد مناة عذري وهو من خزاعة واسم ابيه علي * او هو جده وكان ينزل بظاهر المدينة وهو رضيع الحسين بن علي بن ابي طالب وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية انه ذهب لبعض حاجاته فمر ببني كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما اصدر قالت له الا تبرد عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج اليه وان اباها جاء فلما وجده رحب به ونحر له جزورا وأقام عندهم بياض اليوم ثم انصرف وهو اشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالاشعار وشاع ذلك عنه وانه مر بها ثانيا فنزل عندهم وشكا اليها حين تخاليا ما نزل به من حبها فوجد عندها اضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر فمضى الى ابيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج باحدى بنات عمك فغم منه وجاء الى امه فكان منها ما كان من ابيه فتركهما وجاء الى الحسين بن علي واخبره بالقصة فرق له والتزم له ان يكفيه هذا الشان فمضى معه الى أبي لبنى فسأله في ذلك فأجابه بالطاعة وقال يا ابن رسول الله لو ارسلت الكفيت بيد ان هذا من أبيه اليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى أبي قيس ونقل السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر ان الحسين بن علي لما بلغه انقباض أبي قيس عن ذلك جاء اليه حافيا على حر الرمل فقام ومرغ وجهه على اقدامه وكان ذريح مليا فمضى مع الحسين حتى زوج قيسا بلبنى ونقل الجلال السيوطي ان الحسين ادى المهر من عنده ولما تزوجها اقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من احسن الاحوال ومراتب الاقبال وفنون المحبة وان قيسا كان على ابلغ ما يكون من أنواع البر بأمه فشغلها الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك فحسنت لابيه التفريق بينهما فقالت له يوما لو

تضحك الناس بها فقال على من نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأنشد طرفة

تعارف أرواح الرجال اذا التقوا * ٥٣ فمنهم عدو يتقى وخليل

وقال أبو الهذيل العلاف لا يجوز في دور الفلك ولا في تركيب الطبيعة ولا في القياس ولا في الحس ولا في الممكن ولا في الواجب أن يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا السر الذي ذكرناه من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من أحب من لا يحبه ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك أجوبة أحسنها أن يقال المحبة على قسمين القسم الاول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيرا الا اذا كان له معه غرض نظير غرضه فانه يحبه لغرضه منه كما يكون بين الرجل والمرأة لان لكل منهما غرضا مع صاحبه والقسم الثاني محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الا من الجانبين ولابد فلو فتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه لوجد عنده من محبته نظير ما عنده أو فوقه أو دونه وذكر بعضهم ان سبب المحبة ثلاثة أشياء اما رؤية صورة أو سماع نغمة أو سماع صفة فهذه الثلاثة هي أصل ينبوع المحبة اذ لا يخلو حب أحد من ان يستند الى شئ منها وقد قيل

ثلاث محبات فحب علاقة
وحب تملاق وحب هو القتل

وأحوال الناس تختلف في ذلك (فمنهم) من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة فيفنى بمن وصف له محبة وما رآه ولكن وصفه له واصف كما قيل

فانني ان ارى الديار بطرفي * فلعلي أرى الديار بسمعي

اخذه القاضي الفاضل فقال

عللوني عن الشام بذكرى

زوجته بمن تحمل لتجيء بولد كان ابقى لنسبك واحفظ لبيتك ومالك وانهما عرضا على قيس ذلك فامتنع امتناعا يؤذن باستحالة ذلك وقال لا اسيء اليها قط وأقام يدافعهما عشر سنين الى ان اقسم ابوه او هي امه لا يكنه سقف او يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الهجير يجيئه فيظله بردائه ويصطلي هو حتى يجيء الفيء فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهي تقول له لا تفعل فتهلك الى ان قدر ان طلقها فلما ازمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد عرض فسطاطها فسأل الجارية عن امرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فمنعه اهلها وأخبروه انها غداة غد ترحل الى اهلها فسقط مغشيا عليه فلما افاق انشد

وانى لمفن دمع عيني بالبكى * حذار الذي قد كان او هو كائن

وقالوا غدا او بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت اخشى ان تكون منيتي * بكفيك الا ان ما حان حائن

وقال ايضا

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق

فطاوعت اعدائى وعاصيت ناصحي * واقررت عين الشامت المتملق

وددت وبيت الله انى عصيتهم * وحملت في رضوانها كل موثق

وكلفت خوض البحر والبحر زاخر * ابيت على اثباج موج مغرق

كأنى ارى الناس المحبين بعدها * عصارة ماء الحنظل المتفلق

فتنكر عيني بعدها كل منظر * ويكره سمعي بعدها كل منطق

ووقع غراب بحيث ينظر فنعق حين رحيلها فأنشد

لقد نادى الغراب ببين لبنى * فطار القلب من حذر الغراب

وقال غدا تباعد دار لبنى * وتنأى بعد ود واقتراب

فقلت تعست ويحك من غراب * وكان الدهر سعيك في تباب

وتبعها حين ارتحلت ينظر اليها فلما غابت رجع فجعل يقبل اثر بعيرها فليم على ذلك فأنشد

وما أحببت أرضكم ولكن * اقبل اثر من وطئ الترابا

لقد لاقيت من كلفي بلبنى * بلاء ما أسيغ له الشرابا

اذا نادى المنادى باسم لبنى * عييت فلا أطيق له جوابا

ولما أجنه الليل أوى الى مضجعه فلم يطق قرارا فجعل يتململ ويتمرغ في موضعه ويقول

بت والهم يا لبينى ضجيعي * وجرت مذ نأيت عني دموعي

وتنفست اذ ذكرتك حتى * زالت اليوم عن فؤادى ضلوعي

يا لبينى فدتك نفسي وأهلي * هل لدهر مضى لنا من رجوع

وقال أيضا

وقد قلت للقلب لا لبناك فاعترف * وقضت لبانة ما قضيت فانصرف

ان قلبي عليه بالاشواق مثلته الذكرى لسمعي كأني * اتمشى هنالك بالاحداق وقال بعض الحكماء ان الله عز وجل جعل القلب اميرا الجسد وملك الاعضاء فجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمانه شيأ ولا يطويان عنه سرا يعني العين والاذن وقيل لافلاطون ايهما أشد ضررا السمع أم البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قص أحدهما فتحامل بالآخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب وما رأى والاصم يحب وما سمع فقال له لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحدى جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه امضى وطيرانه قوى وكان يقال الحب أوله السماع ثم النظر كما ان أول الحريق الدخان ثم الشرر

(حكي) عن أبي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم أفهم معانيها ولكن
شجت قلبي فلم اجهل شجاها
فكنت كأنني اعمى معنى
يحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر فقلت لابي تمام أخذت هذا المعنى من أحد فقال نعم من قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم
الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر ان بشارا أخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه ابو يعقوب الخزيمي فقال قد

قالت وثم زأبي غدا اقاليتها * يالرجال لسبوة العميان فأجبتها نفسي وداؤك انما * عيني واذني في الهوى سيان

(وقال بشار أيضا) الحب انما يتولد بالقلب والفكر وانشد في ذلك يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب

قد كنت أحلف جهدي لا أفارقها * أف لكثرة زيف القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتلتت * لا تأمنن أبدا من غش مكتنف
هيهات هيهات قد أمست مجاورة * أهل العقيق وأمسينا على سرف
حي يمانون والبطحاء منزلها * هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

وأرسلت اليه يوما أمه بنات يعبن لبنى عنده ويلهينه بالتعرض الى وصلهن فأنشد

يقصر لعيني قربها ويزيدني * بها عجبا من كان عندي يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي * بأول نفس غاب عنها حبيبها

فلم يصرفن ودمن على ما كن فيه فنادى يا لبنى فقلن مالك قال خدرت رجلي وكان من المعلوم عند العرب انه اذا خدرت رجل الرجل وذكر أحب الناس اليه سكنت ثم قال

اذا خدرت رجلي تذكرت من لها * فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو ان نفسي تطيعني * لفارقتها في حبها فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى عشية * وريشت باخرى مثلها وبريت
فلما رمتني أقصدتني بنبلها * وأخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأنني * قرنت الى العيوق ثم هويت
فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل يرجعن قول المفرط ليت
فوطن لنفس منك هلكا فانني * كأنك بي قد يا ذريح قضيت

ورأيت الابيات في كتاب لا أعرف جامعه وفيها يقول

فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فان يك تهيامي بلبنى غواية * فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت ولما اشتد شوقه وزاد غرامه افضى به الحال الى مرض ألزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال فلام الناس اباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فأرسل له طبيبا وقينات يسألونه عن حاله ويلهونه فلما أطالوا عليه انشد

عند قيس من حب لبنى ولبنى * داء قيس والحب صعب شديد
فاذا عادني العوائد يوما * قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودني ثم أقضي * انها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها * داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب مذ كم هذه العلة بك ومذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فقال

تعلق روحي روحها قبل خلقنا * ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا واصبح ناميا * وليس اذا متنا بمنتقض العقد
ولكنه باق على كل حادث * وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق انما احست الحواس الخمس بواسطة توسطها النفس (وقد قال الخليل بن أحمد)

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتفقده * وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها * فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا * م فما اطاف ولا ألما
من اين ارسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله * حتى كساك هواه سقما
وباي جارحة وصلـ * ـت لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى * وبه تتم اذا استقما
فأجبت أني موسوي * العشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

(وقال المدني)

ايا من لامني في حب * من لم يره طرفي
لقد أفرطت في وصفك * لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنة * يوما بسوى الوصف

وما احسن قول المهذب ابن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب مطلعها

واني امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

فقال انما يسليك عنها تذكر ما فيها من المساوي والمعايب وما تعافه النفس فقال

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا * وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر

اذا ما مشت شبرا من الارض ارجفت * من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها اذا مشت * ومتن كغصن البان منضمر الخصر

وان اباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه فلما لم يفد ذلك عرض عليه التزويج فأنشد

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها * بشئ من الدنيا وان كان مقنعا

وازجر عنها النفس ان حيل دونها * وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فلما أيس منه استشار قومه في دائه فاتفقت آراؤهم على ان يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة تستميل عقله فاقسموا عليه ان يفعل ففعل وانه اتفق ان نزل بحي من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها برقع خز وهي كالبدر حسنا وبهجة فسأل عن اسمها فقالت لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت منه ونضحت وجهه بالماء وقالت ان لم تكن قيسا فمجنون فلما افاق استنسبته فاذا هو قيس فأقسمت عليه ان ينال من طعامها فتناول قليلا وركب فجاء اخوها على اثره فاعلمته القصة فركب حتى استرده واقسم عليه ان يقيم عنده شهرا فقال لقد شققت علي واجاب فكان الفزاري يعجب به ويعرض عليه المصاهرة حتى لامته العرب وقالوا نخشى ان يسير فعلك سنة فيقول دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام وقيس يقول له ان فيكم الكفاية ولكني في شغل لا ينتفع بي معه فألح عليه حتى عقد له على اخته ودخل بها فأقام معها اياما لا تهش نفسه اليها ولا يكلمها ثم استأذن في الخروج الى اهله فأذنوا له فخرج الى المدينة وكان له بها صديق فأعلمه ان لبنى قد بلغها تزويجه فغمت لذلك وقالت انه لغدار واني طالما خطبت فأبيت والآن أجيب هذا وان ابا لبنى قد اشتكى قيسا الى معاوية وانه يشبب بابنته فكتب الى مروان يهدر دمه وأمره ان يزوج ابنته بخالد بن خالدة العطفاني وهو كندي حليف قريش فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها

لبنى زوجها أصبح لا حر بواديه

له فضل على الناس * وقد باتت تناجيه

وقيس ميت حقا * صريع في بواكيه

فلا يبعده الله * وبعدا لنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى اتى محلة قومها فقالت له النساء ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى أتى موضع خبائها فتمرغ به وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * الى الله بعد الوالدين يتيم

وقالت لي الآمال ان كنت لاحقا * بأبناء أيوب فانت الموفق وقلت انا من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن وفيه زيادة حسنة ٥٦ مطلعها وحياة وجهك وهو بدر مشرق * قلبي عليك كما علمت واشفق

يا من اذا ما لاح آس عذاره

امسى ولي بالعيش غصن مورق

ما لاح خدك بالعذار مكاتبا

الا ظننت بانه لي معتق

(ومنها)

كم ذا رقصت على السماع بذكره

والاذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية ان من الناس من يعشق على السماع ويفنى في محبة من لا رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتى كأنه ينظر اليها والحديث في الصحيح قال في الواضح المبين ومنهم من يعشق أثرا رآه كما يحكى ان رجلا عشق اثر كف امرأة رآه في حائط فلما ايس أهله من صلاحه تركوه حتى مات (ومنهم) من يحب في النوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

ياليت شعري من كانت وكيف سرت

اطلعة الشمس كانت أم هي القمر

اظنها العقل ابداها تدبره

أو صورة الروح ابدتها الى الفكر

أو صورة مثلت في النفس من املي

فقد تحير في ادراكها البصر

أو لم يكن كل هذا فهي حادثة

اتى بها سببا في حتفي القدر

(ومنهم) من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة (ومنهم) من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره

كذاك يعشق قبل الانف والاذن

(ومنهم) من أخبرني انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم لمن هي فاخذها واقامت عنده زمانا واصابه من حب صاحبتها ما أشرف به على التلف كما قيل

يتيم جفاه الاقربون بجسمه * نحيل وعهد الوالدين قديم

(وأنشد حين بلغه هدردمه)

فان يحجبوها او يحل دون وصلها * مقالة واش او وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا * ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري
الى الله أشكو ما ألاقي من الهوى * ومن كرب تعتادني وزفير
ومن حرق للحب في باطن الحشا * وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة * بكاء حزين في الوثاق أسير
وكنا جميعا قبل ان يظهر النوى * بانعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهوى مقلوبة بظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا * ولكنما الدنيا متاع غرور

(وقال أيضا)

وان لك لبنى قد انى دون قربها * حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا * ونبصر قرن الشمس حين تزول
وارواحنا بالليل في الحي تلتقي * ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا * سماء نرى فيها النجوم تجول
الى ان يعود الدهر سلما وتنقضي * ترات براها عندنا وذحول

وحجت لبنى في تلك السنة فاتفق خروجه أيضا فالتقيا فأبهت وارسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمي * فاني يسليني عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس اشرقت * وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولي اسلمي * طوت حزنا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا انهكه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيتها لها فأنشد

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتي * غداة غد اذ حل ما أتوقع
تمنينني نيلا وتلوينني به * فنفسي شوقا كل يوم تقطع
الوصل في شاني وانت مليمة * لعمري واجفي للمحب واقطع
وأخبرت اني فيك مت بحسرة * فما فاض من عينيك للوجد مدمع
اذا أنت لم تبكي علي جنازة * لديك فلا تبكي غدا حين أرفع

فحين بلغتها الابيات جزعت جزعا شديدا وخرجت اليه خفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع واعلمته انها انما تترك زيارته خوفا عليه ان يهلك والا فعندها ما عنده ولكنها جلدة (وفي منازل الاحباب) يرفعه الى ابن عباس قال مررت بربع عفا رسمه واذا

تلفت بشعرة وسمعت غيري * يقول سلت من تلى بشعره (ومنهم) من يعشق جنية رآها في نومه ووصفت نفسها له وبانه غير صرة على زعمه كما حكى ابو الفرج الاموى ان جعفر بن أبي جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع في النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه أبو جعفر حزنا شديدا وكان جعفر خليعا ماجنا ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال وأي مستصلح فيه وأي غاية لم يبلغها في الفساد فقال ويلك وبأي شئ هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجن وهو مجتهد في خطبتها وقد أبه جمع اصحاب العزائم عليها وهم يعدونه ويعدونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها لابنة الجني في الحي طلال دارس الآيات عاف كالخلال قلت هذا الذي يقال في حقه الجنون فنون (ومثل هذا ما أخبرني) به صاحبنا جمال الدين بن عبد الله قال قال الثعالبي في فقه اللغة زعموا ان التناكح قد وقع بين الانس والجن لقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد لان الجنيات انما تصرع الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم

(فصل في ذكر ما يخرط في سلك العشق على السماع والشهادة على الغائب)

كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن الصوري

بأبي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب
كشهادتي لله خالصة * قبل العيان بأنه رب

(وما أحسن قول الآخر)

أهيم الى العذب من ريقه * كما هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وماذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

(وقال امرؤ القيس)
وثغر لها طيب واضح
لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظني به
وبالظن يقضي على ما كتم
(وقال ابن حمديس الصقلي)
وماذقت فاها ولكنني
نقلت شهادة عود الاراك
(وقال البهاء زهير)
فتنت به حلوا مليحا تحدثوا
بأعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه
ولم أرعدلا وهو سكران يطفح
(وقال ابن النقيب)
قالوا فلان يسوغ كذبا
يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لي
لو أنه صادق الحلاوه

(قلت) وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى والمغفلين وهي ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي واجلسني معه ففاتحته في القرآت فاذا هو فيها ماهر ففاتحته في شئ من النحو فوجدته فيه ماهرا ثم في اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وازوره قال فأتيت في بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح اعزيه فأتيت الى بابه فطرقته فخرجت الي جارية فقالت ما تريد فقلت أريد مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطي لاحد

بشخص فسلمت عليه فلم يرد فمضيت واذا هو ينادي بي فرجعت فرد علي السلام واعتذر ثم ذكر انه تعتريه غيبة العقل اطوارا هذا ودمعه يسفح كالغيث فقلت له من أنت قال قيس ابن ذريح وانشد

أمانيه لبني ولم يقطع المدى * بوصل ولا هجر فييأس طامع
ابى الله ان يلقى الرشاد متيم * الا كل شئ حم لا شك واقع
هما برحا بي معوابن كلاهما * فؤاد وعين ماقها الدهر دامع
اذا نحن أفنينا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاي واشبرت لبنى بمرضه في سبها فقالت دفعا للوهم ثم تمارض فبلغته القصة فأنشد

تكذبني بالود لبنى وليتها * تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت انني * لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلي بالحياء حقيق
اذود سوام النفس عنك وماله * على أحد الا عليك طريق
شهدت على نفسي بانك غادة * رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لا تجزين مني صبابة * ولا أنا للهجران منك أطيق
وانك قسمت الفؤاد فنصفه * رهين ونصف في الحبال وثيق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشا * وبين التراقي واللهاة حريق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي * وبعض لبعض في الفعال يفوق
سلي هل قلاني من خليل صحبته * وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي * اذا اغبر مخشي الفجاج عميق
واكتم اسرار الهوى فأميتها * اذا باح مزاح بهن بروق
هل الصبر الا ان أصد فلا أرى * بأرضك الا ان يكون طريق

وروى ان قيسا اشترى ناقة من ابله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتني غدا في دار كثير بن الصلت اقبضك الثمن فجاء وطرق الباب فادخله وقدم له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت المرأة لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء ثم قال هكذا حال من فارق الاحبة فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكي أمره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال ما بالك عد لتقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له ماهذا الذي فعلت انه لقيس فحلف انه لا يعرفه وأنشد قيس معاتبا لنفسه

أتبكي على لبنى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملا أنت أقدر

الطريق اليه فقلت قولي له صديقك فلان بطلبك فدخلت وخرجت الى وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهذا سبيل لابد منه فعلمك بالصبر ثم قلت له

فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت * فللدهر والدنيا بطون وظهر
كأني في أرجوحة بين أحبل * اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقيل انه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى فعاد مبهوتا فسأله الرجل فقال له لا تركب لي مطيتين فقال أنت قيس قال نعم قال ارجع لتخبرها فان اختارتك طلقتها وظن الرجل انها تبغض قيسا فخيرها فاختارت قيسا فطلقها الوقت (وحكي) ان سبب طلاقها ان قيسا قصد ابن ابي عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروأة في ذلك فجاء الى الحسن والحسين واعلمهما ان له حاجة عند زوج لبنى وطلب أن يتصدا عليه فذهبا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في ذلك فقال سلوا ما شئتم فقال له ابن أبي عتيق أهلا كان أوما لا قال نعم فقال أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندي فقال أشهدكم انها طالق ثلاثا فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت وروى ان لبنى عاتبت قيسا على تزويج القزارية فحلف لها ان عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وانه لو رآها لم يعرفها واخبرته لبنى انها كارهة زوجها واعلمته انها لم تتزوجه رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلي عنه فطلقها حين علم ما بينهما وأرسل اخو القزارية الى قيس حين ابطاعنه يسأله الرجوع فأعاد الرسول بالخيار في امر اخته فاختار الرجل عدم الفرقة وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان ذلك قبل طلاق لبنى فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لي ان اكون ببلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بجيها وتظافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض واضرابهما فرق الناس له هذا ولما طلقت نقلت الى العدة بأمر ابن ابي عتيق فمن ذاهب الى انها اكملت عدتها وتزوجها وأقاما الى الموت بدليل مدحه لابن ابي عتيق حيث قال

جزى الرحمن أفضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخواني جميعا * فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع * ورأي حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبي * اغصتني حرارتها بريق

ومن ذاهب وهم الاكثر الى انها ماتت في العدة وان مدحه لابن ابي عتيق حين لم يشك في عودها اليه وقد نهاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا يعدني قوادا والقائلون بموت لبنى في العدة اجمعوا ان قيسا خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وانشد

ماتت لبينى فموتها موتي * هل ينفعن حسرة على الفوت
اني سأبكي بكاء مكتئب * قضى حياة وجدا على ميت

ثم بكى حتى أغمي عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكان ذلك في سنة وله اشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب في منازل الاحباب عن أبي العباس على تردد في أنه لابن الدمينة

هذا الذي توفي ابنك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس ثم قلت سبحان الله النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأني بك قد ظننت اني رأيتها فقلت في نفسي هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم اني كنت في الطارمة واذا برجل عابر وهو يغني ويقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردي على فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه ما في الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا الشعر فهو يتها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغني ويقول

اذا ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت وقعدت في العزاء ثلاثة أيام بهذا اليوم قال الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت همتي على ترك تقطيع الدفتر بحكاية أم عمرو

(الباب الرابع في ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أوقعه النظر في الضرر المؤدي الى السهر اذ هو داعية الارق وزناد الحرق كم دعا الى الجماع المحرم بالاجماع فهو سهم مسموم وفعل مذموم وفي مبدئه يمكن استدراكه وأسيره يرجى فكاكه فاذا تكرر أدى الى ما صورته كيت وكيت أما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر ٦٠ (قوله) وفى مبدئه يكون استدراكه الى آخره وذلك ان الرجل تقع

المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا لطبعه فتحرك نفسه وتنبعث همته من أول نظرة فاذا تكرر نظره اليها ازداد حبه لها وان جلس حتى يراها صار الذى به أضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها ووقع فى أسر حبالها ودخل فى عداد العاشقين وهذا مما يؤيد قول من ذهب الى ان العشق اختيارى لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا فيما ندر كما تقدم فى ذكر النسوة اللاتى رأين يوسف عليه السلام فتنّ من أول نظرة وكان يقال النظر من المحب موت عاجل ومن المحبوب سهم قاتل وكان يقال رب عشق غرس من لحظه وحرب جنى من لفظه وكان يقال من أطلق طرفه كثر أسفه وكان يقال من كثرت لحظاته دامت حسراته (وقال اعرابى) العشق نبت بذره النظر وماؤه المزاورة ونماؤه الوصل وقتله الهجر وحصاده التجنى (وقال الصورى)

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته * واهملته مستأنسا متسامحا
ولم تدر حتى اينعت شجراته * وهبت رياح الوجد فيه لواقحا
فامسيت تستدنى من الصبر عازبا * عليك وتستدعى من النوم نازحا

(وقال الاصمعى) كنت فى بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون قد جاءت فتحرك الناس وكيف فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط فى حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف الناس اليها

وفى عروة العذرى ان مت أسوة * وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند
وبى مثل ما قد نابه غير اننى * الى أجل لم يأتنى وقته بعد
وفيض دموع العين بالليل كلما * بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

(ومنها)

لقد عنيتنى يا حب ابقى * فقسع امابموت أو حياة
فان الموت أيسر من حياة * منغصة لها طعم الشتات
وقال الآمرون تعزّ عنها * فقلت ولا اذا حانت وفاتى

(ومنها)

فما وجدت وجدى بها أم واحد * ولا وجد النهدى وجدى على هند
ولا وجد العذرى عروة فى الهوى * كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

(ومنها)

لو آن امرأ اخفى الهوى عن ضميره * لمت ولم يعلم بذاك ضمير
ولكن سألقى الله والنفس لم تبح * بسرك والمستخبرون كثير

(ومنها)

عفا سرف من أهله فسوارع * فجنبا أريك فالتلاد الدواقع
فكة فالاخياف أخياف ظبية * بها من لبينى مخرف فمرابع
اعلّ لبينى ان تحمّ لقاؤها * ببعض بلادى ان ما حم واقع
بجزع من الوادى خلا عن أنيسه * عفا وتخطته العيون الخوازع
ولما بدا منها الفراق كما بدا * بظهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع
تمنيت ان تلقى لبينا لك والمنى * تعاصيك احيانا وحينا تطاوع
وما من حبيب وامق لحبيبه * ولا ذى هوى الا له الدهر فاجع
وطار غراب البين وانشقت العصا * لبين كما شق الاديم الصوانع
ألا يا غراب البين قد طرت بالذى * أحاذر من لبنى فهل أنت واقع
وانك لو أبلغتها قيلى اسلمى * طوت حزنا وارفض منها المدامع
أتبكى على لبنى وأنت تركتها * وكنت كآت غيه وهو طائع
فلا تبكين فى اثرها ندامة * اذا نزعته عن يديك النوازع
فليس لامر حاول الله جمعه * مشتت ولا ما فرق الله جامع
كأنك لم تقنع اذا لم تلاقها * وان تلقها فالقلب راض وقانع
فيا قلب خبرنى اذا شطت النوى * بلبنى وصدت عنك ما أنت صانع
اتصبر للبين المشت مع الجوى * ام أنت امرؤ ناسى الحياة فجازع
فما انا ان بانت سليمى بهاجع * اذا ما استقلت بالنيام المضاجع

وكيف ينام المرء مستشعر الجوى * ضجيع الاسى فيه نكاس روادع
فلا خير فى الدنيا اذا لم تزورنا * لبيني ولم يجمع لنا الشمل جامع
اليست لبيني تحت سقف يكنها * واياى هذا ان نأت لى نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا * ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تطأ تحت رجليها بساطا وبعضه * اطأه برجلى ليس يطويه مانع
وافرح ان تمسى بخير وان يكن * بها الحدث العادى ترعنى الروائع
كأنك بدع لم تر الناس قبلها * ولن يطلعنك الدهر فيمن يطالع
وقد كنت ابكى والنوى لا أظنه * بناو بكم لم يدر ما البين صانع
واهجركم هجر البغيض وحبكم * على كبدى منه كلوم صوادع
فوا كبدى من شدة الشوق والاسى * ووا كبدى انى الى الله راجع
واعجل للاشفاق حتى يشفنى * مخافة شحط الدار والشمل جامع
واعمد للارض التى من ورائكم * لترجعنى يوما اليك الرواجع
فيا قلب صبرا واعترافا لما ترى * ويا حبها قع بالذى أنت واقع
لعمرى لمن أمسى وأنت ضجيعه * من الناس ما اختيرت اليه المضاجع
ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها * وللبين غم ما يزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به * جوى حرق قد ضمنتها الاضالع
أباتنة لبنى ولم تقطع المدى * بوصل ولا صرم فييأس طامع
نهارى نهار الواله بن صبابة * وليلى تنبو فيه عنى المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلوا وانما * تقسم بين الهالكين المصارع

وهذان البيتان فى غير رواية ابى على

ولولا رجاء القلب ان يعطف النوى * لما حملته بينهن الاضالع
له وجبات اثر لبنى كأنها * شقائق برق فى السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع
اقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى بالليل والهم جامع
اذا فضن انقدنا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبين للفتى * شحوب وتبرى من يديه الاشاجع
وما كل ما منيت نفسك خاليا * تلاقى ولا كل الذى أنت تابع
تداعت له الاحزان من كل وجهة * فحن كما حن الظيور السواجع
وجانب قرب الناس يخلو بهمه * وعاوده فيها هيام مراجع
أراك اجتنبت الحى من غير بغضة * ولو شئت لم تجنح اليك الاصابع
كأن بلاد الله ما لم تكن بها * وان كان فيها الناس قفر بلاقع

أرسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فأنشأت تقول
وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر
ثم نظر اليها اعرابى وقال أما والله ممن قل صبره وأنشد
أوحشية العينين أين لك الاهل
أبالحزن حلوا أم محلهم السهل
وأية أرض أخرجتك فاننى
أراك من الفردوس ان فتش الاصل
فقى خبرينا ما طعمت وما الذى
شربت ومن أين استقل بك الرحل
لان علامات الجنان مبينة
عليك وان الشكل يشبهه الشكل
(أقول) هذا والله هو السحر الحلال والعذب الزلال قد اشتمل على مذهب السحر الكلامى والبدر السامى فكأنى بها وقد ذكرت له الاهل ووصفت من حيها وخدها الحزن والسهل هنالك يأتيها سعيا على الرأس لا سعيا على القدم وتكون وجناتها أحب اليه من حمر النعم وينشد
أرينى مكان البدر ان افل البدر
وقومى مقام الشمس ان بعد الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها
وليس لها منك التبسم والثغر
(حكى) انه دخل اصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين
سماعا يا عباد الله منى
وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا
وأوله شبيه بالمزاح
قال وفى هذا دليل على ان العين هى التى تجلب المحن واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهى لما كانت العين رائده ومحبة القلب زائده وهى لها لذة النظر وهذا له لذة الظفر كانا فى الهوى شريكى عنان

ألا انما أبكى لما هو واقع * وهل جزع من وشك بينك نافع

اطال على الدهر من كل جانب * ودامت ولم تقلع على الفجائع

فمن كان محزونا غدا لفراقنا * فذا الآن فليبك لما هو واقع

وقد انتهت اخباره كما وجدت وكأنى بغبى يعترض على نقلى له من مراتب من حظى بالتلاق الى مراتب من مات دونه من العشاق ولم يدر ان الجنايات توجب بالتأمل الصائب والفهم الذكى الثاقب مالم يدركه الغافل الغبى أما تقدم هذه الاربعة فقد علم واما ذكرهذا هنا فقد قال فى النزهة والبدور السافرة وطوالع الازهار وغالب شراح ديوان الاستاذ ومن بحث عن احوال العشاق انه رأس أهل الهوى ولكن وقوعه فى فرقة المحبوب اوقعه فى هذه المرتبة وقال المتكلمون على الديوان المذكور ان سلطان العشاق واستاذ العارفين على الاطلاق قد أشار الى تفضيله على الكل حيث شبه غرامه بغرامه وحسن لبنى ببهجة الحضرة المدوحة حيث قال

بفرط غرامى ذكرقيس بوصفه * وبهجتها لبنى أمت وأمت

لا يقال قد افردغيره بالذكر أيضا لان اساليبه فاتت كلامه وأفانين سطاوى نظامه تجل عن ان تنال الابشق الانفس والله يؤتى فضله من يشاء فان قوله * فان كنت ليلى ان قلبى عامرى * ونحوه ليس غريبا بعظم الشأن كما فى البيت السابق اه قلت وقد يقال لا تفضيل لقيس فى البيت على غيره فيجاب بأن قوله رضى الله عنه

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أوكثير عزة

صريح فى جعله فى مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الارفع ومثل بالامثل وذلك يقتضى التفضيل على الجميع وحكمة ذلك والله أعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمى بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ واعظم وأرفع فى مقاساة الغرام وأفخم وفيه تلميح بما ذكر فى التفضيل بين البشر والملائكة

(أخبار المجنون وصاحبته ليلى)

قد اختلف فى اسمه هل هو عامر أومهدى او الاقرع أومعاذ اوقيس ابنه أوابن الملوح أوالبحترى بن الجعد والصحيح الاول لاشارة عارف الوقت فى البيت السابق وفى نسبه عامرى اوكلابى أوجعدى أوقشيرى أوالمجانين متعددة وهما اثنان فى بنى عامر اولم يكن أحد واغاهو متعشق واستكبر عن ان يصرح باسمه واسم محبوبه فتقوه بالمجنون وليلى والصحيح انه من بنى عامر وهو عامر بن ملوح بن مزاحم يتصل نسبه عند صاحب الاغانى الى كعب بن ربيعة بن صعصعة كان مديد القامة جعد الشعر أبيض اللون ولم يزله الهزال والجنون وتغير اللون الامن العشق وصاحبته هى ليلى بنت مهدى بن سعد تتصل بنسبه فى كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك وهذا أخذ من قوله ذلك فى شعره كثيرا نحو قوله

وفرمى رهان فلما وقعا فى السهاد والحرق وأضر بصاحبهما الارق قال القلب يقول الارجانى لطرفه الجانى

تمتعتما يا مقلتى بنظرة * وأوردتما قلبى اشر الموارد ٦٢ أعينى كفا عن فؤادى فانه من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال أبو الطيب المتنبى

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه

فمن المطالب والقتيل القاتل

(وقول الآخر)

عوقب قلبى وجنى ناظرى

وربما عوقب من لا جنى

وقول الآخر

نظر العيون الى العيون هو الذى

جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا

مازالت اللحظات تغزو قلبه

حتى تشحط بينهن قتيلا

وقول الآخر

يامن يرى سقمى يزيد

وعلى أعيت طبيبى

لا تعجبن فهكذا

تجنى العيون على القلوب

(وقال ابن مدرك)

جرحت بلحظى خد الحبيب

فطالب المقلة الفاعله

ولكنه اقتص من مهجتى

كذلك الديات على العاقله

فلما سمعت العين انشاده وفهمت مراده أشارت اليه وأخذت فى الانكار عليه فقالت يا للعجب من ظالم يتظلم وأخرس يتكلم ألم يصل من الخبر الذى شاع وذاع انك أنت الملك ونحن الاتباع ترسلنى فيما تريد كالبريد وتعقب ذلك بالتهديد أما سمعت قول أبى هريرة رضى الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فمن ذنبى وذنبك اذ ذاك كما بين عماى وعمالك وقال علام الغيوب فانها لا تعمى

تكاد

تكاد بلاد الله يا أم مالك * بما رحبت يوما على تضيق

وهذا كاستدلالهم بأن اسم أبيه ملوح بن مزاحم وانه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة بقوله

عقرت على قبر الملوح ناقتي * بذى السرح لما أن جفاه أقاربه
وقلت لها كوني عقيرا فانني * غداة غد ماش وبالامس راكبه
فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم * فكل امرئ للموت لابد شاربه

وروى باسقاط هاء السكت وحذف البيت الآخير وذكروا ان سبب عشقه لليلى انه مر يوما على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فاعجبهن فاستنزلنه للمنادمة فنزل وعقر لهن ناقته وأقام معهن بياض اليوم فاقبل فتى اسمه منازل يسوق غنما فانصرفن اليه وتركن المجنون فقام مغضبا وأنشد

أأعقر من جرا كرائم ناقتي * ووصلي مقرون بوصل منازل
اذا جاء قعقعن الحلى ولم أكن * اذا جئت اخفوا صوت تلك الخلاخل

فقوله من جرا وكرائم يعني من أجلها وكرائم اسم المرأة التي كن عندها وروى ووصلي مفضول أى دون وصل منازل وهو أليق بالمقام وفى النزهة

اذا جاء قعقعن الحلى ولم يكن * اذا جئت بل اخفين صوت الخلاخل

يقول قد أظهرن صوت الحلى حين جاء منازل وهذه كناية عن قيامهن له ولم يكن ذلك عند مجيئي وهذا هو اللائق ولم يؤخذ من البيت السابق وقيل تداعيا المناضلة أو الصراع فقال له المجنون قم الى حيث يرينك ولا تراهن فافعل ما تقول وانشد فى ذلك

اذا ما انتضلنا فى الخلاء نضلته * وان يرم رشقا عندها فهو ناضلي

فعلى هذا يكون ضمير عندها عائدا على النسوة وهذا دليل على شدة استحيائه فانه يقول له مادمت تنظر اليهن فانك تشجع فتغلبني وهذا على حد قوله

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي * فانت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول جدى فى السجع فان سعاد تنظرك وتسمعك قلت هذا ما نقل فى الاصل عن ابن الكلبي ولا دليل فيه على تعلقه بليلى وانما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال لما دعته النسوة الى النزول نزل وجعل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلى فلم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل ثم قال لها هل عندكن ما تأكلن قالت لا فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالمدية فى كفه وهو شاخص فيها حتى اعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها ألا تأكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيأ على الغضى واقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقيل انها بعد هذا المجلس استدعته

الابصار ولكن تعمى القلوب فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال قالت فى الحال انا ما بين عدوين * هما قلبي وطرفي
يتطير الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفي

(وقال آخر)

يقول قلبي لطرفي اذ بكى جزعا
تبكي وأنت الذى حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه
بل أنت حملتني الآمال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه
كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدي لا تعتبا فلقد
قطعتماني بما لاقيتما قطعا

(وقال آخر)

عاتبت قلبي لما
رأيت جسمي نحيلا
فالزم القلب طرفي
وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي
بل انت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا
تركتماني قتيلا

قلت فكانا كما تقول العامة قفا بين صفاعين وما أحسن قول الآخر

فوالله ما أدري أنفسي ألومها
على الحب أم عيني القريحة أم قلبي
فان لمت قلبي قال لى العين ابصرت
وان لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن فى دمي
فيا رب كن عونا على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذى يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد فى الخبر عن سيد البشر لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح انت التي حركتني وأمرتني وصرفتني والا فانا لم أكن اتحرك ولا افعل شيأ بدونك فتقول الروح له وانت الذى اكلت وشربت وتمتعت فانت الذى تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى يمشي دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى

(فصل في ذكر سحر الجفون ونبل العيون)

فمن ذلك قول بشار وهو اغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان

انا والله اشتهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

(ونقل) شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما أعلم قول عبد المحسن الصوري

بالذي الهم تعذيبي ثناياك العذابا
ما الذي قالته عينا ك لقلبي فاجابا

قال وهما اغزل من قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

(وانشد) صاحب المرقص والمطرب

لولم أمت بالحظ قال العذل ما قيمة السيف الذي لا يقتل

(وقال ابن سهل الاشبيلي) في مطلع موشحه

الحاظها القتل في كرها وفي نصيب
ترمي وكلي مقتل وكلها سهم مصيب

(وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك)

المحادثة وقد داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف فقال ومن لي بذلك ثم نزل وعقر ناقته كامر وانها كانت مغرمة باحاديث الناس والاشعار وكان هو أروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منه وكان يجيبها الى ذلك فتمكنت بينهما المحبة وفي نديم المسامر انهما انتشئا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فصا باوانم احجبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهارا فقيل الحجب ويذهب ليلا وفي ذلك يقول

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع
اقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني بالليل والهم جامع

قال وقد تقدم ان البيتين لقيس بن ذريح وصرح في نزهة العشاق بذلك وقال ان المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فانهما كانا متعاصرين حتى نقل في الاغاني ان قيسا مر بالمجنون وهو في مبادي مخالطة العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهي لقاء صاحبه فسلم عليه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام اليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل الى الآخر ما عنده فقال المجنون اقيس ان حي ليلى قريب فهل لك ان تبلغها سلامي فمضى حتى وقف بها ونسب نفسه فتعارفا وبلغها فاخبرته ان وجدها به أعظم ولكن قالت أنا عاتبة عليه حيث يقول

أتت ليلة بالغيل يا أم مالك * لكم خير حب صادق ليس يكذب
الا انما أبقيت يا أم مالك * صدى اينما تذهب به الريح يذهب

فأي ليلة كانت ومتى اختليت معه بالغيل أو غيره فقال لها الاتحمليه على ما تقول الناس فلم يردسوأ وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه أعظم منزلة من اخوته وكان أبوه ذا ثروة فدفع له خمسين بعيرا وراعيها في مهر ليلى فلم يقبل أبوها مع انه دونهم لما مر من ان العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت أخبارهما بالمحبة فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على ان تختاره ففعلت كارهة وفي ذلك يقول المجنون

ألا ياليل ان ملكت فينا * خيارك فانظري لمن الخيار
ولا تستبدلي مناديا * ولا برما اذا حث القتار
يهرول في الصغير اذا رآه * وتعجزه ملمات كبار
فمثل تأيم منه نكاح * ومثل تمول منه افتقار

وأبصر يوما في طريقه الى زيارتها جارية عسراء فتطير وأنشد

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى * بجد القوى من ليل اعسر حاسر
صريع العصا جدب الزمان اذا انتحى * لوصل امرئ لم تقض منه الاواطر

بابي اهيف اذا رمت منه * لثم ثغر يصدني عن مرامي قد حمى خده بسور عذار * فعلمنا أضحت عليه مرامي وشكا

(فصل في وصف العيون الضيقة وغيرها) * قال ابن النبيه يمدح بطرفه التركي عني * صدقتم ان ضيق العين بخل (وقال أيضا

من بني العزلة لين العطف قاسي الـقلب سهل الخداع صعب المراسي ضيق العين وهو من صفة البخـل فان جاد كان ضد القياس
جذب القوس فاكتنت وجنتاه * ثوب ورد طرازه من آس ٦٥ ورمى عن قوسين سهمين هذا * في فؤادي وذاك في القرطاس

وشكا ذلك اليها فقالت لا بأس عليك والله لا اجتمعت بغيرك الا كارهة وكانت قبل هذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبـة لها فدعت شخصا بحضرته فسارته وأصرفت وجهها عنه الى غيره ثم نظرته قد تغير حتى كاد ان ينفطر فانشدت تقول

كلانا مظهر للناس بغضا * وكل عند صاحبه مكين

وفي رواية وكل مظهر في الناس وبعده

وأسرار الملاحظ ليس تخفى * وقد تغرى بذى اللحظ العيون

وبهذين البيتين تظافرت الروايات وجاء في رواية * وقد تغرى بذى اللحظ الظنون *
وبعده وكيف يفوت هذا الناس شئ * وما في النـاس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول

اظن هواها تاركي بمضـلة * من الارض لا مال لدي ولا أهل
ولا أحـد افضي اليـه وصيتي * ولا صاحب الا المطية والرحـل
محاـها حب الاولى كن قبلها * وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

وفي رواية ولا وارث الا المطية والاولى أصح وأنسب لان المطيـة لا ترث وتستصحب كما جاء في كلام العرب

ان الحمار مع الحمار مطية * واذا خلوت به فبئس الصاحب

وأصل ذلك ان الصحبة في الاصل مجرد الاجتماع وأماشدة المخالطة والمـداخلة فصداقة (وخرج يوما) في سـفر مع قوم فافضت به الطريق الى مسـلكين أحدهـما يمر برهط ليلى ولـكنه يزيد مرحلة فتقـدم الى القوم وسألهم ان يسلكوها أو يمكثوا له حتى يرجع فابوا عليـه فقال أنشدكم الله لو ان شخصا تحرم بكم فضل بعيره اكنتم تسعفونه قالوا نعم فقال ان ليلى لاعظم من ذلك وأنشد

أأترك ليـلى ليس بيني وبينها * سوى ليـلة اني اذن لصبور
هبوني امرأ منكم أضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المبرور أعظم حرمة * على صاحب من ان يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها * اذا وليت حكما علي تجور

(واستنشد شخصا) عن عروة بن حزام فاخبره بحاله وانه مات براحة فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله في العشق وأنشد

عجبت لعروة العذرى امسى * احاديثا لقوم بعد قوم
وعـروة مات موتا مستريحا * وها انا ذا أموت كل يوم

ولما اشـتهر امرهما في العرب وشاع شعره فيها منعه اهلها الزيارة وكان في حي ليلى امرأة من بني عامر قـد تزوجها رجل من قريش ومات عنها وقـد ترك لها صبية فكان يأتيها المجنون يتعرف منها اخبار ليلى فبلغ اهلها ذلك فزجروا المرأة وجاء المجنون فاخبرته فانشد

(وقال ابن قرناص)
علقته تربا
يشجي القلوب بينه
لا يرتجى الجود منه
بالوصل من ضيق عينه
(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)
بهت العذول وقد رأى الحاظه
تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى
هذى مضايق لست ادخل فيها
(وقال الشيخ صفي الدين الحلي)
لي منهم رشا اذا غازلته
كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقاني بخلق واسع
عند اللقاء نهاه طرف ضيق
(حكى) الخرائطي عن بعض العلويين قال بينما انا واقف على الحسن ابن هانئ وهو ينشد
ويلي على كحل العيو
ن النهد الضمر البطون
الناطقات على الضمير
ولنا بألسنة الجفون
فوقف عليه أعرابي ومعه ابن له فقال أعد علي فاعاد عليـه فقال يا ابن اخي اويلك انت وحـدك من هذا ويلي انا وانت وويل ابي هذا وويل هذه الجماعـة وويل جيراننا كلهم (وقال سبط التعاويذى)
بين السيوف وعينه مشاركة
من اجلها قيل للاغماد اجفان
(وقال رشيد الدين الفارقي)
٩ تر ل ن في عينك معنى * حدث الترجس عنه ابت لي من غضه سهـمـا في قلبي منه (وقال محمد بن العفيف التلمساني) لحاظك اسياف ذكور فما لها * كما زعموا مثل الارامل تغزل (وله أيضا) يا عاشقين حاذروا *

ميتسماعن ثغرة فطرفه الساحر مسد * شككتم في أمره يريدان يخرجكم * من ارضكم بسحره
(وقال أيضا) قضاة الحسن ماضني يطرف * تمنى مثله الرشأ الربيب رمى فاصاب قلبي باجتهاد

متمثلا بيت امرئ القيس وضم اليه ثانياله

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فلا تزجريني عنك خيفة كاشح * اذا قال شرا أو أخيف لبيب

ثم تركها وكان يأتي غفلات الحي فلما علم أبوها بذلك شكوه الى مروان فكتب الى عامله يهدر دمه اذا وجد عند ليلى فقر وأعلمه ذلك فانشد

لئن حجبت ليلى وآلى أميرها * على يمينا جاهدا لا أزورها
واوعدني فيها رجال ابوهم * أبي وأبوها اخشنت لي صدورها
على غير شئ غير اني أحبها * وان فؤادي عند ليلى أسيرها

ولما يئس من زيارتها قلق لذلك قلقا ادى لزوال عقله فهام على وجهه يلعب بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها وانها جزعت لذلك جزعا ادى الى سقمها فحج بها اهلها فرآها ثقفي فخطبها اليهم فاجابوا بعد ان ردوا جماعة ونعي الى المجنون ذلك فانشد

الا ان ليلى العامرية اصبحت * تقطع الا من ثقيف حبالها
هم حبسوها محبس البدن وابتغى * بها المال اقوام ألا قل مالها
اذا ما التفت والعيس صفر من الثرى * من العين جلى عبرة العين حالها

هذا ما تظافرت به الاخبار وفي رواية الا ان ليلى العامرية اصبحت وفيها والعيس صفر من البكا وقد حرف هذا البيت وفي رواية الاغاني لقد حبسوها محبس البدن وفي أخرى بعده

خليلي هل من حيلة تعلمانها * فيدني بها تكليم ليلى احتيالها
فان انتما لم تعلماها فلستما * باول باغ حاجة لاينالها
كان مع الركب الذين اغتدوا بها * غمامة صيف زعزعتها شمالها
نظرت بمفضى سيل حوضين والضحى * تحث باطراف المخارم آلها
بمهلة الاجفان هيج شوقها * مجامعة الآلاف ثم زيالها
اذا التفتت من خلفها وهي تعتلي * على العيس جلى عبرة العين حالها

وحين تحقق عنده تزويجها انشد

دعوت الهي دعوة ماجهلتها * وربي بما تخفي الصدور خبير
لئن كان يهدي برد انيابها العلا * لافقر مني انني لفقير
فقد شاعت الاخبار ان قد تزوجت * فهل يأتيني بالطلاق بشير

وجعل يمر ببيتها فلا ينظر اليه فانشد

الا ايها البيت الذي لا ازوره * وان حله شخص الي حبيب
هجرتك اشفاقا وزرتك خائفا * وفيك علي الدهر منك رقيب
سأستعتب الايام فيك لعلها * بيوم سرور في الزمان تؤوب

صدقتم كل مجتهد مصيب

(وقلت أنا من قصيد)

حبيب نازل في كل قلب
وسيف لحاظه يهوى النزالا
يرى قتل المحب بلا دليل
ولا سيما اذا ابدى الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه
رأيت الموت من ماضيه سالا

(وقلت أيضا من قصيد)

تغار الشمس منها حين تبدو
كغصن البان في خضر البرود
باطراف من الحنا حمر
والحاظ كبيض الهند سود

(وقلت أيضا من قصيد)

آلت لواحظه على اهل الهوى
ان لا ترى قتلا بغير مهند
يرنو وصارم لحظه في جفنه
ماضي الغرار ولم يمس بمغمد
فاذا تجرد للمحب فلا تسل
عن سيف جفن كالحسام مجرد

(وقلت أيضا من قصيدة)

غزال غزاني باللحاظ لانه
اذا ما بدا في حومة الحرب ضيغم
تكلمني الحاظه بسيوفها
ولم ترقبلي ميتا يتكلم

(وقلت من قصيدة)

تسل سيوفا من لواحظ طرفها
ولكن لها من عادة الجفن غامد
تجردها والدمع كالنيل سائح
فانثني الاوسيحان جامد

(وقلت أيضا من قصيد)

يرنو الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان امير حسن من الاتراك حاجبه * وافردت
على المحب له في مصر سلطان غزت لواحظه في أهل مصر كما * غزا الامام بأرض الشام غازان واما الجور فقد اختلف

الناس فيه فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين فى شدة سواد سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين ام كبرت

وأفردت افراد الطريد وباعدت * بى النفس حاجات وهن قريب
لئن حال واش دون ليلى لربما * أتى اليأس دون الامر فهو عصيب
ومنيتنى حتى اذا ما رأيتنى * على شرف للناظرين يريب
صددت وأشمت العدو بصرمنا * أثابك يا ليلى الجزاء مثيب

والبيتان الاولان لمحمد بن أمية هذا ما قاله والصحيح ان البيت الاول للمجنون ذكر ذلك فى النزهة واقره فى تسريح الناظر غير انه قال فى الثانى والثالث انهما ليسا للمجنون وفيه وفى رواية هنا * بيوم سرور فى الزمان تشوب * والمعنى واحد وبقى ابيات من هذه القصيدة اخرتها الان لها حكاية وحين بلغه نقلها الى الثقفى انشد

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح
فلا فى الليل نالت ما ترجى * ولا فى الصبح كان لها براح

وفى تسريح الناظر عن الامالى قال اجتمع الى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهبوا به حين بنى الثقفى بليلى فعزموا على ان يسافروا به متنزهين فى احياء العرب ليذهب ما به فساروا وهو معهم تعاوده الصحة دورا والجنون دورا وهم يردون كل منتزه و يعرضون عليه من بنات العرب كل من اجمع على حسنها وانهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه فرأوه وقد ذهب فركب ابن عم له فى طلبه فرآه عنده شرعة و بين يديه ظبية لاحو الشبها وهو يمسح عنها التراب و يقبلها و يبكى هذا ما فى تسريح الناظر زاد فى نزهة المشتاق انه كان ينشد

أيا شبه ليلى لا تخافين اننى * لك اليوم من وحشية لصديق

فقال له اذهب بنا فلم يجب فقال اذهب لغمر بليلى فقام معه فلما جاء الى اصحابه جلس متفكرا لا يخاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبت نسمة وابرق برق مما يلى حى ثقيف فأنشد

طربت وشاقتك الحمول الدوامع * غداة دعا بالبين اسفع نازع
شحاه نعيا بالفراق كأنه * حريب سليب نازح الدار جازع
فقلت الا قد بين الامر فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سقيت سماما من غراب فاننى * تبينت ما أخبرت اذ هو واقع
* ألم تر أنى لا محب الومه * ولا يبدل بعدهم انا قانع
ألم تر دار الحى فى رونق الضحى * بحيث انحنت للهضبتين الاجارع
وقد يتنائى الالف من بعد صحبة * ويصدع ما بين الخليلين صادع
وكم من هوى أو جيرة قد الفتهم * زمانا فلم يمنعهم البين مانع
كانى غداة البين ميت حوية * اخو ظما سدت عليه المشارع
يخلص من أوصال ماء صبابة * فلا الشرب مبذول ولا هو ناقع

وقال أبو عمرو الظبية الحوراء السوداء العين التى ليس فى عينها بياض ولا يكون هذا فى الانس انما يكون فى الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب وابو عبيدة لانهم انما يوقعونه فى الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين الامع شدة سوادها لان بياضها مع الزرقة ليس هنالك فى النقاء وقد أكثر الشعراء فى وصف العين بالحور والسواد وقل فى شعرهم وصف العين الزرقاء على انها جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الزرقة فى العين يمن (وقال بعض العرب)

احبك ان قالوا بعينك زرقة * كذاك عتاق الطير زرق عيونها

ومن هنا أخذ العبدى قوله حين قال له معاويه انك احمر فقال والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازى ازرق

* (الباب الخامس فى ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة وجل وحمرة خجل وما فى معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان) *

اقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لونى المحبين اذا وقعت العين فى العين وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال له الحاجر الى اين وقد نصت الاطباء على السبب فى ذلك وجلوا من اصفرار المحب واحمرار المحبوب سواد كل حالك وانا اورد هنا ما قالوه بنصه واصوغه كالخاتم بفصه واعقبه بذكر الوان الحسان بأحسن بيان واوضح تبيان هذا مع ما يجر فى ذيل ذلك من التفضيل بين السمر والبيض ووقوع حب السمان

وبيض تطلى بالعبير كأنها * نعاج الفلا جيبت عليها البراقع

تحملن من وادي الاراك وأومضت * لهن باطراف العيون المسرانع

فاجتن ربع الدار حتى تشابهت * هجاتها والجون منها الجوامع

وحتى حلن الجور من كل جانب * وخاضت صدور الرقم منها الاكارع

فلما استوت تحت الخدود وقد جرى * عبير ومسك بالعرانين رادع

اشرن بان حثوا الجمال فقد بدا * من الصيف يوم لافح الظل مانع

فلما لحقنا بالحمول تباشرت * بنا مقصرات غاب عنها المطالع

يعرضن بالدل المليح وان يرد * جناهن مشغوف فهن موانع

فقلت لاصحابي ودمعي مسبل * وقد صدع الشمل المشتت صادع

اليلى بابواب الخدور تعرضت * لعيني أم قرن من الشمس طالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقا شديدا ودخل عليه جماعة وهو أبوه للعيادة فسمعوه ينتحب باشد تحرق وتوجع وينشد

الأيها القلب الذي لج هائما * بليلى وليدا لم تقطع تمائمه

أفق قد أفاق العاشقون وقد آن * لمابك ان تلقى طبيبا تلائمه

فمالك مسلوب العزاء كانما * ترى نأى ليلى مغرما انت غارمه

اجدك لاينسيك ليلى ملمة * تلم ولاينسيك عهدا تقادمه

فاستتروا حتى أتم نشيده ودخلوا عليه فحادثوه فى السلو فزاد فى الهيام ولما عوفى جعل يعاود موضعها ويتمرغ فى التراب ويبكى الى الليل وعزم على التوحش والخروج فراجع ابن عم له فى ذلك فكان يعزم عليه ان لايفعل ويشاغله الى أن بلغه ان ليلى دخلت الى جارة لها فنضت اثوابها واغتسلت ونظرت الى نفسها وقالت ويح ابن الملوح لقد علق بي عظيما على غير استحقاق فانشدتك الله اصادق هو فى وصفى أم كاذب فقالت بل صادق ثم خرجت من عندها وعادت لاخذ سوالك نسيته فلما صار فى يدها قالت سقى الله من اعطانيه فقالت لها جارتها ومن اعطاكيه قالت قيس فخرج هائما وانشد

نبئت ليلى وقد كانت بخيلها * قالت سقى الله منه منزلا تربا

قالت لجارتها يوما تسائلها * لما استحمت والقت عندها السلبا

ياحبذا راكبا كانم مثله * يهدى لنا من أراك الموسم القضبا

ناشدتك الله الاقلت صادقة * اصادق وصفه المجنون أم كذبا

وقيل انما كان خروجه من نظره اليها يوم رحلها زوجها أو قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء ان يسكن مابه فزاغ واخشى قومه ان يفتضح فيقتل لما تقدم من انه كان قد هدر دمه ان دخل الحى وحذر فقال الموت أولى وخرج على وجهه * وعن الهذلى عن رجل من بنى عامر وهو رباح بن سعد بن اثالة قال خرجت اثر

من الشعور والارداف فى الطويل العريض واختم ذلك بفصل فى ذكر مايعترى المحب من خفقان قلبه وطيران عقله ولبه فاقول وبالله التوفيق (قال بعض الاطباء) سبب اصفرار وجه العاشق الذرع فان الدم لايأوى مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجأة فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت برد التامور فاذا برد التامور جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل عرض من حركة تامور القلب فيحمل الدم وتلطفه فيظهر فى أرق مكان فى الوجه وذلك عند مصابة الحرارة العرضية ومجاهدتها الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهى الى تحت الرأس فيمنعه الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يدون تلونه من رقته قال الشاعر

حمرة خلط صفرة فى بياض

مثل ماحاك حائك ديباجا

وقالوا حمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة وصفرة لونه يولدها الفزع والبؤس والغم والسقم واما احسن الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه وافضل الياقوت والخمر الاحمر واجود الذهب احمره وافضل العسل الذهبي والياقوتى وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم الخيل اشقرها وهى ديباجها واكرم الابل حمرها وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لوان لى حمر النعم ولوان لى طلاع الارض ذهبا سماء

واحسن الانوار الورد والشقائق والجلنار واحسن الحلل المصبوغة المعصفرة واحسنها ما كان صبغة القرمز واحسن

سماء اربعنا بها واحييت الارض بعد الجدب فبينا أنا بوادى القرى أو الغيل اذلاح لى شخص الى جانب حجر يبكى فقصدته وسلمت عليه واذا هو المجنون فقلت ما يبكيك فقال هذا السيل ثم تنفس الصعداء ثم أنشد الابيات التى وعدنا بها وهى تمام القصيدة التى أولها الا أيها البيت وقيل انه أنشد القصيدة كاملة فى هذا الوقت وفى النزهة ان خالد بن كلثوم ضم هذه الى تلك من عند نفسه والا فالمجنون لم ينشدها الا متفرقة وهى

بجرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى غروب

وما ذاك الا حين ايقنت انه * يكون بواد أنت منه قريب

يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب

فيا ساكنى أكناف نخلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب

أظل غريب الدار فى أرض عامر * الى كل مهجور هناك غريب

وان الكئيب الفرد من أين الحمى * الىّ وان لم آته لحبيب *

ولا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر * حبيبا ولم يطرق اليك حبيب

وقيل ان آخر مجالس للمجنون من ليلى انه لما اختلط عقله ومزق ما عليه وتوحش جاءت أمه اليها فاخبرتها بذلك وسألتها ان تزوره فعساها ان تخفف ما به فقالت اما نهارا فتعذر خيفة أهلى وسآتيه ليلا فلما أمكنتها الفرصة أتته وهو مطرق يهذى فسلمت عليه ثم قالت له

أخبرت انك من أجلى جننت وقد * فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع الانسان فى الحين

زاد عليها فى نديم المسامرة

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمى * وكيف تسهر عينى لم تلومينى

ثم فارقته فهام من ثم مع الوحش وقيل سئل عن سبب خروجه فقال لقيتها وما اشتكيت اليها ما نزل بى من حبها وقلت ان لم ترحمينى ذهب عقلى فقالت هو المطلوب فهمت لمرادها وقيل كان هيمانه مقاصة لقوله

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا

ثم ان الاسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دلت على انها كانت من الغرام به والميل اليه أيضا بمنزلة عظيمة حكى رباح بن عامر وكان من الحريشيين قال دخلت من نجد أريد الشام فاصابنى مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لى فاذا بامرأة فسألتها التظليل فاشارت الى ناحية فدخلت وقد أقبل رعاة وابل وغنم كثيرة ثم قالت للعبيد سلوه من أين الرجل فقلت من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت بمن فيها فقلت ببنى الحريش وفى رواية ببنى

الحمر الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعبقر واحسن الالوان المخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب ابالهب وكان يكنى قبل ذلك اباعتبة لانه كان من أحسن الناس وجها وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق الوجه متلهبه كما كنى النبى صلى الله عليه وسلم ابا المهلب اباصفرة لصفرة كانت فى وجهه ويقال فى المثل كأن وجهه النار وكأن فى وجنته الجمر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اهلك الرجال الاحمران وأهلك النساء الاحامرة والاحمران الخمر واللحم والاحامرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين وماطلى * بالزعفران فلا ازال مروعا

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه الطائر الاحمر وقال وهب ابن عبد الله ما رأيت ذا لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال المتنبى

من الجآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(وأما قول الشاعر)

هجان عليها حمرة فى بياضها * تروق به العينين والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال ابن عبد ربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة لطول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب (قال اعرابى)

كأن لون البيض فى الادحى * وما انسلت عن صفراء حالية * كالعاج صفرها الاكنان والطيب (وقال آخر)
لونك لولا صفرة الجاوى * يريد انها تتضمخ بالجاوى وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء

جعدة فرفعت ستارة كانت بيننا واذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت اتعرف رجلا فيهم يقال له قيس ويلقب بالمجنون قلت اى والله سرت مع أبيه حتى أوقفنى عليه وهو مع الوحش لا يعقل الا ان ذكرت له ليلى فبكت حتى اغمى عليها فقلت م تبكين ولم اقل الا خيرا فقالت أنا والله ليلى المشؤمة عليه غير المساعدة له أو قالت غير المكافئة أو المواسية له ثم أنشدت

ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسى من لا يستقل برحله * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

ولما أيس من ليلى حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه اجمع قومه ان يتقدموا الى أبيه فى حمله الى مكة فلعل الله ان يخفف عنه ففعل وسار معه ابن عمه زياد بن كعب فمروا بحمامة على دوحة تنوح فوقف المجنون صاغيا لها وتخلف معه ابن عمه فقال له سر بنا فقد ابعد الرفاق فتنفس الصعداء وانشد

أأن هتفت يوما بواد حمامة * بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعد ما غابت الضحى * فهاج لك الاحزان ان ناح طائر
تغنى الضحى والصبح فى مرجحنة * كثاف الاعالى تحتها الماء حائر
كأن لم يكن بالغيل او بطن ايكة * أو الجزع من قول الاشاءة حاضر
يقول زياد اذ رأى الحى هجروا * ارى الحى قد ساروا فهل انت سائر
وانى وان غال التقدم حاجتى * ملم على اوطان ليلى فناظر

ودخل مكة فنظر الى الناس وهم يدعون ربهم محرمين فانشد

دعا المحرمون الله يستغفرونه * بمكة وهنا ان تمحى ذنوبها
وناديت ان يارب اول سؤلتى * لنفسى ليلى ثم انت حسيبها
فان اعط ليلى فى حياتى لا يتب * الى الله خلق توبة لا اتوبها

فزجره ابوه عن ذلك وامره ان يدعو الله ان ينسيه ذكرها واخذه حتى امسكه استار الكعبة ثم قال له قل اللهم انسنى ذكرها وامح من قلبى حبها فقال اللهم امتعنى بها وارزقنى حبها وزدنى بها كلفا وفيها تلفا وانشد مكملا للابيات السابقة

يقر لعينى قربها ويزيدنى * بها عجبا من كان عندى يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمى * باول نفس غاب عنها حبيبها

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفا يهتف بليلى فخر مغشيا عليه الى الصباح ثم افاق متغيرا حائل اللون وانشد

عرضت على نفسى العزاء فقيل لى * من الآن فايأس لا اعزك من صبر
اذا بان من تهوى واصبح نائيا * فلا شئ اجدى من سلوك فى القبر

تتلون تلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشاء صفراء (قال الشاعر) بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالبهار (وقال بشار بن برد) تخذى محاسن زينة 70 * ومعصفرات من أنفر فاذا بلغنا فادخلى * فى الحمرات الحسن أحمر

وقال الحريرى فى درة الغواص اما قولهم الحسن احمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمار منها الوجه كما قالوا للسنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل

واذا رأت عيناك طرفا اسودا
فاعلم بأن هناك موتا أحمرا

واحسن زينة النساء فى أجسادهن الخضاب ولذلك اطنبت فيه الشعراء وشبهوه بالعناب وغير ذلك (قال أبو نواس فيه)

يا قمرا أبصرت فى مأتم
يندب شجوا بين اتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس
ويلطم الورد بعناب

(وقال ابن عكاشة)

من كف جارية كأن بنانها
من فضة قد طوقت عنابا

(وما أحسن قول الواوا الدمشقى)

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

(وقال) المرزبانى قال لى ابن دريد سهرت ليلة فلما كان آخر الليل اغمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى الباب وقال أنشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد شيأ فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال انا ابن ناجية من أهل الشام (وانشدنى)

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * وداع
بدت بين ثوبى نرجس وشقائق * حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج احزان الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكانما * اطار بليلى طائرا كان فى صدرى

دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه * وليلى بارض عنه نازحة قفر

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة فجعل يقتات بعشب البر حتى طالت اظفاره وغطاه شعره فالفته الوحوش فكان يرد الماء معها ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى اقواما وارضا ينكرها فيقول اين جبل توباد من بنى عامر وهو جبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم فيقولون له اين انت من توباد ويعرضون عليه الثياب والطعام فيأبى ويقول دلونى عليه فيرحمونه ويقولون له اتبع نجم كذا بوصلك اليه فيمضى حتى يقع باليمن فيكون له مثل ذلك الى ان يظفر احيانا بالجبل فينشد حين ينظره

واجهشت للتوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى

واذريت دمع العين لما عرفته * ونادى باعلى صوته فدعانى

فقلت له قد كان حولك جيرة * وعهدى بذاك الصرم منذ زمان

وقلت له اين الذين عهدتهم * بقربك فى حفظ وطيب امان

فقال مضوا واستودعونى ديارهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

وانى لابكى اليوم من حذرى غدا * فراقك والحيان مؤتلفان

سجالا وتهتانا ووبلا وديمة * وسحا وتسجالا وتهملان

وعن فتى من قيس أوهو رباح بن مالك قال لما أخذ المجنون الى مكة للاستشفاء كما مر رت يوما واذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقد همّ أن يلقى نفسه من جبل فسألت عنه فاذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا نجد فقلت علام تحبسونه قالوا نخاف ان يجنى على نفسه ولو تقدمت اليه فاخبرته انك من نجد لسكنت روعه ففعلت فجعل يسألنى عن موضع موضع و يبكى أحر بكاء ثم أنشد

ألا حبذا نجد وطيب ترابها * وارواحها ان كان نجد على العهد

ألا ليت شعرى عن عوير ضتى قبا * اطول الليالى قد تغير بابعدى

وعن جارتينا بالنخيل الى الحمى * على عهدنا أم لم يدوما على العهد

وعن علويات الرياح اذا جرت * بريح الخزامى هل تهب على نجد

وعن اقحوان الرمل ماهو صانع * اذا هو اثرى ليلة بثرى جعد

وهل اسمعن الدهر اصوات هجمة * تطالع من وهد خصيب الى وهد

وهل انفضن الدهر افنان لمتى * على لاحق المتنين مندلق الوخد

ومر يوما على جبلى نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما فاصل يسير فقال لرفقة معه هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به ليلى قال فأى الرياح تهب منه

فقلت اساءت الترتيب فقال ولم قلت لانك قلت وحمرا فقدمت الحمراء ثم قلت بين ثوبى نرجس وشقائق فاخرت الحمرة فهلا قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء فى هذا الوقت يابغيض ثم انصرف (وقال المتنبى)

قالت وقد رأت اصفرارى من به
وتنهدت فاجبتها المتنهد

(اخذه الآخر فقال)

قالت لترب معها منكرة
لو فقى هذا الذى نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم
قالت بمن قالت بمن قالت بمن

(وقال ابن النبيه)

وفى الكلة الحمراء بيضاء طفلة
بزرق عيون السمر يحمى احورارها

(وقال) عماد الدين ابن دبوقا من ابيات

ارى العقد فى ثغره محكما
يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها
رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعى غدا احمرا
على آس عارضك الاخضر
وبعث رشادى بغى الهوى
لاجلك ياطلعة المشترى

(وقلت انا من قصيد)

لعمرك لا زيد يكون ولا عمرو
ولا ثغر الادون تقبيله ثغر
ولا بيض الا اسود حظى عندها
ولا سمر الادون أعطافها السمر

(وقال بدر الدين بن المحدث)

يصفر لونى حين انظر وجنة
منها تعلم حسنه الورد الجنى
يفنى الزمان وليس يفنى حبه
وقد انحنيت وما اراه ينحنى

(حكى) عن ابى أيوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على أمير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف اقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف

قال تؤخذ بقية فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طردت من هنا إلى هذا وصحت وإن علوت حائط

دار كنت فيها سنين طردت منها وتركتها وصرت إلى غيرها وأما أنا فأوخذ من الجبال وقد كبرت فخاط عيناي وأطعم الشيء اليسير وأساهر فأمنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد وحدي فأطير إليه وآخذه وأجيء إلى صاحبي فقال له الديك ذهبت عنك الحجة أما والله لو رأيت بازيين في سفود ما عدت إليهم أبدا وأنا في كل يوم أرى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا مني عند طلبه لكم (قلت) والذي هرب منه وقع فيه على الصحيح الأشهر ولم يزل يصفر منه حتى أذاقه الموت الأحمر هذا بعد أن أخذ أمواله وتركه في أسوأ حالة (حكي) أنه كان يدهن حاجبيه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه إذا رآه حتى ضرب به المثل فقيل أدهن من أبي أيوب وما أفاده ذلك شيئا لأنه فعل به ما فعل وقابله بما ليس له به قبل

(فصل في التفضيل بين البيض والسود والسمر ذوات النهود)

وهذا النوع الأخير مما يميل إليه المصريون في الغالب والناس فيما يعشقون مذاهب (فمما قيل في تفضيل السمر)

لا أعشق الأبيض المنفوخ من سمن * لكنني أعشق السمر المهازيلا
إني امرؤ أركب المهر المضمر في * يوم الرهان فدعني واركب الفيلا

(وقال علي بن الجهم)

وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذي محك
قولوا له دعنا ما تستحي * من جعلك الكافور كالمسك

(وقال أبو جعفر الشطرنجي)

فياظبي

قالوا الصبا فخاف لا يبرح من مكانه حتى تهب فمضوا وتركوه ثم عادوا بعد ثلاث فأقاموا معه حتى هبت فأنشد

أيا جبلي نعمان بالله خليا * سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة * على كبد لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

قلت قال في النزهة بعد ذكر هذه الأبيات إن أبا الفرج بن الجوزي تزوج امرأة اسمها نسيم الصبا فأقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فأبت عليه وطال بينهما الأمر واتفق أن حضرت مجلس وعظه يوما فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين فتنفس الصعداء وأنشد أيا جبلي نعمان الأبيات فاستحيت ثم ذهبت وقد أخذتها الرقة له فشكت لبعض النساء ذلك فمضين فأخبرنه فراسلها فأجابت فتزوج بها ومر يوما بعد ما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشيا عليه فأخذه بعض قومها فمسح عنه التراب وسألوها أن تكلمه رقة عليه فاستعذرت من الخوف فأرسلت امرأة تأمنها بالسلام والاستعطاف والاستعذار وأنها لولا الخوف لأتته فلما بلغته المرأة ذلك ثاب إليه عقله وأنشد

أقول لأصحابي هي الشمس ضوؤها * قريب ولكن في تناولها بعد
لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة * على كبدي من طيب أرواحها برد
فما زلت مغشيا علي وقد مضت * أناة ولا عندي جواب ولا رد
أقلب بالأيدي وأهلي تعولني * يفدونني لو يستطيعون أن يفدوا
ولم يبق إلا الجلد والعظم عاريا * ولا عظم لي إن دام ما بي ولا جلد
أدنياي مالي في انقطاعي وغربتي * إليك ثوابا منك دين ولا نقد
عديني بنفسي أنت وعدا فربما * جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتي * ولا مثل وجدي في الشقاء بكم وجد
غزتني جنود الحب من كل جانب * إذا حان من جند قفول أتى جند

وسئل يوما وهو حاضر من الغمرة ما أحسن ما رأيت قال ليلى فقيل له ذلك معلوم وإنما نعني غيرها فقال ما رأيت شيئا غيرها وذكرتها إلا سقط من عيني إلا الظبيا رأيته يوما فذكرت ليلى فزاد في عيني حسنا فانطلقت أعدو خلفه حتى كل رجلاي وغاب عن عيني فأخذت راحتي ثم انطلقت حتى وجدته وقد فتك به ذئب فأخذت سهما وضربت به الذئب فلم يخط قلبه فشققت بطنه وأخرجت ما أكل فضممته إلى ما بقي من الظبي ودفنته وأنشد

أبى الله أن يبقى لحي بشاشة * فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا
رأيت غزالا يرتعي وسط روضة * فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا

اشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعده لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده (وقال الشريف الرضي في تفضيل السود) احبك يا لون السواد فانني * رأيتك في العينين والقلب توأما وما كان سهم العين لولا سوادها * ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبي ألمى فلا تلم * جنوني على الظبي الذي كله لما

(وقال مسلمة)

لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنها في سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * اني أهيم بشخص كله خال

(وقال ابن رشيق)

دعا بك الحسن فاستجيبي * يا مسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي * تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كقلة الشادن الربيب

(وقال آخر)

وان سواد العين في العين نورها * وما لبياض العين نور فيعلم

(وقد ذكرت) بقية ما قيل في هذا النوع من المقاطيع الحسان في السكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله * وأما ما قيل في تفضيل البيض على السود فاكثر من ان يذكر له شاهد او يعتمد اليه ساعد المساعد قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه امرهم ذمه (قال كشاجم)

يا مشبها في فعله لونه * لم تعد ما أوجبت القسمه
خالك من خالك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

وأما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم * عند صاحب كل منثور ومنظوم (قال الشاعر)

وأنت التي حببت كل قصيرة * الي ولم تشعر بذاك القصائر

فيا ظبي كل رغدا هنيئا ولا تخف * فانك لي جار ولا ترهب الدهرا
وعندي لكم حصن حصين وصارم * حسام اذا اعملته احسن العبرا
فما راعني الا الذئب قد انتحى * فاعلق في احشائه الناب والظفرا
فبوأت سهمي في كتوم غمزتها * فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا
فاذهب غيظي قتله وشفى جوى * بقلبي ان الحر قد يدرك الوترا

واجتمع اليه النساء يوما فقلن له اما آن لك ان تصرف عنك هوى ليلى ابرد اليك عقلك فانها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية فاختر احدانا فقال لو ملكت انفعلت ولكني مغلوب فقلن ما أعجبك منها قال كل شيء رأيته وسمعته فقلن صفها فانشد

بيضاء خالصة البياض كانها * قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء تعرب عن سواد الاثمد
خود اذا ذكر الكرام رأيتها * تحمي الحمى واذا تكلم تقصد

وقال له رجل من قومه اني قاصد حي ليلى فهل عندك شيء تقوله لها قال نعم انشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله يعلم ان النفس قد هلكت * باليأس منك ولكني امنيها
منيتك النفس حتى قد اضر بها * وابصرت خلفا مما امنيها
وساعة منك الهوها ولو قصرت * اشهى الي من الدنيا وما فيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما امكنتني الفرصة انشدت بحيث تسمع الابيات فبكت حتى غشي عليها ثم قالت ابلغه عني السلام وانشده

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت اذا * ما كان غيرك يجزيها ويرضيها
صبرا على ما قضاه الله فيك على * مرارة في اصطباري عنك اخفيها

قال الرجل فلما بلغته ذلك بكى حتى غشي عليه ثم افاق وهو يقول عجبت لعروة العذري البيتين السابقين في صدر القصة ولما أيس اهله منه وخالط الوحوش اخذوا يحتالون على اصلاحه فقال ابوه يوما لشخص اريد ان تقربه فتذكر له ليلى وانك من عندها وانها تذكره كثيرا فاذا أعطاك سمعه وتمكنت منه فاذكر له انها تشتمه وتنتقصه فعساه يداخله كرهها قال الرجل فمضيت حتى اجتمعت به واعلمته بذلك حتى ذكرت انها تشتمه فانشد

عمر الله يا صاحبا كن ذي الغضى * وبي صدع قلبي ان يهب هبوبها
اذا هبت الريح الشمال فانما * جواي بما تهدي الي جنوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها
وحسب الليالي ان طرحنك مطرحا * بدار قلى تمسي وانت غريبها

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا * هنيئا ومغفور لليلى ذنوبها

هذا ما ذكر في الاصل وانكر في النزهة ذلك وقال ان ابا المجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق وفي تسريح الناظر أن الذى امر الرجل بذلك زياد بن كعب احد بني عم المجنون وهو الاوجه وقيل للمجنون يوما اتحب ليلى قال نعم حبا خالط الدم وبازج الاعضاء قيل فما يغني حبك اياها وهى مريضة وانت لا تعودها فتنفس الصعداء وانشد

يقولون ليلى بالصفاح مريضة * فماذا الذى يغني وانت صديق
شفى الله مرضى بالصفاح فانني * على كل شاك بالصفاح شفيق

وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخرمة وكان واليا على الصدقات من قبل مروان او عبد الملك وله صحبة عند الذهبي قال قدمت على بني عامر لاخذ اموال الصدقة فرأيت شخصا عاريا يلعب بالتراب فأمرت له بثوب فقيل لي لو كان يلبس لكان في مال أبيه كفاية فانه سيد الحي ولكنه قد تولع بحب امرأة فسيرته هكذا قال فتقدمت اليه وكلمته فلم يعقل فقيل لي ان أردت أن يفهم ما تقول فاذكر له ليلى فقلت أتحب ليلى قال نعم فقلت له أتريد أن أزوجك بها قال أو يمكن ذلك قلت نعم فقال يا ابن جميل لو أن أهل الارض شكروا لمثلى لم يفوا فعند ذلك قام فلبس ثيابه وأقام معه يوعده الى يوم يجتمع اهلها فهم ليأخذه فأخبروه بأهدار السلطان دمه ان صرفه وقيل هموا بقتاله ان صرفه انما كان خوف الفتنة فقال المجنون له والله انك لم تف بالوعد ثم مزق ما عليه وانصرف وفي الكتاب ما يشعر بان القصة مع محمد بن نوفل وليس كذلك والمستعرف من ان نوفلا لم يزل من ذلك اليوم متطالبا لاخبار المجنون جامعا لاشعاره وأنه قدم سنة من السنين يسأل عنه فقالوا لم نعرف له خبرا فركب في طلبه حتى لاح له وراء اراكة بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فحمد نوفل الشجرة مختفيا وشربت الظباء وانصرفت فوثب المجنون يرعى هذا ما في الاصل وفي نزهة المشتاق انه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفا وشكا ما به الى شيخ كبير في بني سعد فقال له الشيخ ان للمجنون داية يألفها وانما تحمل له الطعام والخبز احيانا فيأكل منها ولو صحبتها لامكن أن تظفر به فقيل فهرب المجنون منهما فرجع وأخبر الشيخ فقال له الشيخ قد قرأت في سالف الاخبار ان سلطانا قال لوزيره اخبرني عن أعظم رائحة وأقوى لذة وأشد حافر على الارض وقد امهلتك ثلاثا فان لم تجب جلالتك بالسيف فمضى مهموما وكان له ابنة قد اتخذت قصرا منتوسا الى الاربع جهات على قارعة الطريق للنزهة فلما رأت ما بابيها استعطفته حتى أخبرها فاستسهلت الامر وقالت له اذا عدت اليه من الغد فأخبره ان أقوى رائحة رائحة الخبز وأعظم الاشياء لذة الجماع وأشد حافر على الارض البغال فلما أعلمه قال له اخبرني من أين لك ذلك فصدقه الامر فاستحضر البنت وقال لها انت لتخبريني عن تعليل ذلك والا ضربت عنقك فانك بكر لم تعلمي أحوال النساء ولا لذة الجماع فقالت أيد الله الملك ان قصرى منفتح للاهوية فلم أجد من لدن

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر والبحاتر هن القصار الغلاظ (وقال بعض السلف) جعل الله البهاء والهوج مع الطوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما بين ذلك * وما أظرف قول الشريف الناسخ

واحربا من هوى قصيرة
في الارض منها ألف قامه
اذا رنا الى الخلاف طرفها
قال القفايا كاتب السلامه

وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمنة نصف الحسن وهو يستر كل عيب في المرأة ويبدى محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره

(فصل في ذكر ما يعترى المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان قلبه وطيران عقله ولبه)

(قال صاحب روضة المحبين) وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه اعظم من سلطان الرعية فاذا رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجأه المعظم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقي وجداني وان لم يعرف سببه ومن أحسن ما قيل في الاعتذار عن خفقان القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الخطيرى

يقول لي حين وافى * قد نلت ما ترتجيه فالقلب قد جا * خفقه به تريه قطنت
فقلت وملك عرس * والقلب يرقص فيه (ومثله قول الآخر) لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدى حاضر

ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر (وما احسن قول ابن سنا الملك)

اهان على ما ألقى برهطك ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

قطنت به رائحة يتكيف بها الهواء أعظم من الخبز ولم يتحرك بجدار القصر من شئ غير البغال وأما الجماع فانى أخذته من شدة ألم الوضع وما شاهدت من مقاساة النساء فيه فلو لم يكن الجماع أعظم لذة ما عدن اليه والرأى عندى ان تصنع خبزا وتجعله فى طابق يضم بخاره وتفتحه حيث يشمه فانه يقف لبعد عهده به فتذكر له ليلى فيزداد أنسا قال الرجل مضيت وعملت برأى الشيخ وطيبت الخبز بالافاويه حتى اذا أقبل وجته من خلال الاراكة كشفت الخبز وصعدت لتشرب الظباء فشرب ومرن ووقف يشم الرائحة فانشدته من الشجرة

أتبكى على ليلى ونفسك باعدت * مزارك من ليلى وشعبا كما معا

فاندفع يقول

فما حسن أن يأتى الامر طائعا * وتجزع أن داعى الصبابة أجزعا

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * على الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

واذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن يصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع * اليك ولكن خل عينيك تدمعا

معى كل عز قد عصى عاذلاته * بوصل الغوانى من لدن أن ترعرعا

اذا راح يمشى فى الرداءين أسرعت * اليه العيون الناظرات التطلعا

ثم سقط مغشيا عليه فقلت بقوله

يا دار ليلى بسقط الحى قد درست * الا الثمام والا موقد النار

ابلى عظامك بعد اللحم ذكركها * كما ينحت قدح الشوحط البارى

ماتقتؤا الدهر من ليلى تموت كذا * فى موقف وقفته أو على دارى

فرفع رأسه وقال من أنت حياك الله فقلت له نوفل أخبرنى ما صنعت بعدى فانشد الاحبيت ليلى الابيات ثم أخذ يفاوضنى فى الكلام حتى سنح له قطيع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقته فلم أره بعد قلت وفى النزهة انه تطلبه مرة أخرى غير هذه فوجده بين حجرين ميتا فأخذه ودفنه وسيجئ ذكر ما رأى له من الاشعار منقوشا فى التراب أورده آخر القصة على النمط السابق فى غيره ومر برجلين قد اصطادا ظبية وربطاها فعزم عليهما أن يطلقاها فأبيا عليه فأطلقها بشاة من غنمه وأنشد

شريت بكبش شبه ليلى ولو أبوا * لاعطيت مالى من طريف وتالد

فيا بائعى شبها لليلى قتلتما * وجنبتما ما ناله كل عابد

فلو كنتما حرين ما بعتما فتى * شبيها لليلى بيعة المتزايد

واعتقتماها رغبة فى ثوابها * ولم ترغبا فى ناقص غير زائد

وقيل ان الرجلين أخوه وابن عمه وانه أنشدهما متعرضا لحالهما

يا أخوى اللذين اليوم قد أخذا * شبها لليلى بحبل ثم غلاها

الا صى واقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع وبه وبامثاله اقرت الابصار بفضل الاسماع وقال انا موافق لاهل ذلك العصر فى الرد على ابن تقى * اتانى زائرا فحكى الهلالا

اما والله لولا خوف سخطك *

(وقال معين الدين)

لم انسه اذ قال ابن تحانى

حذرا على من الخيال الطارق

فأجبت فى قلبى فقال تعجبا

ارأيت عمرك ساكنا فى خافق

(وقال آخر)

وسكنت قلبا خافقا

ياساكنا فى غير ساكن

(وقال الطغرائى)

مرض النسيم وصح والداء الذى

اشكوه لا يرجى له افراق

هذا خفوق البرق والداء الذى

ضمت عليه جوانحى خفاق

(اورد) ابن الابار فى تحفة القادم

قول ابن تقى من أبيات

حتى اذا مالت به سنة الكرى

زحزحته شيأ وكان معانقى

ابعدته عن اضلع تشتاقه

كى لا ينام على وساد خافق

ثم قال نسب بعض أهل عصرنا

ابن تقى الى الجفاء فى قوله ابعدته

عن اضلع تشتاقه ولو قال

ابعدت عنه اضالعا تشتاقه

لكان أحسن ثم ذكر بعدها ما

فضله على قول ابن تقى المذكور

قول ابن الحكم جعفر بن عثمان

ان كان لا بد من رقاد

فأضلعى هاك عن وسادى

ونم على خفقها هادئا

كالطفل فى هزة المهاد

(وقال) ابن الاثير فى المثل السائر

فى ابيات ابن تقى المذكور وهذا

من الحسن والملاحة بالمكان

وأتبعه صدودا واستطالا * فقلت له تعود فقال لالا * دوام الوصل يورثك الملالا * (الباب السادس في ذكر الغيرة وما فيها من الغيرة وفرع من ذلك الجزء) * أقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب

اني أرى اليوم في اعطاف شاتكما * مشابها أشبهت ليلى خلاها

وانه عرض عليه ما القتل حين أبيا اقلاتهما الا انه كان أجلد منهما وفي رواية فداها بقلوص ولما ذهبت تعدو أنشد أيا شبه ليلى الابيات وزاد هنا

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

وقد وردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفي احداها اصاحبي اللذات وهو أسلم من الزحاف هذا ما تخلص من صحيح أخباره وأما ما قيل من أنه مر بزوج ليلى وهو في حي بني عامر عند ابن عم له يصطلي فوقف على رأسه وأنشد

بربك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى * رفيف الاقحوانة في نداها

فقال أما اذا حلفتني فنعم فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديه وسقط مغشيا عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلى مغموما وما قيل ايضا من أن ابا المجنون طرقه ضيوف ليلا فارسله الى أبي ليلى ليقترض منه سمنا فامرها ابوها ان تخرج اليه بنحى فقعلا وعاء فجعلت تسكب فيه ويتحادثان حتى غرقت ارجلهما وانه جاء ليلة اخرى يستقبسها نارا فخرجت اليه بقصبة فكان يتحدث معها ويقطع من بردعليه يغلف به النار وكلما احترقت قطعة اخذ اخرى حتى صار عريانا فلم يصح اسناده عندنا كقصة غيره ومثل ذلك ما قيل من ان جنونه كان مجازاة لقوله قضاها لغيري اولسماع هاتف أنشده

كلانا مغرم في حب ليلى * بفي وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله واما حال موته فالصحيح ما قدمناه وقيل ان رجلا شاميا كان مغرما باشعاره واشعار قيس بن ذريح قدم للاجتماع به او الرجل من بني جعدة او مرة او هو الصباح بن عامر الكناني أقوال فسأل أهله عنه فاخبروه انه متوحش من الانس الا صديقا له يذهب اليه في كل يوم يكتب ما يقول من الاشعار ويأتيه بطعام فمضى اليه ما يسألهما الحيلة في الاجتماع عليه فقالا له اقصده في موضع كذا فستجده جالسا قد خط حوله التراب وهو يعبث باصابعه فيه فاذا رآك اخذ الاحجار وهم بضربك فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم أنشد ما يحضرك من شعر قيس فانه مغرم به فاذا فعلت بلغت ما تريد منه فمضى الرجل يقتفي أثره حتى وجده على ما وصف له فأمر به قال رحم الله قيسا حيث يقول

نبيت ونضحى كل يوم وليلة * على منهج تبكي عليه القبائل

قتيل لبنى صدع الحب قلبه * وفي الحب شغل للمحبين شاغل

فقال انا والله اشعر منه حيث اقول

سلبت عظامي لحمها فتركتها * معرقة تضحى اليه وتخصر

وأخليتها من مخها وكأنها * قوارير في اجوافها الريح تصفر

حتى من نفسه وأبناء جنسه والمحبون فيها انواعا والمضروبون بسوطها ضربان فالاول يحبه الله ورسوله ويتم به للعاشق سوله والثاني مذموم وصاحبه ملام فالنوع المحبوب منها أن يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة ولا تترك منها حبة لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به وبترتب عليها مفاسد كثيرة مما يؤدي الى فساد المودة والحكايات في هذا الباب مشهورة (وقد روى) عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله أن تكون في ريبة والغيرة التي يكرهها الغيرة في غير ريبة * وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخل النار * وقال صاحب روضة المحبين الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلى وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في اذاه ومساخطه و يستخف بامره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لاحد أن يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا ضيعت واقل الاحوال ان يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه والتفريط في حقه واما الغيرة على المحبوب فانما تحمد حيث

اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت * علائقها مما تخاف وتحذر
خذي بيدي ثم انهضي بي تبيني * بي الضر الا انني اتستر

ثم انساب يعدو وفارقته فلما كان اليوم الثاني جئت على العادة وانشدت قول قيس

تبادر أم تروح غدا ورواحا * ولن يستطيع مرتهن براحا
سقيم لا يصاب له دواء * اصاب الحب مقلته فباحا
وعذبه الهوى حتى براه * كما ألقيت بالسفن القداحا
فكاد يذيقه جرع المنايا * ولو أسقاه ذلك لاستراحا

فقال انا اشعر منه حيث اقول

فاوجد مغلوب بصنعاء موثق * لساقيه من ثقل الحديد كبول
قليل الموالي مستهام مروع * له بعد نومات العشاء عويل
يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
بأعظم مني روعة يوم راعني * فراق حبيب ما اليه سبيل

ثم فعل فعلته بالامس وعاودته فقلت أحسن والله قيس حيث يقول

ألا يا غراب البين ويحك أنبني * بعلمك في لبنى وانت خبير
فان أنت لم تخبر بشيء علمته * فلا طرت الا والجناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك بينهم * كما قد تراني بالحبيب ادور

وفي رواية ابن الاعرابي

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري * بخير كما خبرت بالنأي والشر
وخبرت أن قد جد بين وقربوا * جمالا لبنى مثقلات من العذر
وهجت فدى عين لبنى مريضة * اذا ذكرت فاضت مدامعها تجري
وقلت لذاك الدهر ما زال فاجعا * صدقت وهل شيء يباق على الدهر

فقال له المجنون أحسن والله ولكني اشعر منه حيث اقول * كأن القلب ليلة قيل يغدى * الابيات فاهملته حتى فرغ ثم قلت واحسن قيس ايضا حيث يقول * واني لأفني دمع عيني بالبكا * الابيات السابقة في قصة قيس قال فبكى حتى ظننت انه فاضت نفسه ثم قال احسن والله وانا أشعر منه حيث أقول

وادنيتني حتى اذا ما سبيتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تناءيت عني حين لا لي حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

قال ولم أزل أعاوده كتب ما يقول الى ان تطلبته فوجدته بين احجار ميتا وفي رواية أن هذا الرجل لم يجتمع به واخرى رآه ميتا محمولا قد دلت عليه دايته وانه لم يكتب اشعارا الا من عند صديقه المقدم ذكره وبالجملة فمحل الاجماع أنه وجد ميتا فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته جميع بني جعدة وسعد والحريش وحضر أبو ليلى فاظهر جزعا شديدا

بحمد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان على زوجته وامته والشيء الذي هو يختص به وهذه الغيرة تختص بالمخلوقين ولا تتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يجب على جميع المخلوقين أن يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافا لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار منه وربما اسكته ان أمكنه ويقول غيرة الحب تحملني على هذا وانما ذلك حسد وبغي وعدوان ونوع معاداة لله ومراغمة الطريق رسله أخرجوها في قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصورة وهذه الغيرة انما تحسن في محبة من لا تحسن المشاركة في محبته كغيرة الانسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره * قال القشيري قيل لبعضهم أتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال انزه ذلك الجمال عن نظر مثلي قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وهذه أيضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها أن يعفى عنه وأن يعد ذلك من شطحاته المذمومة واما ان يعد في مناقبه وفضائله ان يقال له أتحب أن ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته أعلى نعيم الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يسأله النظر اليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه اللهم اني أسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا القائل أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس وهو شبيه ما يحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال انزهه أن يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم في شيء من ذلك فلاموه فانشد يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد أسقطت حالي حقوقهم عني اذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها *

ولم يأنفوا من انفت لهم مني وبعضهم من ترك الحج غيرة على بيته أن يزوره مثله وقد مات تخصيصا على ترك الصلاة فقال
لي اني لأرى نفسي أهلا ان ادخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب

وتنصل واعتذر بأنه لم يعلم ان امره يفضي الى هذه الحالة ولو يعلم لاحتمل العار وزوجه ولما غسل وجدوا الرقعة مكتوبا فيها

ألا ايها الشيخ الذي ما بنا رضي * شقيت ولا هنئت من عيشك الخفضا
شقيت كما اشقيتني وتركتني * اهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا
كأن فؤادي في مخالب طائر * اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا
كأن فجاج الارض حلقة خاتم * على فما تزداد طولا ولا عرضا

وقيل ان ليلى توفيت قبله وانه سمع هاتفا يقول

أمنعية بالموت ليلى ولم تمت * كأنك عما قد اظلك غافل

فسقط ميتا وهذا أمر يتعذر الوصول الى تحقيقه وله اشعار كثيرة بلا اسباب من محاسنها قوله

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ومنها

تقول العدا لا بارك الله في العدا * تقاصر عن ليلى ورثت رسائله
ولو أصبحت ليلى تدب على العصا * لكان هوى ليلى جديدا اوائله

ومنها

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها * ومن بين رمسينا من الارض منكب
لظل صدى رمسي وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

قلت قال في النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول توبة في ليلى الاخيلية

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

اقول وفحوى الكلام ان قول المجنون ابلغ لان تلاقي روحي ميتين اعظم في جانب المبالغة من تلاقي حي وميت وكلام توبة من الثاني ويمكن نقل هذا الى مبحث حكمي وعكس كلام صاحب النزهة فقد اجمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع بان استلذاذ الارواح وادراكها بعد مفارقة الهياكل الجسمية اشد واقوى فتأمله

ومنها

فلو زرت بيت الله ثم رأيتها * بابوابه حيث استجار سماؤها
لبست ثيابي ان قدرت ثيابها * ولم ينهني عن مسهن حرامها
ولو شهدتني حين تأتي منيتي * جلا سكرات الموت عني ابتسامها

ومنها

اقول لالف ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها
بربك أخبرني ألم تأثم التي * اضر بجسمي من زمان خيالها

من الآدميين فالناس فيها ضروب وحسنات غالبها ذنوب فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب أو سماع انه في الدرب

اغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

(وقال آخر)

تغار من الطيف الملم جاراتها * ويغضب من مر النسيم غيورها

(وقال ابن الاثير في المثل السائر) سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو أغار اذا آنست في الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول ابي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاغرته بفدائه

والمتنبي أخذه من قول العباس ابن الاحنف

لم الق ذا شجن يبوح بحبه * الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك واني بك واثق * ان لا ينال سواي منك نصيبا

ومنهم من يلحق في الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من كلام نفسه كما قال البحتري

اني لاحسد ناظري عليكا * حتى اغض اذا نظرت اليكا
واراك تخطر في شمائلك التي * هي فتنتي فاغار منك عليكا

ولو استطعت منعت لحظك غيرة فقال
كي لا أراه مقبلا شفتيكا خلص الهوى لك واصطفتك مودتي * حتى اغار عليك من ملكيكا ومنهم من يغار عليه

من ازاره ولبس ازاره أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ماضم محسود قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهى ما حكى عن الحسن بن زيد امير المدينة انه قال يوما لابى السائب

فقال بلى والله سوف يمسها * عذاب وبلوى فى الحياة تنالها
فقلت ولم املك سوابق عبرة * سريع الى جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها ذنبها واقالها * وان كان فى الدنيا قليلا نوالها

ومنها

وأحبس عنك النفس والنفس صبة * بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة ان يسعى الوشاة بظنة * واحرسكم ان يستريب مريب
لقد جعلت نفسى وانت اخترمتها * وكنت أعز الناس عندك تطيب
فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل * لك الدهر منى ما حييت نصيب
اما والذى يبلو السرائر كلها * ويعلم ما تبدى به وتغيب
لقد كنت ممن تصطفى النفس خلة * لها دون خلان الصفاء حجوب

ومنها

الا ليت ليلى اطفأت حر زفرة * اعالجها لا استطيع لها ردا
اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا * وجدت لمسراها ومنسمها بردا
على كبد قد كاد يبدى بها الهوى * ندوبا وبعض القوم يحسبنى جلدا
وانى عانى الهوى منجد النوى * سبيلا التى من خلافها ما جهدا
سقى الله نجدا من ربيع وصيف * وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا
بلى انه قد كان للعيش مدة * وللعيس والركبان منزلة حمدا
ابى القلب ان ينفك من ذكر نسوة * رقاق لم يخلقن شوها ولا نكدا
اذا رحن يسحبن الذيول عشية * ويقتلن بالالحاظ أنفسنا عمدا
مشاء بطلات رجح بخصورها * روادف وعثات ترد الخطا ردا
وتهتز ليلى العامرية اذ مشت * ولاثت بثوب القز ذا غدر جعدا
اذا حرك المدرى ضفائرها العلا * مزجن بذى الريحان والعنبر الوردا

ومنها

ابى القلب الا حبه عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها * وتنبت فى أطرافها لورق الخضر

ومنها وقد ضعف فؤاده الناس ولم تعده ليلى فانشد

الا ما لليلى لا ترى عند مضجعى * بليل ولا يجرى بذلك طائر
بلى ان عجم الطير تجرى اذا جرت * بليلى ولكن ليس للطير زاجر
ازالت عن العهد الذى كان بيننا * بذى الايك أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما فى القرب لى منك راحة * ولا البعد يسلينى ولا انا صابر
ووالله ما أدرى باية حيلة * وأى مرام او خطار اخاطر

وكان قد جمله وكساه فكان يركب معه فى موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فانشده الامير * أرى الازار على ليلى البيت فقال له ابو السائب بأبى انت وامى من الذى قال هذا البيت فقال قيس فتخلف ابو السائب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير أين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذى ألقى هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبنى قضيب فى كثيب
تشارك فيه لين واندماج
اغار اذا دنت من فيه كاس
على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه
على بدر يقابله سراج

أخذه المتنبى فقال فى ممدوحه

اغار من الزجاجة حين تجرى
على شفة الامير ابى حسين

وقد عيب عليه ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما تخاطب به المليحة ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبى فيغار على المحبوب من نفسه كما قال ابو تمام

بنفسى من اغار عليه منى
وأحسد مقلتى نظرت اليه
ولو انى قدرت طمست عنه
عيون الناس من حذرى عليه * حبيب بث فى جسمى هواه وامسك مهجتى رهنا لديه * فروحى عنده والجسم خال بلا روح وقلبى فى يديه (وقال أيضا) اغار عليك من قلبى * وان أعطيتنى املى واشفق ان ارى خديك * لذنب مواقع القبل

وتالله ان الدهر فرق ذات بيننا * على أنها في كل حال بخاطر
فلو كنت اذ أزمعت هجري تركت لي * بجميع القوى والعقل مني وافر
ولكن أيامي بعقل عسيرة * وبالردم أيام بها التجاور
وقد أصبح الود الذي كان بيننا * أماني نفس والمؤمل حائر
لعمري لقد كدرت يا أم مالك * حياتي وساقتني اليك المقادر

ومنها

فوا كبدي من حب من لا يحبني * ومن زفرات ما لهن فناء
أريتك ان لم أعطك الحب عن يد * ولم يك عندي اذ أبيت اباء
أتاركتي للموت أنت فميت * وما للنفوس الخائنات اتقاء

ومنها

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

ومنها

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان فيك فانتم شغلي
وأرى جليسي اذ يحدثني * أن قد فهمت وعندكم عقلي

ومنها

سرت في سواد القلب حتى اذا انتهى * بها السير وارتادت حمى القلب حلت
فللعين تهمال اذا القلب ملها * وللقلب وسواس اذا العين ملت
ووالله ما في القلب شيء من الهوى * لأخرى سواها أكثرت أم أقلت

ومنها

ذكرت عشية الصدفين ليلى * وكل الدهر ذكراها جديد
عليّ ألية ان كنت أدري * أينقص حب ليلى أم يزيد

ومنها

يا ويح من أمسى تخلس عقله * فأصبح مذهوبا به كل مذهب
خليا من الخلان الا معذرا * يضاحكني من كان يهوى تجنبي
اذا ذكرت ليلى عقلت وأرجعت * روائع عقلي من هوى متشعب
وقالوا صحيح ما به طيف جنة * ولا الهم الا بافتراء التكذب
تجنبت ليلى اذ يلح بك الهوى * وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب
ولم أر ليلى بعد موقف ساعة * بخيف منى ترمي جمار المحصب
وتبدي الحصا منها اذا قذفت بها * من البرد أطراف البنان المخضب

(وقال الآخر) يا من اذا ذكراسمه في مجلس * لذ الحديث به وطاب المجلس * اني لمن تطرى اغار وانني * بك عن سواي من الانام لانفس
ومنهم من يغار عليه من وصاله مخافة أن يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري * ربما سرني صدودك عمدا
وطلابيك وامتناعك عني
حذرا ان اكون مفتاح غيري
فاذا ما خلوت كنت التمني
(وقال آخر)
ولما رمت باللحظ غيري حسبتها
كما أثرت بالعين تؤثر بالقلب
واني لأرجو ان تدوم بعيدها
ولكن سوء الظن من شدة الحب
(وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول)
فلو اضحى على تلفي مصرا
لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني
اغار عليك منك فكيف مني
ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه
مخافة تعريضه لطلب غيره له كما قال
علي بن عيسى الرافعي
واستر بوصف يوما حبيبا
أعرضه لأهواء الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري
ودون وصاله سمر العوالي
وكثير من الجهال وصف امرأته
ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب
فراقها واتصالها بالموصوف له
وذلك من قلة عقله وحمقه وقد
رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم
من بالغ في الغيرة حتى قتل محبوبه
مخافة ان يموت هو فيتمتع بمحبوبه
بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة
من جملتهم ديك الجن الحمصي وقد
افردت لحكايته رسالة مستقلة
وسميتها اقرع سن ديك الجن
وكتبت بها الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن في سنة ستين وسبعمائة وهو في سرياقوس فاصبحت
وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت الرسالة المذكورة بقولي بقبل الارض ر بثم بي ان ديك الجن المذكور من جملة

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

(ومنها)

واني لمجنون بليلى موكل * ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا

اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة * لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

(ومنها)

ألا يا حمام الأيك مالك باكيا * أفارقت الفا أم جفاك حبيب

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت * هتوف الضحى بين الغصون طروب

تجاوب ورقا قد أذن لصوتها * فكل لكل مسعد ومجيب

(ومنها)

لقد غردت في جنح ليل حمامة * على الفها تبكي واني لنائم

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتني بالبكاء الحمائم

(ومنها)

اذا قربت داري كلفت وان نأت * اسفت فلا بالقرب اسلو ولا البعد

وان وعدت زاد الهوى لانتظارها * وان بخلت بالوعد مت على الوعد

ففي كل حب لا محالة فرحة * وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

ومنها وهو كما قال في النزهة من الاشعار التي قيلت على الاوهام قال لما حضروا به في مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذي في النوم ويعاتب امرأة حاضرة فقيل له في ذلك فحلف ان ليلى كانت الى جانبه في هذا الوقت ثم انشد

طرقتك بين مسبح ومكبر * بحطيم مكة حيث كان الابطح

فحسبت مكة والمشاعر كلها * وجبالها باتت بمسك تنفح

(ومنها)

ائن نزحت دار بليلى لربما * غنينا بخير والزمان جميع

وفي النفس من شوقي اليك حرارة * وفي القلب من وجدي عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة بالمؤنسة فهي اطول قصيدة انشدها وواظب عليها قيل انه كان يحفظها دون اشعاره وانه كان لا يخلو بنفسه الا وينشدها وهي من محاسن الاشعار وأرقها الفاظا واعذبها اسبكا والطفها نحوا وأبلغها نسيبا وغزلا تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس في الاقتصار على بعضها والاستقصاء منها اختلاف كثير احسنه

تذكرت ليلى والسنين الخواليا * وايام لا اعدى على الدهر عاديا

ويوم كظل الرمح قصرت ظله * بليلى فلهاني وما كنت لاهيا

فيا ليل كم من حاجة لي مهمة * اذا جئتكم بالليل لم ادر ماهيا

خليلي الا تبكيا لي التمس * خليلا اذا أنزفت دمعي بكى ليا

جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فمن شدة حبه لهما وغيرته عليهما خشي ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية للخمر ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك وكان يضعهما في مجلس انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبّل البرنية المجعولة من رمادها وملأ منها اقدحه وانشد

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها التراب وطالما
روى الهوى شفتيّ من شفتيها
واجلت سيفي في مجال خناقها
ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى
شيء اعز عليّ من نعليها
ما كان قتلتها لاني لم أكن
ابكي اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواي بحسنها
وانفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قبّل البرنية المجعولة من رماده وملأ منها اقدحه وبكى وانشد قوله فيه

أشفقت ان يرد الزمان بغدره
او أبتلي بعد الوصال بهجره
قمر أنا استخرجته من دجنه
لبليتي وأثرته من خدره
فقتلته وله عليّ كرامة
فلي الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم
والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده
بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه
ويكاد يخرج قلبه من صدره

(اقول) هذا الذي يقال له المجنون فانا لله وانا اليه راجعون من فعل هذا المجنون على انه من ارق الناس شعرا واكثرهم للمحبوب ذكرا فمن شعره الفائق ونظمه الرائق قوله في الدعاء على المحبوب

كيف الدعاء على من خان او ظلما * ومالكي ظالم في كل ما حكما

لاواخذ الله من اهوى بجفونه * عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما (اقول) صار الطالب مطلوبا وهذا القفه المقلوب ما كفا انه فعل بالاحباب مالا تفعله الكلاب ٨٢ حتى يقول لاواخذ الله من اهوى بجفونه ويمزج رقة شعره بقسوته فهو فى الخفة والطيش وقتل المحبوب لا فى ايش ولا على ايش فمن غلب عليه هواه كما تراه فيفعل بمحبوبه ما فعل واقام ضربه بالسيف مقام القبل

احبابه لم تفعلون بقلبه
ماليس تفعله به اعداؤه

وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها فى الباب الاول من كتابى مرآة العقول * ومما ينخرط فى سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ أثير الدين ابو حيان فى تفسيره عند قوله تعالى يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك ونقل عن العزيز أنه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعنى قلة الغيرة ثم قال واين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو أنه كان مع ندمائه المختصين به فى مجلس انسه وجاريته تغنى من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبث حتى أتى برأس الجارية مقطوعا فى طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك (قلت) لو مات كان معذورا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * ومثل هذا ايضا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية الثمن وهى بثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان ذوات الالحان فقال لها يوما هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت ان يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادى قبلنى

فما أشرف الايفاع الا صبابة * ولا انشد الاشعار الا تداويا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
لحى الله اقواما يقولون اننا * وجدنا طوال الدهر للحب شافيا
وعهدى بليلى وهى ذات مؤصد * ترد علينا بالعشى المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها * واعلاق ليلى فى فؤادى كما هيا
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى امل مكانيا
سقى الله جارات لليلى تباعدت * بهن النوى حيث احتللن المطاليا
بثمرين لاحت نار ليلى وصحبتى * بذى الرع العساتر يجى المطى الحوافيا
فقال بصير القوم لمحة كوكب * بدا فى سواد الليل من ذى يمانيا
فقلت لهم بل نار ليلى توقدت * بعليا تسامى ضوءها فبدا ليا
خليلى لا والله لا املك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا
وخبرتمانى ان تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فلو ان واش باليمامة داره * ودارى باعلى حضرموت اتى ليا
وماذا لهم لا احسن الله حالهم * من الحظ فى تصريم ليلى حباليا
وقد كنت اعلو حب ليلى فلم يزل * بى النقض والابرام حتى علانيا
فيا رب سو الحب بينى وبينها * يكون كفافا لا على ولا ليا
فما طلع النجم الذى يهتدى به * ولا الصبح الا هيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلا من دمشق ولا بدا * سهيل لاهل الشام الا بدا ليا
ولا سميت عندى لها من سمية * من الناس الا بل دمعى ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لارضها * من الليل الا بت للريح حانيا
فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها * على فلن تحموا على القوافيا
فاشهد عند الله انى احبها * فهذا لها عندى فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا * وبالشوق منى والغرام قضى ليا
وان الذى املت يا أم مالك * اشاب وليدى واستهام فؤاديا
اعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا اعد اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلنى * احدث عنك النفس بالليل خاليا
ارانى اذا صليت يممت نحوها * بوجهى وان كان المصلى ورائيا
ومابى اشراك ولكن حبها * وعظم الجوى اعيى الطبيب المداويا
احب من الاسماء ماوافق اسمها * واشبهه او كان منه مدانيا

وقذف في فى لؤلؤة ابعها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات (قلت) قد استراح والله من هذا الصداع كله * وانشد عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا
به غفلة عن لوعتى وتحيى
وشاركنى فى حبه كل ماجد
يشاركنى فى مهجتى بتصبب
فلا تلزمونى غيرة ما ألفتها
فان حبيبي من احب حبيبى
وقد بالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة
اقود بحمد الله لا عن كراهة
وغيرى قواد على رغم انفه
وما احسن قول ابى الحسين الجزار
قلت لما سكب السا
قى على الارض الشرابا
غيرة منى عليه * ليتنى كنت ترابا
وقال نور الدين الاشعرى واحسن ماشاء
تميل الريح بالاغصان لطفا
كما مالت بشاربها العقار
وتجمع بينهم من بعد بعد
واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقى
فهل ابصرت قوادا يغار

* الباب السابع فى افشاء السر والكتمان عند عدم الامكان *

اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده وهزل كل منهما وجده اذ للمحبين فيهما مذهبان فمنهم من اباح اباحته ورأى فى افشائه راحته ومنهم من رأى كتمانه من الديانة فحل من مراتب الحب فى اعز مكانه حيث قال

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدى فاذا كان فى القيامة نودى * من قتيل الهوى تقدمت وحدى

نعم من الناس من كتمه فأراه كتمانه عدمه ومنهم من افشاه فوقع فيما يخشاه ولكل من المذهبين شاهد وبحر دمع زائد

خليلىّ ليلى اكبر الحاج والمنى * فمن لى بليلى او فمن ذا لها بيا
لعمرى لقد ابكيتنى يا حمامة الـ * ـعقيق وابكيت العيون البواكيا
خليلىّ ما ارجو من العيش بعدما * ارى حاجتى تشرى ولا تشترى ليا
وتجرم ليلى ثم تزعم اننى * سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
فلم ار مثلينا خليلى صبابة * اشد على رغم الاعادى تصافيا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى * خليلين الا يرجوان تلاقيا
وانى لاستحييك أن تعرض المنى * بوصلك او ان تعرضى فى المنى ليا
يقول أناس علّ مجنون عامر * يروم سلوا قلت أنى لما بيا
بى اليأس اوداء الهيام اصابنى * فاياك عنى لا يكن بك ما بيا
اذا ما استطال الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا
اذا اكتحلت عينى بعينك لم تزل * بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
فانت التى ان شئت اشقيت عيشتى * وانت التى ان شئت انعمت باليا
وانت التى ما من صديق ولا عدى * يرى نضو ما أبقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى على أن ازورها * ومتخذ دين لها أن ترانيا
اذا سرت فى الارض الفضاء رايتنى * أصانع رحلى أن يميل حياليا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
وانى لأستغشى وما بى نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا
هى السحر الا أن للسحر رقية * وانى لا ألقى لها الدهر راقيا
اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بذكراك هاديا
ذكت نار شوقى فى فؤادى فأصبحت * لها وهج مستضرم فى فؤاديا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سال نعمان بعدنا * وحب الينا بطن نعمان واديا
ألا يا حمامى بطن نعمان هجتما * علىّ الهوى لما تغنيتما ليا
وأبكيتمانى وسط صحبى ولم اكن * أبالى دموع العين لو كنت خاليا
ويا أيها القمريتان تجاوبا * بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا
فان أنتما استطربتما أو أردتما * لحاقا باطلال الغضى فاتبعانيا
ألا ليت شعرى ما لليلى وماليا * وما للصبا من بعد شيب علانيا
ألا أيها الواشى بليلى ألا ترى * الى من تشيها أو لمن انت واشيا
لئن ظعن الاحباب يا أم مالك * فما ظعن الحب الذى فى فؤاديا
فيارب اذ صيرت ليلى هى المنى * فزنى بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها الىّ واهلها * فانى بليلى قد لقيت الدواهيا

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلى ان ضنوا بليلى فقربا * الى النعش والاكفان واستغفرا ليا

(أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء)

هو عروة بن حزام بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة شاعر لبيب حاذق متمكن فى العشق قيل انه أول عاشق مات بالهجر من المخضرمين أو من العذريين واشتدة مقاساته فى العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين قال المجنون عجبت لعروة العذرى البيت وقال أبو عيينة

فما وجد النهدى اذ مات حسرة * عشية بانت من حبائله هند
ولا عروة العذرى اذ طال وجده * بعفراء حتى شف مهجته الوجد
كوجدى غداة البين عند التفاتها * وقد طار عنها بين أترابها البرد

(وقال آخر)

وقبلك مات من وجد بهند * أخو نهد وصاحبه جميل
وعروة والمرقش هام دهرا * بأسماء فلم يشف الغليل
قتيل الريح من قبل الغوانى * فلا قود ولا يودى قتيل

(وقال جرير)

هل أنت شافية قلبا يهيم بكم * لم يلق عروة من عفراء ما وجدا
مافى فؤادى من داء يخامره * الا التى لو رآها راهب سجدا
ان الشفاء وان ضنت بنائله * فرع البشام الذى تجلو به البردا

الى غير ذلك * وعفراء هى بنت عقال أخى حزام كلاهما ابنا مالك من بطن من العذريين يقال له نهد قال فى تسريح النواظر ان سبب عشقه لها أن أباه حزاما توفى ولعروة من العمر أربع سنين وكفله عقال أبو عفراء فانتشا جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه الى الشام بعير له وجاء ابن أخ له يقال له أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحاج فنزل بعمه عقال فبينما هو جالس يوما تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل اداوة سمن وعليها ازار خز أخضر فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوجه بها وان عروة أقبل مع العير وقد حمل أثالة عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد وأخبر أصحابه فلما التقيا وعرف الامر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فأنشد

وانى لتعرونى لذكراك رعدة * لها بين جلدى والعظام دبيب
فما هو الا أن أراها فجاءة * فأبهت حتى ما أكاد أجيب
فقلت لعراف اليمامة داونى * فانك ان أبرأتنى لطبيب
فما بى من حمى ولامس جنة * ولكن عمى الحميرى كذوب

لا ينجو غريقه ولا تسلك طريقه فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الاخطر وسيفين لا بد من قتله بأحدهما على الصحيح الاشهر كما قال شهاب الدين السهروردى المقتول بحلب

وارحمتا للعاشقين تحملوا * سر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم
وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم
عند الوشاة المدمع السفاح

والذى أراه فى ذلك كله وتمييز وابله من طله ان المحب اذا علم من محبوبه الوفاء وعدم الجفاء فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب وابداء العلة الى الطبيب كما قيل

وبح بالسرائر فى أهلها
واياك فى غيرهم ان تبوحا

وقد ظرف أبو جعفر الشطرنجى حيث قال

قل لمن شئت اننى بك مغرم
ثم دعه يروضها بايبس

وقد قال بعض من مارس الحب وحلب أشطره افشاء المحب سره الى المحبوب وشكوى ما يقاسيه طرف من السحر (قلت) بل هو السحر كله ومعظمه وجله وقد عرف ذلك من جربه واذبه الحب وهذبه * وعلى هذا حكاية أحمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدى بجعفر بعد أن زوجه بها الرشيد وشرط عليه أن لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما أحبت وخاف على نفسه من الرشيد أن يظهر أمرها فكتبت له

عزمت على قلبى بأن يكتم الهوى
فصاح ونادى اننى غير فاعل
فان لم تصلنى بحت بالسر عنوة * وان عنفتنى فى هواك عواذلى
وان كان موت لا أموت بغصتى * وأقررت قبل الموت انك قاتلى

عشية

فقالت منه ما أرادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها وشكوى ضرها *وقال ابن شاذان الكاتب قالت لي عريب جارية المأمون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه الى الانبار ٨٥ متنزها فدخل على فريدة جاريته

عشية لا عفراء منك بعيدة * فتسلو ولا عفراء منك قريب
بنا من جوى الاحزان والبعد لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة مقول * على ما به عود هناك صليب
وما عجبي موت المحبين في الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل انه لم ينشد في ذلك الموقف سوى البيتين الاولين وأما قوله فقلت لعراف اليمامة الى قوله وما عفراء منك قريب فانه أنشده حين أتي به الى الطبيب وسبب ذلك أنه حين وصل الحي أخذه الهذيان والقلق وأقام أياما لا يتناول قوتا حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحدا وانه حمل ليلة الى فضاء ليتنزه به فسمع رجلا يقول لولده على أي ناقة حلت الشعب يعني قرب الماء فقال على العفراء فأغمي عليه ساعة ثم قام مخبولا وكان باليمامة عراف يعني كاهنا له قرين من الجن يعرفه الاخبار ودواء بعض الادواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته أبو كلاء مولى لبني يشكر فحملوه اليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه وأصل ذلك أن العرب كانت اذا تخيلت بشخص سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت الرصاص وسكبته في ذلك الماء ودفنته في فضاء من الارض فيزول عن الشخص ما به وان الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع أخبرهم أن ما به ليس الا من العشق وقيل انه عرف ذلك من يوم قدومهم به فلما أحس باليأس أنشد فقلت لعراف اليمامة الابيات فحمل الى عراف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك فأنشد الابيات الآتية في نونيته وهي قوله جعلت لعراف اليمامة وأما قوله بنا من جوى الاحزان ويروى وبي من جوى الاحزان فعلى الاصح كما في النزهة انه من هذا الشعر وقيل أنشده حين حمل الى ابن عباس ليدعو له بمكة وقد سلف أن صاحب القصة غيره وان صحح ابن عساكر خلافه ولما أيس من الشفاء تمرض بين اهله زمانا حتى شاع اتحاله في العرب مثلا وان ابن ابي عتيق مر به يوما فرأى أمه تلاطف غلاما كالخيال فسألها عن شأنه فقالت هو عروة فسألها انضو الغطاء عنه فلما شاهده قضى عجبا ثم استنشده فأنشد جعلت لعراف اليمامة حكمه الابيات ولما علم الضجر من اهله قال لهم احملوني الى البلقاء فاني ارجو الشفاء فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر في مظان مرورها عاودته الصحة فأقام كذلك الى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما ينشبب بكم فقال من قال عروة قال انت احق بما وصفته به والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء موصوفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق في قومه فلما اصبح جعل يتصفح الامكنة حتى لقي عروة فعاتبه وأقسم بالمحرجات أنه لا ينزل الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وان عروة عزم أن لا يبيت الليل وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى دون منازل قومه وقيل وصلها الرواية ابن العاص قال استعملني عمر رضي الله عنه في جباية

وكان يحبها جدا وكان أيضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك غيري فلما رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عيني تبكي حذر البين
ما أسخن الفرقة للعين
لم أر في الحب ولوعاته
أوجع من فرقة الفين

فقال لي الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدي فكتب على الارض بقضيب في يده

ظهر الهوى وتهتكت استاره
والحب خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل في هواك مجاهرا
فألذ عيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتضاحكا ففطنت فريدة فقالت يا سيدي علمت ما تما فيه فامنن على امتك بقبولها فقال الواثق قد دفعت خذيها اليك يا عريب فأخذت بيدها فما ملكت نفسه حتى انصرف من خلفي مسرعا فخلا بها وامر لي بألف دينار *ومنهم من لا يجري ذكر العشق على لسانه البتة ويسكت حتى كان به السكته ولم أر في ذلك مما يتنافس فيه المتنافس احسن من قول ابن قلاقس

كتمت الهوى عند العواذل ضنة
عليهم عن أصبو اليه واهواه
ولو قلت اني عاشق فطنوا به
لعلهم ان ليس يعشق الاهو

* ومنهم من يبوح باسمه ويرى التصريح باسمه

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى
فلا خير في اللذات من دونها ستر

(وقال) ابراهيم بن عبد الله رأيت على خد جارية *مكتوبا بالغالية

كل يوم أذوب من ألم الشوق * وقلبي من الصدود قريح لم أجد سلوة اليك فأشكو * ما بقلبي لعله يستريح
ويح قلبي كأنه لحد قبر * ضم أعضاء ميت فيه روح ٨٦ وفي البيت الثاني من هذه الابيات تنبيه على ان افشاء السر الى
الحبيب لا يكون الا سلوة فينبغي ان لا يعلم به خلا ولا صديقا ما وجد الى ذلك طريقا كما قيل

يا موقدا النار الهابا على كبدي
اليك اشكو الذي بي لا الى احد
اليك أشكو الذي بي من هواك فقد
طلبت غيرك للشكوى فلم اجد

وقال الاحوص

لعمرك ما استودعت سري وسرها
سوانا حذارا ان تضيع السرائر

ومن ظريف) ما مر بي في هذا الباب ان بعض العشاق انشد يوما محبوبته قول الشاعر

سري وسرك لم يشعر به احد
الا الاله والا انت ثم انا

فقالت له لا تنس القوادة فانها لا بد أن تدري سرنا وتطلع على امرنا * ومن احسن ما سمعته في ذم مفشي السر قول الحسين بن بشر

على الله اجر أودعاك سرا
لتكتمه وفض الله فاه
فانك بالذي استودعت منه
انم من الزجاج بما حواه

قلت وما يبعد ان يكون المتصف بهذه الصفة من ذرية القائل

وما كتم الاسرار لكن أذيعها
ولا اترك الاسرار تغلي على قلبي
وان قليل العقل من بات ليله
تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

واين هذا من قول القائل

وقائلة ما بال جسمك لا يرى
سقيما وأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي بحبك لم يبح * بجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

* ويحكى ان سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم مرت وقول
في جواريها بعروة بن اذينة وهو يغني فقالت لجواريها من الشيخ فقلن عروة فمالت نحوه فقالت يا ابا عامر انك تزعم انك لم تعشق قط

صدقات العذريين فبينما أنا يوما بازاء بيت اذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى جانبها شخص لم تبق الا رسومه فجلست أنظر اليه فتروح ساعة ثم خفق خفقة فارق الحياة فقلت لها من الرجل قالت عروة فقلت كأنه قضى فقالت نعم ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لي أن أخرج الى قبره فأندبه فقد بلغني انه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى اتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم انشدت

ألا أيها الركب المخبون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك راحة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لابلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

وفي كتاب النزهة لابن داود ان ركبا شاهدوا موته فلما قدموا الحي انشد رجل منهم عند بيت عروة

ألا أيها القصر المغفل أهله * بحق نعينا عروة بن حزام

فجاوبته عفراء ألا أيها الركب هكذا ابيات فينا الى أربعة والباقي لعفراء وهذا غير صحيح لان القبر في طريقها قبل منازلهم وفي هذه الرواية بدل قوله فلا لقي الفتيان * فلا هنئ الفتيان بعدك غادة * والاول ألطف وبدل فلا وضعت أنثى فقل للحبالى لا يرجين غائبا وفيه اضافة غير مناسبة اذ لا مناسبة بين الحبل والغيبة الا بتأويل لا يليق بفصاحة العرب ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة وما قيل من انها منعت المجيء الى قبره ومن انه كان في عهد عثمان أو معاوية وان الذي شهد الهلاك أحدهما ومن ان عمر قال لو أدركتهما لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما في النزهة ثم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال ان عفراء لم تزر قبره بقولها

عداني أن أزورك يا خليلي * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ ثويت اليوم لحدا * فدور الناس كلهم لحود
فلا طابت لي الدنيا فراقا * لبعدك لا يطيب لي العديد

ولما قضت دفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من أي ضرب من النبات وكثيرا ما انشدت فيهما الناس في ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادي اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الرند والغار
فعانقيه عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار

كيف وانت تقول قالت وابثثتها سرى فبحت به * قد كنت عندى تحب الستر فاستتر الست تبصر من حولى فقلت لها غطى هواك وما القى على بصرى وقالت كل ما ترى حولى من الجوار احرار ان كان ٨٧ هذا الكلام خرج عن قلب سليم قط

وقول صاحب الاصل

غصنان من دوحة طال ائتلافهما * فيها فخالت صروف الدهر فافترقا
فصار ذا فى يد تحويه ليس له * منها براح وهذا فى الفلاة لقا
حتى اذا ذويا يوما وضمهما * بعد التفرق بطن الارض واتفقا
حنا على العهد فى ارجائها فحنا * كل على الفه فى الترب واعتنقا

قلت وبين هذين خلاف فى اللفظ والمعنى ويحتمل رجوعه الى خصوص وعموم مطلق فان الاول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذى عدته البلاغة عيبا فان الزند والغار مترادفان وفيه عيب خفى الا على الناقد فانه لم يجعل المتعانقين المتحابين بل أمر السرحة يعنى الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعنى معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم فى قضاء الوطر وأما الثانى فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة وتوفى عروة بن حزام على ماذكر الذهبى فى تاريخه فى خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت فى كتاب مجهول التأليف ان وفاته كانت لعشر بقين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التى على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بالفاظ رقيقه ومعان أنيقه وهى هذه

خليلى من عليا هلال بن عامر * بصنعاء عوجا اليوم وانتظرانى
ولا تزهدا فى الاجر عندى واجملا * فانكما بى اليوم مبتليان
ألم تعلما ان ليس بالمرج كله * أخ وصديق خالص فذرانى
أفى كل يوم أنت رام بلادها * بعينين انسانا هما غرقان
وعيناى ماوافيت نشرا فتنظرا * بمأقيهما الا هما تكفان
الا فاحملانى بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعانى
على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عرض البيد بالوخدان
الما على عفراء انكما غدا * بشحط النوى والبين مفترقان
فياواشيى عفراء ويحكما بمن * وماوالى من جئتما تشيان
بمن لو أراه غائبا لفديته * ومن لو رآنى غائبا لفدانى
فياواشيى عفرا دعانى ونظرة * تقربها عيناى ثم زمانى
أغركما منى قميص لبسته * جديدا وبردا يمنة زهيانى
متى تكشفا عنى القميص تبينا * بى الضر من عفراء يافتيان
اذا تريا لحما قليلا واعظما * بلين وقلبا دائم الرجفان
على كبدى من حب عفراء قرحة * وعينان من وجدى بها تكفان

(حكى) عن احمد بن ابى عثمان الكاتب انه كان صديقا لابى الفضل عبد الغفار الانصارى فعشق احمد جارية لام جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصارى فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

ارسلت ام جعفر لى طبيبا
لشكاى فضل علم الطبيب
ودوائى واصل دائى لديها
فى يدى شادن غرير ربيب
خبر وها بان نعمى دوائى
كى تداوى مريضها عن قريب

فسمعت ام جعفر الابيات وسألت عن قصته فلما وقفت عليها وهبته الجارية وهجر احمد عبد الغفار وقال جعلتك موضع السرى فافسدت على والمفاسد المترتبة على افشاء السر الى الغير كثيرة ولهذا قال ابو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا
ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيى الدين الجزرى من رسالة فواعجبا كيف لا يتفطن من لا اسميه ولا ينشق لكثرة ما احوم حول القول فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت الى مهاوى الاثم الظنون ولو ابديت بعضه اخاف ان يفطن الناس وان اوضحت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس (ومن احسن ما سمعته فى كتمان السر قول النابغة) وكان الامام على رضى الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

فعفراء أرجى الناس عندى مودة * وعفراء عنى المعرض المتوانى
أحب ابنة العذرى حبا وان نأت * ودانيت فيها غير ما متدانى
اذا رام قلبى هجرها حال دونه * شفيعان من قلبى لها جدلان
اذا قلت قالا بلى ثم أصبحا * جميعا على الرأى الذى يريان
فيارب أنت المستعان على الذى * تحملت من عفراء منذ زمان
فياليت كل اثنين بينهما هوى * من الناس والانعام يلتقيان
فيقضى حبيب من حبيب لبانة * ويرعاهما ربى فلا يريان
فياليت محيانا جميعا وليتنا * اذا نحن متنا ضمنا كفنان
ويا ليت انا الدهر فى غير ريبة * خليان نرعى القفر مؤتلفان
هواى امامى ليس خلفى معرج * وشوق قلوصى فى الغدو يمانى
هواى عراقى وثنى زمامها * لبرق اذا لاح النجوم يمانى
متى تجمعى شوقى وشوقك تظلعى * ومالك بالعبء الثقيل يدان
يقول لى الاصحاب اذ يعذلوننى * أشوق عراقى وأنت يمانى
تحملت من عفراء ماليس لى به * ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيان
فقالا نعم تشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا * ليستخبرانى قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها * ولا سلوة الا وقد سقيانى
وما شفيا الداء الذى بى كله * ولا ادخرا نصحا ولا ألوانى
فقالا شفاك الله والله ما لنا * بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتى * عن الرأس ما ألتاثها ببنان
معى صاحبا صدق اذا ملت ميلة * وكان بدفى نضوتى عدلانى
فياعم ياذا الغدر لازلت مبتلى * حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية * فألزمت قلبى دائم الخفقان
وأورثتنى غما وكربا وحسرة * وأورثت عينى دائم الهملان
فلازلت ذا شوق الى من هويته * وقلبك مقسوما بكل مكان
وانى لاهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا ياغرابى دمنة الدار بيننا * أبالهجر من عفراء تنتحبان
فان كان حقا ما تقولان فاذهبا * بلحمى الى وكريكما فكلانى
كلانى أكلا لم ير الناس مثله * ولا تهضما جنبى وازدردانى

فانى رأيت وشاة الرجال لا يتركون اديما صحيحا وكتب بها عبد الملك بن مروان الى الحجاج وكان قد استكتمه أمرا الكتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت أحدا سرا فأفشاه فلمته لانى كنت اضيق منه صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذى يستودع السر اضيق

(وقال آخر)

اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها
فسرك عند الناس افشى واضيع

(وقال ابو جعفر الشطرنجى)

فلا تخبر بسرك بل امته
وصير من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل النفس سرا
ولا اغلقت مثل الصدر بابا

(وحكى) الماوردى ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس فى مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعى سرا تضمنت ستره
فأودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبى واحسن ماشاء

وما السر فى قلبى كميت بحفرة
لانى ارى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كأننى
من الدهر يوما ما احطت به خبرا

(وقال آخر)

ياذا الذى اودعنى سره
لا ترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى
كأنه مامر فى اذنى

(وقال بشار)

لا تخرجن من الدنيا وحبكم
بين الجوانح لم يعلم به احد

(وقال طلحة بن أبى بكر) لا تظهرن محبة لحبيب * فترى بعينك منه كل عجيب اظهرت يوما للحبيب مودتى فاخذت من هجرانه بنصيب

ولا تعلمان الناس ما كان قصتى * ولا يأكلن الطير ما تذرانى
الا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى أمل مكانى
تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى
ولو كان واش باليمامة أرضه * أحاذره من شؤمه لاتانى
يكلفنى عمى ثمانين ناقة * ومالى والرحمن غير ثمان
فوالله ما حدثت سرك صاحبا * أخالى ولا فاهت به الشفتان
سوى اننى قد قلت يوما لصاحبى * ضحى وقلوصانا بنا تخدان
ضحينا ومستنا جنوب ضعيفة * نسيم لرياها بنا خفقان
تحملت زفرات الضحى فأطقتها * ومالى بزفرات العشى يدان
فيا عم لا أسقيت من ذى قرابة * بلالا فقد زلت بك القدمان
ومنيتنى عفراء حتى رجوتها * وشاع الذى منيت كل مكان
فوالله لولا حب عفراء ما التقى * على رواقا بيتك الخلقان
رواقان خفاقان لاخير فيهما * اذا هبت الارواح يصطفقان
ولم أتبع الاظعان فى رونق الضحى * ورحلى على نهاضة الخديان
لعفراء اذ فى الدهر والناس غرة * اذا خلقان بالصبى يسرانى
لادنو من بيضاء خفاقة الحشى * بنيسة ذى قاورة شنآن
كان وشاحيها اذا ما ارتديتهما * وقامت عنانا مهرة سلسان
وليس بأبدان لها ملتقاهما * ومتناهما رخوان يضطربان
وتحتهما حقفان قد ضربتهما * قطار من الجوزاء ملتبدان
أعفراء كم من زفرة قد أذقتنى * وحزن ألح العين بالهملان
وعينان ما وافيت نشرا فتنظرا * بمأقيهما الا هما تكفان
فهل حاديا عفراء ان خفت فوتها * على اذا ناديت مرعويان
ضروبان للتالى القطوف اذا ونى * بسبحان من يعصى به حذران
فيا لكما من حاديين كسيتما * سرابيل مغلاة من القطران
وما لكما من حاديين رميتما * بحمى وطاعون ألا تقفان
فويلى على عفراء ويلا كأنه * على الكبد والاحشاء حد سنان
ألا حبذا من حب عفراء ملتقى * نعم والا لا حيث يلتقيان
لوان أشد الناس وجدا ومثله * من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ثمة أشتكى * لاضعف وجدى فوق ما يجدان
فقد تركتنى ما أعى لمحدث * حديثا وان ناجيته ونجانى

قيل أسر رجل الى رجل حديثا ثم قال أفهمت قال بل نسيته وقال أبو الفرج قال أحفظته قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن كلام القاضى الفاضل وأمت الاسرار فى قلبك والحسد موتاها فى جنبك فقبيح بك ان يرى للسر الا عندر بك (ووصف اعرابى قوما) فقال سيوفهم آفات الاعمار وصدورهم قبور الاسرار وما أحسن قول ابن عمانى من أبيات

وضاق على السجن حتى كانى * حلات به للضيق فى صدر أحمق
فيا ليتنى كالدمع فى جفن عاشق * فاخرج او كالسر فى صدر أحمق

(وقال العباس بن الاحنف)

باح دمعى فليس يكتم سرا * ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى * فاستدلوا عليه بالعنوان

(الباب الثامن فى مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافى غيظه وانحرافه)

أقول هذا باب عقدناه لذكر مغالطة الحبيب فى نفسه والحاق لومه بأمسه وهو من أعظم الابواب حشوه وأكثرها رشوه وأحسنها اختراعا وأكثرها خداعا وأبلغها خطابه وأكثرها اصابه وسنورد من ذلك مايعذب ايراده ويحسن عند اهل الانشاء انشاده ليعلموا ان الاديب على الحبيب يحتال ويجارى برقة ألفاظه الجريال فمن ذلك وهو من أحسن ما سمعته فى مغالطة الحبيب

قم بنا يا نور عينى * نجعل الشك يقينا فالى كم يا حبيبى * يأثم القائل فينا (ومثله قول الآخر)

هل لك يا هند فى الذى زعموا * ويحك ان الوشاة قد علموا ونم واش بنا فقلت لها * مه انس لا انس قولها بمنى

قالت لماذا ترى فقلت لها * كى لا تضيع الظنون والتهم (وقال العباس بن الاحنف) كان لم يكن بينى و بينكم هوى ولم يك موصولا بحبلكم حبلى

وانى لاستحيى لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والمطل ٩٠ (وقال آخر)

نسبت الى ذنب ولم آت مذنبا
وحملتنى فى الحب مالا أطيقه
وماطلبى للوصل حرصا على البقا
ولكنه أجر اليك أسوقه

(قلت) مارضى بروح سواه بسواه
حتى يسوق اليه الاجر ايضا

(ومما قلته أنا فى هذا المعنى)

لم أطلب الوصل من أجلى فديتك يا
من زاد حظى سوادا منه شامات
لكن خشيت بأن تبلى بعشق رشا
يقتص لى منك والدنيا مكافات

(وقال آخر)

قد أكثر الناس أنواع الحديث بنا
وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم
وصادق ليس يدرى انه صدقا

(وقال آخر)

ياسيدى عندك لى مظلمه
فاستفت فيها ابن ابى خيثمه
فانه يرويه عن جده
وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى
نبينا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع الخل عن خله
فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت مذ شهر لنا هاجر
اما تخاف الله فينا فمه

(وقال جميل)

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا
سوى ان يقولوا اننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق

(قلت) هكذا رأيته فى غالب ما وقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعت من أفواه أهل الادب أعنى ان قافية فى البيت الاول عاشق والصحيح انها وامق لان المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبه والعاشق المحب لريبة و ذا كان ذلك

وقد تركت عفراء قلبى كأنه * جناح غراب دائم الخفقان

قوله خليلى خطاب بالنداء محذوف الاداة لاثنين وليس بشرط أن يكونا موجودين فقد جرت عادة العرب بذلك حتى قيل انهم وان خاطبوا الواحد جعلوا الصيغة لاثنين اما ليجرى مجرى التأكيد أو انهم يطلبون التعظيم أو انهما أقل الرفقة وقوله الى حاضر البلقاء يريد المكان الذى كانت به كما سبق فى الحكاية ويروى الى حاضر الروحاء موضع بالبلقاء من طرف حوران وقوله حسرة الاصلاب صفة مشبهة كناية عن العجلة التى لم تدعه يشد كور الناقة ويروى نواخية السرى وموارة أى عجلة تبلغ المآرب وقوله عن لو أراه البيت كناية عن الاتحاد وشدة المحبة حتى لم يقع تأثير بينهما من نقل شئ وقوله متى تكشفا روى بدله متى ترفعا والاول أبلغ لاخصيته ولزوم رؤية البدن منه وقوله اذا تربا جواب متى وروى بدله تعرفا والاول ألطف وقوله كان قطاة البيت قد أخذه المجنون حيث قال * قطاة غرها شرك فباتت * البيت وهذا من السرقات العامة التى تتفاوت بحسن الاختلاس والتطرف ومعنى هذا انه شبه كبده فى شدة خفقانه من هياج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالآخر طلب الخلاص وأما المجنون فقد تطرف ثم بالغ لانه جعل القلب هو القطاة بعينها وجعل المعلق هو الشرك واعلم أن ابن الاثير ألف كتابا سماه أعمدة المعانى للمنثور والمنظوم ذكر فيه من اقترح معنى ومن سرق منه وزاد عليه فقال فى هذا الموضع ان المجنون تطرف حيث أسند الخفقان الى القلب والتعليق الى الشرك وأما أنا فأقول ان قول عروة أبلغ لان الكبد ليس من شأنه الحركة ولا الخفقان كما هو دأب القلب فاسناد الخفقان الناشئ عن العشق اليه أبلغ ولان حركته تستلزم حركة القلب دون العكس ولا يساوى هذا المعنى كون القلب محل التعقل ومسكن المحبوب كما فى كلامهم اذ المحوط حينئذ الروح الحيوانى قوله عراف اليمامة قد سبقت قصته والعراف فى الاصل الكاهن واستعمله هنا على الطبيب لاتحادهما لغة وما ألتا تركاه من مارددتها وهى كناية عن شدة المرض وعمه المدعو عليه هو أبو عفراء وقد عرفت عذره وقوله فلو أن واش باليمامة قد استعاره المجنون حيث قال

ولو ان واش باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموت اتانيا

وهى سرقة شنيعة مذمومة وهو هنا أظرف وأبلغ من حيث الايهام لان قوله أحاذره من شؤمه يحتمل أن يكون ولو بأقصى فارس وهذا هو اللائق بالمبالغة وأما حضرموت واليمامة فكلاهما فى اقليم واحد فلا يعظم مجئ الواشى

(أخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند)

هو عبد الله بن عجلان بن عبد الاحب بن عامر بن كعب يتصل بقضاعة وهو نهدى من بنى الحريش وسعد افترقوا من قضاعة على ما ذكر فى الانساب أربعون فخذا وفى النزهة انه عذرى وليس كذلك ولكن بينه و بينهم حيث لا ترى العصا وذلك دون خمس جدود وقال

كذلك لم تصح المغالطة الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى انى لك وامق اى محب لغير ريبة (وقال ابن رواحة الحموى)

ان كان يحلو لديك قتلى * فزد من الهجر فى عذابى ٩١ عسى يطيل الوقوف بينى * وبينك الله فى الحساب (حكى) ان بعضهم أنشد شابا كان يحبه

ماذا تقول اذا اجتمعنا فى غد
وأقول للرحمن هذا قاتلى

فقال له الشاب أقول هذا أراد ان يبكى فأمكنته (وقال ابن سنا الملك) من رسالة وأنا والله فى أمرك مغلوب والسبب انى أنا المحب وأنت المحبوب ولا أتجالد عليك لأغرك وأخون حبك ولا أتصنع عليك فأغشك واغنم قلبك اعمل ما شئت فأنا الصابر واقتل كيف شئت فأنا الشاكر وقل فلى سمع يعشق قولك والتفت تر آمالى ترفرف حولك فافعل فأنت المعذور واستطل فما أنا المضرور بل المسرور وارجع الى الود الذى بيننا فكل ذنب لك مغفور (وقال أيضا) وأنا أستعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك ويعجل عذبك ويصرف قلبك ويجعلك ثانى عطفك ويغيرك على القلب

لست على هجرك جلد القوى
ولا على عتبك شاكى السلاح

(وقال ابن السوادى) الشاعر المشهور

أشكو اليك ومن صدودك أشتكى
وأظن من شغفى بأنك منصفى
وأصد عنك مخافة من ان يرى
منك الصدود فيشتفى من يشتفى

(وحكى القاضى) أبو عمر محمد بن يوسف الازدى قال كنت أساير أبا بكر محمد بن داود الاصفهانى ببغداد واذا بجارية تغنى من شعره

أشكو اليك فؤادا انت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقم يزيد على الايام كثرته * وأنت فى عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلى فى الهوى سفها * وأنت يا قاتلى ظلما تحلله

فقال محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات

فى كتاب الانساب كانت العرب تعد الرجل منها مالم يفارقهم بخمس بطون فاذا بلغ ذلك قالوا اقطع النسب ورميت العصا وكان عبد الله هذا يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب قال فى بلغة الاشفاق فى ذكر أيام العشاق وهو جزء لطيف لابن رشيق موضوعه ذكر مدة العشاق فى العشق ان عبد الله هذا أقل العشاق ايام عاش مكابدا المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة وهو جاهلى ضرب به المثل كما ضرب بعروة فما قيل فيه قول قيس

فما وجدت وجدى بها أم واحد * ولا وجد النهدى وجدى على هند
ولا وجد العذرى عروة فى الهوى * كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

فقوله النهدى اشارة الى ابن عجلان هذا وقد سماه عمرا فى أبيات سبقت فى قصته وقوله على هند متعلق بوجدى فليحذر من فهم صاحب النزهة وقول البحترى

هوى لا جميل فى بثينة ناله * بمثلى ولا عبد بن عجلان فى هند

وهند هى بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدى يتصل مع عبد الله فى النسب قال فى الطرائف ان سبب اعتلاقه بها انه خرج يوما الى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة فمكث ينظر اليهن مستخفيا فصعدن حتى بقيت هند وكانت طويلة الشعر فأخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر ونهض ليركب راحلته فعجز وأقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فيجتازها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته فأنشد فورا

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة * اذا شئت لمسا للثريا لمستها
أتتنى سهام من لحاظ فأرشقت * بقلبى ولو أسطيع ردا رددتها

ثم قال هذه والله الضالة التى لا ترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبر صديقا له فقال اكتم ما بك واخطبها الى أبيها فانه يزوجك بها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها وأقاما على أحسن حال وأنعم بال لا يزداد فيها الا غراما فمضى عليهما ثمان سنين وانها أقامت على ذلك لم تحمل وكان أبوه ذا ثروة وليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى فعاود أباه فأمره بطلاقها فأبى فألح عليه وهو لم يجب الى أن بلغه يوما ان عبد الله قد تمكن السكر منه فعدها فرصة وارسل اليه يدعوه وقد جلس مع أكابر الحى فنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما أظنه الا عرف انك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لت وأظن انك فاعل قال فى النزهة وكان قد دخل على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصا وأخبرت هندا انها ستطلق فأبى عبد الله الا الخروج

سارت به الركبان (وقال أبو عبد الله) قلبي عليك أرق من خديكا * وقواي أوهى من قوى جفنيكا لم لا ترق لمن تعذب قلبه ظلما ويعطفه هواه عليكا (وقال أبو العلاء المعري) ٩٢ لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

(وقال ابن سنا الملك)

وغانية لم تعد عشرين حجة

أقول لها قولا لديه صواب

عليك زكاة فاجعليها وصالنا

فعمرك في العشرين وهي نصاب

(وقال ناصر الدين بن النقيب)

لقد وجبت عليك زكاة حسن

وفيه كمثل ما في المال حق

فلا تعدل به عني فاني

لمصرفه الفقير المستحق

وقال (القاضي) شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة

لولا أكن في رتبة أرعى لها ال

عهد القديم صيانة للمنصب

لهتكت ستري في هواك ولذلي

خلع العذار ولاح فيك مؤنبي

لكن خشيت بأن تقول عواذلي

قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

(وقال آخر)

تجني عليك اذا خلوت كثيرة

واذا حضرت فانني مخصوم

لا أستطيع اقول انت ظلمتني

الله يعلم انني مظلوم

(وقال المكرم)

الناس قد أغوا فينا بظنهم

وصدقوا بالذي أدري وتدرينا

ماذا يضرك في تصديق ظنهم

بأن نحقق ما فينا يقولونا

حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة

بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

(وقال المتنبي)

زودينا من حسن وجهك ما دا

فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فأثرت في ثوبه فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله فأقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجدا كاد أن يقضي معه وأنشد

طلقت هندا طائعا * فندمت بعد فراقها

فالعين تذرف دمعها * كالدر من آماقها

متحلبا فوق الردا * فتجول في رقراقها

خود رداح طفلة * ما الفحش من أخلاقها

ولقد ألذ حديثها * وأسر عند عناقها

ان كنت ساقية بمز * ل الادم أو بحقاقها

فاسقي بني نهد اذا * شربوا خيار زقاقها

فالخيل تعلم كيف ألـ * ـحقها غداة لحاقها

بأسنة زرق منحـ * ـن القوم حدرقاقها

حتى ترى قصد القنا * والبيض في أعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد وتوفي على ما ذكر في النزهة قبل عام الفيل بأربعة أعوام وكان سبب وفاته على الاصح انه قصد هندا وقد تزوجت في نمير وهي قبيلة من عامر وكان بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء كثيرة فحذره أبوه من ذلك ومنعه الاجتماع بعكاظ في الاشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب فأبى وخرج سرا حتى أتاها فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقي ابلا له فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا الى الارض فجاء زوجها فوجدهما ميتين وقيل ان عجوزا دخلت عليه في مرضه فأخبرتهم انه عاشق وان يطبخوا له شاة ويرفعوا قلبها ويقدموها اليه ففعلوا فجعل يحاولها بضعة بضعة فقال أما شأنكم قلب فقال له أخوه أعاشق أنت ولم تدر فتأوه ومات وقيل رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه حين جاذبته فمات وقيل انه ترنم بهذه الابيات يوما ومد بها صوته فمات وهي

ألا ان هندا أصبحت منك محرما * وأصبحت من أدنى حموتها حما

فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه * يقلب بالكفين قوسا واسهما

وقيل ان هذه الابيات لمسافر بن عمرو أنشدها حين ولع بهند بنت عتبة وأراد زواجها فخرج الى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها وقيل جاءت منه فخرج هاربا وأصابه من عشقه بها مرض كبر معه فاستحضر له النعمان أطباء العرب فأجمعوا على كيه فكوى وبرئ فقدم أبو سفيان أو هو غيره فسأله عن مكة فلما انتهى الى زواج هند شهق فمات وقيل خرج فمات في الطريق وقيل هي بعض الابيات المغيرة في أسماء أنها شلية والصحيح ان أبيات المغيرة هذه

م فحسن الوجوه حال تحول وصلينا نصلك في الدنيا * ن المقام فيها قليل (أقول) هذا البيت الاخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغاطة الحبيب واستعطافه وأما الاول ففيه تنفير لمليته أراح واستراح وترك التحكم بالوجوه

تحدثنا أسماء ان سوف نلتقي * أحاديث طسم انما كنت حالما
ألا أصبحت أسماء حجرا محرما * وأصبحت من أدنى حموتها حما

ولابن عجلان أشعار كثيرة من محاسنها قوله

قد طال شوقي وعادني طربي * من ذكر خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال صورتها * أو مثل تمثال صورة الذهب

ومنها

ألا ابلغا هندا سلامي وان نأت * فقلبي مذ شطت بها الدار مدنف
ولم أر هندا بعد موقف ساعة * بأنعم من أهل الديار تطوف
أتت بين أتراب تمايسن اذ مشت * دبيب القطا أوهن منهن ألطف
يباكرن مرآت خليا وداده * ذكيا وبالايدي مدال ومسوف
أشارت الينا في حياء وراعها * سراة الضحى مني على الحي موقف
وقال تباعد يا ابن عم فانني * منيت بذي صول يغار ويعنف

ومنها

خليلي زورا قبل شحط النوى هندا * ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا
ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة * أغيا يلاقي في التعجل أم رشدا
ومرا عليها بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

(أخبار ذي الرمة وصاحبته مي)

هو غيلان بن معدي بن عمرو الكناني القحطاني أو هو سعدي وقيل ابن عقبة بن بهوس ابن ربيعة يتصل من عبد مناف بالياس بن مضر وهو الاصح أديب شاعر رقيق النظام جزل الكلام وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير بأحوال العشق والرمة بالضم وتكسر قطعة حبل تجعل في عنق البعير ووهب طريف بن غطفان بعيرا لشخص بالحبل الذي في عنقه فقيل أعطاه برمته فضرب مثلا لمن يعطي الشيء جميعه وبالكسر العظام البالية وسمي بذلك لانه كان كثيرا ما يجعل في عنقه وعلى عاتقه الحبل أو انه سمي بذلك لشدة نحوله في العشق ومي هي بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغساني أحد ملوك العرب ووالده قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ في الملك تميل اليه العرب ويعطي القياد حتى ضربت به الامثال قال طرفة بن العبد بعد اشتكاء سوء حظه

ولو شاء ربي كنت قيس بن عاصم * يعني في ارتفاع الجد وسعة الملك قال في النزهة وكان ذو الرمة لطيف المنظر حسن الهيئة طويلا الى رقة وبياض واسع الصدر عبل المشية وكانت مي جارية الى القصر ما هي سمراء بدينة الا ان في كلامها عذوبة وفي طرفها تغزل

الملاح على ان التلعفري اقتدى به في التهكم بأحبابه (فقال دوبيت) يا نار لربع الصبر مني مهدوم
ما ان يرى لغائب الوصل قدوم * خف ربك في العشاق وارفق بهم * ٩٣ ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

(الباب التاسع في الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل)

أقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب وشكوى الجوى في الجواب وهو باب مطروق نافق السوق طالما عرض فيه المحب على الرسول سلعة الفضول لاسيما من عيل صبره واشتد أمره فأصبح وهو في البيت طريح واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح كما قيل

فيا نسيم الصبا أنت الرسول له * والله يعلم اني منك غيران
بلغ سلامي الى من لا أكلمه * اني على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له غضبي * فذا التمني تمويه وبهتان
وكيف أغضب لا والله لا غضب * اني لما رام من قتلي لفرحان
أكل يوم لنا رسل مرددة * وكل يوم لنا في العتب ألوان
أستخدم الريح في حمل السلام لكم * كأنما أنا في عصري سليمان

فهو من الهوى على خطر ومن اقامة الهجر على سفر لا يقر له قرار ولا يصطلي لوجنة محبوبه بنار لا جرم انه يتعلل بالنسيم العليل ويقول لاستنشاق اليسير منه قليلك لا يقال له قليل (ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب) قول الواوا الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(أخذه) من قول عمر بن أبي ربيعة

من أبيات يصف بها قوادة فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب تغلظ القول اذا لانت لها
وتراخى عند سورات الغضب ٩٤ قيل ان ابن ابى عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا اما أحوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم
مثل قوادتك هذه (ومثل قول
الواوا قول الآخر)
ألا يا نسيم الريح بلغ رسالتى
سليمى وعرض بى كأنك مازح
وان أعرضت عنى فقوم مغالطا
بغيرى وقل ماتت عليه النوائح
(وقول الآخر دوبيت)
باللطف اذا لقيت من أهواه
عاتبه وقل له الذى ألقاه
ان أغضبه الوصال غالطه به
أورق فقل عبدك لا تنساه
(وقال أبو فراس)
هبت لنا ريح شمالية
متت الى القلب بأسباب
ادت رسالات الهوى بيننا
عرفتها من بين أصحابى
(وكان) الصاحب بن عباد رحمه الله
اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما
وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا
فى كتابى سلوك السنن فى وصف
السكن وذكرت فيه أشياء تليق
بهذا الباب منها قول أمين الدين
ابن عطايا
أنا أهوى غصن النقا وهو لاه
وفؤادى بحبه فى التيه
يا نسيم الصبا ترفق عليه
وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا
لك امينا فى حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيما
نحو غصن النقا فمن ينبيه
(وقال ابن الخياط الدمشقى)
يا نسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند ولقد رابنى شذا منك ما عهدته باطلال نجد والوجه
(وقال مهيار الديلمى) حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزامى وابعثوا لى فى الدجى طيفكم

قال فى الطرائف ان سبب اعتلاقه بها انه مر يوما بالحى وقد أدركه الاوام فنظر الى بيت قد
شرع رواقه وارتفعت اطنابه وعلا عموده واطنابه ومدت اوتاده وأسبابه فقصده
حتى وقف بازائه واذا هو بامرأة تمشط حاسرة الرأس قد أسبلت شعرها كأنه عثا كيل
النخل ووجهها يشف من خلاله فناداها هل من اداوة تبرد الغليل فأبرزت اليه ماء قد
شيب بلبن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل وقدمت اليه طعاما فأكل ولم تزل تنادمه وهو
يعجب بها ويحترك لها قلبه الى أن انصرف بعد بياض النهار وقد علق من قلبه بحبها الاعج
عجز عن اطفائه وغرام كل عن اخفائه فجعل يعاودها الزيارة فقيل له فى تقليل ذلك وان
بلادها بعيدة عن بلاده وان ذلك يوجب له نصبا ومشقة فانشد

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون فأفضوا الى حديث ذى الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزارى وهو
يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال مهلا خذوا خبره أتانى يوما فقال ان حى مية خلوف فهل
تسعدنى فى الزيارة فركبنا حتى أتيناها فلما نظر النساء الى ذى الرمة عرفنه فجئن حتى
جلسن عنده وتفاوضوا فى الحديث فقالت ظريفة من النساء اسمعنا يا ذا الرمة ما قلت
فالتفت الى وقال لى قل فأنشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتى * فمازلت أبكى عنده وأخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى اظعان مى كأنها * ذرا النخل او أثل تميل ذوائبه
فاسبلت العينان والقلب كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق حان الفراق ولم تحل * حوائلها اسراره ومعاتبه
هو الالف قد حان الفراق ولم تحل * محاولها اسراره ومقانبه

قالت الظريفة لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذى * أحدثها الا الذى انا كاذبه
اذا فرمانى الله من حيث لا أرى * ولا زال فى أرضى عدو أحاربه

قالت مى ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله عز وجل ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مى سوارح * على القلب أمته جميعا عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مية ما اصحه وهنيأ له قال فتنفس ذو الرمة تنفسة
كاد حرها يذهب بلحيته ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها او نضى الدرع سالبه
فيالك من خد اسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعالل شاربه

وفى رواية القالى اذا راجعتك بدل اذا نازعتك فقالت الظريفة هذا القول قد تنوزع

والوجه بدا فمن لنا بان ينضى الدرع سالبه فقالت مى ماذا تريدين وتضاحكا فقالت الظر يفة ان لهذين لشأنا فقم بنا فقمت ومضيت وجلست بحيث أراهما فتعاتبا طويلا ولن يبرح من مكانه ولم اسمع منهما غيران قالت كذبت والله ولم أعلم علام كذبته ثم جاءنى ومعه قارورة دهن قد اتحفته بها فقال لى شأنك وهى ثم قال وهذه قلائد قد اعطتنيها فوالله لا قلدتها بعيرا وعقدها فى سيفه وانصرفنا فلما ظعن الحى جاءنى فقال امض بنا نودع الآثار فجئنا حتى وقفنا على اطلال مية فانشد

ألا فاسلمى يادارمى على البلا * ولازال منهلا بجرعائك القطر
وان لم تكونى غير شام بقفرة * تجربها الاذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة فقلت مه فقال انى جلد وان كان منى ماترى ثم انصرفنا فوالله مارأيت اشد صبابة ولا أحسن صبرا منه وكان آخر العهد به وله اشعار كثيرة فمن الطفها القصيدة الحائية التى أولها

أمنزلتى مى سلام عليكما * على النأى والنأى يود وينصح

ومنها

ذكرتك اذمرت بنا ام شادن * أمام المطايا تشرئب وتنصح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة * شعاع الضحى فى متنها يتوضح
رأينا كاناعامدون لصيدها * ضحى فهى تنبو تارة وتزحزح
هى الشبه اعطافا وجيدا ومقلة * ومية ابهى بعد منها واملح

ومنها

على حين راهقت الثلاثين وارعوت * لداتى فكاد الحلم بالجهل يرجح
اذا خطرت من ذكر مية خطرة * على القلب كادت فى فؤادى تجرح
تصرف اهوى القلب منى ولا أرى * نصيبك من قلبى لغيرك يمنح
فبعض الهوى بالهجر يمحى فينمحى * وحبك عندى يستجد ويربح
ولما شكوت الحب كيما تثيبنى * بوجدى قالت انما أنت تمزح
بعادا اودلالا على وقد رأت * ضميرالهوى قد كاد بالجسم يبرح
لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من ذكراك فالموت اروح

ومنها

خليلى عدا حاجتى من هواكما * ومن ذا يواسى النفس الاخليلها
ألما بمى قبل ان تطرح النوى * بنا مطرحا اوقبل بين يزيلها
وان لم يكن الاتعلل ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها

ومنها

خليلى عوجا من صدور الرواحل * بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل

ان اذنتم بلغونى ان تناما (حكى) ان نور الدين على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم ابو الحسين الجزار فرو افى طريقهم ءلى نائم تحت شجرة وقد ذهب الهوى ٩٥ فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا فى هذا شيأ فقال فما لبث ان قال نور الدين المذكور

الريح اقود ما يكون لانها
تبدى خفايا الردف والاعكان
وتميل بالاغصان عند هبوبها
حتى تقبل اوجه الغدران
ولذلك العشاق يتخذونها
رسلا الى الاحباب والاوطان

وقال ابو الحسين الجزار ما بقى أحد منا يأتى بمثل هذا فسيروا بنا (وقال على الصفار)

اذا هب النسيم بطيب نشر
طربت وقلت ايه يارسول
سوى انى أغار لان فيه
شذا منه وانه مثلى عليل

(وكان القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من أشواقهم
جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم ياليتنى
كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) أنا كانى حاضر اخاطبه مضمنا

ان كنت فى عشق النسيم متيما
وزعمت ان هواه ليس بمتلف
فأنا أقول ان تحرش بالهوى
عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وقال القاضى محيى الدين ايضا فى محبوبه النسيم

يامن غدا لى من عواصف هجره الريح العقيم * أترى يطيب لى الهوى * و يقال قد رق النسيم (وقلت أنا كانى حاضر اخاطبه)

بالله ان رق النسيم وأخذت * نارتوهجها بذا التبريح * نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العدول وقوله فى الريح

(وقال القاضي محيي الدين ايضا) شكر النسمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه ولكم أطالت بل أطا * بت في وسائلها الذكيا

لاغروان - قطت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه ٩٦ (أخذه) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي من اهل العصر فقال

يا طيب نشر هب لي من أرضكم

فأثار كامن لوعتي وتمسكي

اهدى تحيتكم وأشبه لطفكم

وروى شذا كم ان ذا لرح ذكي

فقلت أنا لما وقفت على قوله هذا

وقول القاضي محيي الدين المتقدم

عليه

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته

تأتي بكل قبيحة وقبيح

نسب المعاني في النسيم لنفسه

جهلا فراح كلامه في الريح

وقد ذكرت في النسيم أشياء مليحة

في كتابي سلوك السنن المذكور

واقتصرت منها على هذا القدر

هنا خوف الاطاله ويجب أن

يكون الرسول من أهل الصيانه

وممن يرجع الى ديانه لئلا يطمع

فيصير خليلا بعد ان كان رسولا

كما اتفق لرسول ابن سناء الملك

الذي قال فيه

راح رسولا وجاءني عاشق

وعاقه عن رسالتي عائق

وعاد لا بالجواب بل بجوى

أخرسه والهوى به ناطق

(وقال آخر)

راح الرسول اليه وهو مقتصد

رجع الرسول الي وهو متيم

ولهذا قال ابن الاثير ليس على

المحسن أمانه وفي مثله تعذر

الخيانه (وقال المتنبي)

ما لنا كلنا جو يا رسول

أنا أهوى وقلبك المتبول

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفي وحي البلابل

ومنها

ولما التقينا جرت من عيوننا * دموع كففنا غربها بالاصابع

ونلنا سقاطا من حديث كأنه * جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

ومنها

اذا هبت الارياح من نحو جانب * به آل مي زاد قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس اين حل حبيبها

(أخبار مالك وصاحبته جنوب)

هو مالك بن الحرث بن الصمصامة بن أخرش الجعدي من بني أخرش أخو ذي الرمة قال في الانساب هم أكبر فخذ من قحطان ولم يعقب أخو ذي الرمة غيره وغير مسعود وهمام وهم قبائل معروفة وكان مالك شجاعا جلدا اذا النجدة ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان وعشرين من عمره (وجنوب) هي بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أخرش الجعدي علقها شابين وسبب ذلك أنه جاء يوما الى أخيها الاصبغ يسترفقه الى حي من كنانة لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقرابة فرأى جنوب وقد ألقت ماعليها خلا سب أخضر شفاف فرآها على بغتة فوقعت من قلبه فعاد وقد تمكن حبها منه فافضى بذلك الى رجل من أصحابه فوشي به الى أخيها وكان معروفا بالشجاعة فخاف ليقتلنه ان تيقن ذلك فضمهما يوما مجلس وقد أقبلت جنوب فلم يستطع أن يكلمها واخذته رعدة فضمه شخص الى صدره وفطن الاصبغ فقام خجلا وبقي مالك مغشيا عليه فلما أفاق انشد

خليلي ان حانت وفاتي فادفنا * برابية بين المقابر فالنقر

لكيما تقول العبدلية كلما * رأت جدثي سقيت يا قبر من قبر

وفي النزهة فادفنا عظامي ما بين الربية فالنقر قال والربية طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب والنقر تربة مشهورة وهذه الرواية أصح وأنسب بالمعنى وفيها بدل سقيت حييت ثم ان العرب نجعوا النجعة وسية يعني مكانا امطر وأعشب سابقا فوقف مالك يتصفح الظعن متخفيا حتى مرت جنوب فأخذ بخطام بعيرها وأنشد

رأيتك ان ازمعت اليوم نية * وغالك مصطاف الحي ومرابعه

أترعين ما استودعت ام أنت كالذي * اذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت ثم قالت أرعى والله ولا تهون عندي ودائعه فاطلقها ومضى في نشيده يقول

الان ورداونه قبله الحي * مني النفس لو كانت تنال شرائعه

وكيف ومن دون الورود عوائق * واصبغ حامي ماأحب ومانعه

فلا أنا فيما صدني عنه طامع * ولا ارتجي وصل الذي هو قاطعه

ثم انصرف فبات ليلة قلقا فلما أصبح ركب وضرب الفضاء ليتنزه نفسه فبينما هو على ماء

وكلما عاد من بعثت اليها * غارمني وخان فيما يقول أفسدت بيننا الامانات عينا * ها وخانت قلوبهن العقول يستريح

اي عيناها بسحرها أفسدت أمانة الرسول في الرسالة وخانت العقول قلوبها اي فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجاني

يسترج اذ سمع شخصا يشتكي الى شخص ثقل رأسه وقلة سمعه فقال له منذ كم أصابك قال من أمس فقال هـذا من الهواء الذى كان بارحة أمس فانه جنوب وهواء الجنوب ضار فلما طرق الكلام رأسه قال اى والله ولا أضر من هواها أحد وسقط كالمصروع فجاؤا اليه واحتملوه بعد أن قارب الفراق ثم مضوا به الى الحى فقام ليلتين ثم قضى (وفى النزهة) انهم دعوا له بطبيب فلما أبصره انكر حاله فدعا بشراب وسقاه فلما تمكن منه انشد

خليلي ان العبـدلية أزمعت * على الصد والهجران فاستدنيا نعشى
فلا صبر لى بعد الفراق على الجفا * ولا راحـة الا التوسـد فى رمسى
فصـبر محب عن حبيب يحبـه * محال وهـل جسم يعيش بلا نفس

ثم شهق شهقة خرجت نفسـه قلت وهـذه الابيات قد نقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الاذهان فى منتخب شعر قتلى الحسـان وفى النزهة نقله عن ذى الرمة ورواه بلفظ ان المنقرية يعنى مية وفى لطائف الفوائد وظرائف الشوارد لابن عبد ربه أن مالكا هـذا الماضى اتصـل نعيه بجنوب وقد قـدم اليها اللبن فلما امتصته ووقع الكلام فى اذنها اضطربت خفيفا ثم اضطجعت فاذا هى ميتة

(أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش)

هو عبد الله بن علقمة بن زرارة من قحطان (وصاحبته حبيش) بنت سعد بن أسلم من خزيمة قبيلة من اليمن ولم يذكره فى النزهة ولكنى رأيت فى ظرائف الاخبار ان سبب اعتلاقه بها انه اضاف أهلها فاجلسوه فى متحـدث لهم فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر فوقفت تحلب ناقـة وهو ينظر فضرب الهواء السب فكشف وجهها ويديها وكانت طويلة الى الرقة واسعة الصدر كان وجهها البدر فلما عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فسكتت خيفة ان يظهروا على حاله ثم جاءت اليه باللبن ليشرب فلما تناوله ارتعـد حتى سقط من يده ففطنت لما به وكان شابا كانه القمر فداخلها ما داخله ولم يكونا يتقاربين فى المنزل لانهما من فخذين فافترقا على ما داخلهما من الهوى وان الغلام ارسل امه بهدية اليها وتبعها واقاما عنـدها فلم يزل كذلك يذهب مع امـه ويعود اليها أياما وكان فى اوائل الهجرة فارسل رسول الله صلى الله عليه وسـلم سرية الى جذيمة وعليهـم خالد بن الوليـد فصادفوا العرب ظاعنين ورأوا عبد الله وراء القوم يسوق قلوصا له فأمسكوه وعرضوا عليه الاسـلام فقال وما هو فقالوا كذا وكذا فقال أرأيتم ان أنا لم أسلم فما أنتم صانعون قالوا نضرب عنقك فقال هـل لكم أن تتركونى امضى الى الظعن قالوا بلى ونحن فى اثرك فمضى يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش فناداها أسلمى حبيش فقد نفـد العيش وفى رواية انقطع فقالت حبيش اواسلم عشرا أو تسعا وترا او ثمانا وثلاثا تترا على الخلاف فى السيرة والمستدرك والتهذيب ثم انشد

أريتـك ان طالبتكم فوجدتكم * ببرزة او أدركتكم بالخوانق

قسما لقد سجع النسيم عليلا * لما سرى منى اليك رسولا
ودرى بحبك انه قـد خانني * فغدا يجر من الحياء ذيولا
ومن احسن ما سمعته فى الرسائل والتلطف فى الوسائل ما حكى عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان فى ايام أبيه احب قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يمكنه أن يجتـمع بها ومضى على ذلك مدة أيام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهـم مرادها بذلك وجاءه القاضى الفاضـل فعرفه الصورة فقال فى الحال

اهدت لك العنبر فى وسطه
زر من التبر رقيق اللحام
فالزر فى العنبر تفسيره
زر هكذا مستترا فى الظلام

وقال علاء الدين المغربى من رسالة النيرين وهى من المحب الكئيب الى حبيب الحبيب افتتحها بقوله يقبـل الارض وينهى بين يدى المالك الرحيم سلطان الملاح وليث الكفاح منها

ذهب النيل وعادا
وغـرامى يتمادى
كلما قلت غدا يـ
ـقص بعض الوجد زادا
كل قلب غـير قلبى
نال فى الحب المرادا
وأنا المسكين وحدى
نلت فى الصب العنادا

(قال الراوى) ثم ان علاء الدين قال وانا المسكين وحدى بلت فى صحن القطائف وعملت الخل ناطف وصلبت ابليس بدقنه وتركتـه يخفض ويصـفق ويغنى تلالاه ١٣ تر ل تلالاه * ياعو بنات الغزاله رحم الله من قتلنى واى فخر فى قتل مثلى وهل انا الا شويعر مخارف مسخرة قد جعل رسائله وسائله وقصائده مصائده يستحلب ضراع الضراعه ويغط قناع القناعه ان جاع اكل من تقطيع الاعاريض وان عطش

اما كان حقاً أن يَنَوّل عاشق * تكلف ادلاج السرى والودائق

فانى لاسر لدى اضعته * ولاراف عينى بعدو جهك رائق

على ان ما ناب العشيرة شاغل * ولاذكر الا أن يكون توامق

فها أنا ماسور لديك مكبل * ومان رآنى بعدها اليوم ناطق

فاجابته

أرى لك أسباباً أظنك مخرجا * بها النفس من جنبى والروح زاهق

فاجابها

فان يقتلونى يا حبيش فلم يدع * هواك لهم منى سوى غلة الصدر

فانت التى قتلت جلدى على دمى * وعظمى واسبلت الدموع على النحر

فاجابته

ونحن بكينا من فراقك مرة * وأخرى وقاسينا لك العسر باليسر

فانت ولا تبعد فنعم اخو الندى * جميل الحيا فى المروأة والبشر

وفى رواية بعد قوله تكلف ادلاج السرى والودائق

فلاذنب لى قد قلت اذ اهلنا معا * اثيبى بود قبل أخذ الصفائق

اثيبى بود قبل ان يشحط النوى * وتنأى الليالى بالحبيب المفارق

ثم ضربه غلام فاطار يده وقدم فضربت عنقه وقيل اوثقوه اولا حين ادركوه وأنه رأى رجلا منهم فقال له أما تستطيع ان تعرضنى على النساء قبل أن تقتلونى فقال سهل ما طلبت وعلى كلا الاحوال أنهم قتلوه وانها نزلت حين رأت ذلك فقبلته وشهقت شهقة أو شهقتين فماتت ولما اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال أما كان فيكم رجل رحيم وفى نديم المسامرة للمقدسى أن عبد الله هذا حين فشا امره مع حبيش قالوا لامه ان ولدك قد تولع بهذه وليست من حيكم فاعرضى عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ففعلت فقيل له ماترى فيهن قال حسنا وجمالا فقيل أيما أحسن هن أم حبيش فتنفس الصعداء ثم قال ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فمضى مثلا فى العرب

(أخبار نصيب وصاحبته زينب)

هو ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة الشهير بالشاعر الزنجى مولى راشد ابن عبد العزى من كنانة وصاحبته أم بكر زينب بنت صفوان بن غ يى كنانية فى الاصح وليست زنجية كما زعم وسبب الوصلة بينهما أن نصيبا كان يرعى ابلا لمولاه وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان فى المبرك بوادى البوار وكانت زينب تأتى رعاة ابيها فتأخذ لبنا وان نصيبا تولع ببرى القسى واراشة السهام وجز الاوتار فبرع فى ذلك حتى اشتهر فى أحياء العرب وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة فتقوم عنه بالخدمة وتخاف

شربه من بحور القريض فى زمان لافرق فيه عند اهله بين القادح والمادح والصائح والناثح (قد ذقت منه ما ليس يقلعه * ابو الحسين القلاع من ضرسى) بل اى شىء أحسن من خشفين مترفين اليفين يتراضعان ثدى الصحبه ويتراشفان كأس المحبه ويقتطفان ثمر الوصال ويتساقيان انواع الدلال ويتواصفان لواعج الغرام ويتباسطان مباسطة الحمام ولا يحضره ما غير مزاح وصراح ولا يلمهما غير كاس راح

اثنان كالفرد من طول اعتناقهما

بانا بليل حميد غير مذموم

يسفران عن نيرين ويبتسمان عن درين ويتسارقان النظر بلواحظ جؤذرين كانهما اقتسما فنون الحسن والاحسان بكفتى الميزان ان تنافلا بعتاب اوتراسلا بكتاب فدر منثور وسحر غير محظور وان تسابقا فى ميدان الهوى اوتراشقا بسهام الجوى فالواتر موتور والساحر مسحور وهى رسالة لطيفة ظريفة كلها من هذا النوع اقتصرت منها على هذا القدر خوف الاطالة وقد ذكرتها بكمالها فى الجزء الثانى من حاطب ليل وقلت انا مما كتبته الى بعض الاصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها

بما أعين ترنو اليكم وترمق

ولى قلم امسى لرطب لسانه

سلام مشوق قد براه التشوق

(الباب العاشر فى الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه) اقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر وما قيل فى سيره من المثل السائر الحلوب اذ الشعراء فى اقتناصه تحيل وحسن تخيل طالما كثروا من ذكره واستخرجوا من وكره فقربوا عليه بعد المسافة

وكيف اذا اغمضتهن اصيده
ومن عادة الاشراك للصيد تفتح
وما احسن قول الشيخ جمال الدين
ابن نباتة في التورية
ومولع بفخاخ
يمدها وشباك
قالت لي العين ماذا
يصيد قلت كراك
(وقال أيضا)
واقسم لو جاد الخيال بزورة
اصادف باب الجفن بالفتح مقفلا
(وقال ابو محمد) عبد الله
السروجي واحسن ماشاء
انعم بوصلك لي فهذا وقته
يكفي من الهجران ماقد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني
اعطى وصولا بالذي أنفقته
يامن شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذي جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبري فرقته
كم جال في ميدان حبك فارس
بالصبر مني في هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم
عبدي وملك يدي وما اعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
ادري بذا وأنا الذي شوقته
ياحسن طيف من خيالك زارني
من فرحتي بلقاه ماحققته
غضي وفي قلبي عليه حسرة

الحلوب من النوق في المعاطن فتأتي زينب وهي جارية صغيرة فتأخذ اللبن فينظرها وكان حاذقا حسن التأمل في دقائق المحاسن ولطائف الشمائل وهي من ذلك في أرفع المراتب فنشأ عنده من حبها ماغير باله وأشغل حاله فشبب بها وفشا ذلك فأتت العرب مولاه فقالت ان عبدك هذا قد برع في الشعر ونخشى ان يهجو أحدنا ويشبب بنسائنا وليس لنا في أحد الخلتين سيرة فقال له مولاه اني بائعك فانظر لنفسك فأقبل حتى دخل على الامير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان فأنشد

لعبد العزيز على عترته * وغيرهم منن ظاهره
فبابك أسهل ابوابهم * ودارك مأهولة عامره
وكلبك أرأف بالزائرين * من الام بالابنة الزائره
وكفك حين ترى السائلين * لأ ثرى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنا الثناء * بكل محبرة سائره

فأمر له بألف دينار فقال أصلحك الله اني عبد لا آخذ الجوائز ولكن أباع فقال لخادمه امض به الى باب الجامع فاذا انتهت الرغبات فيه فأخبرني فمضى فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين دينارا فقال نصيب قولوا يحسن كذا وجعل يعدد صنائعه وهو يوفي بها حتى انتهى الى ألف دينار فأخذه الامير فكان في خدمته الى أن توفي فأوصى به سليمان بعد أن أعتقه على ماذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج فكان من اكبر سماره وكان يلهج بالعشق وقال ابن فاتك في محاسن العبيد ان سليمان استخفى ليلة فسمع نصيبا وقد استخلى بنفسه يبكي ويقول متمثلا بكلام المجنون قضاها لغيري البيت فاستحضره فقال ماهذه التي قضاها لغيرك وابتلاك بحبها أوعاشق انت قال اي والله جعلت فداك من العشق ولمن قال لجارية في كنانة علقتها فنعت منها القلة حسبي وحقارة نسبي عند العرب فكنت اجلس في عزها لا أخالسها النظر وفي ذلك اقول

جلست لها كيما تمر لعلني * أخالسها التسليم ان لم تسلم
فلما رأتني والوشاة تحدرت * مدامعها خوفا ولم تتكلم
مساكين اهل العشق ما كنت اشترى * حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان بتزويجها (في النزهة) ومحاسن العبيد لابن فاتك أنه زوجه بها واقام معها وانها توفيت عنده في خلافة سليمان وقيل انه تزوج بها على يد اليزيد بن الوليد وماذكره هنا من أن يزيدا استخبره هل عشقت فقال نعم عشقت جارية حمراء يعني من البيض ومنعت منها مدة فلما توفي من كان يمنعها كتبت اليها

فان أك حالكا فالمسك لوني * ومالسواد جلدي من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناء * كبعد الارض عن جو السماء
ومثلي في رجالكم قليل * ومثلي لايرد عن النساء

لو كان يمكنني الرقاد لدقته (وقال ابو تمام) زار الخيال لها الابل أزاره * فكرا اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له * من آخر الليل اشراكا من الحلم (وقال أيضا) يالها لذة تنزهت الار * واح فيها سرا من الاجسام

فان ترضى فردى قول راض * وان تأبى فنحن على السواء

فقالت المال والعقل يعطيان غيرهما لو تزوجتني يدل على أن ليس لزيد في تزويجها شئ وقيل انه تزوجها على يد ابن ابي عتيق وفي تسريح النواظر أنه لم يتزوجها وانها اعتذرت حين ارسل اليها بأن العرب تعيرها بزواج الزنجي والمتواتر خلاف ذلك أخبر التنوخي والتوزي كلاهما عن ابن الجزار بسنده الى العتبي قال شهدت هوادج مزينة حين نزلنا الى مكة فلما نزل الحاج خرج من اعظمها هودجا امرأة وقد مهد لها مهاد فجلست وأقبل زنجي حتى جلس الى جانبها غير سائق ابل وهو يقول

بزينب ألمم قبل أن يدخل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

فوثبت المرأة فضربت الذى الى جانبها وقالت قد فضحتنا فسألنا عنهما فقيل هي زينب وهو نصيب ونحو هذا عن الزبير عن الحزامي وعن ابن خلف وابن الجوهري في أخبار السودان وكل يصف المرأة بالبياض ماعدا الاول فانه قال انها زنجية وعن ابن خلف من طريق آخر بينا نحن في الركب اذا بزنجي يمشي والى جانبه امرأة كأنها البدر والمسك يسطع منهما فقلت له من انت قال أنا الذى اقول

ألا ليت شعري ما الذى هو حادث * غدا غربة النأى المفرق والبعد
لدى أم بكر حين يقذفها النوى * بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدى
أتصرمنى عند الذين هم العدا * فتشمتهم بي أم تدوم على العهد

فصاحت المرأة لا والله بل ندوم على العهد وتوفي نصيب سنة ثلاث عشرة ومائة وقيل احدى عشر وفي كتاب ابن الجوهري كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة وقيل توفيت قبله ورؤى باكيا عليها وهو يقول

أيا دهر ماهذا لنا منك مرة * عثرت فأقصيت الحبيب المحببا
وأبدلتني من لا أحب دنوه * وأسقيتني صابا من العذب مشربا

ومن لطائف شعره

كسيت ولم املك سوادا وتحته * قميص من القوهي بيض بنائقه
وما ضر أثوابي سواد وانني * لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه
ولا خير في ود امرئ متكاره * عليك ولا في صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثل ما * بذلت له فاعلم بأني مفارقه

ومنها

ومافي الارض أشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا أبدا حزينا * مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي * وتسخن عينه عند التلاقي

مجلس لم يكن لنا فيه عيب * غير انا في دعوة الاحلام (وقال البحتري) وهو من المكثرين في وصف الخيال المجيد بن فيه والكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل ١٠٠ فقيل خيال البحتري (ومن ذلك قوله) اذا ما الكرى أهدى الى خيالها
شفى قربه التبريح او نقع الصدى
اذا انتزعته من يدي انتباهة
ظننت حبيبا راح مني او غدا
فلم ارمثلينا ولا مثل شأننا
نعذب ايقاظا وننعم هجدا
(وقوله)
ولم انس اسعاف الكرى بدنوها
وزورتها بعد الهدو وما تدري
اذا الليل أعطانا من الوصل بلغة
ثنتنا تباشير الصباح الى الهجر
(وقوله أيضا)
بعثت طيفها الي ودوني
سير شهرين للمهاري العتاق
زارو هنا من الشام مخفيا
مستهاما بأرض العراق
فقضى ماقضى وعاد اليها
والدجى في برودة الاخلاق
(وقوله)
وليلة هومنا على العيس ارسلت
بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي
بعطفى غزال بت وهنا اغازله
فكم من يد لليل عندي جيدة
وللصبح من خطب تذم غوائله
(وقال عبد الصمد بن المعذل)
واصل النوم بيننا بعد هجر
فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير ان الارواح خافت رقيبا
فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا
انه منظر بغير عيان
قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدوني وهي كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على * (أخبار الوزير الزينبي وعنده الحبص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير

ومناهما فانشد   زارالخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل   مازارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل
فقال الوزير للحيص بيص ماتقول في دعواه فقال ان اعادهما سمع لهما ثالثا   ١٠١   فاعادهما فقال الحيص بيص
ومادرى ان نومي حيلة نصبت
لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل
(وقال آخر)
ألا رب طيف منك بات معانقي
الى أن دعا داعي الصباح فهلا
واول من وصف الطيف عمرو بن
قمئة فيما حكاه المرتضى في كتاب
الطيف والخيال فقال
نأتك امامة الا سؤالا
والا خيالا يوافي خيالا
خيال يخيل لي نيلها
ولو قدرت لم تخيل نوالا
وأول من طرد الطيف طرفة بن
العبد حيث قال
فقل لخيال الحنظلية ينقلب
اليها فاني واصل حبل من وصل
(وتبعه جرير فقال)
طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام
واعجب من جرير في طرد الخيال
الراعي حيث هجاه فقال
طاف الخيال باصحابي فقلت لهم
أتلك ليلى اتت ليلا ام الغول
وقد رد على جرير مولانا قاضي
القضاة تاج الدين بن السبكي
واحسن ماشاء حيث قال
ياليت شعري هل احب
جرير اذ أبدى اعتذار
ان كان يصدق حبه
فالقلب منه كالحجار
لا بل اشد قساوة
فانظر له ابدى عوار
اذ قال قولا لم يقله * عاشق أودو جساره   طرقتك صائدة الفؤا * د وليس ذا وقت الزياره   (وقال في الرد عليه أيضا)
هذا مقالك يا جريـ * ـر لدي اشنع مايقال   هل ثم وقت ليس يصـ * ـلح للزيارة والوصال

(أخبار المرقش وصاحبته أسماء)

هو عمرو أو عوف بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة أعلى قبائل طيئ ولد باليمن قبل خروج ربيعة ثم انتقلوا الى العراق فنشأ بها وله أخوان أنس وحرملة دفعهم ابوهم الى نصراني ببغداد يتعلمون الكتابة وكان سعد والده يرى دين النصرانية ومات فقام عمرو مقامه في العرب فكان شجاعا مهابا في العرب خرج يوما وقد قطع وادي نجران بأسد ونمر فلم يطق أحد أن يمر منهما فلما رأى عمرو الاسد وثب عليه فزاوغه ووثب فصار على ظهره فامسك أذنيه مستثبتا ثم دق رأسه وسلخ جلده فلما أحس بالنمر التف في جلد الاسد ونام رافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه وأخذ جلده عليه وأقبل على العرب فسموه المرقش وقيل سمي بذلك لقوله

الدار قفر والرسوم كما * رقش في ظهر الاديم قلم

ومن ولد أخيه حرملة رجل دعته العرب بالمرقش الاصغر لشبهه ذاك وأسماء هي بنت عوف بن سعد بن مالك ايضا وكان عمرو قد ألفها من التربية صغيرين فخطبها الى عمه فأنعم ومضى عمرو الى جار الفلاة فمدحه وحظي عنده فأمسكه مدة وان الغلاء وقع بالبادية وطرقها جدب فقدم مرادي على عوف فخطب أسماء فزوجه بها على مائة ناقة واحتملها الى قومه وعمدوا الى عظام كبش فذبحوه ودفنوا عظامه وصيروها قبرا فلما قدم عمرو أخبروه أنها ماتت وأروه القبر فلزمه حتى ضني وتغير حاله فبينما هو يوما منتحبا اذ سمع ولدا قد اقتتل مع آخر على كعب يقول هذا أخذته من عظام الكبش الذي دفن وقيل لعمرو انها أسماء فدعاه وساله الخبر فحين عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسارا في طلب المرادي فقيل ان اخوته شعروا به فردوه فمات وتظافرت الاخبار بأنه وصل الى واد بقرب مراد وقد ثقل في المرض فقال زوج ابنته لها اتركيه واذهبي بنا فقد أجهدنا فلما سمع ذلك كتب على مؤخر الرحل

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين أن لا تفعلا
فلعل لبثكما يقرب بيننا * أو يسبق الاسراع سيبا مقبلا
يا راكبا اما عرضت فبلغن * أنس بن سعد ان لقيت وحرملا
لله دركما ودر أبيكما * لا يفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام أن مرقشا * أضحى على الاصحاب عبأ مثقلا
وكأنما ترد السباع بشلوه * اذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

فلما رأى اخوته الكتابة قتلا الرجل والمرأة وأما عمرو فحين ذهبا عنه بقي مطروحا فاوى الى غار هناك وكان يألفه راع من مراد فبينما هو به اذا هو بغنم وراعيها فلما بصر به الراعي قال له من انت قال له المرقش أنا رجل من مراد فراعي من انت فأعلمه باسم الذي هو عنده فاذا هو زوج أسماء فقال له هل تكلم مولاتك قال لا ولكن تأتيني جارية من

ام قيل قبلك فارجعي * واذا الذنب لايقال ام كان حبك كاذبا * فدامه بني الخيال ام كان قلبك من حديد فليس تؤذيه النبا

(وقلت أنا) واخجلتا للدبا جريشر في المحافل والمشاهد طرقتك صائدة الفؤا * د فكنت صبا غير صائد

عندها الاخذ اللبن قال في النزهة وكانت أسماء قد مرضت ايضا شوقا اليه فلم تغتذ الا بقدح من لبن في اليوم فنزع عمرو خاتمه وقال للراعي ألقه في القدح فسقته صبت به خبيرا فلما رأته دعت الجارية فأخبرتها أن لا علم لها فنادت زوجها وأخبرته القصة فاستحضر الراعي فلما عرفه ركب وأركب زوجته فأدركوا عمرا وبه رمق فاحتملوه عندهم فمات وقيل أنشد عند موته

سما لهوى خيال من سليمى * فأرقني وأصحابي هجود

فبت أدير أمري كل حال * وأذكر أهلها وهم بعيد

على أن قد سما طرفي لنار * يشب لها بذي الارطى وقود

حواليها مها بيض التراقي * وآرام وغزلان رقود

نواعم لاتعالج بؤس عيش * أوانس لاتروح ولا ترود

يرحن معا بطاء المشي رودا * عليهن المجاسد والبرود

سكن ببلدة وسكنت أخرى * فقطعت المواثق والعهود

فمابالي أفي ويخان عهدي * ومابالي أصاد ولا أصيد

ورب أسيلة الخدين بكر * منعمة لها فرع وجيد

وذي أشر شنيب النبت عذب * نقي اللون براق برود

لهوت بها زمانا في شبابي * وزين بها الحبائب والقصيد

أناس كلما أخلقت وصلا * عناني منهم وصل جديد

(وله)

أعاليك القلب المعوج صبابة * وشوق الى اسماء أم أنت غاليه

يهيم ولا يعيى باسماء قلبه * كذاك الهوى امراره وعواقبه

وعلى قوله يا ركبا البيتين أورد المصنف الحكاية المشهورة دليلا على ذكاء العرب وأسندها الى مجهول واصلها قال في روضة القلوب ان اسامة بن غسان بن حارث الكناني قتل ابو صبرا في تيم فخرج يستجيش له نصرة وذلك قبل يوم أوارة بأعوام يسيرة فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين لخدمته ولحقته علة فعزما على قتله فلما احس ذلك قال لهما هل أنتما مبلغا ابنتي هذين البيتين قالا وما هما قال تقولان

ألا ابنتات الحي ان اباكما * لله دركما ودر ابيكما

فلما أتيا الحي اخبرا بموته فقالوا هل أوصى بشئ فقالا لا ضير علينا فيما ذكره وذكرا لهم القول فقالت احدى بناته اقتلوا العبدين فقد قتلا أبي فقالوا ومن أين لك ذلك قالت ان هذا الكلام سفه وهدر وقد كان مصونا عن ذلك وانما كتم عنهما تكملة البيتين والاصل

ألا ابنتات الحي ان اباكما * أضحى قتيلا في التراب مجندلا

فرددت طيف خيالها
هذا خيال منك فاسد
الطيف اعشق منك اذ
وافى اليك وأنت راقد
لاعادمثلك ما بقى
في الناس للعشاق عائد

(وقلت أيضا من قصيدة)

يطالبني قلبي به فكأنني
غريم وقلبي في تقاضيه مغرم
ولي منه في ليل الكرى ونهاره
خيال ملم وحبيب مسلم

(وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني)

ياحبذا طيفك من قادم
يا أحسن العالم في العالم
طيف تجلى نوره ساطعا
حتى رأته مقلة النائم
ياغائبا يحكم في مهجتي
على طالت غيبة الحاكم
عار على حسنك أن يشتكي
حظي منه انه ظالمي

وقد احسن التهامي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت
سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا لأنه
يخلو من الاثم والتنغيص والندم

وقد بلغ النهاية في اللطف كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن تأخر الخيال فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم
على وقالت رحمة لحبيبي
اخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيبي

وما أحسن ايضا اعتذار المغربي وقد ضمنه لله ابن عنين وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق

سامحت كتبك في القطيعة عالما * أن الصحيفة اعوزت من حامل

لله دركما ودر ابيكما * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة قال وفي البيت خزم بالحرف الاول وهو عيب مشهور سائغ الاستعمال في الصناعة وقوله بنات الحي ثم عدل الى التثنية في قوله ان ابا كما جريا على الغالب في خطاب العرب فانهم يستعملون التثنية في موضع الجمع والافراد قال ابن النحاس وأصل ذلك ان البدوي كان أكثر ما يكون مع راعيه ورفيقه اوأنه نزل ابنيه منزلة الجمع تعظيما ثم عاد الى أصله وقد حكى في شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل وقال في صدر البيت الاول من مبلغ الاقوام ان مهلهلا والباقي على حكمه

(اخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا)

هو عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري وصاحبته هي ريا بنت الغطريف السلمي علقها بمسجد الاحزاب يوم متنزه وأصل ذلك ان عبد الله بن معمر القيسي حين دخل المدينة قال بينما ازورت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا وجلست اذا انا بشخص ينشد بصوت شجي ولا أراه

اشجاك نوح حمائم السدر * فاهجن منك بلابل الصدر
يا ليلة طالت على دنف * يشكو الفراق وقلة الصبر
اسلمت من تهوى لحر جوى * متوقد كتوقد الجمر
ما كنت اعلم انني كلف * حتى تلفت وكنت لا أدري
فالبدر يشهد أنني كلف * مغرى بحب شبيهة البدر

وفي رواية صاحب الاصل تقديم هذا وصدر الذي قبله ما كنت احسب انني شجن فتبعت الصوت فرأيت شابا احرقت الدموع خده فقال لي اجلس احدثك انا فلان كنت يوما بمسجد الاحزاب اذا بنسوة يتنزهن فيهن جارية ثم أرسلها وقفت علي وقالت ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم مضت فلم اعرف خبرها ثم غشي عليه ساعة فلما افاق أنشد

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة * ترا كم تروني في القلوب على البعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى اراكم * ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

فشرعت في تسليته فقال هيهات أو يؤب القارظان مثل مشهور وأصله ان أخوين خرجا يجتنيان القرظ نبت معروف فلم يعلم لهما خبر قال عبد الله فلما طلع الصبح قلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فانشد

يا للرجال ليوم الاربعاء اما * ينفك يحدث لي بعد النوى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني * يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر همه * اوأنه طالب للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما اتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل (وقال آخر) وزار في طيفك من اهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا فكدت اوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا ثم انتبهت وآمالي تخيل لي نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته في المنام معتذرا
الي مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به
وجدته عند الصبح لا كانا

(قيل) من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه شم طيبا أو واصل حبيبا او نال عزا او وجد كنزا فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما رأى انه قد أحدث فاذا انتبه رأى ذلك يقينا في ثيابه كما قيل فيه

أرى في منامي كل شيء يسرني
ورؤياي بعد النوم أدهى وأقبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم
وان كان شرا جاءني قبل اصبح

(وقال المعري)

الى الله اشكو انني كل ليلة
اذا نمت لم اعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لاشك واقع
وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

(وما احسن قول ابن التلميذ)

عاتبت اذ لم يزر خيالك في النوم
فشوقي اليك مسلوب
فزارني منعما وعاتبني
كما يقال المنام مقلوب

(وقال ابن الاحنف)

واحلم في المنام بكل خير
فأصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي * لقيت الشر من قبل الاذان (وما اظرف قول ابن المعتز)

ألم الخيال بلا حمده * وابدى الوصل من صده وكم نومة لي قوادة * اتت بالحبيب على بعده (ومثله قول الآخر)

فمضينا الى المسجد فحين صلينا الظهر أقبل النسوة ولم نر الجارية فيهن فقلن له ما ظنك بطالبة وصالك فقال وأين هي قلن له مضى بها أبوها الى السماوة فأنشد

خليلي ريا قد اجد بكورها * وسارت الى أرض السماوة عيرها
خليلي قد غشيت من كثرة البكى * فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له قد وردت بمال جزيل اريد به الحج وقد عزمت على ان ابذله في حاجتك فهل لك أن تسير معي الى قومها وأبيها فقال نعم فسافرنا الى أن وافينا اباها فقرش لنا الانطاع ونحر لنا النحائر فقلنا لا نأكل له طعاما أو يقضي حاجتنا فقال اذكروها فأعلمناه بخطبة عتبة فقال من عتبة فقلنا من الانصار فقال ذاك اليها فقلنا له اخبرها فدخل عليها وأعلمها فشكرت عتبة فقال قد دعني الى أمرك معه وأقسم لا أزوجك به فقالت ان الانصار لا يردون ردا قبيحا فان كان ولا بد فاغلظ عليهم المهر فقال نعم ما أشرت به ثم خرج فقال قد اجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة أكرس من العنبر فضمنا له ذلك وقلنا له اذا أحضرناها اجبت قال اجبت فاحضرناذلك فأولم أربعين يوما ثم أخذناها ومضينا فحين قاربنا المدينة خرج علينا خيل كثيرة حسبناهم بأمر أبيها فقاتلناهم زمانا فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمه يفور فجئنا النجدة فاذا هو ميت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه وأنشدت

تصبرت لا اني صبرت وانما * اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو انصفت روحي لكانت الى الردى * أمامك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فواريناهما معا قال عبد الله فأقمت سبع سنين ثم رجعت الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لا أبرح أو أزور عتبة فجئت فاذا انا بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر فسألت عنها فقالوا شجرة العريسين

(اخبار الصمة وصاحبته ريا)

هو أبو مالك الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التغلبي من بني ربيعة كان اديبا شجاعا عارفا بأيام العرب ووقائعها ومواضعها وكثيرا ما يسند اليه ابن دريد والاصمعي قال ابن القواد والوزير انه أدرك اواخر الدولة الأموية واوائل الاسلام (وريا) هي بنت مسعود بن رقاش ايضا كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الادب وملح الاشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها فلما شكا ما يجده منها الى بعض اصدقائه أرشده الى تزوجها فخطبها الى عمه فأنعم على مائة من الابل فمضى الصمة الى أبيه فأعطاه تسعا وتسعين فأبى مسعود الا التمام وعبد الله الا ذلك وحلف كل على ما قال وأوقفوا الامر فمات الصمة الانفة

ولحاظه وحديثه المانوس
فاعمد لي في قربه وحضوره
ووفاته الاعلى ابليس
وما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله هذا على أن الطيف لا أعتد له بمنة وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى اغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخيال ودنا واعين الشهب حولي رواني واطراف القسي دوان وكيف أعتد له بمنة والفكر مدنيه وانا يقظان وعثل مالم يكن من قربه كما ملئت العيون منه ما كان (حكي) عن بعض المغفلين انه تعب في تحصيل امرأة كان يهواها مدة طويلة فلما حصلت عنده في البيت وضع رأسه ونام فقالت له لأي شيء فعلت هذا فقال من عشقي فيك انام لعلي ارى خيالك في النوم (وحكي) عن بعض البخلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدي على الارض لكي ترضي فقالت أعطني دينارا وحتى اخليك تضع خدك على خدي ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عادته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

(وقول الآخر)

سقى الله اطلالا بافنية الحمى * وان كن قد ابدين للناس حاليا
فهلا منعتم اذ منعتم كلامها * خيالا يوافينا على البعد هاديا
تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذاك لامر عز عندي سلوكه
يقرب من اهواه حينا فان ابى * حكاه خيالا في الكرى فانيكه

(وقال بعض مشايخ العصر)

لو ان طيفك في المنام جليسي * ما بت اشكو لوعتي ورسيسي
فرأد ارعلى تخرة ريقه *

على ان خرج عنهما الى العراق فقالت الريا مارأيت رجلا أضاعه أبوه وعمه بعيرا الا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها فلما طال عليه الامر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العود بلا طلب مرض حتى أضناه السقم وقيل أتى كاهنا بالعراق فسأله عما أضمر فأخبره انه لا يتزوج بها أبدا فضعف والصحيح كما حكاه صاحب قوت القلوب في أخبار المحب والمحبوب أنه قدم رجل يقال له غاوى بن رشيد بن طلابة المذحجى على مسعود فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائة ناقة برعاتها فزوجه بها فحملها الى مذحج فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد وطال أمره فدخل عليه رجل كان يألفه فعنفه وسلاه فأنشد

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت * به بارحات الصيف بدأ ورجعا
حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وسعيا كما معا
فما حسن ان يأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة اسمعا
كأنك لم تسمع وداع مفارق * ولم تر شعبى صاحبين تقطعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

الرقاشين اسم وادبين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة والبارحات رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب والضمير يعود على الوادى * وفى قوت القلوب اعصفت بها سافحات الصيف يريد بالدار والسافحات أيضا رياح لكنها لا تختص الصيف فيشكل التعيين هنا وقوله وسعيا كما معطوف على قوله ونفسك باعدت يريد ان السعى والنفس ابعداه عن المحبوبة وغلط فى قوت القلوب حيث اعرب وسعيكما منصوبا بالياء على انه معمول باعدت عطفا على مزارك وقوله فما حسن أن يأتى الامر وبكت عينى اليمنى البيتين قد استعارهما المجنون وباقى الشعر واضح ويقال ان فى القصيدة طولا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وجالت بنات الشوق تحنى نزعا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * رجعت من الاصغاء الوى وأجزعا
وأذكر ايام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
أما وجلال الله لو تذكرينى * كذكر انما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرى لو أنه * تضمنه صم الصفا لتصدعا

ولما طالت عليه دعا له صاحبه العراقى بطبيب حاذق فلما تأمله قال انما يشكو العشق لا غيره وأرى أن يلزم النزهة والفرح بنحو البساتين لينشاغل عما هو فيه فاخرجه صاحبه مع بعض الخدم الى الثغور فبيناهو يوما على شاطئ نهر وقد جدّ به الكرب اذ سمع امرأة تنادى ابنتها يا ريا فسقط مغشيا عليه فاحتملوه الى بستان هنالك وأضجعوه فلما أفاق أنشد

تعزّ بصبر لا وجدك لا ترى * سنام الحمى احدى الليالى الغوابر
كأن لسانى من تذكرى الحمى * وأهل الحمى يهذو به ريش طائر

قوله فيشكل التعيين الخ اى التعيين الشامل للاضافة التعيين وقوله وسعيا كما معطوف الخ المناسب عطفه على مزارك كما نقله عن القوت ويؤيده رواية شعبا كما ولغة الزام المثنى الالف فصيحة اهـ

منازل لو مرت بهن جنازتى
لقال الصدى يا صاحبىّ انزلا بيا
(وقال توبة بن الحميرى).
فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها
فلن تمنعوا منى البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها
خيالا يوافينا على البعد هاديا

(الباب الحادى عشر فى قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وما فى معنى ذلك)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصير فأمسى وماله الى اسفار الصباح سفير فهو ينشد من شدة الحرق وكثرة الارق

يا ليل طل او لا تطل
لابد لى ان اسهرك
لو بات عندى قمرى
ما بت أرعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله ويصفونه بسواد الوجه عند حلوله وعذرهم فى ذلك ظاهر وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

ولم يزل يرددها حتى قضى ولما وصل خبره الى الرياد اخذها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت ومن لطيف شعره قوله

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى * ولا جبل الاثال الا استهلت
ألا قاتل الله الحمى من محلة * وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زمانا باللوى ثم أصبحت * براق الهوى من أهلها قد تخلت
فما وجد اعرابية قذفت بها * صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعاء وخيمة * بنجد ولم يقدر لها ما تمنت
اذا ذكرت نجدا وطيب ترابها * وبرد الحصى من أرض نجد أرنت

(ومنه)

أرى الدهر بالتفريق والبين مولعا * وللجمع ما بين المحبين آبيا
فأف عليه من زمان كأنني * خلقت واياه نطيل التعاديا

(أخبار كعب وصاحبته ميلاء)

هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبد الله أو خثعم بن لابي بن رباح بن ضمرة طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبل وكان جوادا سخيا شجاعا مألوف الصورة (وميلاء) هي بنت لابي بن رباح اصغر اخواتها كانت أجمل نساء الحجاز وكان كعب قد خطب الى عمه أخت ميلاء وكانت تسمى أم عمرو فتزوجها فشغف بها شديدا وألفها طويلا وانه دخل عليها يوما فوجدها قد نضت ما عليها وهي عريانة فسترته حين نظر اليها فقال أنشدك الله هل تعلمين امرأة أحسن منك فقالت نعم أختي ميلاء فقال ومن لي بأن أنظرها فأخبأته وأرسلت اليها فحضرت فلما رآها وقعت من قلبه موقعا أدى الى زوال عقله من العشق فانطلق في طلبها فاستعرضها وشكا اليها مالقي من حبها فأعلمته أنها أعظم من ذلك في حبه وشعرت أختها فتبعتهما فرأتهما يتشاكيان المحبة فمضت الى اخوتها وكانوا سبعة فأخبرتهم بذلك وقالت اما ان تزوجوا كعبا من ميلاء أو تغيبوها عني فلما علم بمعرفة اخوتها به هرب الى الشام فمكث بها أياما وان شاميا خرج بريد الحج فضلت به الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقدير لحتوه ميلاء والى جانبها أختها فأنشد الشامي متمثلا

أفي كل يوم أنت من بارح الهوى * الى الشم من أعلام ميلاء ناظر
بعمشاء من طول البكاء كأنما * بها خزر فاطرفها متخادر
تمنى المنى حتى اذا ملت المنى * جرى واكف من دمعها متبادر
كما ارفض سلك بعد ماضم ضمة * بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر

قلت وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه الى الشام والمصنف تبع الشيزري في انه قاله بالشام وأصل الحال غلط الشيزري في قوله الشم فانه قرأها الى الشام بدليل ان الشامي لما أنشد الشعر سألته عن الرجل قال من الشام قالت أو تعرف صاحب

مات الظلام بليل
أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح
بعيش كان تنفس

(وقال شرف الدين أحمد بن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه
والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا
أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال أيضا)

ولرب ليل تاه فيه نجمه
قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابني
لو كان في قيد الحياة تنفسا

قلت وقبل الشروع في ايراد مقاطيع هذا الباب نذكرهنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهي ما حكاه أبو محمد اسمعيل بن منصور الجواليقي قال وقف على والدي وهو جالس في حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال ياسيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما فقال له قل فأنشد

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها
وهجره النار يصليني به النارا
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة
ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

قال فلما سمعهما والدي قال له ياولدي هذا شئ من معرفة النجوم وتسييرها لا من صنعة أهل الأدب فانصرف الشاب من غير حصول

الشعر قال هو اعرابي اسمه كعب مع انه يحتمل أن تكون معرفتها من ذكر اسمها ويكون ماذكر صحيحا ولما أخبرها باسم الاعرابي أقسما عليه ان لا يبرح حتى ينظره اخوتها فانهم يكرمونه ثم سألاه هل تروي لهغير ذلك قال نعم وأنشد

خليلي قد رضت الامور وقستها * بنفسي وبالفتيان كل مكان
ولم أخف يوما للرفيق ولم أجد * خليا ولا ذا البث يستويان
من الناس انسانان ديني عليهما * مليان لولا الناس قد قضياني
منوعان ظلامان ما ينصفانني * بدلهما والحسن قد خلباني
يطيلان حتى يعلم الناس انني * قضيت ولا والله ما قضياني
خليلي اما ام عمرو فمنهما * وأما عن الاخرى فلا تسلاني
بلينا بهجران ولم ير مثلنا * من الناس انسانان يتهجران
أشد مصافاة وابعد عن قلى * واعصى لواش حين يكتنفاني
يبين طرفانا الذى فى نفوسنا * اذا استعجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما ادرى أكل ذوى هوى * على شكلنا أم نحن مبتليان
فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى * ففي كل يوم مثل ما تريان
خليلي عن أي الذي كان بيننا * من الوصل أو ماضي الهوى تسلاني
وكنا كريمي معشر حم بيننا * هوى فحفظناه بحسن صيان
نذود النفوس الحائمات عن الهوى * وهن باعناق اليه ثواني
سلام على العمر يشنى فقد بدا * به السقم لا يخفى وطول هوان
فما زادنا بعد المدى نقص حبه * ولا رجعنا عن علمنا ببيان
خليلي لا والله مالى بالذى * تريدان من هجر الصديق يدان
ولا لي بالهجر اعتلاق اذا بدا * كما أنتما بالبين معتلقان
ولا لاهيا يوما الى الليل كله * ببيض لطيفات الخصور رواني
يمنيننا حتى يرعن قلوبنا * ويخلطن مطلا ظاهرا ببيان
أعيني يا عيني حسام أنتما * بهجران أم العمر تختلجان
فما أنتما الا على طليعة * على قرب أعدائي كما تريان
فلو ان أم العمر أضحت مقيمة * بمصر ودوني الشحر شحر عمان
اذن لرجوت الله يجمع بيننا * وأنا على ما كان ملتقيان
من البيض نجلاء العيون كلاهما * مقيم وعيشى ضارب بجران
أفي كل يوم أنت رام بلادها * بعينين انسانا هما غرقان
اذا ذرفت عيناي قالت صحابتي * لقد ولعت عيناك بالهملان
الا فاحملاني بارك الله فيكما * الى حاضر الروحاء ثم ذراني

فائدة فاستحضا والدي لكونه سئل عن شئ ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنى البيت المسؤل عنه ان الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه في آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندى في غاية الطول وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر وقد أنصف القائل

لا أظلم الليل ولا أدعي
ان نجوم الليل ليست تسير
ليلى كما شاءت فان لم تزر
طال وان زارت فليلى قصير

(وما أحسن قول الارجاني)

وما ليلنا الاسواء وانما
تفاوته انا سهرنا ونمتم

(ومن أحسن ما قيل في قصر الليل) قول أبي اسحق الصولي

وليلة من الليالي الزهر
قابلت فيها بدرها ببدرى
لم تك غير شفق وفجر
حتى تولت وهى بكر الدهر

(وقال الرضى)

هذا ما نقله الحلبي واخرج هنا عن الاغاني ان من قوله ولا الاهيا يوما الى آخر القصيدة لم ينشده الشامي قلت وقوله فني كل يوم أنت رام وقوله ألا فاحملاني الى الميدان مسروقان من كلام عروة بن حزام ثم نزل وجاء اخوتها فاكرموه ودلوه على الطريق بعد ان استخبروا منه عن كعب وموضعه ثم توجهوا في طلبه وضعفت ميلاء على ما رووا في نهاية الادب بصداع اصابها فلما حضروا بكعب نزل ناحية وصادف وقت وفاتها فرأى الناس عند البيت مجتمعين فاحس قلبه بالشر فقال لصبي بازاء البيت الذي هو فيه من أبوك قال كعب وكان تركه صغيرا حين مضى الى الشام فقال له ما اجتماع الناس على طنب هذا البيت قال على خالتي ميلاء ماتت الساعة فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند الى طنب البيت وحوله فوجد ميتا فدفنوه الى جانبها رحمة الله عليهما

(القسم الثاني)

فيمن جهل اسمه أو اسم محبوبته أو شيء من سيرته أو مآل حقيقته

ختمناه بصنف لطيف القوانين في ذكر عقلاء المجانين ونحن وان كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضا لكنهم انما نقصوا شيأ مما ذكرنا بالنسبة الى هذا الكتاب لقلة نقصه والا فهم مشهورون كثيرا بخلاف من يأتي بعد وستقف على كثير منهم كامل النسب والاسباب أذكره ان شاء الله تعالى لكنه غير قوي الشهرة ولم اتبعه في التنويع بأن أقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك اذ لا طائل فيما صنع ولا فائدة فيما نوع ووضع وانما كان الاولى ان يذكر المشاهير ثم أهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون

(فمنهم سامة بن لؤي بن غالب القرشي مشهور)

قال في النزهة نحر يوما للضيوف مائة من الابل فأكلوا قليلا وبقي الغالب فعاتبه أخوه كعب في ذلك وقال له لو أبقيت عليها للحاجة كان اولى فغضب منه ورحل مستخفيا فنزل على أزدي فنظرت اليه زوجته فوقع من قلبها وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا ان يعرف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك فأخذته وامتصته ففطن زوجها لذلك فعزم على قتله فسم له قدحا من لبن وقدمه اليه فغمزته فأراقه ثم ركب وسار فهوت ناقته في الجملة الى عرفجة لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق سامة فمات لوقته وبلغ الازدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما في هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفات الاقدار لم أوردها اذ لا مناسبة لها بهذا المعيار

(ومنهم عمرو بن عوف وريا)

هوي جارية اسمها ريا فشغف بها طويلا فخطبها الى أهلها فلم يجيبوه وزوجوها من غيره فلما شعر زوجها بحال عمرو ومعها رحل بها حتى نزل اليمن ببني الحرث بن كعب وطال الحال على عمرو فطاش عقله وطار لبه فأشار عليه أصدقاؤه ان يقصد مكة فيتعلق بأستار

الكعبة

يا ليلة كاد من تقاصرها
يعثر فيها العشاء بالسحر

(وقال آخر)

سألت الليل لم ولى هزيعا
وقد بات الحبيب على اقتراحي
فقال كواكبي غارت وسارت
مخامرة على الى الصباح

(ومن أحسن ما قيل في طول الليل قول العباس بن الاحنف)

أيها الراقدون حولي اعينو
ني على الليل واتركوا الاعتذارا
حدثوني عن النهار حديثا
أو صفوه فقد نسيت النهارا

وقال آخر

عهدي بنا ورداء الليل مشتمل
والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم
ليل الضرير فصبحي غير منتظر

(وقال ابن العتاريه)

لقد ساهرتني عيون الدجى
وقد نام عني عيون الملاح
اذا ما شكا الليل هجر الصباح
شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال ابن الزقاق)

لي مسكن شطت به غربة
جادت لها عيناي بالمزن
ما أحسن الفجر ولا راقني
بياضه مذ بان في الظعن
كأنما الصبح لنا بعده
عين قد ابيضت من الحزن

(وما أحسن قول القاضي الفاضل)

الكعبة ويسأل الله ما جمعه عليها أو صرف قلبه عنها ففعل فبينما هو يطوف في الموسم
اذ رآه شخص من بني الحرث فوقعت بينهما ألفة فأخبره بالحال وغياب المرأة فاعلمه بمكانها
منهم فقال عمرو هل لك في صنيعة يحسن شكرها قال نعم قل فقال عمرو ليتخلف كل منا عن
اصحابه بعد النفر ثم نسير الى مكان يقرب منها وتمضي انت فتعلمها بمكاني ففعلا ومضى به
الرجل حتى جعله في بيته وذهب فاعلمها فكانت تأتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما القيا من
الوجد فانكر زوجها غشيانها المنزل من غير عادة وحسن حالها بعدما كانت فيه من
الضجر فاظهر لها سفرا يغيب فيه عشرا ثم عاد بعد ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطا امام
البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمرا فثار عليه بالسيف فقال من
نجيني منك يا عمرو وأنا لم أدر بهنا الامنك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من
الحديث وانما غلب على حبها من الصغر فقال زوجها حيث تحققت ان لا ريبة فلا بأس
عليك فأقاما جميعا حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد * وحكي انها عمرت بعده
فسئلت على أي شيء مات عمرو وجدا بك مع انه لا حسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة
ولقد كنت أروى الشعر واحسن الادب

(ومنهم بشير الشهير بالاشتر وجيداء)

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فمنعها أهلها عنه
فثار بينهم شر وخصومة عظيمة فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء الى صديق له يقال له نمير فقال
له هل عندك صنيع تمن به علي عسى ان تعود روحي الي قال اشر بما شئت فاني فاعل قال
تمضي الى حي جيداء فاذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالي فعسى أن تأخذ لي موعدا قال
نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت الى مولاتها فأخذت منها موعدا بأن تأتي
بعد العشاء عند شجيرات هنالك فلما كان الليل اقبلت فقام اليها بشير وهممت بالانصراف
عنهما فقالا والله ما بيننا اكثر مما ترى فكانت تجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت
على الذهاب فكادت نفس بشير ان تزهق ثم سألها الاقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل
الى ذلك الا ان يكون في صاحبك هذا خير فقلت فيم شئتم فرمت بثيابها الي وقالت اذهب
الى خدري كانك انا فسيجيء زوجي ويطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل نكده ثم ارم
به اليه فاني افعل ذلك فاذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه او يطول وقوفه فانه بعد
ذلك لا يأتيك بقية الليلة قال نمير ففعلت ذلك غير اني بعد ان طال وقوفه باللبن وأراد وضعه
واردت أخذه تخالفنا فكب القدح فقال هذا طماح ثم عمد الى سوط مفتول فضربني
حتى زايلتني نفسي وهممت أن اوجره بالسكين فخلصوني وردوا علي الستر وجاءت
امها تعنفني وتوصيني بأن لا اخالف زوجي ظنا انني ابنتها وتقول مالك وللاشتر ثم قامت
عني على ان ترسل لي ابنتها الاخرى تؤنسني فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو على من ضربني
واضطجعت الى جانبي فوضعت يدي على فمها ثم قلت ان أختك مع بشير في موضع كذا وقد

يثنا على حال يسر الهوى
وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له
ان غبت عنا هجم الصبح
(وقال ياقوت)
كأن الثريا راحة تشبر الدجا
لتعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب
يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا
اخذه الشيخ صدر الدين بن
الوكيل فقال
بكف الثريا وهي جذما يقاس لي
شقاق الدجا مدت من الشرق
والغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت
فما تنقضي بالليل أو ينقضي نحبي
وقد أحسن الارجاني في الاعتذار
عن طول الليل فقال
لا أدعي جور الزمان ولا أرى
ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفست
للهم أصدأ وجهها المصقولا
وقال مضر بن القفعسي
وليل تقول الناس من ظلماته
سواء صحيحات العيون وعورها
كأن لنا منه بيوتا حصينة
مسوح اعاليها وساج كسورها
(وقال آخر)
ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى
كأن جفوني مسمعي والكرى عذل
وقلت أنا

جرى لي من جهتها ما علمت وأنت أولى بالستر على اختك فارتعدت ساعة ثم انست فبت معها في أطيب ليلة من اللطف والعفة حتى اذا جاء الصباح واقبلت اختها فاذكرت من معي فقلت هي اختك وستخبرك بما كان ثم مضيت الى بشير فاعلمته بالخبر فلما رأى تأثير الصوت في بدني وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعتك ووجب شكرك قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير الا دون شهر وجاء شخص فقصد مما جنته فقال له وهو يتناول عنبا اتتفكه وجيداء قد قضت الساعة فلم يسمع منه الا شهقة وحركة فاذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها والقت نفسها في بئر هنالك فماتت

* (ومنهم مسعدة بن وائلة الصارمي) *

قال في تسريح النواظر وكان غلاما حسن الوجه سخي الكف شجاعا وان اباه توفي فاختلف مع عمه على بكرات فرحل مغضبا حتى نزل على بني باهلة فاقام عندهم برهة فورد الماء يوما فصادف جارية على بعير تشد عقاله وهمت بالنزول فلما رأته قالت هل لك في ان تكفيني كلفة التعب قال وفيم تتعبين وماذا تطلبين قالت ملء هذه السقاية ورمت بها الي فلما ملأتها وهممت ان تتناولها شمرت عن زندين كانما جبت عظامهما بالبلور الصافي ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كانما تستعير منه الشمس الضياء فداخلني ما خشيت معه زهاق نفسي قال ثم مضى متغير الحال فشكا الى صديق له ما جرى له وسأله عن اسم الجارية فقال هي رملة بنت اثيلة بن مصقع واعلمه بمكانها فكان يمضي في كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو اليها ما عنده من حبها قال الشيزري فداخلها من العشق ما داخله فلما علم اهلها بذلك حجبوها وبلغه انهم خرجوا حياء وخوفا فرأى حمامات على اراكة يحن فهاجت بلابله فأنشد

دعت فوق اغصان من الايك موهنا * مطوقة ورقاء في اثر آلف
فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت * وشبت ضرام الشوق بين الشراسف

ثم أدركه الليل قريبا من حي خشي ان يكونوا من قومها فنزل قريبا منهم فسمع قائلا يقول

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم اخذته سنة فاذا هو بقائل ينشد

ولا شيء بعد اليوم الا تعلة * من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسمع قائلا يقول

ان يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار
لم يبق يوما عاشقان بحالة * الا وقد جاءتهم الاخبار
كل وان طال المدى متصرم * حكم الاله وسارت الاقدار

فقام فركب متفكرا وسار فلما برق الفجر اذا هو براع ينشد

مذ غبت عني شمس الدين ما اكتحلت
عيني بغير ذرور السهد والسهر
كم بت أرعى نجوم الليل من أرق
يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

وقال الشريشي فاما أكثر الشعراء فهم من الليل افزع والى النهار انزع لان الليل اجمع لاشتات الهموم والفكر واجلب لشوارد الاحزان والذكر (وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بانواع الهموم ليبتلي

(وقال قيس بن ذريح)

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدى
لي الليل هزتني اليك المضاجع

(وقال ابن المعتز)

لا تلق الا بليل من تواصله
فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره
لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية
أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وانثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت أمير شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد أخذ بعضهم فقال

كفى بالليالى مخلقات لجدة * وبالموت قطاعا حبال القرائن

فعرف صوته فقال فلان قال نعم فقال له ما دهاك قال قد ضاجعت رملة الثرى فسقط مغشيا عليه فلم يفق حتى حميت الهاجرة ورحل الى بيته فأنشد

يا راعى الضأن قد ألقيت لى كمدا * يبقى ويقلقنى يا راعى الضان

نعيت نفسى الى روحى فكيف اذا * أبقى ونفسى فى اثناء كفانى

لو كنت تعلم ما أسررت فى كبدى * بكيت مما تراه اليوم أبكانى

فلم يزل يردده حتى مات

(ومنهم زرعة بن خالد العذرى)

كان غلاما حسن الوجه عذب المنطق سخى الكف راوية عارفا بأيام العرب واشعارها خرج يوما للصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر فى تمه فحين ابصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وابصرها قال وهل مقتول يداوى به قاتله قالت كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا نصيد فاصطادنا ثم أنشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا * من الريم صادتنى سريعا حبائله

فلما رمانى بالنبال مسارعا * رمانى وهل ميت يداوى به قاتله

الا فى سبيل الحب صب قد انقضى * سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

قال ابن الفرات ثم انه لزم الوساد أياما وان امه اقسمت عليه حين سمعته يكرر الابيات الا ما أخبرها بحاله فاطهرها على الامر فعرفت الجارية فاذا هى ظريفة بنت صفوان بن وائلة العذرى فمضت اليها وأعلمتها القصة وتذللت رجليها على ان تزوره بيتهم فعسى ان يشفى ولدها فقالت ان الوشاة كثيرون ولكن خذى هذا الشعر اليه فان أمسكه فانه يشفى ثم جزت لها شيأ من شعرها فلما ذهبت اليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيأ فشيأ حتى اشتهى ما يأكل فقدم اليه مقتنا وله وقام فكان يأتى قريبا من الابيات فيسارقها النظر وتخالسه هى أيضا الى ان فطن اهلها فآلوا على قتله وبلغه فوقع الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك فلما كان يوم من الايام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فعنف فقال دعونى فانى أرجو ان اظفر او اموت فصحبه غلام قال أبو شراعة فرأيته فى الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبى الابيات ويقول له اذا حاذيت موضع كذا فأنشدها ارفعا صوتك ولك احد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع فأنشد

مريض بأفناء البيوت مطرح * به ما به من لاعج الشوق يبرح

وقالوا الاجل اليأس عودى لعل ما * تشكاه من آلام وجدك يمسح

أقلى النهار اذا أضاء صباحه
وأظل انتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا
والليل يرثى لى فيدبر عابسا

وقد أحسن فى أخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى فى قول المتنبى المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز (فالشمس نمامة والليل قواد) قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال لى شيخنا تقى الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعانى والبيان والبديع أتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبى أزورهم وسواد الليل البيت فاذا قالوا لا قل فأى فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف (ومثل قوله هذا) ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم فى المحبة وأمور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب فى ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل رفت عليك فروع ليلى
رفاف الاقحوانة فى نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقتصر (وقال المتنبى)

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر ان المانوية تكذب

وليس دواء الداء الا بحيلة * اضر بنا فيها غرام مبرح

اذا ما سألناها نوالا تنيله * فصم الصفا منها بذلك اسمح

فتبعت الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذاها رفع عقيرته بالابيات ينشدها فسمعت من بعض الابيات قائلا يقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه * ومن كدت من شوقي اليه اطير

لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة * فان الوشاة الحاسرين كثير

فيمشون يستشرون غيظا وشرة * وما منهم الا اب وغيور

فان لم ازر بالجسم رهبة مصدر * فللقلب آت نحوكم فيزور

وفي النزهة * فان لم أزر بالجسم خيفة معشر * وهو أحسن ثم رجع الصبي فأنشد أبياتها فأغشي عليه ساعة ثم أفاق وهو ينشد

اظن هوى الخود الغريرة قاتلي * فياليت شعري ما بنو العم صنع

اراهم وللرحمن در صنيعهم * تراكي دمي هدرا وخاب المضيع

ثم مضى متنكرا حتى دخل بيته ولزمه اياما الى ان زفت ظريفة الى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم اغمي عليه فحركته فاذا هو ميت وبلغها فلزمت البكاء اياما ولم تمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعها حتى انتهت الى نهر فألقت بنفسها فيه فأخرجها وليس بها حراك ثم احملها الى الخيمة فلما أصبح الصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقا ولكنها لم تفقه كلاما فأشارت ان تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها وفي روضة القلوب انها غرقت ولم تخرج الا ميتة

(ومنهم شخص)

قال التوزي مسندا عن بعضهم انه رآه وقد تهيأ الى الحج فلما دخل بغداد رآه وقد أقبل تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به الى القصر وجوار تناوله بأيديها فقال له ويحك الم ترد الحج فأنشد

ولما رأيت الحج قد آن وقته * وابصرت برك العيس بالركب يعسف

رحلت مع العشاق في طلب الهوى * وعرفت من حيث المحبون عرفوا

وقد زعموا ان الجمار فريضة * و تارك مفروض الجمار يعنف

* فهيأت تفاحا ثلاثا واربعا * فزعفر لي بعض وبعض مغلف

وقفت حيال القصر ثم رميته * فظلت له ايدي الملاح تلقف

واني لارجو ان تقبل حجتي * وما ضمني للحج سعي وموقف

(ومنهم رجل من بني كندة) فخذ من بني عذرة اورده مجهولا وكذا ابن ابي الاصبع في الطبقات في ترجمة الحرث بن كلدة وفي النزهة قال لا نعلم اسمه وحكايته مشهورة وهي ان اخاه استخلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوما ان دخل وزوجة اخيه سافرة

فرآها

وقال تردى الاعداء تسرى اليهم

وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فيكذبهم بأنه وجد الخير في الظلام حيث ستره عن اعدائه ووقاه شرهم وكان عونا له على زيارة من يحبه (وقال ابن رشيق)

أيها الليل طر بغير جناح

ليس في العين راحة في الصباح

كيف لا أبغض الصباح وفيه

بان عني أولو الوجوه الصباح

(حكى الاصمعي) قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا امير المؤمنين ولو في الخمر فقال قاتلك الله ولو في الخمر فانشده

يا شقيق الروح من حكم

نمت عن ليلي ولم أنم

الابيات حتى أتى على آخرها فقال أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فأخذها وخرج (وحكى) عن المطرز الشاعر انه مر وفي رجليه نعل له بالية وهي تثير الغبار فرآه الشريف المرتضى فأمر باحضاره وقال له أنشدني ابياتك التي تقول فيها

فان لم تبلغني اليكم ركائبي

فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فأنشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله

نرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها فكان ما القته من رؤية معصميها اضعاف ما القيته من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب في قلبه فأقام اياما يكابد العناء حتى لزم الوساد وجاء اخوه فأبصره وقد ذوت اعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرّافا ولا طبيبا حتى دعاه له فلم ينجح شيأ فوصف له الحرث بن كلدة وكان أحذق اهل زمنه فلما رآه قال ليس به الا العشق فقالوا وما السبيل الى معرفة ذلك قال تسقوه الخمر فعساه أن يصرّح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة فقال زيدوه ففعلوا فصرّح بركا زوجة اخيه فقال اخوه أشهدكم انها طالق ثلاثا لاني اعتاض عنها ولا اعتاض عن اخي فبشروه فقال هي عليّ كأمي ان تزوجتها ومات بعد قليل وقيل خرج هائما ولم يدر أين مات وان اخاه حين فقده مات اسفا ولما سقوه الخمر غنى ابياتا حذفتها هنا وفي مختصر الطبقات لسخافتها فاختلف في أيهما اكرم * ونظير ذلك في السماحة ما وقع للحكم بن المطلب المخزومي فانه هوى جارية فاشتراها بمال عظيم واراد الدخول بها فلبس أنخر ثيابه ومضى ليعلم اباه وكان ابوه يحب اخاه عتبة اكثر منه فاقسم عليه ان يهب الجارية لاخيه ففعل فأبى اخوه فأعتقها حتى قيل انه مات بحبها وله عطايا مشهورة قيل ان رجلا حجازيا لزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبد الله القسري بعد اباه فصادف الحكم وكان جابيا حينئذ فلما وقف على قصته وهب له أربعة آلاف دينار وقال له وفر عليك المشاق

(ومنهم غلام)

قال في النزهة هذلي واسمه راشد بن صفوان الهذلي قال الجلال السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر ان اسمه غاوي وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم يأتي اليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب الى الصيد فجاء يوما فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم فكسره وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم اقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه الخبر وأسلم فقال له ما اسمك قال غاوي قال وكلبك قال راشد قال لا أنت راشد وكلبك غاوي ثم ذهب وكان يغدو على بني عامر لالفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر وكانت من اجمل نساء العرب ففادره من حبها ما كاد أن يأتي على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها الى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار ذهب عقله فكان يسيح عاريا فصادف صيادا قد اصطاد خشفا فوقف ينظر اليه ويبكي ثم انشد

وذكرني من لا ابوح بذكره * محاجر ظبي في حبالة قانص
فقلت ودمع العين يجري بحرقة * ولحظي الى عينيه لحظة شاخص
ألا ايهذا القانص الظبي حله * وان كنت تأباه فعشرة لانص

البالية وقال اهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني
قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى لاني خلعت ما لا املكه على من لا يقبل فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرز عندي احسن من قول الشريف * وقال ابو البشر المظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لي أجز هذا النصف قد بلغ العشق منتهاه

فقلت وما درى العاشقون ما هو
فقال وانما غرهم دخولي
فقلت فيه فهاموا به وتاهوا
فقال ولي حبيب يرى هواني
فقلت وما تغيرت عن هواه
فقال رياضة النفس في احتمالي
فقلت وروضة الحسن في حلاه
فقال اسمر لدن القوام ألمي
فقلت يعشقه كل من يراه
فقال ريقته كلها مدام
فقلت ختامها المسك من لماه
فقال ليلته كلها رقاد
فقلت وليلتي كلها انتباه

خف الله لا تحبسه ان شبيهه * حبيبي فقد ارعدت فيه فرائصي

فقال له الصياد دونك فخله فتقدم اليه وقبله واطلقه واتبعه نظره حتى غاب ثم قال للصياد ائتني غدا في موضع كذا وأقبل يسوق عشرا من الابل فأبى الصياد قبولها فأقسم عليه الا ما اخذها فقبلها وانصرف

(ومنهم قيس بن منقذ بن مالك الكناني المشهور بابن الحدادية)

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة وخزاعة يتقاربون في المنزل لان بينهم نسبا لم ترم فيه العصاة كان قيس يجلس الى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهما الهوى وقيل انها رأته وقد ركب يوما في ملعب وزينة فغفر على اكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع أتراب لها الى متنزه فنزل وتحادثت معه ساعة فاقبل راع يسوق غنما فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما اكلن وقن ترك الفاضل منها على الارض ثم تمثل بهذا البيت ويقال انه لحاتم الطائي

اذا لم يكن للطير في زاد عزوة * نصيب فليسوا في الورى بكرام

وفي النزهة اذا لم يكن للوحش والمعنى قريب فانتشأ الود بينهما ولم يزل الاعلى ذلك برهة الى أن اجدبت سنونهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان فلما كان يوم من الايام نظرت كنانة الى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلوا أن الغيث عمها فارتحلوا الى ان نزلوا بها فنظر قيس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم فتنفس الصعداء وانشد

اذا ما نأت نعمى فهل أنت جازع * قد اقتربت لو أن ذلك نافع
قد اقتربت لو أن في قرب دارها * نوالا ولكن كل ماص مانع
فان تلق لي نعمى هديت فحيها * وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظني بها حفظ لغيبي ورعية * لما استرعيت والظن بالغيب واسع
وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى * ويسترجع الحي السحاب اللوامع
وماذات جيد نازعت حبل حابل * لتنجو ثم استسلمت وهي طائع
بأحسن منها ذات يوم لقيتها * لها نظر نحوي كذى البث خاشع
كأن فؤادي بين شقين من عصا * حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لها يا نعم حلي محلنا * فان الهوى والشمل يا نعم جامع
فقالت وعيناها يفيضان عبرة * بأهلي بين لي متى أنت راجع
فقلت لها تالله يدري مسافر * اذا أضمرته الارض ما الله صانع
واني لعهد الود راع واننى * لوصلك مالم يطوني الموت طامع

ثم لم يزل متعللا بالاماني يعتوره الخيال اياما الى أن بلغه أن خزاعة بجبل بالشم من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عند رؤيتها سقط ميتا وقال في النزهة اقام عندهم الى

ثم ان مظفر الدين اكلها مدحا في السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه

(الباب الثاني عشر في قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول)

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل والقال من العذال واستحق بأمساك السنته عند عذله نتف السبال وكيف لا وهو لكثرة فضوله وقلة محصوله يدخل بين الروح والجسد والوالد والولد طالما اصبح بين المحبين قفا بين صفاعين لا يفتح له باب ولا يرد عليه جواب

وأتعب من ناداه من لا تجيبه
واغيظ من عاداه من لا تشاكل

وما التيه خلق في الهوى غير انني
بغيض الى الجاهل المتعاقل

فليته استراح واراح وصان عرضه المباح فقد اكثرت الشعراء في الرد عليه واعتذرت المحبون اليه كما قيل

ياعاذلي في هواه
اذا بدا كيف اسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

أن اغارت عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ

(ومنهم توبة بن حمير بن أسيد الخفاجي)

وكان شجاعا مبرزا في قومه سخيا فصيحا مشهورا بمكارم الاخلاق ومحاسنها وخفاجة على ماذكر في التذكرة بطن من قحطان وكانت تنزل بني الاخيل كعب بن معاوية وبنو يغزون معهم ويتحدثون في المسرح وكان رئيس بني الاخيل حذيفة بن شداد بن كعب وكان له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب وايامها وأشعارها فغزوا يوما فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والاسفار للقاء القادمين من الغزو فرأى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فتحادث معها الى أن اخذت قلبه وأطارت لبه فشكا لها يوما ما نزل به منها فاعلمته ان بها منه اضعاف ذلك فاقاما على التزاور الى ان جهاز وجها ففارق توبة لذلك حتى خامره الجزع فكان يذهب بعقله أحيانا فأشار واعليه بتعاطي الاسفار والخوض في الحادثات فعزم على الشام فنزل بجميل فانزله واحسن خدمته ثم تداعيا الصراع وكانا في موقف تشرف منه بثينة عليهما فصرعه جميل ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفؤا فقال له توبة كأنك تحسب ذلك منك ولم تدر أنه بريح هذه الجالسة واشار الى بثينة ثم دعاه الى واد يخفى عنها وتسارعا فيه فصرعه توبة ثم مضى في طريقه فرسم رابأشجار في وادى الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الاشجان فانشد

نأتك بليلى دارها لا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها

وخفت نواها من جنوب عفيرة * كما خف من نبل المرامى جفيرها

يقول رجال لا يضرك نأيها * بلى كل ماشق النفوس يضيرها

أليس يضر العين أن تكثر البكى * ويمنع منها نومها وسرورها

لكل لقاء نلتقيه بشاشة * وان كان حولا كل يوم نزورها

خليلي روحا راشدين فقد أبت * ضرية من دون الحبيب ونيرها

يقر بعيني أن ارى العيس تعتلى * بنا نحو ليلى وهي تجرى صقورها

وما لحقت حتى تقلقل عرضها * وساخ من بعد المرام عسيرها

وأشرف بالارض اليفاع لعلني * أرى نار ليلى او يراني بصيرها

فناديت ليلى والحمول كأنها * مواقير نخل زعزعتها دبورها

فقالت ارى ان لا تفيدك صحبتي * لهيبة اعداء تلظى صدورها

فمدت لى الاسباب حتى بلغتها * برفقي وقد كاد ارتقاقي يضيرها

فلما دخلت الخدر أطت نسوعه * وأطراف عيدان شديد سيورها

فأرخت لنضاح الذفارى منصة * وذى سيرة قد كان قدما يسيرها

وانى ليشفيني من الشوق أن ارى * على الشرف الناقى المخوف ازورها

وكان يقال ليس من العذل سرعة العذل وكان يقال رب ملوم لاذنب له وكان يقال

لعل لها عذرا وأنت تلوم

فكم عاذل زاد المحب بعذله لجاجة

وجنونا اكثر من الحاجة

لا بد ان هوى يلوم انه

كالريح يغرى الناس بالاحراق

(وقال الآخر)

وما عذولي ناهيا عنكم

لكنه بالصبر أمار

قال اسليهم ان لم تطق هجرهم

قلت له النار ولا العار

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

يامن اذا باعت الابصار اسودها

بحبة فوق خديه فقد ربحت

يزيد في العذل تبريحا لاذنيه

فليت عذال قلبي فيك لا برحت

(وما احسن قول بلديينا محمد بن العفيف التلمساني)

أسرفت في اللوم ولم تقتصر

وزدت في لومك يا ذا العذول

قد رضيت نفسي بمحبوبها

وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده واحسن ماشاء)

ولى على عاذلى حقوق هوى

شكرى عليه ببعضها يجب

لام فلما رآه هام به

فكنت في عشقه انا السبب

(وقال الآخر)

قد اجتهد اللاحى وبات يلومني

وزخرف لى زور الكلام بمينه

وان أترك العيش الحمير بأرضها * يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادي مطيرها
أبيني لنا لازال ريشك ناعما * ولازلت في خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى * فتخفى وتهوى النفس ما لا يضيرها
وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها
وقد رابني منها صدود رأيته * واعراضها عن حاجتي وقصورها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشي تديرها
ألا يا صفي النفس كيف بقولها * لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تجير وان شطت بها غربة النوى * ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت اراك اليوم اسود شاحبا * وأي بياض الوجه حر يزورها
وغيرني أن كنت لما تغيرت * هواجر لا اكتنها واسيرها
اذا كان يوم ذو سموم اسيره * وتقصر من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى بأني فاجر * لنفسي تقاها او عليها فجورها
فقل لعقيل ماحديث عصابة * تكنفها الاعداء نا نصيرها
فان لا تناهوا اركب اللهو نحوها * وخفت برجل أو جناح يطيرها
لعلك يا قيسا ترى في مريرة * معذب ليلى ان رآني أزورها
وادماء من سر الهجان كأنها * مهاة صوار غير ما مس كورها
من الناعبات المشي نعبا كأنما * يناط بجذع من أراك جريرها
من العر كانيات ؟ حرف كأنها * مريرة ليف شد شدا مغيرها
قطعت بها موماة ارض مخوفة * مخوف رداها حين يستن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم * دعاميص ماء نش عنها غديرها
وقسورة الليل التي بين نصفه * وبين العشاء قد ربت منها اسيرها
ابت كثرة الاعداء أن يتجنبوا * كلابي حتى يستثار عقورها
ومايشتكي جهلي ولكن عزتي * تراها باعدائي لبينا طرورها
أمخترمي ريب المنون ولم أزر * جواري من همدان بيضا نحورها
تنوء باعجاز ثقال واسوق * جدال وأقدام لطاف خصورها
اظن بها خيرا وأعلم انها * ستنفك يوما أو يفك اسيرها
أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما * اتت حجة من دونها وشهورها
على دماء البدن ان كان بعلها * يرى لي ذنبا غير أني ازورها
واني اذا مازرتها قلت يا اسلمي * ويا بأبي قول اسلمي ما يضيرها

وهذه القصيدة قال صاحب النزهة انشدها كلها حين سمع سجع الحمائم وقيل انشدها

وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه
فقلت له هذا الفضول بعينه

(وحكى) ابن وكيع انه كان يهوى غلاما نصرانيا بتنيس فلامه بعض اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا ما الامك ولم يعلم انه محبوبه الذي لامه عليه فقال ابن وكيع في الحال

ابصره عاذلي عليه
ولم يكن قبلها رآه
فقال لو عشقت هذا
ما لامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه
فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري
يأمر بالحب من نهاه

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

زعموا انني هويت سواكم
كذبوا ما عرفت الاهواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي
فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عاذلي متى تبصر الرشد
وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال ايضا)

ان قوما يلحون في حب سعدى
لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها
اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

(وقال ايضا)

من منصفي من عاذل جاهل
يخون باللوم لمن لا يخون

انشدها مقطعة بحسب الوقائع وانما جمعتها الشعراء وها انا اورد ذكر غريبها وما وقع
لبعض ابياتها من الحكايات قيل لما وقفت ليلى على قوله ولما دخلت الخدر غضبت
غضبا شديدا ثم امسكت عن كلامه برهة فتوسل اليها وعرض عليها انه يريد ان يسق
نفسه السم ان لم تكلمه فجمعت ثلاثة من اهلها بحيث يختفون عليه واستحضرته فلما
آنسته قالت أي شئ دخلت معي حتى تقول ماتقول فقال هذا استرسال الشعراء ثم ذكر
لها امثال ذلك وتنصل فرحت بسماع اهلها ذلك وقوله منصة يريد بها الستر وقوله حمامة
بطن الواديين ترنمي هو اول بيت تفوه به من القصيدة الى قوله وكنت اذا مازرت ليلى
ثم ضم الباقي واما قوله وكنت اذا مازرت ليلى فالحقه بعدا كمالها وسبب انشاده انه كان
يزورها على خيفة وخفية فلما اشتد التحريج عليه جعلت بينها وبينه أمارة فقالت اذا
مررت فوجدتني مبرقعة فاجلس مطمئنا فلا حرج حينئذ فلما قوى حرصهم وتوعدهم
لها وأجمعوا ان يفتكوا به اذا رآها خرجت يوم ميعاد سافرة على كثيب بحيث يراها
على البعد فلما اقبل ورآها سافرة مضى فى طريقه متشكيا وهو يقول وكنت اذا مازرت
ليلى الابيات ثم دخل الشام فأقام بها يسيرا فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه الى العرب
فكان يخرج الى الربوة ليسلى نفسه فلم يكن له دأب الا البكاء فأقام اياما لا يلذ له حال ولا
ينعم له بال فخرج يريد البادية فرحين قابل حيها بصغير يلعب فقال له هل أنت عارف
بليلى قال نعم قال امض اليها وانشد * وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت *
وعدالى فسأحسن منه لبيك فمضى الغلام فانشد البيت لليلى فعلمت ان توبة قد ورد الحى
فقالت للغلام قل له انها الآن مبرقعة فمضى الغلام اليه واعلمه بذلك فاعطاه دنانير
وأقبل فجدد زيارتها ثم قال لها مكنيني من تقبيل يدك وفى الروض النضير انه سألها
قبلة فانشدت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

فقطن انها استرابت منه فحلف انه لم يرد سوأ وان نفسه قد حدثته بان يجربها فاستشاطت
شوقا ثم ودعها على استحياء ومضى فلما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو
الهذليين فخرج فقتل فى الوقعة ولما وقع وبه رمق ادركه ابن عمه فقال له هل لك حاجة
قال نعم تبلغ ليلى هذه الابيات وأنشد

ألا هل فؤادى من صبا اليوم طائح * وهل ماوأت ليلى به لك ناجح
وهل فى غد ان كان فى اليوم علة * سراح لما تلوى النفوس الشحائح
ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو أن ليلى فى السماء لاصعدت * بطرفى الى ليلى العيون الكواشح

ان قلت ما اصلك الاذى
قال وما عشقك الاجنون
(وقال محمد بن شرف القيروانى)
قل للعذول لو اطلعت على الذى
عاينته لعذلت من يعنفنى
أتصدنى ام للغرام تردنى
وتلومنى فى الحب ام تغرينى
دعنى فلست معاقبا بجنايتى
اذ ليس دينك فى المحبة دينى
(وما احسن قول الآخر)
يقول لى العاذل فى لومه
وقوله زور وبهتان
ماوجه من احببته قبلة
قلت ولا قولك قرآن
(وقال آخر)
لقد راعنى بدر الدجى بصدوده
ووكل اجفانى برعى كواكبه
فيا عاذلى دعنى عساه يعود لى
ويامهجتى صبرا على ما كواك به
(وقال عرقلة)
قال العواذل ما الذى استحسنته
منه وما يسبيك قلت جميعه
(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة
رحمه الله
ياخيبة العاذل الذى قد
اطال فى العذل واستطالا
عذبنى ثم قال تسلو
عن حب ماما فقلت لالا
(وقال ايضا)
ايها العاذل الغبى تأمل
من غدا فى صفاته القلب ذائب

ولو أرسلت وحيا الى عرفته * مع الريح فى موارها المتناوح
أأغبط من ليلى بما لا أناله * الا كل ما قرت به العين صالح
سقتنى بشرب المستضاف فصردت * كما صرد اللوح النطاف الصحاصح
وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها * وقام على قبرى النساء النوائح
كما لو اصاب الموت ليلى بكيتها * وجاد لها جار من الدمع سافح
وفتيان صدق قد وصلت جناحهم * على ظهر مغبر التنوفة نازح
بمائرة الضبعين معقورة النسا * امين القرى مجترة غير جانح
وما ذكرتى ليلى على نأى دارها * بنجران الا الترهات الصحاصح

قوله ولو أن ليلى البيتين قد سبق الكلام عليهما فى قصة المجنون وزقا بالزاى وقوله وهل تبكين ليلى يعنى وهل هى باكية اذا مت فليلى فى البيت فاعل حذرا مما توهم هنا وفى النزهة وماذكرته بيه على بعد دارها وقيل ان هذه القصيدة انشدها حين خرج قبل ورود الوقعة وانما أنشد عند موته قوله

عفا الله عنها هل ابيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الى خيالها

وان ابن عمه حين جاء انشدها الابيات او هذا البيت فاجابته

وعنه عفا ربى وأحسن حاله * فعزت علينا حاجة لا ينالها

وقيل مات عشقا وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت الزينة واقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة فقد قيل ان وفاة توبة كانت سنة سبعين وقيل احدى وسبعين ووفاة ليلى كانت احدى ومائة قيل مرت بقبر توبة فقال زوجها هذا قبر توبة الكذاب فقالت لم يكن والله كذابا فقال لها أليس يقول ولو أن ليلى الاخيلية البيتين سلى عليه لننظر فامتنعت فأقسم عليها أن تفعل فلما سلمت خرج من طاقة القبر بومة فاجفلت الناقة فوقعت ليلى ميتة فدفنت الى جانبه وقيل طير كانت العرب تزعم انه يقيم فى هامة المقتول حتى يؤخذ بثاره وحكى انها هى التى قصدت ذلك وهذه القصة رواها فى النزهة عن متفرقين ونقها وأما هنا فقد حكى ما قررناه الا السبب عن ليلى نفسها او انها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائة من الابل برعاتها وذلك فيما اخرجه المدائنى عن مولى عنبسة قال كنت مع استاذى عند الحجاج اذ قال له الحاجب ان بالباب امرأة فقال ادخلها فلما رآها الحجاج طاطا رأسه الى الارض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت فقال ما جاء بك قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفى لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والارض مقشعرة والبرك معقل وذو العيال مختل والهالك المقل والناس مسنتون رحمة من الله يرجون واصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعاء

ونعجب لطرة وجبين
ان فى الليل والنهار عجائب
(وقال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
كم على عاذلى وكم لحبيبى
ذالك تكبيرة وذا تهليله
ياثقاتى وأين منى ثقاتى
أين من يبتغى الى الوسيله
اناميت فقبلوانى اليه
فحياتى وحقه تقبيله
(وقال النور الاسعردى)
اقول لعاذلى لما نهانى
وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بأنه مر التجنى
وفاتك انه حلو اللسان
(وقال ابو الفتح قادوس فى الاكتفاء)
من عاذرى فى عاذل
يلوم فى حب رشا
اذا طلبت وصله
قال كفى بالدمع شا
(ومثله قول شيخ الشيوخ بحماة)
اغضب العشاق منه انى
لم أبع فى حبه رشدى بغى
قلت قد أضنيت جسمى قال قد
قلت كى تذهب روحى قال كى
(وقال ايضا)
راموا انقطاعى عن هوى
غذيته طفلا وكهلا
فوضعت فى جيبى يدى
وقلت خلونى والا
(ومثله قول الوداعى)

ولاربعاء ولاعافطة ولانافطة اذهبت الاموال وفرقت الرجال واهلكت العيال فانظر الى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقادلها مع تجبره تقولها اخلاف النجوم تريد به الانواء فان العرب يعرفون بمساقط النجوم لانواء يستدلون بها على خصب السنة وخصبها وكثرة الامطار فكأنها تعد بذلك فاذا لم تأت بذلك فقد أخلفت وقلة الغيوم تريد به لازمها الغالب وهو المطر وفيه عطف الاخص على الاعم وكلب البرد شدته والعرب تطلق هذا الاسم على ايام مخصوصة من تاسع كانون أعنى كيهك الى ثامن عشر شباط أعنى امشير والفجاج هنا الارض وغبرتها كناية عن عدم نداوة الارض فان ذلك يثير الغبار واقشعرار الارض عدم نباتها والبرك الابل وعقلها كناية عن عدم ما تحمله والاجشال اليبس والاملاق والهبعاء الحسنة والربعاء السيئة وعن الاصمعى الهبعاء ما يزرع فى سوى الربيع والربعاء ما يزرع فيه أوهما مطران أو الابل والغنم ضعيف وفى تهذيب الاصلاح للتبريزى هما كلمتان يراد بهما الاخبار عن نفاد ما فى اليد مثل ما عنده سبد ولالبد والعافطة العنز والنافطة النعجة ويقال ايضا لاثاغية ولاراغية أى لاغنم ولاابل ثم مدحته حتى استحى وقال لم يصب وصفى منذ دخلت العراق غيرها ثم قال لخازنه اقطع لسانها فاراد ذلك فقالت ويحك انما اراد بالعطاء فراجعه فغضب وامر بعودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى التى مات توبة من حبها ثم قال لها انشدينا ما قال فيك فأنشدت حمامة بطن الواديين فقال وما قلت انت فيه فقالت كثيرا ايها الامير فقال هات فانشدت

نظرت ومن دونى حمامة منكب * وبطن الركايا نظرته النواظر
اوانس ان لم يقصر الطرف دونهم * فلم تقصر الاخبار والطرف قاصر

وهى قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولا *(ومن محاسنها فى توبة)*

أتته المنايا بين زغف حصينة * واسمر خطى وجرداء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح * دوان بشبالك الحديد زوافر
عوابس تعدو الثعلبية ضمرا * فهن سراح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله ياتوب انما * لقاك المنايا دارعا مثل حاسر
فان لم يكن بالقتل برا فانكم * ستلقون يوما ورده غير صادر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور
ولاتأخذ الابل المهارى رماحها * لتوبة من صرف السرى فى الصنابر
اذا ما رأته قائما بسلاحه * نقته الخفاف بالثقال البهازر
اذا لم يجز منها برسل فقصره * ذرى المرهفات والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشا وضيفه * سنام المهارى السباط المشافر

يالائمى فى هواها
افرطت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا
ولا الصبابة الا

(وما احسن) قول ابن سنا الملك فى هذا المعنى

اهوى الغزالة والغزال وربما
نهنهت نفسى عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عينى جاهدا
حتى اذا اعييت أطلقت العنا

(وقوله أيضا)

دنوت وقد ابدى الكرى منه ما ابدى
فقبلته فى الخد تسعين أو احدى

(وقوله ايضا)

وظبى حكى ريم الفلا فى نفاره
فما باله لم يحكه فى التلفت
يدافعنى عن وصله بتهجم
فياليته لو كان يدفع بالتى

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اليكم هجرتى وقصدى
وفيكم الموت والحياة
امنت أن توحشوا فؤادى
فآنسوا مقلتى ولاتو

(وقال ابن المعتز)

زاحم كمى كمه فالتويا
واذق قلبى قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا
ياقرة العين وياهمى ويا

(وقال ابن مطروح)

والله لاخطر السلو بمهجتى
مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

وتوبة أحيى من فتاة حيية * وأجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم الفتى ان كان توبة فاجرا * وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها * فتطلعه عنها ثنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبن ابرادا عتاقا لفتية * كرام ورحل قيل في الهواجر
ولم يتجل الضيفان عنه وبطنه * خميص كطي السبت ليس بحادر
فتى كان للمولى سناء ورفعة * وللطارق الساري قرى غير قاتر

(ومنها)

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا * وأحفل من نالت صروف المقادر
على مثل همام وكابن مطرف * تبكي البواكي او كبشر بن عامر
غلامان كانا استوردا كل سورة * من المجد ثم استوثقا في المصادر
ربيعي حيا كانا يفيض نداهما * على كل مغمور نداه وغامر
كأن سنا ناريهما كل شتوة * سنا البرق يبدو للعيون النواظر

(ومن مراثيها فيه أيضا)

أياعين بكي توبة بن الحمير * بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤن العبرة المتحدر
سمعن بهيجا اضلعت فذكرنه * وما يبعث الاحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر * بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدى * سنا الصبح في بادي الحواشي منور
ولم يغل بالجود الجياد يقودها * أسرته يوم المشان فاقسر
ولم يغلب الخصم الضحاح ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
وصحراء موماة يحار بها القطا * قطعت على هول الجبان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها * سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت اولى العدو سقيتها * بصيباب مسكوب المزاد المقير
ولما اهابوا بالنهاب حويتهم * بخاطي البضيع كره غير أعسر
بجز كثر الاندرى مشابر * اذا ماونينا مخصف الشد محضر
وألوت بأعناق طوال وراعها * صلاصل بيض سابغ ومسور
ألم تر أن العبد يقتل ربه * فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه * اذا الخيل جالت في القنا المتكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى * ويا توب للمستنبح المتنور
ويارب مكروب اجبت ونائل * بذلت ومعروف لديك ومنكر

(رجع الكلام في العذل)

(وقال الآخر دوبيت)

لما نظر العذال وجدي بهتوا
في الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما تحسب الا انبا نعذله
يسمع من يعقل من يلتفت

(وقال الآخر)

قالوا اسله واطرح هواه
فقد بدا كذبه وافكه
فقلت بالله لا تطيلوا
والله واقه ما افكه

(وما أحسن) قول شهاب الدين
ابن الخيمي رحمه الله
وعذول رابني في نصحه
كلما زدت اباز اد لجاجا
ماعذولي قط الاعاشق
ستر الغيرة بالعذل وداجى

(وقال آخر)

لو رأى وجه حبيبي عاذلي
لتفارقنا على وجه جميل

(انشدني) الشيخ برهان الدين بن
القيراطي
ذهب العمر بلوم
وصدود من غزال
في سبيل الحب عمر
ضاع في قيل وقال

(وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار)

وانشدته

وأنشدته غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره اذ ليس على شرطنا فأقام عليها فوق ما سألت
ثم قال لها هل بقى لك حاجة قالت نعم تدفع الى النابغة احكم فيه بما أرى وكان يتهاجى هو
واياها فلما سمع بذلك هرب الى الشام فتبعته ثم استأذنت عبد الملك فيه فأذن لها وأظنه
الذى سألها عن توبة أكان كما يقول الناس فقالت يا أمير المؤمنين كان والله سبط البنان
حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر لا معاوية كما قيل هنا ثم انها لم تزل فى طلب
النابغة حتى توفيت بقومس بلد من أعمال بغداد على جانب الفرات وقيل بحلوان
والمدى بينهما قريب وهذا يعارض ما سبق من موتها عند قبر توبة وظاهر تظافر الروايات
صحة الاول

(ومنهم عامر بن سعيد بن راشد)

وينسب الى كعب بن الاميل الطائى كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد قال فى
النزهة ان ولادتهما كانت فى ليلة واحدة ونشأ غير متفرقين حتى بلغا الحلم وقد اشتد كلف
كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان أخوه واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته
من عامر فاتفق ان وقع بين تميم وحزينة فانتهبت حزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع
فيه بجراح كثيرة فمات أثر الوقعة بأيام وقد أملق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر وحجبت
جميلة عنه فاختبل واعتوره الجنون وقال الشيزرى لم يمنعه منها الا املاقه وانما كان أبوه
يمنعه عن أن يشيع عشقها فلما مات أشاعه فى العرب وشبب بها فامتنع عمه لما سبق لك
بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته ان تعرض عليه العذريات
فكان كلما رأى واحدة يشكرها ثم يتنفس الصعداء ويقول ماء ولا كصداء المثل السابق
فلما كان بعد مدة قدم رجل من طيء على واثلة فخطب جميلة منه وذكر القسب فزوجها
منه فلما زفت اليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب لئلا يرى الزفاف قال
الاخفش سعيد بن مسعدة خرجت فى طلب ضالة لى فوقفت على هذا البيت اوقال نزلنا
على ماء لطيء فاذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها واخرج الحكاية فى نديم المسامرة عن ابى
عمرو بن العلاء عن تميمى فأسندها الى الاصمعى وأخرج الدقاق عن الاسدى ان المباشر
للحكاية هو الاصمعى وعلى كلا التقديرين فمحل الاتفاق ان الرجل حين انتهى الى البيت
رأى عجوزا عليها بقية الجمال ساهية متفكرة وفى كسر البيت شخص كالخيال مسجى
عليه قطيفة قال فسألتها عنه فقالت هو ولدى وشأنه كذا وأعادت القصة ثم قالت هل لك
ان تعظه فوعظته وزهدته حتى قلت له انها امرأة كغيرها ألا ترى كيف يقول كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية من وصلها خلف

فقال هو مائق يعنى أحمق وأنا وامق يعنى صادق الالفة فلست كهو انما أنا كأخى تميم
يعنى جميل حيث يقول

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهرا * ولكن ما أخفى الفؤاد يضير

لو رأى حسن وجهه
عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما
قيل فى دور درهم

(وقال أيضا)

خلع العذول ولامنى
فيمن أحب وعنفا
فهممت الطم رأسه
مما لمنت تأسفا
لكنما زلقت يدى
وقعت على أصل القفا

وما أظرف قول النور الاسعردى

وقالوا ادع المعشوق واهجره دائما
ألم تره بعد الملاحة ينتف
أ ينتف من أجلى ويتعب دائما
وأهجره تالله ما أنا منصف

(وقال آخر)

قل للعذول أطلت اللوم فى قمر
يزيد فى كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما فى حسنه عجب
قم فانظر الورد فى خديه منثورا

(وقال محيي الدين البغدادى)

ان لامنى من لا رآه فقد
جار على الغائب بالحكم
وان لحانى من رآه فقد
أضله الله على علم

(وقال البها زهير)

أنت الحبيب الاول
ولك الهوى المستقبل

ألا قاتل الله الهوى كيف قادنى * كما قيد مغلول اليدين أسير

ثم أنشد

ألا ما للمليحة لا تعود * أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادنى عوّاد قومى * فما لك لم ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقا * وفقد الالف يا أملى شديد
فلو كنت المريضة لا تكونى * لعدتكم ولو كثر الوعيد
ولا استبطأت غيرك فاعلميه * وحولى من ذوى رحمى عديد

ثم فاضت نفسه فجزعت فقالت العجوز لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن ان أحببت كمال الصنيعة فانعه الى الابيات ففعلت فخرجت جارية عليها أثر العرس وهى أجمل من رأيت فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت

عدانى ان آزورك يا منايا * معاشر كلهم واش حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد
فأما اذ حللت ببطن أرض * وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لى الدنيا فواقا * ولا لهم ولا أثرى عديد

ثم خرت ميتة فخرج شيخ وهو يقول ائن لم أجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين ودفنهما فى قبر هذا ما اتفق عليه سوى الوعظ فلم يروعن الاخفش وبعض تغيير فى الابيات فان الاخفش لم يروا الثالث وروى التميمى لم تعدنى اى بدل لا تعود و* مرضت فعادنى أهلى جميعا * وفى النزهة فما استبطأت غيرك وهو الاقعد وفى قولها عن التميمى * عدانى أن أعودك يا حبيبى * معاشر فيهم وفيها انها قالت له حين نعى بفيك الحجر المصلت من تنعى قلت فلانا قالت أو قد مات قلت نعم وعن الاصمعى انه حين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله اذكر له الشعر فانشد

سبق القضاء بأننى لك عاشق * حتى الممات وأين منك مذاهبى

فانشد

أخلو بذكرك لا أريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكى فيطربنى البكاء وتارة * يأتى فيأتى من أحب أسيرا
فاذا أتى سمج بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

وفيها قال انه عامر بن غالب وجميلة بنت أمليل

(ومنهم ما حكى الاصمعى)

قال بينا أنا أسير اذ جننى الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فاذا أنا بهاتف منه يقول

أنعم الله بالظباين عينا * وبمسراك يا سعاد الينا
وحشة ما لقيت من خلل القبـ * ـر عسى ان نراك أو أن ترينا

فدخلت حين طلع الصبح الى الحى فاذا أنا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت الى جانب القبر الذى سمعت منه الصوت فحدثتهم بذلك فأخبرونى ان هذا الرجل منهم أحب ابنة عمه

عندى لك الود الذى * هو ما عهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك فى الهوى * لكننى أتعلل
قل للعذول لقد أطلـ * ـت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

(وقال أبو العتاهية) لقيت أبا نواس فى المسجد الجامع فعذلته وقلت له اما آن لك ان ترعوى وتزدجر فرفع رأسه الىّ وقال

أترانى يا عتاهى * تاركا تلك الملاهى
أترانى مفسدا با * نسك عند القوم جاهى

فلما ألححت عليه فى العذل أنشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت انى قلت هذا البيت بكل شئ قلته (وقال جويان القواس)

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنه بغير ملال

هذه فتزوج بها فلم تقم الا قليلا فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة قلت وهذا جائز ان يقع من النفوس المجردة اذا تصادق اعتلاقها فان اللذات بعد مفارقة الهيا كل الجسمانية أعظم

(ومنهم فتى أسدى)

أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه أبوه أن يتزوج الا بأرفع منها وأبى الغلام الا هى فلما أيس أبوها زوجها من رجل فاشتد وجد الغلام وانه لقيها يوما فأنشد

لعمرى ياسعدى لطال تأيى * ومعصيتى شيخى فيك كلاهما
وتركى للعين لم أبغ منهما * سواك ولم يربع هواى عليهما

(فقالت الجارية)

حبيبى لا تعجل لتفهم حجتى * كفانى مابى من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعتريني وزفرة * تكاد لها نفسى تسيل من الوجد
غلبت على نفسى جهارا ولم أطق * خلافا على أهلى بهزل ولا جد
ولن يمنعونى ان أموت بزعمهم * غدا اخوف هذا العار فى جدث وحدى
فلا تنس ان تأتى هناك فتلتمس * مكانى فتشكو ماتحملت من جهد

فقد أوضحت له انها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذرى جبل يقال له عرفات بفتح المهملة وضمها ملتزما لها فمات واختفى أمرهما حولا حتى مر شخص من العرب فسمع هاتفا على الجبل يقول

انا السكريمان ذوا التصافى * الذاهبان بالوفاء الصافى
والله مالاقيت فى تطوافى * أبعد من غدر ومن اخلاف
من ميتين فى ذرى اعراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

(ومنهم عمرو بن كعب بن النعمان ابن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور)

قال ابن عساكر وكان من فرسان العرب وجاتها وكرمائها وشجعانها وان جده النعمان صاحب الخورنق هو الذى كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان فى الملك كما هو مشهور وضاع أمر الغلام قال فى الشامات فأخذه عمه ابو النجاد فلما بلغ عنده وكان له بنت تعرف بالعقيلة وهى من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالادب وأحوال العرب أياما ووقائع فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه فخطبها الى عمه فطلب منه مهرا يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى ابرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب فى الطريق مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الامر فأخبره انه ساع فيما لا يدرك فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة لفزارى فهام على وجهه الى اليمامة فلما بنى بها الفزارى وكان عندها من العشق لعمرو اضعاف ما عنده لها فكانت تنشد

لتلقطى زهرات ورد حديثكم
من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق والمحب الوامق الاتراه كيف سعى الى عذوله الفاعل الصانع وجنى من عذله جنى النحل عزوبا بماء الوقائع فهو فى هذا المقام من الاثبات كما قال أبو الشيص من أبيات

أجد الملامة فى هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمنى اللوم

(وقال ابن رشيق) وقد زاد على أبى الشيص فى قوله هذا ابن جابر الخزاعى حيث يقول

هددت بالسلطان فيك وانما
أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى
أخذ الرشا من الذى يلحانى
حسبى لقول الناس بعد منيتى
هذا قتيل فى ودادة فلان
فلا نفقن عليك عمرى كله
ولاعشقن عليك كل هوان

قلت والذى أقوله أنا فى هذا المقام ان صاحب هذا الكلام غريم الغرام ونديم كؤس المدام الاتراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جعالة فأصبحت حالته كما قيل ضغث على أباله فهو كما قال بعض السادات من اهل الولايات

الفزارى اذا جن الليل الى كسر البيت وتبيت فى الخدر فاذا أصبح الصبح تطلقه فيستحى أن يخبر العرب بذلك فأقام على هذا الحال سبعين ليلة فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم به خرج فلا يدرى أين ذهب وأقامت العقيلة بيت أبيها لا تتناول الا اقل مما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنهما الاجتماع قال الفريابى فى عجيب الاتفاق فى تطابق أحوال العشاق فرض عمرو مرضا كادان يأتى على نفسه فكان لا يرى الا شاخصا الى السماء متمسكا بسبب قد علقه بيديه من العشاء الى الصباح وهو ينشد

اذا جن ليلى فاضت العين أدمعا * على الخد كالغدران او كالسحائب

أو دطلوع الفجر والليل قاتل * لقد شدت الافلاك بعد الكواكب

فما أسقى الاعلى ذوب مهجتى * ولم أدر يوما كيف حال الحبائب

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصا بالضحك مستبشرا فسأله فقال

لقد حدثتنى النفس ان سوف نلتقى * ويبدل بعد بيننا بتدانى

فقد آن للدهر الخؤن بانه * لتأليف ماقد كان يلتئمان

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها قال الفريابى فضبط اليوم الذى مات فيه فوجد موت عقيلة فى ذلك اليوم أيضا وأخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق قال خرجت فى طلب غلام آبق فلما صرت على ماء لبنى حنيفة جادت السماء بالامطار فلجأت الى بيت من جريد النخل فيه جارية سوداء فأنزلتنى فلم ألبث الا ريثما أخذت الراحة وقد دخلت لى جارية كأنها القمر فحيت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمى قالت من أيها قبيلة قلت من نهشل بن غالب فقالت اذا أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت نعم قالت قد هدمه جرير بقوله

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فأعجبتنى فلما رأت ذلك فى عينى قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها اهل المروأة والكرامه

الا فسقى المليك أجش جونا * تجود بصحة تلك اليمامه

أحيى بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه

قال فآنستنى بها فقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم على الصباح

تقطع قلبه الذكرى وقلبى * فلا هو بالخلى ولا بصاح

سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو فأنشدت

لو تعلم العوام ما فى قلوبنا من جلاوة العفو لتقربوا الينا بالجنايات ومثل قوله هددت بالسلطان قول الآخر

وان نذرت فيك العشية قتلتى
فللموت عندى فى هواك سلام

ومن أعجب الاشياء خوفى فى الهوى
ولى كل يوم فى هواك حمام

(وقلت أنا)

وعاذل بالغ فى عذله
وقال لما هاج وابالى

يعارض المحبوب ما تنتهى
قلت ولا بالشيب والوالى

(وقلت أيضا)

عذلوا على من رام قتلى فى الهوى
فكلامهم ضرب من الهذيان

جهلوا وما علموا بان الطعن فى ال
محبوب غير الطعن فى الميدان

(وقلت أيضا)

كم خالف العذال قولى فى الذى
فى كل يوم حسنه يزداد

ان قلت أمسى فى الملاحة مفردا
قالوا انثنى عطفه المياد

(وقلت أيضا)

ياعاذلى لاتلحنى
فى حب هذا القبطى

واقطع بوصل بيننا
بالله رأس القط

(وقلت أيضا)

اذا رقد النيام فان عمرا * هو القمر المنير المستنير
ومالى فى التبعل من براح * وان ردّ التبعل لى أسير

ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم أنشأت تقول

يخيل لى أبا كعب بن عمرو * بأنك قد حملت على سرير
فان يك هكذا يا عمروانى * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت

(ومنهم ما حكاه الاصمعى)

وقد قال له الرشيد حدثنى بأعجب ما رأيت قال أخبرنى السميدع بن عمرو الكلابى وقد جاوز المائة قال كنت كثير الاسفار فمررت قاصدا اليمامة ببيت يلوح وقد قرب الليل فأردت المبيت عنده فقالت لى امرأة منه أضيف أنت قلت نعم فقالت على الرحب والسعة ولكن تنح حتى يأتى رب المنزل فعدلت الى طوى هناك فسقيت ناقتى وجلست واذا بسوداء تحمل جفنة ثريد معها تمر ورطب فقالت تعلل بهذا فقلت فى دونه كفاية فأكلت وأخرجت دقيقا فأطعمت ناقتى وتوسدت ذراعها واذا بقسيم قد حال بينى وبين البيت ثم غفت عينى فلم أفق الا وشاب على أحسن ما يكون ومعه عبيد قد أقبلوا بحطب ونار فأضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشط وطبخوا وثردوا وقدم الينا فأكلنا ثم قال لى كن هنا حتى آتيك الصباح فلما أشرف الصبح جاء ففعل كما فعل ليلته فلما أكلنا قال لم أقض حقك فأقم عندى يومك فقلت سمعا وطاعة فركب ومكثت ساعة واذا الجارية تقول لى أجب ابنة عمك فقلت كيف أكلها وفيها غاتب قالت من وراء حجاب فأقبلت فسلمت فقالت يا ابن العم أتريد اليمامة قلت نعم قالت فاحفظ عنى هذه الرسالة وأعد الى جوابها وأنشدت

أعلى العهد مالك بن سنان * أم سقاه أفاوق الغدر ساق
ان يكن خان او تناءى فانى * لعلى العهد ما استتاع رماقى
ما ألم الرقاد منذ بنت الا * بجفون قريحة الآماق
فعليك السلام مالاح الا النو * رومادب فى الثرى عرق ساق

ثم قالت ليكن انشادك الابيات بالحضرمة فلما خرجت فى اليوم الثانى خرج الشاب فقال يا ابن عمى هل أنت مبلغ عنى رسالة وعائد الى بجوابها قلت نعم فقال قف بقران بنى سحيم وانشد

أيا سرحتى قران بالله خبرا * عن البكرة العيساء كيف نزاعها
فلو ان فيها مطمعا لمتيم * نأت دارها عنه وخيف امتناعها
لهان عليه جوب كل تنوفة * يخاف عليه جورها وضياعها
تغربت عن نفسى وأيقنت انها * تريد وداعا يوم جد وداعها

فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وأنشدت الابيات واذا بجارية حاسرة كانها مهرة تنشد

تحمل هداك الله منى تحية * اليه جديد كل يوم سماعها

مليح الترك لاسيما الخطابى
عليه الشيخ يعذر المتصابى
فدعنى من ملامك يا عذولى
فحبى للخطا عين الصواب

(وقلت فيمن اسمها حكم الهوى)

حكم الهوى صدّت فبت لاجل ذا
ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلى لا تلحنى فى حبها
نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

(وقلت)

أقول لظبى قلبه يشتكى الاسى
هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
نصحتك علما بالهوى والذى أرى
مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

(وقلت من قصيدة)

وازنت ميلى للعذول وقده
فرأيت ميلى للقوام رجيحا
يا عاذلى لا صاحبتك يد النوى
حتى توسد فى التراب صفيحا
ولقد نصحت بنى الصبابة فى الهوى
لكنهم لا يقبلون نصيحا

(وقلت) من قصيدة مدحت بها
مولانا السلطان الملك الناصر

فيا من جاء يعدل مستهاما
على حلو الشمائل ما أمرّك

(وقلت) أيضا من قصيدة أمدحه
بها خلد الله ملكه مطلعها

لك من حبيبك ما تحب وتشتهى
فاجعل مدامك من مقبله الشهى

وخبر عن العيساء ان قد توجت * عليها مراعيها وطال نزاعها
لقد قطع البين المشتت ألفة * عزيز علينا ان يحم انقطاعها

ثم شهقت شهقة فماتت فلما اردت الانصراف وقفت بالحضرمة وأنشدت أبيات المرأة فاجابني فتى

لم يحل عن وفائه ابن سنان * لاولا غاله انتشاء الفراق
ان بين الحشا لهيب اشتياق * ليس يطفى سواه الا التلاقى
انما أبقت الهموم خيالا * باليا ممسكا بماء الرماق

ثم شهق شهقة فمات فلما رجعت الى الحى أخبرت المرأة بجوابها فشهقت شهقة فارقت نفسها وعلت الاصوات فأقبل الشاب فقال لى ماشأنها فأعلمته الخبر ثم أنشدته جواب أبياته فقال فيها أنا أيضا ميت ثم اضطجع فكأنما كانت نفسه بيده وهذه الحكاية أخرجها فى نديم المسامرة والشهاب فى منازل الاحباب والحافظ مغلطاى فى الواضح وأمثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظير ما حكاه الشيرزى عن العتبى قال تذاكرنا العشق يوما وبيننا شيخ ساكت فقلنا له الا تحدثنا بما عندك فى هذا فقال جلسنا يوما للشرب ومعنا قينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال شاب كان فى المجلس أحسنت والله ياسيدتى أتأذنى لى أن أموت فقالت مت راشدا ان كنت عاشقا وكان يهوى القينة فاضطجع فاذا هو ميت فتنغص مجلسنا ثم دخلت الى اهلى فأخبرتهم بالقصة وكان لى ابنة تهوى الشاب ونحن لاندرى فلما سمعت الخبر قامت الى خلوة وأنكرت قيامها فدخلت اليها فاذا هى متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة فلما خرجنا بجنازتها والشاب وجدنا جنازة ثالثة واذا هى القينة ماتت حين بلغها موت ابنتى لانها كانت تهواها

(ومنهم ما أخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد النعالى غلام أبى الهذيل)

قال رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت الى ظل اتفيأ به فسمعت صوتا مطربا فطرقت الباب أستسقى الماء فخرج شاب على أحسن صورة غير ان العلة لم تبق الا رسمه فادخلنى الى موضع أنيق بالفرش وجاءت جارية فغسلت رجلى ثم بعد يسير جاءت بالطست فقلت قد غسلت قالت نعم ولكن اغسل يديك للغداء فغسلت وجاؤا بطعام فأقبل يضاحكنى ويأكل متغصصا والعبرة تخنقه ثم جاء بشراب فسقانى وشرب ثم قال قم بنا الى نديمى فدخلت معه الى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل فجلسنا فشرب وسقانى ثم أنشد يقول

اطأ التراب وأنت رهن حفيرة * هالت يداى على صداك ترابها
انى لاغدر من مشى ان لم اطأ * بجفون عينى ما حييت جنابها

انى

واذا بدالك ثغره متبسما
فاضحك على ذقن العذول وقهقه

(وقلت) أيضا من قصيدة أرسلتها الى مولانا قاضى القضاة تاج الدين السبكى بدمشق الشام

ياساكنى السفح لى فى حيكم سكن
وأنتم فى سويدا القلب سكان
دمعى يزيد كما ماس لبعدكم
والعاذلون على ثوراء نيران

(ومنها)

قد كان ما كان من هجرانه زمنا
وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
أنا الذى لا أبالى فى الغرام بما
يروى فلان ولا ما قال فلتان

(ومنها)

برهنت حسن الذى أهوى وقلت له
ما للعذول على ما قال برهان
مالامنى مذرآنى فى الهوى رجبا
بنزح شعبان فمارمت شعبان

(تنبيه) كانت أسماء الشهور عند العرب غير هذه الاسماء المستعملة الآن لانهم كانوا يسمون رجب الاصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولى فى البيت الاخير على ان الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا (ومن أحسن ما سمعت فيه)

وشادن مبتسم عن حبب

لوأن حشو جوانحي متلبس * بالنار اطفأ حرها واذابها

ثم أكب على القبر مغشيا عليه فجاء خادم فرش عليه الماء فأفاق فشرب وسقاني وانشد

اليوم ثاب لي السرور لانني * أيقنت اني عاجلا بك لاحق

فغدا أقاسمك البلا ويسوقني * طوعا اليك من المنية سائق

ثم قال قد وجب عليك حق فاحضر غدا جنازتي فدعوت له بطول البقاء وانصرفت فقال عققتني ان لم تقل

جاور خليلك مسعدا في رمسه * كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه فلم أعرف نوما حتى أصبحت فأتيته فاذا هو قد مات فدفن الى جانبها قلت نقل في عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا ان هذا الشاب كان يهوى ابنة عمه ومنع منها زمانا ثم مات أبوها فتزوج بها فأقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهار فجلس وأخذ رأسها على ركبته فطلبت الماء فشربت فشرقت فماتت فدفنها في بيته وأقام يبكي وقد هجر الطعام والشراب واللبس والنوم فكانت مدته الى أن لحق بها ثلاثة عشر يوما وأيضا من نظير المسلسل ما روى عن يونس النحوي قال نزلت بصديق لي بادية يقال له مالك العذري فاذا نحن بامرأة تقول قد تكلم فاستبشر النساء بذلك فسألت صديقي عن الخبر فقال رجل منا أحب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها الى الحجاز فصار ملقى على فراشه من نحو حول لا ينطق فقلت أحب ان أنظره فقمنا حتى وقفنا عليه فقالت أمه يا ولدي هذا عمك مالك ففتح عينيه وانشد

ليبكني اليوم أهل الود والشفق * لم يبق من مهجتي الا شفا رمق

اليوم آخر عهدي بالحياة فقد * أطلقت من ربقة الاحزان والقلق

ثم تنفس فاذا هو ميت فقمنا عنه فلما رجعنا اذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الشباب تبكي بحرقة وجزع فسألناها عن السبب فانشأت

اليوم أبكي لصب شف مهجته * طول السقام وأضنى جسمه الكمد

ياليت من خلف القلب المقيم به * عندي فأشكو اليه بعض ما أجد

انشر تربك اسري لي النسيم به * أم أنت حيث يناط السحر والكبد

ثم شهقت شهقة خرت ميتة فسألنا عنها فاذا هي تهوى الشاب قلت قال في النزهة عن الرياشي عن يونس هذا قال اجتمعت بصديق بعد ذلك اليوم بعدة لا تزيد عن شهرين فقال لي أتعرف الشاب الذي مات يوم كذا قلت نعم قال قدم علينا الحجازي زوج ابنة عمه فاخبر ان المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض حتى قضيت يوم كذا فاذا هو اليوم الذي مات فيه الشاب

(ومنهم ما حكاه الكاتب)

قال كنا في منتزه وقد أقبل ابن عائشة يسوس غلاما لا يستطيع ان يملك نفسه فسألناه

مورد الخد مليح الشنب

يلومني العاذل في حبه

وما دري شعبان اني رجب

(وقلت أنا أيضا)

يسطو علي من الدلال كأنه

غازان اذ يسطو على حرمانه

ان ردني عنه قضيب قوامه

فأنا القتيل بلحظه وبنانه

اني وحقك في هواه متيم

صب غدا رجبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من أمثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة ابن أد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان أبو ضبة اذا رأى رجلا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه في بعض مسيره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه (ومن أحسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق)

عن أمره فقال من العشق فتذاكرنا أخبار العشاق فقلت الا أحدثكم بأعجب من هذا قالوا هات قلت أخبرني بعض العرب قال مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه أثر الجمال الا انه كالمتحل من علة فسلمت عليه فقال ممن الراكب قلت من الحي فقال من كم عهدك به قلت قريبا فتنفس الصعداء وأنشد

سقى بلدا أمست سليمى تحله * من المزن ما يروى به ويشيم
وان لم أكن من قاطنيه فانه * يحل به شخص على كريم
الا حبذا من ليس يعدل قربه * لدى وان شط المزار نعيم
ومن لامني فيه حبيب وصاحب * فرد بغيظ صاحب وحميم

ثم أغشى عليه فنضحنا عليه الماء فأفاق ثم أنشد

اذا الصب الغريب رأى خضوعى * وانفاسى تزين بالخشوع
ولى عين أضربها التفاني * الى الاجزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبي * كما انس الغريب الى الجميع

فقلت له ان كان لك حاجة فيها شفاء نفسك فخبرني بها فاني مطيع فقال أعلم انك محل ولكن لم تدرك منى الاصبابة لا تتلافى فقارقته فبلغني انه لم يبت تلك الليلة

(ومنهم ما حكاه في منازل الاحباب)

قال كان في بني عذرة فتى ظريف يهوى محادثة النساء فعلق جارية فأضنته حتى لزم الوساد وسئلت في أمره فامتنعت حتى اذا بلغ الموت جاءته فحين رآها أنشد

أريتك ان مرت عليك جنازتي * تمر على أيدي طوال وشرع
أما تتبعين النعش حتى تسلمى * على رمس ميت في المقبرة مودع

فحلفت انها لم تعلم انه بلغ به الحب الى هذا الحال وأخذت تستعطفه فتمثل بقول بشر بن حضرم الكلاعي

أتت وحياض الموت بيني وبينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم أغشى عليه وانكبت تقبله فاذا هو ميت فلم تمكث بعده الا قليلا

(ومنهم ما حكاه ابن الجوزي)

ان رجلا علق جارية نصرانية وأخذوا اهامنه حتى أزال عقله فحمل الى البيمارستان فأقام به مدة وكان له صديق يتعاهده فقال له يوما وقد أشرف على التلف قد أيست من ملاقاة فلانة في الدنيا وأخاف أن لا ألقاها في الآخرة ان مت مسلما ثم تنصر ومات فخرج من عنده فوجدها عليلة وهي تقول قد أيست من فلان في الدنيا أنا أسلم لا لقاه في الآخرة ثم أسلمت وماتت

(ومنهم الحرث المشهور بابن القرند من خزاعة)

وقال في الشامل انه من قحطان نشأ وابنة عمه عفراء بنت الاحمر مترجين بالالفة الى أن بلغا فتزوج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما الى أن عزمت يوما على أن تزور أباها فجهزها

قلت انجز دلطفا
حده يدنى الاجل
يا عذولى كف عنى
سبق السيف العذل
وعلى ذكر العذل والملام ذكرت
قول أبي نواس في المدام
دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
قال المفضل الضبي دخلت على
الرشيد يوما فقال دلني على بيت
أوله أكثم بن صيفي في اصابة
الرأى وجودة الموعظة وآخره
ابقراط في معرفة الدواء فقلت
يا أمير المؤمنين لقد هولت على
فقال هو قول أبي نواس
دع عنك لومى البيت قلت وبقي
لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها
الحريري في درة الغواص عن
حامد بن العباس انه سأل على بن
عيسى في ديوان الوزارة عن دواء
الخمار وقد علق به فأعرض عن
كلامه فقال ما أنا وهذه المسئلة
فخجل حامد منه ثم التفت الى
قاضي القضاة أبي عمر فسأله عن
ذلك فتنحنح القاضي لاصلاح
صوته ثم قال قال الله تعالى وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال رسول الله

اليه فاقامت مدة وكل منهما يأبى أن يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهما على ان يأتي أحدهما الآخر مخافة ان تزرى العرب به فرض الحرث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * ولي منك في الاحشاء اصدق شاهد

هو الموت ان لم تأتني منك رقعة * تقوم لقلبي في مقام العوائد

(فأجابته)

كففت الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغم الحواسد

ووالله لولا ان يقال تظننا * بي السوء ماجانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وانتشق ريحها وكانت اعطر زمانها غشي عليه فاذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أحييته بزورة قالت خشيت ان يقال صبت اليه ولكني قاتلة نفسي عن قريب فلم يشعر بها الا وهي ميتة

(ومنهم عياش الكناني)

قال هشام خرجنا في حاجة وهو معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعا عظيما فتخلف عنا وراسلها فأبت وكان لا يخطئ سهمه اذا رمى فذهب قوسا وأقبل في الليل وهي نائمة بين اخوتها فايقظها فلما شعرت به قالت لئن لم تذهب لاوقظنهم فيقتلونك فخاف ان أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكن ما به انصرف ففعلت فانصرف فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته فقالت له كالاول فخاف ان أمكنته من رشفة فذي ففعلت وشعر به الحي فتبعوه فخرج على جبل واعقب الوقت سماء فرجع النساء وأخذ الجارية من الوجد أضعاف ما عنده فخرجت مع جارية من الحي وقد زهر القمر فرآها على بعد وقد اسبلت شعرها من الندى فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يخط قلبها ونزل فوجدها متضمخة وقد أشفت على الهلاك فقتل نفسه

(ومنهم ماروا اعرابي أو هو جبلة بن الاسود)

قال خرجت في طلب ضالة لي فوقعت على راع عنده غنم يرعاها وقد اتخذ بيتا في كهف هنالك فسألته القرى فرحب بي وانزلني ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم الي ويحادثني حتى اكتفيت فلما جن الليل اذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد أقبلت اليه فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فمضت وسألته الذهاب فأبى وقال الضيافة ثلاث فأقمت فلما جاء الليل رأيته يقوم ويقعد متضجرا ثم أنشد

ما بال مية لا تأتي كعادتها * اعاجها طرب ام صدها شغل

لكن قلبي عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالي غيركم امل

لو تعلمين الذي بي من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل

نفسي فداؤك قد احلت بي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

لو ان غادية منه على جبل * لمادوانهد من أركانه الجبل

صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه ابو نواس فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ماضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان خجل علي ابن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

ان الذي جعل الهموم عقاربا
جعل المدام حقيقة درياقها
لم يسلب الراووق الا عندما
قطع الطريق على المدام وعاقها

فسألته عن شأنه فقال هذه ابنة عمي وأنا أحبها فخطبتها من عمي وأبى علي لفقري وزوجها من رجل وقد حملها الى هذا الحي فخرجت عن مالي وعملت راعيا لهم فهي تأتيني على غفلة من زوجها فأنظر اليها وتحادثني ليس غير والآن قد قلقت لفوات ميعادها وفي الطريق اسد قد كسر وأخاف ان يكون أصابها فعلى رسلك حتى اعود وأخذ السيف ومضى قليلا ثم عاد يحملها وقد اصابها الاسد فطرحها ثم غاب ورجع يجر الاسد مقتولا فطرحه وانكب يقبلها ويبكي ثم قال لي اسألك بالذمة الا ما دفنتني واياها في هذا الثوب وكتبت على القبر هذا الشعر فاني لا بقاء لي بعدها ثم انكب عليها فاذا هو ميت وقيل انكب على السيف فخرج من ظهره وفي رواية وغنا الى الصباح فوجدته ميتا فلففتهما ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذي اوصى به وهو

كنا على ظهرها والدهر في مهل * والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف الفتنا * فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم فرقت الغنم ومضيت الى عمه فأخبرته بذلك فكاد ان يقضي اسفا على عدم الجمع بينهما

(ومنهم كامل بن الرضين)

وكان يحب ابنة عم له يقال لها اسماء فافتتن بها حتى انحله السقم ولزم الوساد فسأل أبوه اباها ان يزوجها منه فقال له احمله الي لازوجه بها ففعل فلما علم بذلك قال اوانا بموضع تسمعني به قالوا نعم فشهق شهقة فمات فقالت قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلا تبعنه ثم مرضت فقالت لاخص نسائها صوري لي صورته ففعلت فلما اعتنقتها فارقت نفسها فدفنت الى جانبه وكتب على قبريهما

بنفسي من لم يتمتعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر
اقاما على غير التزاور برهة * فلما اصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم مرة النهدي)

وكان قد شغف بابنة عمه ليلى وكانت اوحد نساء زمانها حسنا فكتم حبه لها حتى تزوجها فاقاما مدة لا يزداد حالهما الا شغفا الى ان أمره الخليفة بالتجهيز الى غزو خراسان فشكا اليها عدم القدرة على فراقها فقالت اصنع ما شئت فحملها معه حتى اودعها عند صاحب له وتعجل الغزو فلما رجع كره ان يدخل ابتداء فجلس بازاء القصر فخرجت جارية فسألها ما صنعت المرأة التي خلفتها عندكم قالت ذلك القبر الجديد قبرها فتردد حتى خرجت اخرى فاخبرته مثل ذلك فمضى الى القبر فجعل يتمرغ ويبكي ثم انشد

أيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت * عليها نساء من فصاح ومن عجم
ويا قبر ليلى ما تضمنت قبلها * شبيها لليلى في عفاف وفي كرم
ويا قبر ليلى اكرمن محلها * يكن لك ما عشنا علينا بها نعم

ويا قبر

ومعتنق في الثغر لو قد ذاقها
ما لام في لكنه ما ذاقها
قال اطرح صفراء يطفي خمرها
لهب القلوب اذا اشتكت احراقها
فاجبته ذقها وخذ من بعد ذا
في طرق لومك ان أردت فراقها
وقد انصف شيخ الشيوخ بحماة
حيث قال
اعاذلي ليس مثلي من تفنده
وليس مثلك مأمونا على عذلي
ما دمت خلوا فما تفلك تهما
اعشق وقولك مقبول علي ولي
(وقال الآخر)
لو تعلم الورق حنيني نحوكم
لمزقت من طرب اطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي
صبا معي لكنه ما ذاقها
(حكي) أن السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد اشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات

وياقبر ليلى ان ليلى غريبة * براذن لم يشهدك خال به وعم

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن الى جانبها

(ومنهم رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف)

تزوج ابنة عمه فشغف بها حتى لم يستطع فراقها افنفد ما معه وضاق حاله ولم يكتسب شيأ يقتات به فقالت له يوما لو خرجت الى هشام بن عبد الملك فسألته شيأ لما منعك فجهز نفسه فلما صار قرب الرصافة اغمى عليه ساعة ثم افاق وأنشد

بينما نحن بالبلاكث بالقا * ع سراعا والعيس تهوى هويا

خطرت خطرة على القلب من ذكـ * ـراك وهنا فما استطعت مضيا

قلت لبيك اذ دعاني لك الشو * ق وللحاديين ردا المطيا

فكررنا صدور عيس عتاق * مضمرات طوين بالسير طيا

ذاك مما لقين من دلج السير * وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع قال ياسبحان الله قد وصلت الى الرصافة فاقسم لايخطى الا راجعا فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فأخبره ان زوجته قد ماتت فلم يسمع منه الا شهقة وفارقته نفسه

*(فصل فيمن اناخ به الحب ثقله * حتى اذهب عقله)*

وهؤلاء المعروفون عند اهل القوانين بعقلاء المجانين وقد افردوا كثيرا بالتأليف وجعلتهم من الجاهيل لاشتباههم بهم فيما تقدمت من الشروط

(فمنهم ما خرجه مغلطاى عن الاديب)

قال عشق فتى عندنا جارية فلم يزل يزداد ولعه بها حتى ذهب عقله فكان آونة يسكن الى الناس واخرى يسكن الخربات ويتوحش فمررت به يوما في خربة يثير التراب على وجهه فسألته عن حاله فانشد

تيمني حبها واضـ * ـناني وفي بحار الهموم القاني

كيف احتيالي وليس لي جلد * في دفع ما بي وكشف احزاني

يارب اعطف بقلبها فعسى * ترحم ضعفي وطول اشجاني

ففارقته ومضيت فلما كان بعد مدة اذا انا به يتمرغ على الارض فلما ابصرني قال ياعم أنا الليلة ميت فدعوت له ومضيت فلما أصبحت غدوت عليه فاذا هو قد قبض

(ومنهم ما ذكره ابن المرزبان في الذهول والنحول عن سعيد بن ميسرة)

قال صحبنا شاب فكان لايلهج الا بهذه الابيات

الا انما التقوى ركائب ادلجت * وادركت الساري بليل فلم ينم

وفي صحبة التقوى غناء وثروة * وفي صحبة الاهواء ذل مع العدم

فلا تصحب الاهواء واهجر محبها * وكن للتقى الفاتكن في الهوى علم

طرب فأنشده

ما ناصحتك خبايا الود من رجل
مالم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى أن تسامحني
بأن أراك على شئ من الزلل

(الباب الثالث عشر في ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور وما قيل فيهما من منظوم ومنثور وغير ذلك من عيادة الحبيب وما يستدل به عليه من روائح الطيب كما قيل

ولو أن ركبا يمموك لقادهم
نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا واسدى له الفضل زائرا ومزورا كما قيل

ان زارني فبفضله او زرته
فلفضله فالفضل في الحالين له

فالزيارة من الحبيب لاتمل ولو ألحق فيها الوابل بالطل ومن أحسن ما قيل في زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما
خائفا من كل شئ جزعا
زائرا نم عليه حسنه

فسألناه لمن الابيات قال لاخ لى كنت احبه شديدا ولم ارا مزح منه مع التقوى فسألته
الدنيا تلهج بهذه ام لاخرى فقال لامر لا اخبرك به حتى ينفذ من يدى ودام على ذلك حتى
لزم الفراش فكانت الاطباء تختلف اليه ولم تؤثر معه شيأ وكان يصرخ الليل كله فأجمعنا
على ان ندعه وشأنه فكان يجلس نهاره على الباب وكلما مر به شخص يسأله الى اين يذهب
فيقول الى موضع كذا فيقول لو مررت على من تريد لحملناك حاجة فقال له صاحب له انا
مار حيث تريد فقال

نقرا السلام على الحبيب تحية * وتنبه بتطاول الاسقام
وتقيده ان التقى ذم الهوى * لما غدا مشغولا بزمام

قال ثم فما كان باسرع من ان رجع فقال بلغتهم رسالتك فقالوا

انى كان تقوى الله ذممناك ان تنل * امورا نهى عنها بنهى حرام
فزرنا لنقضى من حديث لبانة * ونشفى نفوسا آذنت بسقام

قال فوثب قائما ثم انشد يقول

سأقبل من هذا وفيه لذى الهوى * شفاء وقد يسلو الفتى جد وامق
اذا اليأس حل القلب لم ينفع البكى * وهل ينفع المعشوق دمعة عاشق

قال ومضى فقمت خلفه وحدى حتى أتى منزل رجل من أهل الفضل والرأى والدين
وكانت له ابنة من أجمل النساء فوقف على الباب وقال

فها انا ذا قد جئت اشكو صبابتى * واخبركم عما لقيت من الحب
واظهر تسليما عليكم لتعلموا * بأن وصولى ثم ذا منكم حسبى

قال فلما فهمت القصة وخشيت ان يظهر أمره قلت له ما جلوسك على باب القوم ولم
يأذنوا لك قال بلى قلت كيف وهم يقولون

بالله ربك لا تعمر بابنا * انا نخاف مقالة الحساد

فقال يا صالح اقد قالوا هذا قلت نعم فجعل يهذى ويقول

ان كان قد كرهوا زيارة عاشق * فلرب معشوق يزور العاشقا

ثم رجع فلزم الوساد حتى مات

(ومنهم ما حكاه الوراق عن الصوفى)

قال حدثنى صديق لى قال دخلت البيمارستان ببغداد فرأيت شابا نظيف الثياب قد شد
الى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة فسلمت عليه وقلت له ماذا تريد فقال قرصين
وفالوذج واحضر ثم ما فلما فرغ قلت له هل تطلب غير هذا قال وما أظنك تقدر عليه قلت
اذكره فلعل الله ان يساعدنى عليه فقال تمضى الى زقاق الفقه فتقف بباب كذا وتقول
مجنونكم من ذا الحال قد قضيت وفعلت ما قال فخرجت الى عجوز فقالت قل له عليك
من ذا اعله فرجعت اليه وأخبرته بذلك فشهق شهقة فمات فرجعت الى الباب فوجدت

الصراخ

كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت
ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال فى زورته
ثم ما سلم حتى ودعا

(وما احسن قول ابن المعتز)

زارنى والدجى أحم الحواشى
والثريا فى الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس
بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول
طول الله فيك غيظ الحسود

(وقال الآخر)

زارت عليه غفلة الرقيب
كظبية روعت بذيب
وكان وقت الوصال منها
اقصر من جلسة الخطيب

(قال) الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاى فى كتابه الواضح المبين أنشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلى لنفسه زاعما انها اصدق كلمة قالها الاواخر

يقولون لى بالله ما أنت فاعل
اذا زارك المحبوب قلت أبكيه

(وقال يعقوب الشيبانى)

قلت اذ زار من أحب وجنح الليل
روض أبدى النجوم نهارا

الصراخ وقد ماتت الجارية

(ومنهم ما حكاه السامري)

قال مررت أنا وصديق لي بدير هرقل فقال هل لك ان تدخل فتنظر الى ما فيه من ملاح المجانين فدخلنا واذا بشاب نظيف الثياب حسن الهيئة جميل المنظر فحين بصر بنا قال مرحبا بالوفد قرب الله بكم بأبي من اين اقبلتم فقلنا جعلنا فداءك ومتع الله بك اقبلنا من كذا ثم قلنا له ما اجلسك ههنا وأنت لغير هذا المكان اهل وهو لغيرك محل فتنفس الصعداء وهو مشدود الى الجدار في سلسلة وصوب طرفه الينا وأنشد

الله يعلم انني كمد * لا أستطيع ابث ما أجد
روحان لي روح تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
اما المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يقرها جلد
واظن غائبتي كشاهدتي * بمكانها تجد الذي اجد

قلت وسيأتي منه انه نسب هذا الشعر لخالد الكاتب ولا يمكن ان يقال ان هذا المحكي عنه هو لان خالد لم يحبس وانما كان سائحا كما سيأتي فلم يبق الا استعارة أحدهما من الآخر قال الراوي ولما فرغ من شعره التفت الينا فقال هل أحسنت فقلنا نعم ثم ولينا فقال بأبي ما أسرع ذهابكم اعيروني سمعكم فعدنا اليه فأنشد

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين منهمل
فودعت ببنان عقدها عنم * ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حل بي وبها * يا نازح الدار حل البين وارتحلوا
يا حادي العيس عرج كي اودعها * يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم انقض مودتهم * فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له مجونا لننظر ما يفعل ماتوا فقال اقسمت عليكم ماتوا قلنا نعم فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شقتيه وشهق فاذا هو ميت فما ندمنا على شيء أعظم منه وحكاها المبرد كما هي وزاد ان قال فوجدنا في الدير مجانين ليس فيهم انظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنونا منه فقال انشدوني شيأ من الشعر أو أنا أنشدكم فقلنا له انشد فأنشد الشعرين فلما قال ما فعلوا قال رجل بغيض معنا ماتوا فقال وأنا ايضا أموت فقال له افعل ما شئت فجذب حتى مات واخرج الزجاج في اماليه عن المبرد الحكاية أيضا لكنه قال فقال لنا انشدوني فقلت لرفيقي أنشده فانشد

قبلت فاها على خوف مخالسة * كقابس النار لم يشعر من العجل
ماذا على رصد في الدار لو غفلوا * عني فقبلتها عشرا على مهل
غضي جفونك عني وانظري أمما * فانما افتضح العشاق بالمقل

مالك الحب زاره مالك الحسن
فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلسا حين يمشي
واجعلوا عسجد الكؤس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقدتم
بسري الى العيون سرارا
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا
لنجاشي الظلام كن بردادارا

وعلى ذكر البردادار ما أحسن قول الآخر دوبيت

بالبدر بك الثناء والمدح يليق
اذ انت لاهل العشق خل وصديق
اذ انت جعلت برددار الهم
لا تعط عليهم قط للصبح طريق

(وقال ابن النبيه)

قلت لليل اذ حبانى حبيبا
وغنا يسبى النهى وعقارا
أنت بالبدر حاجبي فامنع الصبح
وكن أنت يا دجى بردادارا

(وما أحسن قول شمس الدين محمد ابن العفيف)

ومليح كالبدر زار بليل
فلاحسنه الدجى اذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبي
بلهيب الجوى هداه ودلا
وعجيب منه فقد كنت
بمحل النزاع كيف استدلا

فقال انا وهذا القائل على طرفي نقيض فانه يرى محبوبه وانا مقصى فقلنا له أنت عاشق قال نعم قلنا لمن قال أنت سؤل قلت محسن ان اخبرت قال عقد لى أبي على ابنة عم لى ثم توفى وترك مالا كثيرا فاستولى عمى على المال ونسبوني الى الجنون قال المبرد هذا كله والقيم يقول احذروه فانه يتغير ثم التفت الى فقال أنشدني انت فانك من أهل الادب فلم يحضرني الاقول الشاعر

قال سكينة والدموع ذوارف * تجرى على الخدين والجلباب
ليت المغيرى بالذى لم أجزه * فيما أطال تصبرى وطلابي
كادت تردلنا المنى أيامه * اذ لا ألام على هوى وتصابى
خبرت ما قالت فقلت كانما * ترمى الحشا بصوائب النشاب
اسكين ما ماء الفرات وطيبه * منى على ظما وحب شراب
بالذ منك وان نأيت وقلما * يرعى النساء امانة الغياب

(ومنهم ما حكاه الاسدى عن أبيه)

قال دخلت دير هرقل فوجدت شابا حسن الهيئة مكبلا بالحديد فقلت له من الذى أوجب لك هذه الحالة فأنشد

نظرت اليها فاستحلت بنظرتى * دمى ودمى غال فارخصه الحب
وغاليت فى حبى لها ورأت دمى * رخيصا فمن هذين داخلها العجب

(ومنهم ما حكاه ابن غنيم)

قال مررت بخربة فرأيت مجنونا مصفدا بالحديد يتمرغ فى التراب ويقول

ألا ليت ان الحب يعشق مرة * فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون فز بالصبر انك هالك * وللصبر منى ألف مرة أجزع

(ومنهم ما حكاه أبو الحسن المؤدب)

قال انحدرت من بالس أريد العراق فبينما أنا فى بعض أزقة الموصل اذ سمعت ضجة فسألت فقيل دار المجانين فدخلت فاذا أنا بشاب فى الحديد قد تضرج بالدم فلما بصر بى قال من أين قلت من بالس قال وأين تريد قلت العراق قال أتعرف بنى فلان قلت نعم قال هم الذين صيرونى الى ما ترى فى عشقهم وأنشد

زموا المطايا واستقلوا ضحى * ولم يبالوا قلب من تيموا
ماضرهم والله يرعاهم * لوودعوا بالطرف أوسلموا
مازلت أذرى الدمع فى اثرهم * حتى جرى من بعد دمعى دم
ما انصفونى يوم بانوا ضحى * ولم يفوا عهدى ولم يرحموا

(ومنهم القويرك وهو من المشاهير فى عقلاء المجانين)

قال الاثبلى رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة فلما رآنى قال أماترى ما يصنع هؤلاء بى مع

(وقال الآخر)

ياحبيبي وأنت ما
زلت بالوصل منعما
زرتني بعض ليلة
بت فيها مهوما
حين وليت غائبا
افل البدر فى السما
ليت شعرى من الذى
من آخيه تعلما

(وقال بشار بن برد)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر
الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة
ثنى ولا تجعلنها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض فى السنة بيضة ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتى فى تاريخه فى سنة ست وتسعين وستمائة باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فاخبرونى به (قلت) واخبرنى الآن بعض الصوفية المقيمين عندى بالصريح انه باض عندهم ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاجة ثم أقام بعد ذلك سبعة ايام ومات (رجع الكلام وقلت أنا)

ماأنافيه من العشق والجنون فقلت له لست بمجنونا قال بلى والله وبى عشق شديد قلت فما أنشدت فيه شيأ قال بلى وأنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حد وهذا له حد

هما استوطنا جسمى وقلبى كليهما * فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد

وقد تكافحت الحشا وتحالفا * على مهجتى ان لا يفارقها الجهد

فأى طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من داءين ما منهما بد

وقال يوما وقد لقيته وفى عنقه حبل يقودونه يا ابا بكر بماذا يعذب الله عباده قلت بجهنم فقال صفها فقلت له ومن الذى يقدر أن يصف عذاب الله فقال أنا والله فى عذاب اعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية وأنشد

انظر الى ما صير الحب * لم يبق لى جسم ولا قلب

انحل جسمى حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب

ما كان اغنانى عن حب من * من دونه الاستار والحجب

وقال له ابن الزيات متى حدث بك العشق قال من زمان طويل ولكن كنت أكتمه حتى غلب فقال أنشدنى ما قلت فيه فأنشد

كتمت جنونى وهو فى القلب كامن * فلما استوى والحب أعلنه الحب

وخلى والجسم الصحيح يذيبه * فلما اذاب الجسم ذل له القلب

فجسمى نحيل للجنون وللهوى * فهذا له نهب وهذا له نهب

(ومنهم خالد بن يزيد)

يكنى أبا القاسم ويعرف بالكاتب خراسانى الاصل بغدادى المنشا احد كتاب الجيش فى الدولة العباسية والمشهورين باللطف والرقة وحسن الشعر ثم اعتراه الجنون قيل من السوداء ونقله فى النزهة وقال انها كانت تعتريه زمن الباذنجان فاذا جاء الشتاء حسن حاله وحكى فى امتزاج الارواح ورياض اللطائف انه خرج الى بعض الاعمال باذربيجان فشهد مجلسا وفيه قينة فأعجب بها وطلب ان يستصحبها فامتنعت فداخله حبها حتى خامر عقله فكان يصحو احيانا ويغمر احيانا فاترك العمل مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك فى كتابة بعض الاعمال فغر بماجنة تغنى

من كان ذا شجن بالشام يطلبه * ففى سوى الشام امسى الاهل والشجن

فسقط مغشيا عليه حين سمع ذلك وتذكر به حال الماجنة وانها اخبرته أنها تطلب الشام ثم افاق ورجع ورمى العمل وكان يركب قصبة ويطوف ببغداد وأهلها يطلبونه خصوصا ارباب الدواوين ليسمعوا شعره قيل قال له ابن الجهم يوما هب لى قولك

ليت ما أصبح من رقة خديك بقلبك

فقال من الذى يهب ولده ورآه يوما والصبيان يضربونه فادخله بيته ثم قال له بعدما أخذ

لى حبيب له حبيب مواف
كل يوم يأتى اليه مرارا
قلت زرنى فقال حبى عندى
شغل الحلى أهله أن يعارا

(وقلت ايضا من قصيدة)

زار الحبيب ووجه الورد خجلان
فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا
وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ماضرنى ضيق عيشى حين واصلنى
سم الخياط مع الاحباب ميدان

(فصل فى نم الطيب على الحبيب)

ما احلى قول ابن سكرة
أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة
تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت
وناب اشراقها الا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها
برق الثنايا وعطر النحر والنفس

(أخذه المعتمد بن عباد فقال وأحسن ماشاء)

ثلاثة منعتها عن زيارتنا
خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما
تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره
والحلى تنزعه ما حيلة العرق

الراحة ماذا تريد قال هريسة ورطبا فأحضرهما فلما أكل قال له اسمعني شيأ من شعرك فأنشد

تناسيت ما اودعت سمعك يا سمعي * كأنك بعد الضر خال من النفع
فان كنت مجبولا على الصد والجفا * فمن أين لي صبر فاجعله طبعي
هل الحب تجنيه على الثقاة * فافرح بعد اليأس مني ومن نفعي
علام الجفا يا من كلفت بحبه * اتتلفني بالهجر منك وبالقطع
لئن كان اضحى فوق خديك روضة * فان على خدي غديرا من الدمع

فقال له احسنت والله وجد لذلك وجدا عظيما ثم قال له اسمعني شيأ غير هذا قال حسبك لن ينالك بهريستك ورطبك أكثر مما سمعت وخرج من عنده (وله ايضا)

يا تارك الجسم بلا قلب * ان كنت أهواك فما ذنبي
يا مفردا بالحسن افردتني * منك بطول الهجر والحب
ان تك عيني أبصرت فتنة * فهل على قلبي من عتب
حسيبك الله لما بي كما * انك في فعلك بي حسبي

(ودخل) على ابن عباد فرفع مجلسه فقال ابن الاعرابي من هذا فقال أوما تعرفه قال لا قال هو خالد الكاتب فقال له ابن الاعرابي اسمعنا من شعرك فأنشد

لو كان من بشر لم يفتن البشرا * ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا
نور تجسم منحلا ومنعقدا * سلك تضمن في تنظيمه دررا

(فقال) له ابن الاعرابي كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق أنشدنا غير هذا فقال

أراك لما لججت في غضبك * تترك رد السلام في كتبك

حتى أتى على قوله

أقول للسقم عد الى بدني * حبا لشيء يكون من سببك

فقال له انك الفوق ما وصفت به ووقف عليه ابراهيم بن المهدي عشية وقد تلفع برداء اسود فقال له أنت القائل

قد بكى العاذل لي من رحمة * فبكائي لبكاء العاذل

قال نعم قال يا غلام ادفع له ما معك فقال خالد وما ذاك قال ثلثمائة دينار قال لا اقبلها او تعرفني من أنت قال أنا ابن المهدي فأخذها وانصرف ابراهيم فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له انشدني من شعرك فأنشد

عش فحبيك سريعا قاتلي * والضنى ان لم تصلني واصلي
قد طفى الشوق بقلب دنف * فيك والسقم بجسم ناحل
فهما بين اكتئاب وضنى * تركاني كالقضيب المائل

(وحكى) عن حمزة الشاعر نحو ما سبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله

(وقال)
يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة ولج
أقبلت اهوي الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

(قيل) ويستدل بالطيب على الملوك في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج ومازالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه ابن النبيه

ان جاء من يبغي لهم منزلا * فقل له يمشي ويستنشق

وقال محمد بن عبد الله النميري في زينب اخت الحجاج من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب في نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الكفرات
يخمرن أطراف البنان من التقى * ويطلعن نصف الليل معتجرات

واطعامه لكنه قال فاطعمته رطبا فقط واستنشدته فأنشد

قد حاز قلبي فصار يملكه * فكيف أسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كالماء تحسبه * يخطر في القلب منك مسلكه
يكاد يجري من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

(فصل في ذكر من تجرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العنا واتصف بذلك كله من النسا وثبت بعد فراق محبوبه على النوى أو كان منها داعية الاعتدا)

(حكى) صاحب النزهة قال نشأ بني مران شاب لبعض التجار يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة وكان له ابنة عم تسمى لطيفة وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الاخلاق والخصال فتوفي أبوها وتركها صغيرة فكفلها عمها حتى بلغت فكانت تنظر الى ابن عمها فيعجبها الى ان تمكن حبه منها فرضت وهي تكتم أمرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها احيانا فاذا دخل الغلام صحت والتمست ماتأكل فأخبرت اباه فقال يا لها نعمة ثم زوجه منها فأوقع الله حبها في قلبه فأقاما على احسن حال مدة وهو يأمرها ان تكون دائما متزينة متطيبة ويقول لها الا احب أن أراك الا كذا فلم تزل على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت عليه وجدا وطار عقلها فكانت تتزين بأنواع زينتها كما كانت وتمضي فتمكث على قبره باكية الى الغروب قال الاصمعي مررت أنا وصاحب لي بالجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها اعلام ذا الحزن الطويل فأنشأت

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يافتيان
واني لاستحيه والترب بيننا * كما كنت أستحيه حين يراني

فعجبنا منها ثم انحرنا فجلسنا بحيث لاترانا ننتظر ماتصنع فأنشأت

ياصاحب القبر يامن كان يؤنسني * وكان يكثر في الدنيا موالاتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حلل * كأنني لست من أهل المصيبات
لزمت ما كنت تهوى ان تراه وما * قد كنت تألفه من كل هيآتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة * مشهورة الزي تبكي بين أموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قال حدثني بأعجب مارأيت فأخبرته بأمر الجارية فكتب الى عامله على البصرة أن يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل ووجه بها اليه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمدائن قال الاصمعي فلم يذكرها الرشيد مرة الاذرفت عيناه (وحكى) بعض اهل المدينة قال دعاني صاحب لي لسماع جارية تغني فدخلنا عليها فاذا هي مخرطة الوجه متغيرة تكثر من السهو والاطراق كأنها مشغولة فعزمت عليها ان تخبرني بما بها فقالت برح الذكر ودوام الفكر وخلو النهار وتشوقي الى من سار والذي ترى مما وصفت لك فان كنت ذا أرب صرفت العتب عن

(ومنها)
ولما رأت ركب النميري أعرضت
بكرهلان يلقينه حذرات
ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لقائله مع الحجاج وهي مشهورة بين اهل الادب اضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائي
فسرينا في ظلام الليل معتسفا
فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر)
وليس نسيم المسك ما تجدونه
ولكنه ذاك الثناء المخلف

(وقال آخر)
لو كان يوجد ريح مسك فائح
لوجدته منهم على أميال

(وقال ابن الرومي)
اعقبته من طيب ذكرك نفحة
كادت تكون شذا لك المسموعا

(وقال المتنبي)
وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق

(فصل) ومن أحسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي

ذى الكرب واجتهدت فى الطلب لدواء من أشرف على العطب وأخذت العود فغنت تقول

سيوردنى التذكار خوض المهالك * فلست لتذكار الحبيب بتارك
أفى الله الان أموت صبابة * ولست لما يقضى الاله بمالك
كأن بقلبى حين شط به النوى * وخلفنى فرداً صدور النيازك
تقطعت الاخبار بينى وبينه * لبعد النوى واستد سبل المسالك

فوالله لقد خفت ان تسلب عقلى بغنائها فقلت جعلنى الله فداءك وهذا الذى صيرك الى ما أرى يستحق ذلك مع ان الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن او يخف فقد قال الاول

صبرت على اللذات لما تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستقرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تولت

فقالت قد رمت ذلك فكنت كما قال قيس واما أبى الا جماحا البيتين فاسكتنى حبها عن المحاورة ومارأيت كمنطقها وحسنها وأدبها (وحكى) الزبير بن بكار قال دخلت على الامير بن طاهر حين قدم من الحجاز فتبسم فى وجهى ثم قال

لئن باعدت بيننا الانساب * فقد قربت بيننا الآداب

وان أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده فأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشر تخوت وبغال تحمل عليها متاعك فشكرت فضله فلما عزمت على الانصراف قال زودنا أيها الشيخ حديثا نذكرك به فقلت احدثك بما رأيت أو بما سمعت قال بما رأيت قلت بينا انا بين المسجدين أو قال على اثاوة الاعرج اذا أنا برجل صاد ظبيا وهم ليذبحه فنشب الظبى بقرنيه فى الرجل فدخلا فى جوفه فسقط وسقط الظبى ميتين أو قال رأيت حبالة منصوبة وظبيا مذبوحا ورجلا ميتا فجاءت امرأة حاسرة وهى تقول

ياحسن يابطل لكنه أجل * على الاساءة ما أودى بك البطل
ياحسن قلقل احشائى وازعجها * وذاك ياحسن عندى كله جلل
أمست فتاة بنى نهد علانية * وبعلها فى أكف القوم يبتذل
قد كنت راغبة فيه أضن به * فحال من دون ضن الرغبة الاجل

ثم شهقت فماتت فلم أر أعجب من الثلاثة وفى رواية وبعلها فوق ايدى القوم محتمل فوهب له عشرة آلاف درهم ثم قال اتدرون ما استفدنا من الشيخ قالوا لا قال قوله علانية يعنى ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه من العرب (وحكى) ان امرأة أحبت رجلا وكان ممتنعا عنها زمانا فراسلته ان يتزوج بها ففعل وكانت بينهما الفة شديدة فمكثا على ذلك مدة فمرض فمات فجعلت المرأة تتردد الى قبره ولزمته يوما تبكى وتنشد

كفى حزنا انى أروح بحسرة * واغدو على قبر ومن فيه لايدرى

خبروها انى مرضت فقالت
اضنى طارفا شكا أم تليدا
واشاروا بأن تعود وسادى
فأبت وهى تشتهى ان تعودا
واتتنى فى خفية وهى تشكو
الم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك
أن أمالت على عطفا وجيدا
(أنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ
جمال الدين بن نباتة
ومولعة فى الحب لما ان رأت
اثر السقام بعظمى المتهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم
أنا بالسقام وأنت بالاعراض
(وما أحسن قول السلمانى)
وأنا الذى اضنيته وهجرته
فهل صلة أو عائد منك للذى
(وقال الآخر)
لاتهجروا من لاتعود هجركم
وهو الذى بلبان وصلكم غذى
ورفعتم مقداره بالابتدا
حاشاكم ان تقطعوا صلة الذى
(ومن عظيم ما يحكى) عن الملك
المعظم عيسى بن الملك العادل أن
شرف الدين بن عنين كتب اليه
وهو ضعيف

فيانفس شقي جيب عمرك عنده * ولا تبخلي بالله يانفس بالعمر
فما كان يأبى ان يجود بنفسه * لينقذني لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت في النحيب وانكبت على القبر فاذا هي ميتة (وحكى) الربيع قال مررت بجارية على قبر تقول

بنفسي فتى اوفى البرية كلها * واقواهم في الموت صبرا على الحب

قال فقلت لها بم صار كذلك قالت كان اذا عنف في حبي يصبر واذا الحى عليه يسكت واذا زاد به الغرام ينشد هذين البيتين

يقولون ان جاهرت قد عضك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما للذي يهوى ويكتم حبه * من الامر الا ان يموت فيقبرا

ولم يزل يكررهما حتى مات فيها أنا مقيمة على حفظ عهده لا أبرح حتى يتصل القبران ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فاذا هي ميتة فدفنت الى جانبه (وحكى) رجل من تميم قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها فاذا انا بجارية كأنها قرة تمشي بصر من ينظر اليها فلما رأتني قالت مالك قلت ضلت لي ابل فلم اعرف خبرها فقالت هل ادلك على من عنده علمهن قلت بلى قالت ان الذي اعطاكهن هو الذي أخذهن وهو أحق بردهن فسله من طريق التيقن لا من طريق الاختبار فأعجبني كلامها ووقفت انظر اليها ثم راودتها عن نفسها فقالت هبلك ليس لك مانع من أدب أما لك زاجر من الحياء فقلت لن يرانا الا الكواكب فقالت أين مكوكبها فقلت ألك بعل قالت قد كان ولكن دعي الى ما خلق له فصار الى ما خلق منه ثم انشأت

اني وان عرضت اشياء تضحكني * لموجع القلب مطوى على الحزن
اذا دجا الليل أحياني تذكره * وزادني الصبح اشجانا على شجني
وكيف ترقد عين صار مؤنسها * بين التراب وبين القبر والكفن
ابلى الثرى وتراب الارض جدته * كأن صورته الحسناء لم تكن
ابكي عليه حنينا حين اذكره * حنين والهة حنت الى وطن
ابكي على من حنت ظهري مصيبته * وطير النوم عن عيني وأرقني
والله لا أنس حبي الدهر ما سجعت * حمامة أو بكى طير على فنن

فقلت لها عندما رأيت من جمالها وفصاحتها هل لك في زوج لا تذم خلائقه وتؤمن بوائقه فأطرقت مليا ثم انشأت تقول

كنا كغصنين في أصل غذاؤهما * ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمني * ان لا يضاجع انثى بعد مثواتي
وكنت عاهدته أيضا فعاجله * ريب المنون قريبا من سنيات

انظر الى تعيين مولى لم يزل
ولي الندى وتلاف قبل تلافي
انا كالذي احتاج ما يحتاجه
فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال أنت الذي وهذه صلتك وأنا العائد قلت وقد استخدم ابن عنين الصلة والموصول واجاد وعامله الملك المعظم في السبق الى فهم مقصوده معاملة الجواد ولو وقع هذا من مثل سيبويه لكان ادل دليل على فضله وسداد نبله فما الشان بوقوعه من هذا الملك المعظم شانه العظيم سلطانه فكم أقر لابن عنين عينا ووفى عنه دينا فنال به السول وطرب من الصلة والعائد بره الموصول لا جرم انه ملأ بمدائحه ديوانه وقال فيه من قصائده الطنانة

كريم الثنا عار من العار باسل
جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عيسى خفية
هي الشمس لا تقصى سناها ولا تدنى

(ولي انا من قصيدة) في هذا الوزن امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر مخلصها

فاصرف عنانك عمن ليس يردعه * عن الوفاء خلاف في النصحات

(وحكى) ابراهيم الموصلى قال كان كثيرا ما يصف لى زلزل جارية عنده فلما مات مولاها وسمعت عرضها للمبيع ركبت حتى دخلت عليها فاذا هى جارية كاد الغزال ان يكونها لولا ما تم منها ونقص منه فسألتها أن تغنى فأخذت العود وغنت

اقفر من اوتاره العود * فالعود للاقفار معمود
واوحش المزمار من صوته * فماله بعدك تغريد
من للمزامير ولذاتها * وعارف اللذات مفقود
فالخمر تبكى فى أباريقها * والقينة الحسانة الرود

فركبت الى أمير المؤمنين فاعلمته بها فاستحضرها فلما وقعت من قلبه قال لها هل لك ان اشتريك فقالت أما اذا اشتريتنى فلا خيرلك فى فرجها واعتقها واجرى عليها مؤنة

(ومن وفاء النساء) ان كسرى ابرويز ترك جارية كانت حظية فطلب ولده أخذها فعالجت ناوس كسرى ففتحته ودخلت فمصت خاتما مسموما كان فى اصبعه فماتت

---

*(القسم الثالث فيمن خالسته عيون الاماء فاسلمته الى الفناء
وكادت أن تقضى عليه لولا المداركة بالوفاء)*

ومما ينبغى ايراده هنا مصدرا الحكاية المشهورة عن حبابة وهى جارية فى الاصل للاحوص وقيل لرجل مدنى وانها كانت تسمى العالية وانه دخل بها على يزيد بن عبد الملك فى خلافة أخيه وعليها ازار له ذنبان وبيدها دف فغنته

ما أحسن الجيد من مليكة واللبات اذ زانها ترائبها
ياليتنى ليلة اذا هجع النـ * ـاس ونام النيام صاحبها
فى ليلة لا يرى بها أحد * يسعى علينا الا كواكبها

فاشتراها بأربعة آلاف دينار فبلغ أخاه فعزم على ان يحجر عليه فردها فاشتراها رجل من افريقية وقد تولعت بها نفس يزيد وكان قد تزوج سعدى بنت عبد الله بن عثمان وزفيفة بنت عبد الله بن جعفر وامهر كلا منهما عشرين الف دينار فخاف من سليمان الحجر فلم يزل كاتما وجده الى ان افضت اليه الخلافة فارسلت سعدى مولى لها فى طلب حبابه فبلغه انها فى المدينة فمضى اليها فقيل بمصر فمضى اليها فقيل بافريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها منه بمائة ألف درهم بعد امتناعه من بيعها لولا أنى اخبرته بأن الخليفة سيأخذها منه قهرا ولما ارتحل بها مولى سعدى انشد الافريقى وقد تبعتها نفسه

ابلغ حبابة اسقى ربعها المطر * ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
ان سار صحبى لم أملك تذكركم * اوعرسوا فتهيم النفس والفكر

ولما مر بها على مكة شيعها الناس وقيل من المدينة وكانوا يأتى رجل الى ذى خشب وسألوها ان تزودهم صوتا فأنشدت

تطاول غصن البان يحكى قوامه
فقلت له والله قد جئت فى المدى
ولكن بدر التم والبحر قصرا
عن الناصر السلطان فى الحسن والحسنى

(ومن ظريف ما اتفق) لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر فى وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجونى فى وجهى فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك والح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذكرنا الامرئ
قط الا واشتهى ان لا يرانا

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخرا اذ ذقت الخرا) فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال (صفع اقفيه أصلحانا)

رجع الكلام الى العيادة ما أحسن قول السراج الوراق

قال صديقى ولم يعدنى
وعارض السقم فى أثر
لقد تغيرت يا صديقى
ويعلم الله من تغير

سلكوا بطن مخيض * ثم ولوا راجعينا

اورثوني حين ولوا * طول حزن وانينا

ثم كتبت اسماءهم حتى عرضتهم على يزيد فوهب كلا ألف درهم ولما وصل بها الى سعدى السيها حلا ووهبتها جواهر وطيبا كثيرا ثم قالت للخليفة قد وهبك الله الملك فهل بقى عليك شئ وهى تعلم ما فى نفسه فقال لا فقالت بل انا أعلم فاخبرنى عسى ان اوصلك اليه فقال العالية يعنى حبابة فقالت اوتعرفها اذا رأيتها قال نعم فأخذت بيده حتى ادخلته عليها فسر وعظمت منزلة سعدى عنده وكانت عاهدت حبابة ان لا تدع لها حاجة عند الخليفة الا قضتها وان يجعل الخلافة لولدها ففعلت وكانت ربيحة قد اشترت سلامة وهى أيضا جارية كانت لمدنى وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسه موقعا عظيما فلما اجتمعتا عنده قال أنا الآن كما قيل

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأول ما عظمت به عنده ان دخل يوما فسمعها تغنى من وراء الستر ولا علم لها به

كان لى يا يزيد حبك حينا * كاد يقضى على حين التقينا

فكشف الستر فوجدها مستقبلة الجدار فعلم انها لم تشعر به فالقى نفسه عليها وارتفعت منزلتها عنده وكان أصل الشعر كان لى ياسفين فغيرته وكانت حبابة أجل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة بالادب والآلات والغناء وأخذته عن أهله مثل معبد وجميلة وأم عوف وغيرهم وكان يزيد قبل خلافته يختلف الى أم عوف ويقترح عليها ان تغنى

متى أجر خائفا تسرح مطيته * وان أخف آمنا تنبو به الدار

سيروا الى وأرخوا من أعنتكم * انى لكل امرئ من وتره جار

فسأل حبابة ان تغنيه ولم يمكنها الطعن على أم عوف فبكت يزيد بحبه لها بأن غنت اثر الصوت

أبى القلب الا أم عوف وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفندا

فضحك وقال لمن هذا فقالت لمالك فكان كثيرا ما يسألها ان تغنيه وغنت يوما

لعمرك انى لاحب سلعا * لرؤيتها ومن بجنوب سلع

تقر بقربها عينى وانى * لاخشى ان تكون تريد فجعى

حلفت برب مكة والهدايا * وأيدى السابحات غداة جمع

لانت على التنائى فاعلمنه * أحب الى من بصرى وسمعى

ولما أنشدته البيت الاول تنفست الصعداء فقال يزيد مالك وله والله لو أردته جرا جرا لجئت به اليك فقالت ما أصنع به انما أريد صاحبه أوساكنه واقترح عليها وعلى سلامة يوما ان يغنى كل منهما ما فى نفسه ومن أصابت فلها ما تطلب فغنت سلامة فلم تصب وغنت حبابة

(وقوله أيضا)

مرضت لله قوما

مافيهم من جفانى

عادوا وعادوا وعادوا

على اختلاف المعانى

ولهذا البيت اشباه ونظائر ذكرتها فى كتابى الطارئ على السكردان

منها ما حكى عن القاضى ابو بكر ابن العربى وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال الساعة اضرب به فانشا القاضى أبو بكر فى الحال لنفسه

يهددنى بالرمح ظبى مهفهف

لعوب بالباب البرية عابث

فلو كان رمحا واحدا لاتقيته

ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سألت جماعة من أهل العلم والادب عن استخراج الثالث من هذا البيت فلم يجب أحد منهم بطائل (وقال ابن النقيب)

سمعت بما تشكو وما انت واجد

فظلت دموع العين فى الخد تسفح

وارسلت خطى فى العيادة نائبا

وما كل خط للعيادة يصلح

(وقال المعتمد بن عبادة)

خاف من بني كنانة حولي * بفلسطين يسرعون الركوبا

فأصابت به ما في نفسه فقال احتكمي فقالت تهب لي سلامة ومالها فأبى وقال اطلبي غيرها فأبت الا هي فقال أنت أولى بها وبمالها فغضبت سلامة لانها كانت أرفع منها زمن التعليم عند معبد حتى كان يأمرها ان تدرب حبابة فذكرتها ذلك فقالت لا ترين الاخير ثم طلب يزيد شراءهما فأعتقهما وزوجهما منه واختلفتا يوما في صوت لحنه معبد من شعر لجرير وهو قوله

ألا حي الديار بسعد اني * أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني * فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضر يزيد ليقضي بينهما وقد أخبرانه الى حبابة أميل فقضى لها فقالت سلامة انما قضيت للمنزلة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لما له علي من الحق فأذن لها فقضى معبد فوجد سلامة قد سبقت حبابة بالصلة ولم تزل تتفقده حتى رجع وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الاحوص فقال الفرزدق ما أرق اشعاركم يا أهل الحجاز فقال الاحوص انما هو لجرير يهجوك به فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره وقيل ان معبدا حين حضر عند الخليفة غنى قول كثير

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الهوى * وان يحدث الشيب الملم لي العقلا

على حين صار الرأس مني كأنما * علت فوقه ندافة العطب أغزلا

فيا عز ان واش وشى بي عندكم * فلا تكرميه ان تقولي له أهلا

كما لو وشى واش بودك عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا

فأهلا وسهلا بالذي شد وصلنا * ولا مرحبا بالقائل اصرم لنا حبلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ودار في الدار وهو يقول السمك الطري أربعة ارطال عند بطارحيان فلما رجع الى مجلسه ذكرا اختلافهما السابق لمعبد فقضى لحبابة كما سبق فقالت له سلامة يا ابن الفاعلة تعلم ان الحق معي ولكن قضيت للمنزلة فضحك يزيد وأحسن صلته وكان البيدق من المهرة في الغناء وكان يختلف الى حبابة فلما علت عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فأدخلته وقد جلست مع الخليفة فقالت له ان هذا أبي وشكرت من صوته وأشارت اليه ان اقرأ فقرأ حتى بكى يزيد ثم أومأت أن غن فغنى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين ابن سريج

من لقلب مصفد * هائم القلب مكمد

أنت زودته جوى * بئس زاد المزود

ثاويا تحت تربة * وهي رمس بفدفد

غير اني اعلل النفس باليوم أو غد

مرضت فامسكت الزيارة عامدا
وما عن قلى امسكتها ولا هجر
ولكنني اشفقت من أن ازوركم
فتعزوا آثار الكسوف على البدر

(وقال الشهاب محمود) في القول بالموجب

رأتني وقد نال مني النحول
وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام
فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وأورد في كتابه حسن التوسل قول الارجاني

غالطتني اذ كست جسمي الضنى
كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى
مثل عيني صدقت لكن سقاما

(وقلت) انا حين وقفت على قول الارجاني هذا بديها

شكوت الى الحبيبة سوء حظي
وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت ان حظك مثل عيني
فقلت نعم ولكن في السواد

(وما احسن قول محاسن الشواء)

ولما اتاني العاذلون عدمتهم
وما فيهم الا للحمي قارض
وقد بهتوا لما أتوني شاحبا
وقالوا به عين فقلت وعارض

فطرب يزيد فضربه بمدهن من ذهب مفصص بالياقوت فأشارت اليه ان خذه فجعله في كمه فقال يزيد لحبابة انظري الى ابيك كيف أخذ مدهننا فقالت ما احوجه اليه ثم خرج فأمر له بثمانين دينارا وغنته يوما الشعر السابق أول القصة بتلحين ابن شريح فطرب وقال هل رأيت اطرب مني فقالت نعم معاوية بن عبد الله بن جعفر فغضب واحضره فأرسلت حبابة فأعلمته ان لا يطرب الا عندما تغني الصوت المذكور فلما غنته رقص وطرب وجعل يقول الدخن بالنوى فأمر له يزيد بصلات اجتمعت ثمانية آلاف دينار وقال لها مرة أخرى من أطرب مني فقالت مولاي الذي باعني فاستحضره مقيدا فلما دخل عليه وقد أرسلت من عرفه القصة ايضا غنت فالقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته وهو يقول الحريق يا أولاد الزنا فضحك الخليفة ووصله بألف دينار ثم لم يزل منعكفا على الاقامة معها والمحافظة على اللهو والطرب والشرب قيل انه جعل فسقية من الخمر في مجلسه وكان اذا طرب سقط فيها ومزق حلة قيمتها ألف دينار قيل ذكر أخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الاصمعي كان رجلا نهما اذا قدم اليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه وأما أخوه يزيد فكان يسقط في الخمر بثيابه فقال الرشيد للاصمعي ما أعلمك بالناس والله ان ثيابهما عندي وان الدهن في اكمام سليمان وأثر الخمر في ثياب يزيد ولما استمر على حاله وكان قد ولي الخلافة اثر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد اعتاد الناس العدل والاصلاح ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات فضجوا فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر وقيل انه قال من نفسه والله ما عمر بأحوج الى الله مني فهجر الجواري والشراب أياما وقال لمسلمة أرجو ان لا تعنفني بعد اليوم ثم جلس للناس فثقل ذلك على حبابة فأرسلت الى الاحوص فعمل شعرا واستحضرت معبدا فلحنه ثم احتالت على اسماعه الخليفة قيل عارضته وهو خارج الى الصلاة وقيل رشت خادما مقربا منه فأوقفها بحيث يسمع وأنشدته فطرب وقال مروا مسلمة او قال صاحب الشرط فليصل بالناس ولعن من يلومه في ذلك وعاد فاعتكف على ما كان عليه وقيل ان الذي آمره بالكف عن ذلك مولى خراساني كان ذا رتبة عنده وأنه قال له سأحضرك معهن وأقول انك عمي فان عنفتني رجعت وفعل فشعرن به وقمن يضربنه فوقاه يزيد ثم قال له ادوم على ذلك ام لا فقال دم فاستمر والشعر الذي انشده الاحوص هو هذا

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا * فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني * ومن شاء آسى في البكاء واسعدا
واني وان فندت في طلب الصبا * لاعلم اني لست في الحب اوحدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلدا
فما العشق الا ما تلذ وتشتهي * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

(وقال ابن النقيب)
ومالي سوى عيني قطرت لحسنها
بذا الشأن أهلي بالعيون وغرقي
وقالوا به في الحب عين ونظرة
لقد صدقوا عين الحبيب وتطرفي
(والاصل في هذا كله)
وجاؤوا اليه بالتعاويذ والرقى
وصبوا عليه الماء من الم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة
ولو صدقوا قالوا به اعين الانس
(وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني في مليح يعمل الكوافي)
اسم حبيبي وما يعاني
قد شغلا خاطري وبالي
قالوا علي فقلت قدرا
قالوا كوافي فقلت قلبي
(وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل)
وبي من قسا قلبا ولان معاطفا
اذا قلت ادناني يضاعف تبعدي
أقربوني اذا أقول أناله
وكم قالها ايضا ولكن لتهددي
(وقال السراج الوراق)
قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي
لهموم نفس ليت لا جاءتها
قد كان عندك يا فلان صريعة

وعهدى بها صفراء رود كأنما * نفى عرق منها على اللون عسجدا
مهفهفة الاعلى واسفل خلقها * جرى لحمه من دون أن يتخددا
من المدمجات اللحم خدا كأنها * عنان صناع مدمج الفتل عضدا
كأن ذكى المسك منها وقد بدت * وريح الخزامى عرفه ينفح الندا
وانى لأهواها واهوى لقاءها * كما يشتهى الصادى الشراب المبردا
نقلت الا ياليت أسماء أصقبت * وهل قول ليت جامع ما تبددا
علاقة حب كان فى زمن الصبا * فأبلى وما يزداد الا تجددا
نظرت رحاب الموقرات فكم أرى * أكاريس يحتلون خاخا فمنشدا
فأوفيت فى نشز من الارض يافع * وقد يسعف الايفاع من كان مقصدا
كريم قريش حين ينسب والذى * اقرت له بالملك كهلا وامردا
وليس عطاء كان منه بمانع * وان جل عن أضعافه غدا
اهان تلاد المال فى الحمد انه * امام هدى يجرى على ما تعودا
تردى بمجد من أبيه وجده * وقد أورثا بنيان مجد مشيدا
ولو كان بذل المال والجود مخلدا * من الناس انسانا لكنت المخلدا
فأقسم لا انفك ماعشت شاكرا * لنعماك ما طار الحمام وغردا

هكذا وجدت القصيدة وان بترها المصنف الا ان فى بعض أبياتها تغييرا ففى نسخة بدل اذا لم تكن تعشق * اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا * يعنى بالعزهاة بالمهملة فالزاى محب اللهو والطرب وبدل قوله وانى وان فندت وانى وان أغرقت ويدل قوله لكنت المخلدا لكان ولما سمعه قال لحبابة من يقول هذا قالت الاحوص فاستحضره وأحسن صلته وتراسلت فيه يوما هى وسلامة فغنيتا الى ان قالت حبابة كريم قريش فقال يزيد من يعنى قالت أنت فقالت سلامة اسمع باقيه وأكملته فأجزل صلة الاحوص وكانت اذا غنته حبابة الشعر يطرب حتى يقول احسنت ياحبيبتى انا أمرتى ان اطير فتقول له الى من تكل الامة فيقول اليك واشتد طربه بها يوما فقال لها قد استخلفتك واستعملت فلانا عنك فقالت قد عزلته فقال أوليه وتعزلينه وقام مغضبا فلم تكترث به وارتفع النهار فدعا خادما لها فقال له ما تصنع حبابة قال قد اتزرت بازار خلوقى وهى تلعب بلعبها فقال هل تقدر أن تمر بها على ولك حكمك ففى فلاعبها ساعة واستل اللعبة وفر فانطلقت فى طلبه تخطر حتى مرت عليه فوثب واعتنقها وهو يقول وليته وهى تقول عزلته واصطلحا وأقاما على ذلك الى ان قال يزيد يوما قد بلغنى ان السرور لم يصف لشخص يوما كاملا وانى مجرب ذلك ودعا بحجابه فأوصاهم ان لا يدخلوا عليه أحدا واحتجب معها ببستان له بقرية من الغوطة تسمى بيت رأس على زعم المؤرخين ان يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به فلم يزل معها على عادتهما حتى انتصف النهار وانه ضاحكها ثم

فأجيبتهم بعث الحمار وبعثها

(الباب الرابع عشر فى الرقيب النمام والواشى الكثير الكلام)

أقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب غائر العين كثير المين يرى المحب بعين المقت فى كل وقت ويرميه فى الحضرة والمغيب بكل سهم مصيب فكم ترك المحب مضنى وافقره من أحب وما استغنى فهو كالصبح قاطع اللذات تعيس الحركات قبيح المنظر سيئ المخبر كثير اللجاج بحر فى دكان زجاج فهو والنمام فى الاذى فرسا رهان رضيعا لبان ومن ابلغ ما سمعته فى الرقيب

انا والحب ما خلونا ولا طر
فة عين الا علينا رقيب
ما خلونا بحيث ان يمكن الده
ر بأنى أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت الـ
ـح فوافى فقلت كيم الطبيب

(وقول بن المعتز)

وابلانى فى محضر ومغيب
من حبيب منى بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا
شرقت قبل شربها برقيب

(وقال ايضا)

قد دنت الشمس للمغيب
وحان سوقى الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم
له حبيب بلا رقيب

برشقها

رشفها بعنبة أو حبة رمان وقيل هي ابتاعتها فشرقت بها فماتت واشتد غم يزيد وحزنه واقام ثلاثا يرشفها ويضمها ولم يمكن أحدا من دفنها حتى تغيرت فلامه الناس وعذلوه فاذن في تجهيزها ثم لم يستطع النهوض الى الصلاة عليها فقيل حمل على رقاب الناس وقيل قال له مسلمة أنا أكفيك مع انه لم يحضر ثم ضم اليه جويرية كانت تخدم حبابة فانس بها فقال لها يوما هيهنا كان المجلس قالت نعم فانشد

كفى حزنا للهائم الصب ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج الى قبرها فبكى طويلا ثم تمثل بقول كثير

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارنى فهو قائل * من اجلك هذا ميت اليوم او غد

ثم مكث خمسة عشر يوما وعاوده القلق فأمر بنبشها فقيل منعه اخوه وقال له يظن الناس انك أتيت في عقلك فجلعوك فرجع وقيل استخرجها وجعل يقبلها فقيل له قد تغيرت فقال اراها أحسن منها اليوم وانه مات حينئذ وقيل اقام أربعين يوما ثم مات ودفن الى جانبها قالوا ولم يعلم خليفة مات عشقا سواه وأما سلامة فأقامت بعدهما حتى توفيت على ماقيل في عهد المنصور (وحكى) عن رجل انه قال دخل على غلامى ومعه كتاب ففتحته واذا فيه

تجنبك البلاء ونلت خيرا * ونجاك المليك من الغموم

فعندك لو منت شفاء نفس * واعضاء فنين من الكلوم

فعلمت انه عاشق وامرت بادخاله فلم يجدوه فعرضت الكتاب على جوارى وقلت من عرفت منكن أمر صاحب هذا فهى له ومائة دينار فحلفن انهن لم يعرفن ذلك وبقى الكتاب والدراهم سنة في جانب البيت فبينا أنا يوما جالس اذ دخل على غلامى بكتاب مثل الاول وفيه

ماذا أردت الى روح معلقة * عند التراقى وحادى الموت يحدوها

حبست حاديها ظلما فجذبها * فى السير حتى تخلت فى تراقيها

والله لو قيل لى تأتى بفاحشة * وان عقباك دنيانا وما فيها

لقلت لا والذى أخشى عقوبته * ولا باضعافها ما كنت آتيها

لولا الحياة لبحنا بالذى كتمت * بنت الفؤاد وابدينا امانيها

فطلبته فلم أجده ايضا فغمنى أيضا أمره وقلت للخادم لا يأتينك أحد بكتاب الا قبضت عليه حتى أراه وكان قد قرب الحاج فلما وقفت بعرفة اذا بشاب على ناقة الى جانبى وقد أخذ منه النحول والسقم الا ان عليه آثار الجمال والادب فسلم على وقال هل تعرفنى قلت ردنى قال أنا صاحب الكتابين قلت قد وهبت لك الجارية ومائة دينار فامض واعرفها وتسلمها فقد تعبت من أمرك قال لم أطلب شيئا مما تقول قلت فعرفنى اسمها لاكرمها

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازجة الحبيب وغيبة الرقيب قال الصاحب ابن عباد

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعه وجهك الجنة حفت بالمكاره

(وقال آخر)

لسهم الحب جرح فى فؤادى * وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكل ناظريه بنا ويحكى * مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا * لصب على محب أو حبيب

(وقال آخر)

يستقبلك من كمه مداما * ألذ من غفلة الرقيب
كأنما اذ صفت ورقت * شكوى محب الى حبيب

(وقال ابو نواس)

لاحظته فتبسما * وخلا المكان فسلما
وبدا الرقيب فقلت لا * سلم الرقيب من العمى

(وقال الصفى الحلى)

من أجلك قال ما كنت بالذي يبوح بشيء وانصرف بعد أن أنشد

لعمرك ما استودعت سري وسرها * سواها حذارا أن تضيع السرائر
أصون الهوى خوفا عليك من العدا * مخافة أن يغرى بذكرك ذاكر

(ومنهم) أبو عبد الله الخشاني عشق جارية سوداء يقال لها صفراء ومرض من حبها حتى لزم الوساد فقيل لمولاها لو أرسلتها اليه فعساه أن يجد الشفاء فلما دخلت عليه قالت كيف أصبحت قال بخير ما رأيتك قالت ما تشتهي قال قربك قالت فما تشتكي قال هجرك قالت فبم توصي قال بك ان سمع لي قالت اني أريد الانصراف قال لا تعجلي ثواب الصلاة علي فلما رآها ولت شهق شهقة فمات

(ومنهم) شاب بصري قال في النزهة اسمه ظريف بن نعيم الغفاري كان بأعظم حالة من الجمال وأمكن رتبة من المال وانه اقترح على أبيه وكان من أكابر تجار البصرة ان يرسله بمتجر الى بغداد فمانعه زمانا وكان يقول له نحن غير محتاجين الى اكتساب بالاسفار فلا تفجعني فيك فأبى الا السفر فجهزله حملا وسار حتى دخل بغداد فأقام بها مدة يتنزه ويسرح في ملاذها ناظره ويشرح بمنازهها خاطره الى ان اشار عليه بعض ندمانه بحضور الدكة يعني المكان الذي تباع به الجواري فحضر مع خواص التجار وجيء بجارية بهرت الحاضرين واشغلت الناظرين فكانت كلما اراد أحد تقليبها لم تمكنه من النظر الى اكثر من عضو واحد وكانت كلما اراد احد شراءها عابته حتى وقعت عينها على البصري فأحبته واطمعته بنفسها فساوم مولاها حتى اخذها بمائة ألف درهم ثم انطلق بها الى منزله فلما كان الليل اذا بطارق فخرج فاذا هو صاحب شرطة الحجاج فاخذوه حتى دخلوا به عليه فقال له علي بالجارية التي اشتريتها فقال اصلح الله الامير انها روحي فلا تكن سبب هلاكي فأمر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية فلما رآها علم انها لم تبق له ان عرف الخليفة ذلك فوجهها الى الشام من ليلتها الى عبد الملك وحبس الشاب فلما زال عقله اطلقه وأخذ ماله وتوجه الشاب الى دمشق فأقام بها مدة متنغص الحياة فأراد أن يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع في قصة ان رأى أمير المؤمنين ان يأمر جاريته نعمى ان تغني لي ثلاثة اصوات اقترحها ثم يفعل ما شاء فليفعل فلما رأى القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف الناس أحضر الشاب والجارية وقال مرها بما شئت فقال لها غني لي قول قيس بن ذريح لقد كنت حسب النفس الى أربعة أبيات فغنت فزق اثوابه ثم قال لها غني قول جميل * الا ليت شعري هل أبيتن ليلة * الى ستة ابيات فغنت فغشي عليه ثم افاق فقال غني قول المجنون * وفي الحيرة الغادون من بطن وجرة * الى اربعة ابيات فلما غنت قام فألقى نفسه من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه ايظن اني أخرجت جاريتي واعود بها خذها يا غلام فاعطها لورثته او فتصدق بها عليه فلما نزلوا بها نظرت الى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهي تقول

من

ومليح له رقيب قبيح
يتغنى وغيره يتهنى
ليس فيه معنى يقال ولكن
هو عند النحاة جاء لمعنى

(وقال آخر)
قالت صفا الوقت ولكن
الرقيب كالقذى
قلت اذا غاب الرقيب
ارضى قالت اذا

(وقال آخر)
احب العذول لتكراره
حديث الحبيب على مسمعي
وأهوى الرقيب لأن الرقيب
يكون اذا كان حبي معي

(وقال ابو جعفر احمد بن الابار)
زارني خيفة الرقيب مريبا
يتشكى القضيب منه الكثيبا
قال لي ما ترى الرقيب مطلا
قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطه كؤس المدام دراكا
وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها الخمر عينك صرفا
واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من تتقيه
وتلاقى الكرى سميعا مجيبا

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير فى عشق بلا موت

والقت نفسها فى الحفيرة فماتت وسأل القوم عن الغلام فقيل انه قدم من كذا وكذا يوما وروى فى الاسواق وهو يقول

غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد دارى من ديارکم بعدا

وقيل ان القصة وقعت بين يدى سليمان بن عبد الملك وانه اقترح فى الصوت الاول قول امرئ القيس * افاطم مهلا بعض هذا التدلل * الى ثلاثة أبيات وفى الثانى * غدا يكثر الباكون منا ومنكم * البيتين (وفى الثالث)

تألق البرق نجديا فقلت له * يا أيها البرق انى عنك مشغول

يكفيك منى عدو ثائر حنق * بكفه كحباب الماء مصقول

وانه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقى

(ومنهم) الشريف البياضى عشق جارية لبنت فخر الملك فوجد بها وجدا عظيما وتطاول أمره حتى شاع فى الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض ايضا هو فلما توفيت طاش عقله وبقى شهرا فما دون ثم لحق بها وله فيها اشعار كثيرة (منها)

خليلى مرا بالعراق فناديا * الا من رأى قلبا من الوجد باليا

وان انما أعييتما فى ابتغائه * ولم تجداه فابغيا لى ناعيا

(ومنها)

دع الوقوف على الاطلال والدمن * فليس ينفع مسكون بلا سكن

أما ترانى لا أثنى على طلل * بعد الفراق ولا آوى الى وطن

وكيف يأنس قلبى بالديار وقد * أصاب فيها الردى من كان يؤنسنى

ان الذين اذا قونى فراقهم * افنيت بعدهم دمعى من الحزن

لله من لعبت ايدى المنون به * ضنا بما فيه ان يبقى على الزمن

جعلت روحى له من روحه عوضا * مقيمة معه فى ذلك الكفن

فصار كالحى اذ روحى تحل به * وصرت كالميت اذ لا روح فى بدنى

وكيف تذهب روحى بعده جسدى * وكان ان غاب تأبى ان تصاحبنى

(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزى فى تنوير الغبش عن التنوخى والثورى يرفعانه الى اسمعيل بن جامع قال وقع بينى وبين أبى وحشة فذهبت الى خالى باليمن فكنت عنده فى غرفة تشرف على نهر فنظرت يوما الى سوداء قد أقبلت تملأ قربة فوضعتها واستراحت ثم أنشدت

الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما

فداوى مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت فنزلت اعدو حتى لحقتها استعيد الصوت فابت وقالت انى لى

قال لابد أن تدب عليه

قلت ابغى رشا وآخذ ديبا

قال فابدأ بنا وائت عليه

قلت كلا لقد رأيت عجيبا

فوثبنا على الغزال ركوبا

ودببنا على الرقيب دبيبا

هل رأيتم أو هل سمعتم بصب

نال محبوبه ونال الرقيبا

(قال ابن بسام) لقد تطرف ابن الابار وأبر وأحسن ما شاء وقدر وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى هذا المذهب لدب عليه ولم يخلص من يديه وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال

فكان ما كان مما لست أذكره

فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(وقال أبو نواس)

اذا هجع النيام خلا عنى

وعن كان يصلح للدبيب

الذ النيك ما كان اغتصابا

بمنع الحب أو خوف الرقيب

(وقال ابو الوليد محمد بن حسان) الحنفى

نشر النسيم بعرفكم يتعرف

واخو الغرام بحبكم يتشرف

شغل عن ذلك قلت بماذا قالت علي درهمان فأعطيتها اياهما واستعدت الصوت حتى حفظته فلما أصبحت فاذا هو قد ذهب مني وأقبلت السوداء على عادتها فاستعدته منها فقالت كانك تستكثره بأربعة دراهم كاني بك وقد أخذت عليه اربعة آلاف دينار فلما كان عند الرشيد او قال عند المأمون وبين يديه أربعة اكياس كل واحد الف دينار قال من اطربني فله الف دينار فغنيته البيتين فرمى الي بكيس واستعاد الصوت فرمى الي بالآخر حتى اعطاني الاربعة فحدثته القصة فقال لم تكذب السوداء (ومنهم) ما اخرجه ابن اسحق قال انحدرت مع محمد بن ابراهيم من سر من رأى ودجلة في طغيانها فاحضر الشراب فاندفعت جارية تغني

وارحمة للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا

كم يشتمون ويضربو * ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت لها مغنية اخرى فيصنعون ماذا قالت هكذا ورمت بنفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام اشتراه بألف دينار فحين راى فعل الجارية القى بنفسه وهو يقول

أنت التي غرقتني * كيف الهوى لو تعلمينا

لاخير بعدك في البقا * والموت زين العاشقينا

فدفع من طلبهما فقيل وجدا متعانقين وقيل استخرجا وقد فنا وفي رواية الحافظ ان القصة وقعت في بيت محمد المذكور وكان على الدجلة وان الغلام هو الذي القى نفسه قبل حين سمع الجارية فتبعته وانها غنت هذا الصوت

يا قمر القصر متى تطلع * أشقى وغيري بك يستمتع

ان كان ربي قد قضى كل ذا * منك على راسي فما أصنع

(ومنهم) شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر فشغف بها حتى كان يأتي الباب لسماع صوتها فلما فطن به زينها ونزل بها اليه فوجده نائما فانبهه وقال له دونكها فامض بها الى منزلك فلما رآها فحص برجله وحركه فاذا هو ميت وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فأبى عبد الله أن يدفعها اليه فقيل انها ماتت بعد ذلك بيسير وان موتها كان عشقا

(القسم الرابع)

في ذكر من حظي بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق

وهذا القسم هو الذي ترجمه بمن ساعده الزمان بمطلوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك اما لشفاعة اوجاه أو حيلة او عناية ازلية وهم ايضا بالنسبة الى النساء اما متعلق بالاحرار أو مرمي بالعشق من جهة الجوار (فن الصنف الاول) عبد الله بن ابي بكر الصديق عشق عاتكة فكلف بها حتى كاد أن يطير عقله فلما تزوج بها أقام سنة لا يشتغل بسواها ثم قدم عليه تجارة من الشام فخرج ليتعاطى أمرها فخيل له حين خرج انه لم يعد ينظر الى عاتكة فعاد في الاثر فجلس معها وترك التجارة فلما كان يوم جمعة وهو معها اذ فاتته الصلاة وهو

شرف المتيم في هواكم انه
طورا ينوح وتارة يتلهف

صب اذا كتم الغرام ولم يبح
نمت عليه به الدموع الذرف

لطفت معانيه فهب مع الصبا
ورقيبه بهبوبه لا يعرف

لم يدر زورته الرقيب لأنه
أخفى عليه من النسيم وألطف

وكأنما يفدا النسيم دياركم
وله على تلك الديار توقف

(قال عروة بن عبد الله) كان عروة ابن أذينة الليثي نازلا في دار ابي العقيق فسمعته ينشد لنفسه

ان التي زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فاذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فأدقها وأجلها

لما عرضت مسلما لي حاجة
أخشى صعوبتها وارجو حلها

منعت تحيتها فقلت لصاحبي
ما كان أكثرها لنا وأقلها

فدنا وقال لعلها معذورة
في بعض رقبتها فقلت لعلها

لايدرى وجاء أبوه وهو جده عندها فقال له أجمعت فقال وهل صلى الناس فقال قد ألهتك عاتكة عن التجارة فلم ترتب فى ذلك ولم تقل شيأ وقد ألهتك عن الصلاة طلقها فطلقها طلقة واعتزلت ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فانشد

اعاتك لا انساك ماذر شارق * وماناح قمرى الحمام المطوق
لها منطق جزل ورأى ومنصب * وخلق سوى فى حياء ومصدق
فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق

وكان أبو بكر على سطح يصلى فسمعه فرق له فقال راجعها فقال قد راجعتها ثم أشرف على غلام له فقال له انت حر واشهد انى راجعت عاتكة ثم ضمها اليه واعطاها حديقة على أن لا تتزوج بعده فلما قتل بالطائف رثته بابيات منها

وآليت لا تنفك عينى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى اغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى * اكر وأحمى فى الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الجون اشقرا

وتزوجها عمر بعد ان استفتى عليا فى ذلك فأفتى بأنها ترد الحديقة الى أهله وتتزوج ففعلت فذكرها على بقولها وآليت لا تنفك البيت ثم قال كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ثم تزوجت بعده بالزبير وبعده بالحسين بن على حتى قال ابن عمر من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها على فقالت انى لاضن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين فقالت ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومنهم ما حكاه معبد المغنى) قال بينا أنا جالس اذ طرق بابى فقلت للغلام اخرج فانظر من بالباب فخرج وعاد مستأذنا فأذنت فدخل غلام فوضع بين يدى ثلثمائة دينار وقال غن لى

بالله يا طرفى الجانى على كبدى * لتطفئن بدمعى لوعة الحزن
لا لا أبوح حتى يحجبوا سكنى * فلا أراه ولو أدرجت فى الكفن

فعملت لهما لحنا شجيا وغنيته به فأغمى عليه فنضحت عليه الماء فلما أفاق جعل يقبل يدى ورجلى على أن اعيد الصوت فقلت أخشى ان تموت فقال من لى بذلك فغنيته الصوت فخر مغشيا عليه فلم أزل أنضحه بالورد والطيب حتى افاق فجعلت الدنانير بين يديه وقلت خذها وامض عنى فقال لا مثلها ان اعدته فشرهت عينى فقلت له ان اقمت عندى واكلت طعامى حتى تقوى نفسك واخبرتنى بقصتك اعدته ففعل وحدثنى انه خرج غب سماء وقد سال العقيق مع فتية الى متنزه فاذا هم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس بعينين لا يرتدان الا باقتناص النفس فأوقعت به وعاد مسلوب العقل فأقام لم يعرف لها خبرا حتى كاد أن يقضى فقالت له قرابته لا بأس عليك اذا أربع الوقت خرجنا بك اوان الفرج فلا نعود الا بخبرها قال فلما جاء الابان خرجنا الى المتنزه فاذا هن والنسوة كفرسى رهان فقلت لبعض قرابتى قولوا لهذه الجارية لقد أحسن من قال

فاتانى أبو السائب المخزومى فقلت له بعد الترحيب والبشر ألك حاجة قال نعم أبيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فأنشدته الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدائم الصبابة الصادق لا كالذى يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة
عنى فاهلى بى أضن وأرغب

لقد عدا الاعرابى طوره وانى لارجو أن يغفر الله لصاحب هذه الابيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف (وقال ابن رشيق) تأذى بلحظى من أحب وقال لى أخاف من الجلاس أن يفطنوا لنا وقال اذا كررت لحظك دونهم على فما يخفى دليل مريبنا فقلت بلينا بالرقيب فقال ما بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت * وقد غادرت جرحا به وندوبا

فقالت الجارية قد احسن من اجاب

يا امثل ما نشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا

فامسكت عن الجواب واتبعتها حتى عرفت المنزل فكنا نجتمع ونتحادث الى ان علم اهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فها انا على ما ترى قال معبد فغنيته الصوت ومضى فلما حضرت مع جعفر غنيته اياه فطرب وسأل عنه فأخبرته القصة فأمرني باحضاره فأحضرته اليه فطيب قلبه وركب الى الخليفة فحدثه بالحديث فاستحضرنا جميعا وطلب ان أغنيه الصوت فغنيته فطرب وكتب الى عامله على الحجاز باحضار الرجل واهلها فلما حضروا امهرها الخليفة وزوجها منه

(ومنهم رجل عذري) دخل على معاوية في جمع فلما اخذ كل مجلسه قام فانشد

معاوي يا ذا الحلم والفضل والعقل * وذا البر والاحسان والجود والبذل

اتيتك لما ضاق في الارض مسلكي * وانكرت مما قد اصيب به عقلي

ففرج كلاك الله عني فانني * لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي

وخذلي هداك الله حقي من الذي * رماني بسهم كان اهونه قتلي

وكنت أرجي عدله اذ أتيته * فاكثر ترداد مع الحبس والكبل

فطلقتها من جهد ما قد أصابني * فهذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ما شأنك قال تزوجت ابنة عمي وكانت من المبرزات في الجمال والحياء فانفقت عليها الى ان املقت فرفع أبوها القصة الى ابن ام الحكم فضيق علي السجن والقيود حتى طلقت كارها فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فاتيتك مستغيثا بعدلك فكتب معاوية اليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلي عنها ويقول في آخر الكتاب

ركبت ذنبا عظيما لست أعرفه * فاستغفر الله من جور امرئ زاني

قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان

حتى أتاني الفتى العذري منتحبا * يشكو الي بحق غير بهتان

أعطي الاله عهودا لا أخيس بها * أو لا فبرئت من ديني وايماني

ان أنت راجعتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان

طلق سعاد وفارقها بمجتمع * واشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان

فما سمعت كما بلغت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما وقف عليه قال وددت لو خلي بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ثم طلقها فأخرجها فلما وصلت الى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها وقالوا هذه لا تصلح لاعرابي انما تكون لامير المؤمنين فعجب منها ثم استنطقها فاذا هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها قال نعم اذا بان رأسي عن بدني ثم أنشد

(وقال آخر)

ورقيب عدمته من رقيب
أسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل في الظلام وعندي
هو كالصبح قاطع اللذات

(وسألت) في وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطي هل تحفظ شيأ مليحا في هجو الرقيب فسكت لحظة وانشدني لنفسه

قال لي صاحب يروم قريضا
في هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم في الرقيب شيء مليح
قلت ما في الرقيب شيء مليح

(وقلت) أنا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فغن لي
وقل في ثقيل نحسه متغيب
رقيب نفى عن أرض ليلى عشية
وأخرج منها خائفا يترقب

وقلت أيضا

عاذلي في الحبيب دعني فاني
برحت بي في حبه البرحاء
راقب الله في محب حبيب
من نجوم السماء له رقباء

(وقلت) أيضا من قصيدة

فبت ولي شغل عن العذل شاغل
يذود الكرى عني من السهد ذائد

(وقلت) ايضا من رسالة

وأما الرقيب فأمره عجيب
وغلق الباب في وجهه نصر من الله وفتح قريب فهو بأنه سار من الذين يراؤون وبالبين ابن فاعله

لاتجعلني والامثال تضرب بي * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه اي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى اغيب في رمس واحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وخيرها بينه وبين ابن أم الحكم وبين ابن عمها فانشدت

هذا وان أصبح في اطمار * وكان في نقص من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري * وصاحب الدرهم والدينار
اخشى اذا غدرت حر النار * خل سبيلي ما به من عار
لعلنا نرجع للديار * وان عسى نظفر بالاوطار

فقال خذها الابارك الله لك فيها وامر ان تقيم الى تمام العدة فلما انقضت دفعها اليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار

(ومنهم) ما حكاه في منازل الاحباب عن بعض الجدونية قال صحبت المتوكل الى الشام وكنت مغرما بالفراديس لظرفها الخفين بلغناها قال المتوكل هل لك في ان تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها فقلت نعم فاخذ بيدي وجعلنا نستقري الاماكن ونشاهد ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى اقبلت جارية لم ير قط أحسن منها وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقال هي ابنتي قال ما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين اسقني ماء فقالت يا سيدي ليس هنا الاماء الغدران وانا الا استنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها واسرعت بكوز فضة فأومأ الي ان اشرب به فشرب بقيته ثم قال لها ان هويتك تساعديني فقالت أنا الآن أمتك واما اذا صدق الحب في المحبة فما اخوفني من الطغيان أما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر حبا * ثم لما ملكت صرت عدوا
أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوا

فطرب حتى كاد أن يشق ثوبه ثم قال لها هيئي نفسك اليوم فصعدت به الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر لم ير مثله وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده فلما اخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنت

يا خاطبا مني المودة مرحبا * روحي فداؤك لاعدمتك خاطبا
أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكأسك عن جليسك اذابى
قد والذي رفع السماء ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فارغبها حينئذ فأسلمت وتزوجها فكانت من أحظى النساء عنده (ويقرب) من ذلك ما حكي عن الوليد بن يزيد انه عشق نصرانية وراسلها فابت عليه فكاد ان يطيش عقله

لا ينام ولا يخلى الناس ينامون فأذاه اذا ورد من بعيد أقرب من حبل الوريد والعاشق بينه وبين العذول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ان قعد قامت القيامه وان راح لا كتب الله عليه سلامه

(فصل في النمام والواشي وما اظرف ما سمعت في ذلك)

قال لي عودي غداة رأوني
ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي
قلت مقلي به لسان وشاة
قطعوه فيه بصنع عجيب
وأضافوا اليه كبد حسود
فقئت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذي تشتهيه فقال أعين الرقباء وألسن الوشاة واكباد الحساد (وقال الآخر)

لي عندكم يوم التواصل دعوة
يا معشر الجلساء والندماء
أشوي قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الي المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى منهم رجل يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة (وقال وضاح اليمن)

فاعص الوشاة فانما
قول الوشاة هو الفتن
ان الوشاة اذا أتو

فتنكر يوم عيد للنصارى وبايع صاحب بستان تتنزه فيه بنات النصارى فأدخله فلما رأته قالت للبواب من هذا قال انها مصاب فجعلت تمازحه حتى اشتفى بالنظر اليها فقيل أتدرين من هذا قالت لا قالوا انها هو الخليفة فأجابت حينئذ وتزوج بها وفيها يقول

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا

من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا

ما زلت أرمقها بعيني وامق * حتى بصرت بها تقبل عودا

عود الصليب فويح نفسي من رأى * منكم صليبا مثله معبودا

فسألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في لهب الجحيم وقودا

وفي ذلك يقول أيضا مما اشتهر أمره بها

ألا حبذا سعدى وان قيل انني * كلفت بنصرانية تشرب الخمرا

يهون علينا أن نظل نهارنا * الى الليل لا أولى نصلي ولا عصرا

وكان يقال لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لانه لم يطلب الا أن يكون صليبا في الزنار (ومثل) ذلك ماحكي عن ابن العباس بن الفضل انه عشق نصرانية بدير سرماجيس فكان لا يفارق البيع شغفا بها فوجدها يوما في بستان فجلست معه أسبوعا فقال في ذلك

رب صهباء من شراب المجوس * قهوة بابلية خندريس

قد تجليتها بناي وعود * قبل ضرب الشماس بالناقوس

وغزال مكحل ذي دلال * ساحر الطرف ساحري عروس

قد خلونا بطيبة نجتليه * يوم سبت الى صباح الخميس

بين ورد وبين آس جنى * وسط بستان دير سرماجيس

يتثنى في حسن جيد غزال * في صليب مفضض ابنوس

كم لثمت الصليب في الجيد منها * كهلال مكلل بشموس

(ويقرب) من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدي في تاريخه قال رأيت بحماة رجلا وافر الحظ من الخط وقد أوثقه المؤيد ليكتب عنده فكان لا يمكنه من الخروج فحكي انه عاق نصرانية بشيزر فكان يكتب الى المغرب بحماة ثم يذهب اليها فيجلس معها الى الصباح ويأتي وأقام على ذلك طويلا وأنها قالت له يوما ان احببتني فاكو على رأسك صليبا ففعل وأنا رأيته

(ومنهم الشمعي) وهو رجل من فزارة أو هو من زبالة عشق ابنة عمه وكلف بها وابى عمه أن يزوجه بها فتسور عليها ليلة فاحس به فقبض عليه وأتى به الى خالد القسري فاقام جماعة فشهدوا أنه سارق وسأله فاقر ليسترها فأمر بقطع يده فرفع أخوه الى خالد رقعة يقول فيها

أخالد قد وطئت والله عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق

أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاتق

لا تنعصوا ونهولك عن (حكي) انه غني معن بحضرة السلطان عماد الدين زنكي صاحب الشام بقول الشاعر

ويلي من المعرض الغضبان اذ نقل الـ * ـواشي اليه حديثا كله زور

سلمت فازور يثني قوس حاجبه * كأنني كأس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فأمر باحضاره ليتخذه نديما ويحله من حضرته مقاما عظيما (وقال السري)

وأقالك بالبشر الجميل مداهنا * فلي منك خل ما علمت مداهن

انم بما استودعته من زجاجة * يرى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال شهاب الدين بن الأثير)

اني بحبك مستهام مغرم * وسوى هواك على القلوب محرم

لا تسمعي قول الوشاة فانهم * زادوا الكلام ونقصوه وعمموا

فناي ان ترضى ولو عنيتي * اي والطلاق ثلاثة لي يلزم

(وقال آخر)

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستبيح دم الحجاج في الحرم

خصاله لست احصيها لكثرتها * لكنها جمعت في نون والقلم

يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم وجاء في التفسير ان الهماز الذي يهمز الناس اي يذكرهم بالمنكر ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة

ولولا

ولولا الذى قد خفت من قطع كفه • لالقيت فى امره غير ناطق
اذا امدت الكعبان فى السبق للعلا • فأنت ابن عبد الله اول سابق

فتبسم خالد على الامر فلما استعمه أحضر أباها وامره أن يزوجها من الغلام فأبى فاجبره وساق المهر من عنده

•(ومنهم محمد بن صالح العلوى)•

قال لما خرجنا على المتوكل اخذت انا واصحابى قافلة الحاج فجمعنا الاموال والامتعة وكنت قد جلست على كرسى واصحابى يجمعون الى المال اذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فأضاء منها الموضع ولا اضاءته بالشمس فقالت اين الشريف صاحب السرية فلى اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك فقالت أنا حمدونة بنت عيسى ابن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا اسألك أن تأخذ منى ثلاثين الف دينار ومع ابى اعطيتك ما فى يدك ولكن اسألك بفضلك أن لا يكشف لى احد وجها فناديت اصحابى فلما اجتمعوا قلت من اخذ منكم من هذه القافلة عقالا آذنته بحرب فردوا حتى الاطعمة وخفرتهم الى المأمن فلما ظفر بى الخليفة وحبسنى بسر من رأى دخل على السجان يوما فقال ان بالباب امرأتين من اهلك يريدان الدخول عليك ولولا أن دفعتا الى دملج ذهب ما اذنت لهما فقد منع الخليفة أن يدخل عليك احد فخرجت فاذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيأ فلما بصرت بى قالت اى والله هو وبكت لما أنا فيه ثم قبلت قدمى وقالت لو استطعت أن افديك بنفسى لفعلت ولكنى لا أقصر فى خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولى يأتيك فى كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك ودفعت الى خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد اضرمت بقلبى نارا قدحتها النظرة الاولى فأنشدت

طرب الفؤاد وعاودت احزانه • وتشعبت بشعابه اشجانه
وبدا الهمن بعد ما اندمل الهوى • برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه • صعب الذرى متمنعا اركانه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطق • نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه • والماء ما سمحت به اجفانه
ياقلب لا يذهب بحلمك باخل • بالنيل باذل تافه منانه
واقنع بما قسم الاله فأمره • ما لا يزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى • عصر النعيم وزال عنك اوانه

ولم يزل رسولها يعاودنى بالاحسان وملاطفة السجان الى أن خرجت وعظم امرى عند الخليفة فخطبتها فامتنع أبوها فكان ممن هواها اعظم على من السجن فلم ازل الا أن اتيت ابراهيم بن المقتدر فاخبرته بذلك وكان أبوها صنيعته فركب اليه فلم يفارقه حتى

ومن الحسن هو الذى يلوى شدقيه فى اقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين والنمام ناقل الكلام السيء وقد أكثرت الشعراء من ذمه وما الطهم ابن رشيق فقال

لم كره النمام اخواننا
اساء اخوانى وما أحسنوا
ان كان نماما فنكوسه
من غير تكذيب لهم مامن

(وقال آخر)
اسمع نصيحة عارف
جمع النصيحة والفقه
اياك واحذر ان تكو
ن من الثقاة على ثقه

(وقال آخر)
ومجلس راق من واش يكدره
ومن رقيب بالوم ابلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام

(وقال آخر)
لا اقتضاحى فى عوارضه
سبب والناس لوام
كيف يخفى ما اكابده
والذى اهواه نمام

(وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل)

زوجني بها ولابن صالح فيها وفي ابراهيم مدائح كثيرة تركتها

(ومنهم جعد بن مهجع العذري)

قال عمرو بن أبي ربيعة انه كان فتى مغرما بمحادثة النساء وحفظ طرف الاخبار وملح الاشعار مع انه غير عاهر الخلوة ولا مريع السلوة وكان يحضر الموسم فتقصده الناس لتسمع منه فانقطع سنة فسألت عنه العذريين فقال لى رجل تريد ابا المسهر قلت نعم اياه اعني فتنفس الصعداء ثم قال قد اصبح والله كما قال

لعمرك ما حبي لاسماء تاركي * صحيحا ولا اقضي به فاموت

قلت وما به قال مثل ما بك من تيهكما في الضلال قلت فمن انت قال اخوه قلت كانك واياه على طرفي نقيض ثم انطلقت اقول

ارائحة حجاج عذرة روحة * ولما يرح في القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى * متى ما اقل يسمع وان قال اسمع
فلا يبعدنك الله خلا فانني * سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان الموسم من قابل وانا بعرفة رأيت شابا لم تبق الايام منه فعرفته بناقته فسلمت عليه وسألته عن حاله فشكا الى ما به فقلت له ان هذا يوم دعاء فادع الله ان يزيل ما بك فلم يزل يدعو حتى حان الغروب فسمعته يقول

يارب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضحى ولوحه
انت حسيب الخصم يوم الدوحه

فقلت له وما الدوحة قال اذا انصرفنا حدثتك فلما انصرفنا حدثني ان له اخوا لامن كان وانه حول ماله اليهم خشية التلف فأقام معهم وانه خرج يوما على فرس وقد صحب شرابا فاشتد الحر ورفعت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فما استقر حتى بان له شخص عليه درع اصفر وعمامة سوداء يطارد حمارة وأتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فحادثته فخلب عقلي لفظه فدعوته الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدي كحق العاج فقلت امرأة انت قالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الاخلاق والمفاكهة فحادثتنا ساعة واخذها النوم فوالله لقد هممت بها فراعة لما داخلني ثم راجعت المروأة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت ان لها اخوة شرسة وأب كذلك ثم مضيت وها انا كما ترى فقلت ثبت نفسك فاني موصلك الى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقتي وصحبت الف دينار ومطرف خز وقبة خضراء من ادم ومضينا حتى نزلنا بالشيخ فأحسن ملقانا فقلت له قد اتيتك خاطبا قال فوق الكفاءة أنت والمرغوب في مثله فقلت لم اخطب الا لصاحبي هذا وهو ابن اختكم فقال الحسيب الكريم ولكن اخبرها بينكما قلت ما أنصفتني فأومأ صاحبي الى ان دعه فقلت افعل فخيرها ففوضت الامر الى فحمدت الله فزوجتها من صاحبي وامهرتها الفا وكسوت

انتفيت حبك عن جميع جوارحي
فوشت عيوني والوشاة عيون
ووددت ان جوانحي وجوارحي
مقل تراك ومالهن عيون
ياليت قيسا في زمان صبابتي
حتى اريه العشق كيف يكون

(الباب الخامس عشر في العتاب عند اجتماع الاحباب وما في معنى ذلك من الرضى والعفو وعن ما مضى) اقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الزمن الاماني وبث هوى ارق من النسيم المتواني ثم في العتاب فوائد جمه وازالة كرب فلا يكن امركم عليكم غمه وهو على اقسام عتاب جوفي تأكيد المودة يحصل الحاصل وعتاب لتكذيب الناقل وعتاب لتمييز الحق من الباطل ومن المعلوم ان العتاب بين الاحباب اصلا وفصلا وقطعا ووصلا لابد منه ولا غناء عنه اللهم الا عند من لايراه البته ولا يعاتب الحبيب الاوقاته كالصفدي حيث يقول

أعاتب الحب فيما جاء واحدة
ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفي امثال العرب أسوأ الآداب كثرة العتاب

الشيخ الظرف وسألته ان يفي بها من ليلته ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت
ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال ابدت لى كثيرا مما اخفته عنى قديما وسألتها عن ذلك
فأنشدت

كتمت الهوى انى رأيتك جازعا * فقلت فتى بعد الصديق يريد
فان تطرحنى او تقول فتية * يضربها برح الهوى فتعود
فوريت عما بى وفى الكبد والحشا * من الوجد برح فاعلمن شديد

فباركت له وانصرفت

(ومنهم ما حكاه اسدى وهى من العجائب المستظرفة)

قال ضلت لى ابل فطلبتها فى قضاعة حتى اذا دهمنى الليل امسيت فى بيت تفرست انه كفوء
للضيف فناديت اهله فلبتنى امرأة كالشمس جمالا وقالت انزل على الرحب واجلستنى
عند نار فاصطليت واتتنى بعشاء كثير فاكلت وهى تحادثنى واذا ابل كثيرة قد اقبلت
الى البيت وقد اقبل شخص فبادرت اليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وانا اظنه
عبدا لقباحته حتى جلس الى جانبها فقال لها من الضيف قالت اسدى فعلمت انه زوجها
فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة ففطن لذلك فقال كانك تعجب مما ترى اى والله وأى
العجب قال احدثك بوصولها الى قلت ما اشوقنى الى ذلك قال اعلم انى كنت سابع سبعة
اخوة اذا رأونى ظنونى عبدهم وكانوا يطرحونى للرعى ونحوه فضل لنا بعير فقالوا امض
فى طلبه فقلت ما انصفونى فقال ابى اذهب يالكع والا جعلته آخر ايامك وتهددنى
بالضرب فمضيت وانا على اسوا حالة من البرد والجوع فدفعنى المساء الى عجوز عليها سمة
الخير والشرف والى جانبها هذه العزبة فجعلت تسخر بى وتقول هل لك اذا نام الناس
ان تدخل على فاتحدث معك فانى لم ار احسن منك فقلت دعينى من هذا واقبل ابوها
واخوتها سبعة فناموا بازاء الخيمة فاغرانى الشبع والدفء فدخلت الستر فلما شعرت بى
قالت من تكون قلت الضيف قالت اخرج لاحياك الله ولاصحبك فخرجت فزعا فتلقانى
كلبهم يريد أن يأكلنى وأنا ارده بعصاى حتى علق بجبة صوف على فتجاذبنا حتى سقطت
أنا واياه فى حفرة لاماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فأقبلت حتى اذا بصرت بى قالت
وددت والله ان اجعلها قبرك لولا خشية الضرر ثم ادلت لى حبلا وقالت ارق فحين قاربت
فم الحفرة انهارت من تحت اقدامها فسقطنا جميعا فلما كان الصباح وافتقدوها فلم
يجدوها وكان ابوها عارفا بالقيافة فاقبلوا بالسيوف والاحجار على قتلنا فقال ابوها انى
لاعرف من ابنتى ما لاريبة فيه فامسكوا واخرجونا فأقبل على ابوها فقال دافيك خير
لازوجك بها اتقاء الشهرة فقلت حين سمعت الحياة وهل عندى الا البعير فزوجنى بها
على خمسين بكرة وامة وعبدا فرجعت الى ابى فأخبرته بذلك فأحضرها واقبلت بها اليهم
فأخذوها وبنيت بها وها هى تسمع ما اقول *(ومن الصنف الثانى)* ما حكى عن على رضى

(وقال الاحنف) العتاب مفتاح التقالى والعتاب خير من الحقد

(وقد قال بشار فى تقليل العتاب)

اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

(وقال سعيد بن حميد الكاتب)

اقلل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة
فعلام يكثر عتبنا ويطول

(وقال آخر)

وبعض العتاب اذا ما رفعت
يباعد هجرا ويدنى وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه
فان لكل مقام مقالا

(ومن الظرف ما سمعته فى من جفى من الاحباب ثم بادر بالعتاب قول بعضهم)

عتبت على ولا ذنب لى
بما الذنب فيه ولاشك لك
وبادرت لومى فبادرتنى
الى اللوم من قبل ان ابدرك
فكنا كما قيل فيما مضى
خذ اللص من قبل ان يأخذك

(ومنهم) من يكره العتاب جملة ويقول هو مفتاح الهجر ووسيلة الصدود

الله عنه انه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية وكان اذا رآها المؤذن يقول لها انى احبك فاخبرت عليا بذلك فقال لها قولى له وانا ايضا احبك فماذا تريد فقالت له ذلك فقال اذا نصبر حتى يوفينا اجورنا من يوفى الصابرين اجرهم فمضت واخبرت عليا فدعا به وزوجه منها *(وحكى)* عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية فبلغه انها تهوى عبدا من عبيده فقال لها فى ذلك فقالت اعيذك بالله من هذا فاقسم عليها ان تصدقه فاطرقت ساكتة فزوجها منه ثم داخله من حبها ما كاد أن يذهب عقله فدعا الغلام فقال له هل تنزل عنها بعشرة آلاف درهم فقال ولا بمائة الف فقال بارك الله لك فيها فلم يكن الا قليل ومات العبد فأعادها ابن جعفر وقيل انه حين دخل بها انشد

رضيت بحكم الله فى كل امره * وسلمت امر الله فيه كما مضى
يلام انى وابلانى بحب دنية * وصبرنى حتى انمحى الحب فانقضى
لعمرى ما حبى بحب ملالة * ولا كان حبى زائلا فتقضيا
ولكن حبى معه دل يزينه * ويعرض احيانا اذا الحب اعرضا

(حكى) الرياشى قال اشترى بصرى جارية على ارفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مثريا فانفق عليها ما فى يده حتى اذا املق ولم يبق معه شئ اشارت عليه ببيعها شفقة عليه فلما حضر بها السوق أخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة الف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف انشدت

هنيئا لك المال الذى قد حويته * ولم يبق فى كفى غير التذكر
اقول لنفسى وهى فى غشى كربة * أقلى فقد بان الحبيب او اكثرى
اذا لم يكن للامر عندى حيلة * ولم تجدى شيأ سوى الصبر فاصبرى

فاشتد بكا مولاها وانشد

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاصبرى
اروح بهم فى الفؤاد مبرح * اناجى به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببا لفرقة محبين *(وحكى)* عن ابن دأب انه مرض مرضا شديدا وطال به الامر فدعوا له اطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شئ فأمروا أهله ان يوكلوا به امرأة تسقيه من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده فارسل اليه عمه بجارية فلما سقته وغنت عنده انشد يخاطب الجارية المغنية وساقية كانت له يقول

دعونى لما بى وانهضوا فى كلاءة * من الله قد ايقنت ان لست باقيا
واذ قد نامونى وحانت منيتى * وقد جلبت عينى الى الدواهيا
اموت بشوق فى فؤاد مبرح * فيا ويح نفسى من به مثل ما بيا

والقطيعة كما قيل

لا تفزعن بحاجة من
تهوى بتعداد الذنوب
ما ناقش الاحباب الا
من يعيش بلا حبيب

ومنهم من يراه ولا يأباه كما قيل

تصالح عاشقان على عتاب
فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر
ولا شئ الذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا
ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر)

واحسن ايام الهوى يومك الذى
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا
فاين حلاوات الرسائل والكتب

(كتب) الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه يزداد هجرا الى يوم القيامة فقال الحسن

كتبت الى الحبيب بيت شعر
اعاتبه فاغضبه جوابى
اجبنى يا ملول على كتابى
فان النفس تسكن بالجواب
فوقع فى الكتاب يزاد هجرا
وابعادا الى يوم الحساب

فأعلموا عمه بذلك فرحمه وبعث اليه بجارية ظريفة كثيرة الادب فاستخرجت ما عنده بلطف فاخبرها انه رأى جارية أختها في نومه فعشقها واصابه هذا الحال فاعلمت اخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته * (وحكى رجل) * قال عشق عبد اسود لصديق لي بالمدينة جارية لرجل أيضا وكان يواصلها سرا فلما علم مولاها جاء الى مولى العبد فاخبره بذلك فضرب العبد وسجنه فتوله وطارعقله فدخلت عليه يوما فقلت له ما هذا الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكى وانشد

كلانا سواء في الهوى غير أنها * تجلد احيانا وما بي تجلد

تخاف وعيد الكاشحين وانما * جنوني عليها حين انهى واوعد

فخرجت واعلمت مولاه فحلف لا يبيت حتى يجمع بينهما فاشتراها باثنى عشر دينارا وزوجها منه (وحكى) عن ابن جعفر ايضا انه وجد بجارية عنده اسمها عمارة وجدا شديدا فكان لا يستطيع فراقها سفرا ولا حضرا فقدم على معاوية سنة من السنين لاخذ حقه فزاره يزيد فغنت الجارية بحضرته فأخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم امرها فلما افضت اليه الخلافة استشار اهل سره في امرها وانه لا يهنأ له قرار دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه مع ابيك ولا نأمن عليك في ذلك فالزم المهلة واجتهد في الحيلة فاخذ في تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا عراقيا معروفا بالدهاء والحيل واطلعه على أمره فقال له مكني مما اريد ولك علي ان آتيك بها فقال لك ذلك وسترى مني ما يسرك ثم اعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج العراقي كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه فاحسن ملتقاه واخذ العراقي في التودد اليه فارسل اليه بقماش وجواهر وهدايا تزيد على ألف دينار وساله قبولها فقبلها وقربه الى خواصه فزاد في الهدايا الى ان صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت اعجب بها العراقي حتى قال ما ظننت ان في الدنيا مثل هذه فقال له كم تساوي عندك قال الخلافة قال عبد الله تقول ذلك لتزين لي شأنها وتطاب بذلك سروري قال يا سيدي انا تاجر اجمع الدرهم الى الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لاخذتها قال قد بعتك قال اشتريت وقام العراقي فرحا بما ظفر به وبات ابن جعفر متفكرا فما أصبح الا وقد جاء العراقي بالمال فقال له ابن جعفر انا كنت مازحا فقال له يا سيدي انت تعلم ان المزح في البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وانت معروف بالكرم والصلات فكيف ترضى ان يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام الى ان خدعه فأخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من يومه واقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراقي الشام وجد يزيد قدمات فاجتمع بولده معاوية فقص عليه الخبر وكان صالحا فقال له اخرج عني بها فلا ترني وجهك فخرج العراقي وكان قد قال للجارية انا لست من رجالك وانما أخذتك للخليفة فاسترت فلم ير لها وجها فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال قد

(وذكرت هنا قول ابن رشيق)

وظبي من بني الكتاب يسبي
قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضي رضاه
واسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤاد هذا
مسامحة فلا يعدى عليه

(وقال الشيخ العلامة ابو الثناء شهاب الدين محمود مضمنا)

وبتنا على حكم الصبابة مطمعي
زفيري واحشائي وشربي المدامع
وحبي يعاطيني كؤس ملامة
وينشدني والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما
تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأني ساورتني ضئيلة
من الرقش في انيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر وعبرة لمن اعتبر وكيف لا وقد مزج قائله السم بالرضاب والحق الحبيب بالحباب فاصبح وقد ضاقت عليه الحيلة وشبه ثغر محبوبه بانياب ضئيلة فقابل صفو عتابه بالكدر فيا قلبه القاسي أحديد انت أم حجر وما أظنه ملا كؤس هذا الملام الا من ماء ملام ابي تمام حيث تجاوز الحد في الاستعارة وخرج وعلى كتفه من الملام

صرت لى ولكن استرى فانى معيدك الى مولاك ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر فلما تلاقيا اخبره بالقصة وانه لم يكن تاجرا ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد وانه حين رآه قد هالك لم ير نفسه اهلا لها فاعادها اليه ولم يرها وجهها ثم أخذها فسلمها اليه فلما تلاقيا وتعانقا خرا مغشيين ساعة ثم ادخلها ورفع منزلة العراقى حتى صار اعظم الناس عنده ووهب له المال وانصرف واقاما على ما كانا عليه (وحكى) فى الاغانى عن ابن أبى مليكة عن جده قال كان فى المدينة رجل ناسك كثير العبادة فمر يوما بجارية تغنى شعر أعشى بنى قيس وهو

بانت سعاد فامسى حبلها انقطعا * واحتلت العود فالجدين فالفرعا
وانكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد ان يخرج عقله وذهب اليه عطاء وطاوس يلومانه فى ذلك فانشد

يلومنى فيك اقوام أجالسهم * فما أبالى اطار اللوم ام وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية بار بعين الف درهم ثم احضر الناسك وكان الصوت الذى سمعه من الجارية بلحين عزة الميلاء فاحضرها وقال له تحب ان تسمع الصوت من صاحبته قال نعم فامرها فغنت فسقط مغشيا عليه فقال ابن جعفر قد أغنا فيه الماء الماء فأتى بالماء فجعل ينضحه حتى افاق فقال له اسمعه من الجارية قال قد رأيت ما وقع لى منه مع من لا احبها فكيف منها فقال أتعرفها قال وهل اعرف غيرها فأخرجها وسلمها اليه وقال هى لك والله ما رأيتها فقبل يديه ورجليه وقال قد اعدت عقلى واحييت نفسى ودعا له فقال يا غلام احمل معه مثل ثمنها مالا وثيابا وطيبا يتطيب به فاخذ ذلك وانصرف (وحكى) انه كان ببغداد رجل من ذوى النعم نعشق قينة على اوفر ما يكون من الجمال والمعرفة بالغناء والضرب فانفق عليها ما معه حتى ضاق حاله فاشار عليه بعض اصدقائه ان يأذن لها فى الغناء عند الناس فانها مطلوبة ويحصل له بذلك الثروة فغم لذلك واخبره ان الموت عنده أسهل من ذلك وقالت له الرأى ان تبيعنى فتحصل من ثمنى على غناك او اكون انا فى ثروة فانه لا يشترى مثلى الا غنى فحضر بها السوق فاشتراها هاشمى من اهل البصرة بألف وخمسمائة دينار فلما قبض المال وتفارقا صار كل منهما على اقبح حال من البكاء واجتهد فى الاقالة قال فخرجت لا أدرى الى اين اذهب اذ لا يمكننى الدخول الى البيت وقد اوحش منها فدخلت مسجد الجمعات الكيس تحت رأسى ونمت فما انتبهت الا وشاب قد أخذ الكيس فقمت لاعدو خلفه فاذا رجلى مشدودة فما تخلصت الا وقد ذهب فاشتد ما بى فجئت فلقفت وجهى والقيت نفسى فى دجلة طالبا ان اغرق فاستنقذنى الحاضرون ظانين انى وقعت غلطا فلما أخبرتهم بقصتى فمنهم من عنف ومنهم من رحم فخلا بى شيخ منهم فوعظنى وقال لست اول من افتقر بعد غنى اما كفاك ذهاب مالك حتى تذهب نفسك وتصير فى النار فسكن ما بى قليلا ثم عاودنى القلق فاخبرت صديقا

كاره فقال

لا تسقنى ماء الملام فانى
صب قد استعذبت ماء بكائى

فهلا تنزه عن الانخراط فى هذا السلك واقتدى بقول ابن سنا الملك

واملى عتابا يستطاب فليتنى
اطلت ذنوبى كى يطول عتابه
وفى غزلى ذكر العذيب وبارق
وما هو الا ثغره ورضابه

او تخلق بأخلاق الناس وتأسى بقول أبى فراس

اساء فزادته الاساءة حظوة
حبيب على ما كان منه حبيب
يعد على الواشيات ذنوبه
ومن أين للوجه المليح ذنوب

على انه رحمه الله يجوز ان يكون قصد معنى جليل القدر فحينئذ يكون كلامى حديث خرافة يا ام عمرو

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

(وقال الآخر)

واذا الحبيب اتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

(واحسن منه) قول عتيق بن محمد الوراق

كلما اذنب ابدى وجهه
حجة فهو مليء بالحجج
كيف لا يفرط فى اجرامه
من اذا شاء من الذنب خرج

لي فاعطاني خمسين درهما واشار علي ان اخرج من بغداد فعسى ان اجد من اكتب
عنده من الاكابر لحسن خطي فعزمت على واسط لان لي بها صديقا من الكتاب فجئت
فرأيت زلالا مهيأ فطلبت النزول معهم فقالوا تحملك بدرهمين ولكن الزلال لهاشمي
لا يدعه غريبا فتزيا بزينا كأنك بعض الملاحين فوقع بقلبي ان الزلال للذي اشترى
جاريتي فأنسلي حينئذ بصوتها الى واسط فاشتريت الجبة والبستها كالملاحين فما وقفت
الا وجاريتي قد اقبلت ومولاها فضربت لها ستارة فلما انحدروا وجاء العشاء واكلوا
وشربوا قال للجارية الى كم هذا الحزن والمدافعة عن الغناء أأنت أول من فارقت
مولاها وألحوا عليها فاخذت العود وغنت

بان الخليط بمن علقت فادلجوا * عمدا القتلك ثم لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائب نحرها * جمر الغضى في ساعة يتأجج

ثم غلب عليها البكاء ونهضت فانتفضت وصرعت فنضحوا على الماء وادنوا في ادنى
فافقت ولم يزالوا يتلطفون بها حتى عادت فغنت

فوقفت انشد بالذين احبهم * وكان قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دارهم اسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

فشهقت فكادت تتلف وصرعت فقالوا كيف حملتم مجنونا اطرحوه فلحقني امر عظيم
فتصبرت فلما شارف القوم المنزل في بعض الطريق اوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون
وخلا الزلال فعمدت على غفلة الى العود فأصلحته على طريقة معروفة بيني وبينها فلما
رجعوا وكان الوقت مقمرا تلطفوا بها وقالوا ترين ما نحن عليه في هذا الوقت فبالله
عليك الا ما انشرحت معنا فاخذت العود فشهقت شهقة منكرة ثم قالت هذا العود
على طريقة كان يحبها مولاي ويضرب معي وانه معنا فقالوا لها والله لو كان معنا
ما امتنعنا عن عشرته ليخف ما بك فقالت هو معنا لا محالة فقالوا للملاحين هل حملتم احدا
واشفقت ان ينقطع السؤال فقلت انا ياسيدي فاحضرني وقال اني والله ما وطئتها وانا
رجل قد وسع الله علي ما اخذتها الا لسماع غنائها فكن معنا الى منزلنا فأعتقها او ازوجك
بها ولا اريد منك الا ان تحضرها كل ليلة وراء ستارة فنسمع غناءها وتنصرف فقلت
كيف امنع ذلك عنك وانت سبب حياتي فقال للجارية ارضيت بذلك قالت نعم وشكرته
وزاد سرورها فجعلت تغني وانا اقترح عليها الاصوات فتضاعف سرور الرجل ودمنا
على ذلك حتى بلغنا نهر معقل ليلا ونحن غاوون فصعدت حتى ربطت الزلال لقضاء الحاجة
فاخذني النوم ولم يدروا بي حتى سافر فأفقت بحر الشمس فلم اجدهم وعدت الى المحنة
فجاز بي عمارية فنزلت معهم الى البصرة فدخلتها لم أعرف بها موضعا ولا احدا ولم اكن
سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه فرأيت رجلا من بغداد ما رافقت لاشكو اليه حالي
فوافاني فتبعته حتى عرفت موضعه وجئت الى بقال فاخذت منه ورقة لاكتب حالي الى

(وقال الحكم بن قنبر المازني)
كأنما الشمس من اعطافه لمعت
حسنا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت
منه الاساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا
وهذا مأخوذ من قول ابي نواس
في سياقه
وجهي اذا اقبلت يشفع لي
ولا طرفك حسن ما خلق
وفيه زيادة يذكرها خلافها ولكن
بيت الحكم احكم بناء واعذب
ثناء (وقال ابو فراس)
قل لاحبابنا الجناة علينا
درجونا على احتمال الملال
أحسنوا في فعالكم او اسيئوا
لا عدمناكم على كل حال
(وقال أيضا)
الا أيها الجاني ونسأله الرضا
ويا أيها المخطي ونحن نتوب
لك الله من بر علك في القرب وحده
ومن لا يرد الغيب حين تغيب
(وقال الآخر)
اذا مرضنا أتيناكم نعودكم
وتذنبون فنأتيكم فنعتذر
(وقال الآخر)
واذا ما غضبت يوما عليه

الرجل فاستحسن البقال خطي واسترث حالي وسألني عنه فلم أشرح له اكثر من انه لم يبق
في يدي شيء فقال هل لك ان تكتب عندي في كل يوم بنصف درهم وما تحتاج اليه فتضبط
مالي فأجبته فرأى بعد شهر الزيادة بضبطي وحفظي ما كان يسرق له فزادني اكرامي
فزوجني بعد حول بابنته واشركني في ماله غير اني في خلال ذلك منكسر النفس حزين
القلب فلما كان ذات يوم رأيت الناس مجتازين بانواع الزينة فسألت عن ذلك فقيل
عيد الشعانين للنصارى والناس تخرج للفرجة فوقع في نفسي ان اخرج معهم وان
عسى ان اظفر بأصحابي فاستأذنت الرجل فاصلح لي ما احتاج اليه وتوجهت فلما وصلت
الا والزلال بعينه في اوساط الناس فلم املك ان طرت اليهم فحين رأوني فرحوا بي وقالوا
نحن منذ فقدناك ما شككنا انك غرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود
وجزت شعرها فلما وصلنا البصرة خيرناها فيما تريد فاختارت لبس السواد وعمل قبر
تجلس عنده تبكي ثم اخذوني وادخلوني عليها وهي على تلك الحالة فلما رأتني شهقت
شهقة ما شككت في موتها فلما أفاقت قال مولاها قد وهبتها لك قلت لا ولكن افعل
ما تقدم من العتق والتزويج ففعل بالشروط السابقة واعطاني ثيابا وخمسمائة دينار
وقال هذا مقدار ما كنت اجريه عليك الى اليوم وهو مستمر لك فجئت الى البقال فاعلمته
بذلك وطلقت ابنته واقمت مع الجارية في احسن حال (وحكى) ان جعفر بن يحيى
حين قدم البصرة مع الرشيد قال لاسحق بن ابراهيم قد بلغني ان هنا جارية لم ير مثلها
لكن لا يريها مولاها الا في بيته فاخرج بنا ننظر اليها فخرجنا والغلمان متخفين حتى
طرقنا الباب فخرج شاب متغير اللون في ثوب خشن فادخلنا دارا خربة ففرش لنا
حصيرا واجلسنا ورحل فخرجت جارية بذلك الثوب الا انها تفوق الشمس حسنا وجمالا
فاخذت العود وغنت

انيس حبلك بعد طول تواصل * خلقا وبيتك موحشا مهجورا
فلقد اراني والجديد الى البلا * دهرا بوصلك راضيا مسرورا
كنت المنى واعز من وطئ الحصى * عندي وكنت بذا المنى جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء فنهضت الى البيت تعثر في القميص فسمعنا لهما بكاء
وشهيقا ثم خفيت اصواتهما حتى ظننا انهما قضيا ثم خرج الشاب بالثوب بعينه وقال
اشهدكم انها حرة واريد أن تزوجوني بها ففعلوا وغم جعفر لفراقها وقال له ما حملك
على هذا قال حديثي طويل ان شئت حدثتك به قال قل فقال انا ابن فلان وقد كان من
ذوي النعم وهذا يعرف ذلك واشار الى الغلمان ثم قال وكانت هذه الجارية لامي فنشأت
انا واياها فأدخلنا المكتب فبرعت في الادب واخرجت هي لتعليم الغناء فلم اطق فراقها
فصرت معها فلما برعت فيه طلبت امي بيعها فايقنت بالموت فصدقتها الخبر فوهبتها لي
وجهزوها لي ودخلت بها بعد ان امتنعت من تزويج بنات الاكابر واظهرت الزهد

والعفة

الذنوب يطول فيها المقال
عطفتني عواطف الحب حتى
ارتضاه كي يزول الملال

(وقال الآخر)

تجني علي اذا خلوت كثيرة
واذا حضرت فانني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني
والله يعلم انني مظلوم

(وقال الفراء)

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى
فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(وقال ابن المعتز)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره
وقد اجلك من يعصيك مستترا

(وقلت انا من رسالتي قرع الباب وانتظار الجواب) فنعوذ بالله من زلة العاقل ونبرأ اليه من التمادي في الباطل

وهذا الحق ليس به خفاء
فدعني من بنيات الطريق

فقد حصحص الحق وقرع العتاب حلقة الباب فقال طق

(وقال الآخر)

والعفة كل ذلك لقصور شهوتي عليها والناس يظنونه عفة فأقمنا في أرغد عيش الى ان
مات ابي فلم احفظ النعمة فانفقت الاموال واكثرت من الهبة واسرفت حتى لم يبق
عندي الا هذا الثوب أتناوبه انا واياها فاشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة
الرأي اني ابيعك وأعلم أني هالك اثر ذلك ولكني اختار أن تعيشي بخير فلما عرضت عليكم
ودخلت الى قالت لو كان عندك مني ما عندي منك ما ذكرت بيعا فقلت أتحبين ان
أعتقك وأتزوّج بك وتقيمي معي على هذا الحال فقالت ان كنت صادقا في الحب فافعل
فخرجت وفعلت ذلك فعذره جعفر وقال اسحق فلما ركبنا قلت له انت تبذل الاموال وتغني
المحاويج افلا ترق لهذا قال بلى ولكن قد عجبت لفوت الجارية ثم التفت الى النخاس
وقال كم صحبت من المال قال ثلثمائة ألف دينار قال ادفعها اليه وأمره ان يأتيني غدا
فلما اعطاه النخاس المال واخبره ان الذي كان عنده جعفر وانه يدعو لك اليه كاد ان
يطير فرحا وأقبل اليه من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقا وجعله من
الكتاب لما رأى عنده من الظرف والادب وأمر كلا من العسكر أن يهاديه ففعلوا واقام
في النعم (واغرب من ذلك) ما حكى أن أندلسيا كان مغرما بجارية يحبها حبا شديدا
وأنه أراد بيعها للوحشة فلما سقت الصفقة كاد أن يطير عقله فحكم المشترى في ماله فأبى
فتشفع عنده بأكابر بلدته فلم يجب فمضى الى الملك وأخبره بحاله فأحضر المشترى وشفع
عنده وبذل له مالا كثيرا فامتنع وادعى محبتها فلما رأى الاندلسي اليأس منها ألقى نفسه
من شاهق فابهت الملك وامر أن يتلقى فقدر انه لم يصب بشئ وجئ به الى الملك فقال الله
أكبر قد ظهر الحكم في ذلك ثم قال للمشترى قد رأيت ما فعل هذا من حبها فان كنت تحبها
كما تقول فافعل كفعله فان عشت فأنت أحق بها فقال أفعل ثم هم بذلك ورجع فأمر
أن يلقى غصبا فلما حقق ذلك قال اعطيته اياها فأخذت منه وأعيدت الى مالكها (وحكى)
ان المأمون افتتن بجارية من جوارى أبيه الرشيد وكان يكتم امره وكانت من خواص
الخدمة فبينما هي يوما تصب على يديه وقد التفت اذ أشار لها المأمون بقبلة فغمزته مشيرة
بحاجبها الى أنها خائفة ففترت في صب الماء ففطن الرشيد فحلف ان لم تخبره ليفتكن بها
فأعلمته فنظر الى المأمون وقد كاد أن يقضى من الخوف فضمه وسكن ما به ثم قال له اتحبها
قال نعم قال قم فاختل بها في هذه الخلوة ففعل فلما خرج قال له أنشدني هذه فأنشد

ظبي كنيت بطرفي ✱ عن الضمير اليه
قبلته من بعيد ✱ فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد ✱ بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني ✱ حتى قدرت عليه

(وحكى) أن ابراهيم بن المهدي زمن اختفائه من المأمون مكث عند عمته علية بنت
المنصور وكان عندها جارية قد أحسنت تأديبها وتعليمها حتى صارت من ألطف اهل

وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن
مودته طبعا فصارت تكلفا
وكأنني بمولانا وقد وقف على
عتبة العتاب وقال من دق
الباب سمع الجواب فأجابهم
فان كنتم تلقون في ذاك كلفة
دعوني امت وجدا ولا تتكلفوا

*(فصل في العفو والرضا
والصفح عما مضى)*

جاء عن على رضى الله عنه في قوله
تعالى فاصفح الصفح الجميل انه
الرضا بغير عتاب وقال تعالى
وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون
ان يغفر الله لكم وقال صلى الله
عليه وسلم من لم يقبل من معتذر
صادق او كاذب لم يرد على الحوض

(وقال الشاعر)

ذنبي اليك عظيم
وانت اعظم منه
فخذ بحقك أولا
فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن في فعالى
من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما احسن العفو من القادر

زمنها فوكلتها بخدمة ابراهيم فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتم حباه حتى سكر يوما فغنى

يا غزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
والذى أجللت خديه * فقبلت يديه
بأبى وجهك ما أكثر حسادى عليه
انا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففطنت للطفها بما اراد فاخبرت مولاتها فوهبتها له فلما رآها مقبلة اعاد الصوت فقبلت رأسه فنهاها فأخبرته أنها له فقرت عينه (وحكى) أن رجلا مكيا كان عنده جارية وكانت على أحسن صورة والطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب حتى ان الناس كانوا يقصدون الحج لينظروا اليها لانه كان لا يخرجها الا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة وأنه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة فوقع عنده من حب الجارية ما غير حاله وهيج بلباله وأنحل بدنه وأهاج شجنه فكان يقنع فى كل سنة بالنظر اليها زمن الموسم ثم يمكث باقى السنة عليلا فى بيته فدخل عليه صديق له فعاين من حاله ما حير قلبه واطار لبه فتلطف به حتى عرف أمره وما هو عليه من أمر الجارية ورغب اليه أن لا يفشى سره فخرج حتى اجتمع بمولاها فحدثه القصة فزينها وخرج بها كيوم الموسم فلما اجتمع الناس قال أشهدكم أنى وهبت هذه الجارية لهذا الفتى فقيل له كيف تفعل هذا وقد بذل لك فيها الاموال قال دعونى انى احييت كل من على الارض لان الله يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وحكى) عن الحرث بن سليمان قال كنا بمجلس سليمان بن عبد الملك فأتاه سعيد بن خالد فقال له انا شاك اليك من ظلمى واتنصر حوتى قال من قال موسى شهوات قال على به فأحضر فقال له أنت شتمت هذا قال لا وأيد الله أمير المؤمنين انما مدحت ابن عمه فاغتاظ فقال سليمان وعلام مدحته قال موسى يا أمير المؤمنين عشقت جارية حتى كادت نفسى تتلف فى حبها ولم أكن أقدر على ثمنها فشكوت حالى الى اصدقائى فلم يجبنى احد فشكوت اليه فاستمهلنى ثلاثا وأتيته وهو جالس فقال لغلام عنده أخرج الوديعة فاذا بالجارية فقال هذه طلبتك قلت نعم فقال تسلمها ثم قال للغلام أخرج ما عندى من النفقة فأخرجها فاذا هى مائة دينار فصرها مع طيب فى ملحفة ودفع الكل الى فقال سليمان وما قلت فيه فأنشد

ابا خالد أعنى سعيد بن خالد * اخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكنى أعنى ابن عائشة الذى * أبوأبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه انكم قد رقدتم * وما هو عن احسانكم برقود

فأحضره سليمان وقال أحق ما يقول عنك موسى قال قد كان ذلك فقال كم عليك من الديون قال ثلاثون الفا قال هى لك ومثلها وثلث مثلها قال موسى فلقيته صبيحة اليوم

لاسيما عن غير ذى ناصر
اغاية القصد وأقصى المنى
وخير من يعنى مقالة الناظر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى
فما له غيرك من غافر
اعوذ بالود الذى بيننا
أن تفسد الاول بالآخر
(كان) أبو محمد اليزيدى ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله الى منزله برفق فلما افاق استحيا وانقطع عن الركوب أياما فلما طال عليه ذلك كتب الى المأمون ابياتا منها
انا المذنب الخطاء والعفو واسع
ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
سكرت فأبدت منى الكاس بعض ما
كرهت وما ان يستوى السكر والصحو
ولاسيما أن كنت عند خليفة
وفى مجلس ما ان يجوز به اللغو
فلما قرأها المأمون وقع فى الرقعة
مر المنافقد عفونا عنك فلا عتب

فقلت

فقلت كم عندك من المال قال والله لم يبق منه شئ قلت ففيم انفقته قال فى تفريج عن صديق واعطاء محتاج وصلة رحم (وحكى) عن الربيع قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول اشتريت جارية وكنت أحبها فاقول لها

ومن السعادة ان تحب وأن يحبك من تحبه

ومن الشقاوة أن تحب ولا يحبك من تحبه

(فتقول)

ويصد عنك بوجهه * وتلح انت فلا تغبه

(وحكى) عن ابراهيم بن ميمون قال حججت فاذا انا بسوداء قائمة ساهية فأنكرت حالها فمكثت ساعة ثم انشدت

اعمرو علام تجنبتنى * أخذت فؤادى وعذبتنى

فلو كنت يا عمرو أخبرتنى * أخذت حذارى فما نالتنى

فقلت لها ومن عمرو قالت زوجى أوهمنى انه يحبنى حتى تزوجنى وعندى من الحب له ما عنده لى فتركنى ومضى الى جدة فقلت هل لك أن أجمع بينكما قالت ومن لى بذلك فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادى من يخرج من المركب يا عمرو وكانت قد وصفته لى بأنه احسن ما أرى فاذا أنا بفتى على ما وصفت فأنشدته الشعر فقال قد رأيتها قلت فما يمنعك منها قال والله عندى أضعاف ما عندها وانما منعنى الاكتساب قلت فكم يكفيك فى كل سنة قال ثلثمائة درهم فأعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت هذه بعشر سنين فاذا فنيت أو قاربت فائتنى اوجه اليك بمثلها ثم جمعت بينهما فكان أعظم عندى من الحج (وحكى) ان بعض التجار قدم لاصدقائه طعاما وفيه ديك بركة وقال ابن الجوزى سكباج وأبى ان يأكل معهم فاستمعوا الاجله فقال كلوا فلولا الاذى يلحقنى منها لاكلت ثم عاود نفسه وقال أتحمل وآكل فلما فرغوا وجئ بالغسول غسل يده أربعين فقالوا له ابك وسواس قال لا ولكن هذا الاذى الذى قلت لكم وله حديث عجيب قالوا وما هو قال اوصانى ابى وكان من ذوى النعم ولا وارث له غيرى أن أحسن الانفاق والتكسب وأن اسبق الى السوق وأتجر فيه فحفظت ما قال فبينما انا يوما فى السوق سحرا وقد عرفنى الناس بذلك فكان ربما يأتى ذو حاجة فى وقت لا يجد غيرى فأقضيها فاكتسبت بذلك مالا وجاها فبينما أنا يوما جالس اذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت عندى فرحبت بها فرأيت نغمة وشكلا بهرنى فقلت ماذا تريدين قالت ثيابا صفتها كذا فقلت اجلسى حتى يتكامل الناس وقد أذهبت عقلى واطارت لبى فجمعت لها ثيابا بخمسة آلاف درهم فأخذتها وانصرفت ولم تعطنى شيأ ولم أطق من دهشتى ان أقول لها فى ذلك ووقع عندى أنها محتالة فقلت ابيع ما عندى واعطى الناس وألزم بيتى فمضى على ذلك اسبوع فبينما أنا جالس اذ اقبلت على العادة فقمت واجلستها ونسيت ما كان عندى فقالت قد ابطأنا

عليك وبساط النبيذ يطوى معه أخذه الشاعر فقال

انما مجلس الشراب بساط

فاذا ما انقضى طوينا بساطه

(وقال ابن سنا الملك) وأما ذلك الحبيب فأنه حضر متفضلا وجاء متذللا لا متدللا واستجار بحرم الحرمه وخفض جناح الذل من الرحمة واعتذر بأن الادلال دلاه بغرور واوقعه فى أمور واخرجه من الظلمات الى النور فقبل عذره وقبل ثغره وامتثل أمره وثنى عنان القلب اليه حسن تثنيه وأذهبت حلاوة جنى ريقه مرارة تجنيه

واذا الحبيب أتى بذنب واحد

جاءت محاسنه بألف شفيع

(وقال الآخر)

وزعمت أنى ظالم فهجرتنى

ورميت فى قلبى بسهم نافذ

نعم ظلمتك فاعذرى وتجاوزى

هذا مقام المستجير العائذ

(وقال ابن زيدون)

يا قمرا مطلعه المغرب

قد ضاق بى فى حبك المذهب

علمك فقلت رفع الله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه فأعطيته لاربابه مع ماربحت
فى ذلك ثم طلبت ثيابا بألف دينار فأخذتها ومضت فعاودنى ما مضى فأبطأت فقلت والله
هذه حيلة أوفت خمسة آلاف درهم واخذت الف دينار ثم طالت غيبتها شهرا وطالبنى
الناس فعزمت على بيع عقارى ومالى او قال بعت وأوفيت واذا هى قد أتت على العادة
ونزلت عندى فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره فشاغلتها باحضار التجار
فقالت هل لك زوجة قلت لا والله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته فى أن
يكلمها فضحك وقال هى والله أعشق منك لها فرجعت وكلمتها فى ذلك فضحكت وقالت
الخادم يأتيك برسالتى ومضت ولم تأخذ شيأ اذلم يكن بها حاجة من الاصل الا العشق
فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمته وشرح لى أنها مملوكة لام المقتدر وقد رغبت فى
جعلها قهرمانة فلما تألفت بك مضت فشكت اليها حبك ورغبت اليها أن تزوجها بك
فأبت دون أن تراك وقد أخذوا فى حيلة يدخلونك بها اليها فان تمت تم أمرك وهى ان
تجلس الليلة بمسجد كذا فقضيت اليه فلما كان السحر اقبل خدام معهم صناديق
فوضعوها واذا أنا بالخادم والجارية فأدخلونى فى صندوق منها وجعلوا فى الباقى ثيابا
وحملوها الى الدار كلما جاز وا بطبقة من البوابين يريدون ان يفتشوا ذلك فتمنعهم
حتى عارض خادم وقال لا بد من تفتيش هذا الصندوق فأدركنى من الخوف ما انساب
معه البول منى فصاحت افسدت المتاع وكسرت عليه أوانى ماء الورد فقال اذهبى فمضوا
حتى أخرجونى فى خلوة وجعلت تطعمنى وتسقينى حتى اتتنى يوما فعرضتنى على السيدة
فرضيتنى لها فاحتالت فى خروجى وأمرتنى بأن اتزين فى احسن زينة الى باب الخلافة
ففعلت فأخذونى واجلسونى فى بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون ان هذا
وقت زفاف فلانة على البزاز ويذكرون صاحبتى ففرحت فرحا أطار عقلى غير أنى جعت
جوعا احرق احشائى واستطعمت الخدام فلم يطعمونى لانهم لم يعرفونى حتى جاء خادم
يعرفنى فشكوت اليه الجوع فقدم لى ديكبر بكة فاكلت وغسلت يدى غسلا ظننت معه
النقاء فلما خلوت بها رفستنى وقالت عجبت كيف تفلح وأنت عامى سفلة وهمت بالخروج
فتعلقت بها واخبرتها القصة ثم قلت يلزمنى صوم الابد والحج ماشيا والطلاق والعتاق
وصدقة مالى أن لا آكلها بعد اليوم الا واغسل يدى اربعين مرة فضحكت ودعت بطعام
وشراب فأكلنا وشربنا ولما مضى اسبوع أعطتنى مالا وأمرتنى أن اشترى به دارا
فاشتريت وتحولنا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على احسن حال (وحكى) التنوخى فى
المستجاد ونقله فى نديم المسامرة قال حمل الى المأمون من البصرة عشرة قدرموا بالزندقة
فلما اجتمعوا للنزول فى السفينة جاء طفيلى فنزل معهم وقال ما أظن هؤلاء اجتمعوا الا
لوليمة فلما قيدوا ندم وعلم أن لا خلاص له فحين ضربت أعناقهم وكان المأمون يعرفهم
سأل عنه فقالوا لم نعرفه فسأله فقال زوجتى طالق ان كنت اعرفهم او أحوالهم وانما

أالزمتنى الذنب الذى جئته
صدقت فاصفح انى المذنب
فان من أغرب ما مربى
أن عذابى فيك مستعذب

(وقال آخر)

وما قابلت عفوك باعتذار
ولكنى أقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتذار
ويحكم بيننا الخلق الجميل

(الباب السادس عشر فى اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين)

أقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر الناس فتوة واغزرهم مروة وأرقهم قلبا واحسنهم مربى عمن أصبح بين المحبين قديم هجر وهجرة وامسى له بكؤس المحبة ألف سكرة لاجرم انه اعان ذوى المحبة ووازن بنفسه من فى قلبه من الغرام مثقال حبة فسعى فى اصلاح حاله وساواه بنفسه

رأيتهم مجتمعين فظننت أنها وليمة فقال المأمون بلغ التطفل بأصحابه الى هذا اعزروه لئلا يعود الى مثلها فقال ابن المهدى هبه لى يا أمير المؤمنين وأحدثك عن التطفل بحديث عجيب قال وهبته لك فحدثنى قال يا امير المؤمنين ركبت يوما حتى مررت بموضع فشممت رائحة طعام وأبازير ماشممت مثلها قط ورأيت معصما من الشباك اخذ بقلبى ايضا فاشتهيت أن آكل منه وأخذت فى الحيلة اذ لم أكن اعرف أحدا من أهل المكان فجئت الى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب المكان فقال لى عن اسمه وانه تاجر يحب عشرة مثله فقلت أيشرب الخمر قال نعم وأظن عنده اليوم جماعة من أصحابه فمكثت ساعة فاذا هم مقبلون فقال لى هؤلاء اصحابه فحركت دابتى حتى لحقت بهم فقلت قد ابطأتم وفلان ينتظركم ثم دخلنا وهم يظنون أنى من جماعة صاحب المنزل وهو يظن أنى معهم فأكرمنى كل منهم وقدم الطعام فاكلنا فقلت فى نفسى هذا الطعام قد قضيت منه شهوتى وبقى الكف والمعصم ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود فغنت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها كفى فآلم كفها * فمن ضم كفى فى أناملها عقر

فهيجت بلابلى وطربت لحسن شعرها ثم غنت ايضا

أشرت اليها هل عرفت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم تملك نفوسنا ثم غنت ايضا

اليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدى سرائر انفس * وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف تسلم

فحسدتها على الحذق والاصابة غير أنى قلت بقى عليك شئ فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون فى مجالسكم البغضاء فتألموا منى فقلت قد فاتنى ما املت ان لم أتلافاهم فقلت هل عندكم عود فقالوا نعم واحضروه فأحكمت اصلاحه وغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصممن أم قدم البلا فبلينا
لا بل بلين فهجن داءا ساكنا * لتسيم واثرن منه دفينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا اوحيين حيينا

فقبلت عند ذلك يدى وقالت معذرة اليك وزاد القوم فى اكرامى فلما رأيت مزيد بسطهم اندفعت ايضا فغنيت

أفى العدل أن تمسين لاتذكرينى * وقد هجعت عيناى من ذكرك الدما
الى الله اشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما

وماله وقد القائل فى هذا المعنى الطائل

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * او معينا او عاذرا أو عذولا

فان كنت خاليا من ذلك كله

أعنى باطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل يا جبان فشجع

قلت أولا أقل من ذلك يا ابنة مالك وقد القائل فى ذلك

لو تعلم الناس من شوقى ومن كلفى * مابت اهله استسقوا به عاد
واستشفعوا الى النبى بأجمعهم * وجاء عائدهم فى زى قواد

(ومن العجب) ما سمعته فى اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغنى ان عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله وقال انظروا لى كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها فى المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال

فردّى مصاب القلب أنت سلبته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله اشكو انها أجنبية * وانى اليها ما عشت بالودّ محرما

فرأيت من طرب القوم ما فارقوا به عقولهم فأمسكت عنهم خشية ان يتلفوا ساعة ثم غنيت

هذا محبك مطوىّ على كمده * وجدا مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا فى حبه دنفا * كانت منيته فى عينه ويده

فقالت الجارية هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وسكر القوم حتى غابوا الا صاحب المنزل لجودة شربه فأمر بحملهم الى منازلهم وخلا بى فسألنى من أنا فأخذت اورى فأقسم علىّ الا ما عرّفته بنفسى وقال قد ذهب اكثر عمرى هدرا اذ لم أعرف مثلك فلما عرّفته بنفسى وثب قائما وقال لا اقضى باقى ليلتى فى خدمتك الا قائما فأقسمت عليه أن اجلس فجلس واخذ يستخبرنى عن سبب مجيئى فأخبرته بالقصة حتى انتهيت الى أنه لم يبق علىّ الا المعصم فقال تناله ان شاء الله تعالى وعرض علىّ جواريه فلم أر الغرض فقال يا سيدى لم يبق عندى الا أمى واختى فقلت ابدأ بأختك فأتى بها فاذا هى الغرض فقلت ها هى فقال قد والله أقررت عينى ثم دعا بالشهود من ليلته فعقد لى عليها وأدخلنى بها فلما اصبحنا حوّل معها متاعا لا يوجد مثله الا عندك يا امير المؤمنين وهذا ولدى فلان منها

(القسم الخامس فى ذكر من وسموا بالفساق من العشاق)

وهؤلاء هم الذين وقعوا فى المعاصى أو هموا بها فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند أهله فانهم يرون تصوّر السلوّ معصية بل تصوّر خطور غير المحبوب فى الذهن كذلك ولا نعلم أحدا حقق هذا المناط للسالكين وبينه حق البيان للمتمسكين أجلّ من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدى عمر بن الفارض اعاد الله علينا من مدده حيث يقول

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردّتى

فان الخطور مجرّد جواز الميل على القوى من غير أن تمسك منه بشئ وهذا عند العقلاء قسرىّ لعدم احتياجه الى مقدّمات والارادة مجرّد الميل والخاطر باب الحدس والسهو استيلاء الطبيعة الثانية على المزاج البشرىّ وهو صفة للخطور قسرية ايضا ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه فى الاصلاح على الخارج به بشئ رحمة وتخفيفا فقد بان أن الاستاذ يقول ان شرح المحبة مبنىّ على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة نزل السهو فيها منزلة العمد فكان المحبوب هو قوى المحب التى بها يعقل كما أشار اليه ايضا فى الدلالة على غاية المرتبة بقوله

فلم تهونى ما لم تكن فىّ فانيا * ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتى

وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله أن يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب فى ذلك فقال انى سمعت الله يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا افلا أحيى الناس جميعا

(وحكى) ابن الجوزى انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك فى المنام كأنما
عاطيتنى من ريق فيك البارد
وكأنّ كفك فى يدى وكأننا
بتنا جميعا فى فراش واحد
فطفقت نومى كله متراقدا
لأراك فى نومى ولست براقد

(فأجابته الجارية)

خيرا رأيت وكل ما ابصرته
ستناله منى برغم الحاسد
انى لارجو أن تكون معانقى
فتبيت منى فوق ثديى ناهد
وأراك بين خلاخلى ودمالجى
وأراك فوق ترائبى ومجاسدى

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو اصناف

(الصنف الاول في ذكر من جلد هواه على اذية من يهواه وهؤلاء اما نساء او رجال وكل من القسمين اما بالغ مناه او مكفوف اذاه)

(فمن الاول ما حكى) عن مرثد انه شغف بصحبة عمرو بن قنة حتى صار يأكل معه ومع زوجته فعلقته المرأة فأرسلت اليه على حين غفلة من مرثد تقول ان عمك يدعوك فجاء فلم يجده فقامت اليه فراودته عن نفسه فأبى فقالت لئن لم تفعل ما آمرك لأوذينك فقال ان الاذى أن افعل ما تطلبين وخرج فأمرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الاصابع فلما جاء مرثد اخبرته ان رجلا من اقرب ما يكون اليك ساومني نفسي فامتنعت فجهد في ان تخبره فأبت وقالت انا لا اصرح باسمه ولكن هذا قدمه فعرفه وهجره فأنشد في ذلك

لعمرك ما نفسي بجد رشيدة * تؤامرني شر الاصرم مرثدا
عظيم رماد القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو اخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع من لوى مرارا واصعدا
على غير ذنب أن أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتجهدا

وقيل انه حلف ليضربنه بالسيف فهرب الى الحيرة وأرسل بهذين البيتين

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدري * فما بال من يرمى وليس برامي
فلو أنها نبل اذا لاتقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

انتهى ما ذكره وفي النزهة ان مرثدا اتى يوما من سفره في الليل وكان الظلام شديدا فسمع زوجته وهي لا تشعر به تقول

لعمرك ان القلب شط به النوى * ولم تسعف الايام للمدنف الصب
بليت بمن لم يدر حالي بحبه * ألا ان عمرا في الهوى قاسي القلب

فعلم انها مولعة به وان ذلك كان كيدا منها فقتلها وأرسل اليه فاصطلح امره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع

(ومن الثاني) قصة سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير ان المصنف رحمه الله لشدة معرفته باختلاف الالسن واللغات نقلها من نص الله عز وجل عليها في التوراة فذكر أن في سفر دانيال عليه السلام من هذه القصة ما ترجمته لما كان في السنة الثالثة من ملك يواكيم ملك يهوذا قدم بختنصر ملك بابل الى اورشليم يعني بيت المقدس بالعربية واسلمها الرب في يده ثم نزل بيت صنمه بشنغار وهو موضع مشهور ببيت المقدس ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شيخين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني اسرائيل فكانا يحكمان في الشعب ويأويان الى بيت يواكيم وكان له زوجة يقال لها سوسن وكانت في ارفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لانها

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما وأحسن اليهما على شدة غيرته (وقال) أبو الفرج بن الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له فقال المهلب

لعمري اني للمحبين راحم * واني ببر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل وجد مبدد * واني بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار (وروى) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه جاءته جارية تستعدي على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا أمير المؤمنين أحب ابن أخيه فما أنفك اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او أعطيك ثمنها من مالي فقال أشهدك يا أمير المؤمنين أنها لابن أخي * وأتي علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل فقال له ما قصتك فقال لست بسارق ولكني أصدقك

والديها كاناصديقين فى بنى اسرائيل وكانت فى كل يوم تنزل الى بستانها تتمشى للنزهة
ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر فى الحكومات وكتم كل عن
الآخر حتى اذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد
الحر فليذهب كل منا فيستريح وخرجا فصبرين العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا
فحص كل عن عود الآخر فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها دخلت مع
جاريتين البستان فعزمت على الحموم وقد استخفيا فأرسلت الجاريتين لياتياها بزيت
وغسول فظهرا وأغلقا الابواب وقالا لها ان لم تجيبينا والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن
اجل ذلك ارسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكانتنا من بنى اسرائيل قالت سوسن والله
لا أغضب الرب ابدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى احدهما ففتح الباب وجاء
العبيد فاخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليها سوءا ثم اتى بوا كيم فاعلموه
بالامر وأنهما لم يقدرا على مسك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن
سوسن وقالا نشهد على هذه أنها دخلت البستان ومعها جاريتان فأرسلتهما واغلقت
الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب
فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء وقالت يا الله يا دائم يا عالم الخفيات أنت تعلم أنهما
كذبا على ثم أقاما لها القتل وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشرة سنة فجاء
وصاح عليهم ان قفوا فانها بريئة مما رميت به ثم أمر بالتفريق بينهما فقال لاحدهما
من تحت اى شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله
شاهد عليك بالكذب ثم اخره وقدم الآخر وقال له من تحت اى شجرة جاء الحدث فقال
من تحت شجرة زيت فقال كذبت وأقامهما فانشمرا ونزلت نار فأحرقتهما وحفظ الله
الدم الزكى وعظم أمر دانيال عليه السلام
(ومن الرابع ما حكى) فى نديم المسامرة انه كان بالبصرة رجل اسمه عباد وكان يدعى
بالمخنث لما كان يظهر من التزيى بزى النساء فاجتمع ليلة مع قوم وتذاكروا الشجاعة
فقالوا له هارنين به هل تقدر أن تذهب فتدق هذا الوتد بالضريح الفلانى وكان معروفا
بالوحشة بعيدا عن العمارة فمضى حتى صار فيه فحين شرع يدق الوتد سمع صريرسلسلة
تدنو كلما دق حتى صار عنده فاذا هو قرد قد ذهب من صاحبه فأخذوهم ليخرج اذ سمع
امرأة تخاطب رجلا فتقول ما الذى صنعت حتى تقتلنى فيقول اقتلك وأموت خير من
ان تصيرى الى زوجك وأموت غما فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق
بالرجل فظنهما جنا ففرمى السلاح فأخذه عباد وفك المرأة واستخبرها فأخبرته بأبيها فعرفه
وأن هذا ابن عمها كان يهواها فخطبها الى أبيها فأبى وهم بتزويجها من غيره وأنها
خرجت لفترج فكبسها هذا مع جماعة فتفرق النساء اللواتى كن معها واخذها هو
فصيرها الى هذه الحالة فاخذها عباد الى اهلها وأخبر أصحابه بالقصة فكذبوه فاراهم

تعلقت فى دار الرياحى خودة
يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها فى بنات الروم حسن ومنصب
اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة
ابيت وفيها من توقدها جمر
تبادر أهل الدار بى ثم صيحوا
هو اللص محتوما له القتل والاسر
فلما سمع على شعره رق له وقال
للمهلب اسمح له بها ونعوضك
عنها فقال يا امير المؤمنين اسأله
لنعرف نسبه فقال النهاش بن
عتبة العجلى فقال خذها فهى لك
(وحكى) التميمى فى كتابه امتزاج
النفوس ان معاوية بن أبي سفيان
اشترى جارية من البحرين
فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها
يوما تنشد أبياتا منها
وفارقته كالغصن يهتز فى الثرى
طريرا وسيما بعدما طرشاربه
فسألها فقالت له هو ابن عم لى
فردها اليه وفى قلبه منها شرر
النيران * وذكر الخرائطى أن
المهدى خرج الى الحج حتى

ذلك

ذلك فصار يعد من الشجعان

(ومن الثالث) ما حكى عن حبوبة بن حباب الطائي انه حين قتل ابوه رجلا من كلب من تغذوبرة ووجبت عليه الدية رهنه صغيرا مع امه وخرج ليجمعها فمات فأقاما عندهم وانه كان شابا حسنا جميلا فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه فوقع بعد ما قتل اخا امرأة اشتهر بها الى بلقين فأجاروه ففعل عندهم ما فعل فى كلب واشتدوا عليه فجاء الى أمه ليلا فاخفته واخبرت ظئرا لها فقالت ادنعيه الي فأخذته فجعلته فى متاع لها خارج البيت وتعدى رئيس بنى كلب فقال ما هذا قالت متاعى وأنا على سفر وأريد ان تجيره فقال قد أجرته وحمله الى بيته وقد انكره ففتش فرآه فقال لا سبيل الله وخرج فأقام عنده زمانا فعلق ابنته وطال بينهما الامر فأنشد فيها

مازلت أطوى الحى اسمع حسهم * حتى وقفت على ربيبة هودج
فوضعت كفى عند مقطع خصرها * فتنفست صعدا ولما تنهج
وتناولت رأسى لتعلم مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
قالت وعيش ابى وحرمة والدى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تحرج

و بلغ عدى بن اوس ذلك فقتله

(ومن الثالث) قصة وضاح اليمن المشهورة واسمه اسمعيل او عبد الله او عبد الرحمن ابن كلال وكان من أمره أنه كان يبرقع وجهه خوف الفتنة بحسنه وانه نشأ مع ام البنين بنت عبد العزيز صغيرين فكان لا يصبر احدهما عن الآخر فلما بلغت حجبت فازداد شوقهما فحين افضت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك وقيل ليزيد والصحيح الاول لما سبق فى قصة حبابة وذكر زوجات يزيد حجبها فازداد بوضاح الامر حتى نحل فخرج الى الشام فكان يطوف بالقصر الى ان ظفر بجارية لام البنين فأخبرها بمكانه وانه ابن عم مولاتها فأخبرتها فأدخلته فى صندوق فكانت اذا أمنت تمكث معه واذا خافت أدخلته الصندوق وجيء للوليد بجوهر نفيس فأمر خصيا بحمله اليها فحين دخل الخصى وجد وضاحا فأدخلته الصندوق واستوهبها الخادم لؤلؤة فأبت فمضى وأخبر الوليد فدخل عليها فمازحها واستوهب الصندوق فأبت فراجعها فوهبته اياه واحتمله الى مجلسه فلما جاء الليل امر غلمانه فحفروا الى الماء ثم قال مشافها للصندوق خشية قد بلغنا عنك امر فان كان صحيحا فقد كفأناك والا فما علينا فى دفن الخشب ورماه ورمى الخصى حيا وقيل ضرب عنقه حين اخبره وأهال التراب ولم يبين لها غيظا وقيل فارقها وانها كانت تأتى المكان فتبكى فوجدت ميتة فيه وقيل انه لم يقتله بذلك وانما شبب بها حين رآها فى طريق الحاج فبلغه تشبيبه بها فاستشار فيما يفعل به فقيل له اكرمه كما فعل معاوية بأبى دهبل حين شبب بأخته فأبى الا قتله

اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا بشاب بدوى دخل عليه وبكى وقال يا أمير المؤمنين انى عاشق ورفع صوته فقال للحاجب ويحك ما هذا قال انسان يصيح انى عاشق قال أدخلوه فأدخلوه فقال من عشقتك قال ابنة عمى قال ألها اب قال نعم قال فماله لا يزوجك بها قال ههنا شئ يا أمير المؤمنين قال ما هو قال انى هجين والهجين الذى امه امة ليست بعربية قال له المهدى فما يكون قال انه عندنا عيب فارسل فى طلب أبيها فأتى به فقال هذا ابن أخيك قال نعم قال فلم لا تزوجه كريمتك فقال له مثل مقالة ابن اخيه وكان من أولاد العباس عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هجن فما الذى يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدى زوجه اياها على عشرين ألف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة آلاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى ببدرتين قد فعهما اليه فانشأ الشاب

(ومنه أيضا) سحيم وهو حبشي نشأ في بني الحسحاس وكان اعجميا غليظا ثم تخرج في الشعر وشاع ذكره حتى اشترى لعثمان فقال لا حاجة لي بمن اذا شبع شبب بالنساء واذا جاع هجا فرده فاشتراه رجل منهم اسمه ابو معبد فعلق ابنته وانهم خرجوا الى سفر فتشوق أبو معبد الى ابنته فكان يتمثل بهذا البيت

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فأكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت فتنها في التشبيب بابنة مولاه

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا

توسدني كفا وتثني بمعصم * علي وتحوي رجلها من ورائيا

وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا درعها وردائيا

فما زال ثوبي طيبا من نسيمها * الى الحول حتى انهج الثوب باليا

فذهب جندل به ليبيعه فأنشد

وما كنت أخشى جندلا ان يبيعني * بشيء ولو أمست أنامله صفرا

أخوكم ومولى مالكم وربيبكم * ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

اشوقا ولما يمض بي غير ليلة * فكيف اذا سار المطي بنا عشرا

فرق له فرده ولامه قومه وأرادوا قتل العبد فضربه ثم رفعه الى الحاكم فعزره ثمانين وانصرف به فأنشد

أبا معبد بئس العزاضة للفتى * ثمانون لم تترك لحافكم جلدا

كسوني غداة البين سمرا كأنها * شياطين لم تترك قرارا ولا عهدا

فما الدهن الاظل بيت دخلته * وما السوط الا جلدة خالطت جلدا

ابا معبد والله ما حل حبها * ثمانون سوطا بل يزيدها وجدا

فان يقتلوني يقتلوا ابن وليدة * وان يتركوني يتركوا اسدا وردا

غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

فلما علم مولاه اصراره احرقه

(ومن الاول) المتجردة وهي امرأة المنذر بن ماء السماء وكانت من أعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديميه النابغة والمنخل فشغفت بالمنخل وامتزجا فأمر النعمان يوما النابغة ان يصفها فقال

واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابي المجسة بالعبير مقرمد

واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل هذا وصف معاين وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفا فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل قد البسته احد خلخاليها وشدت رجله الى رجلها فقتله ولهذا

يقول

ابيعت ظبية بالغلاء وانما
يعطى الغلاء لمثلها أمثالي
وتركت أسواق القباح لاهلها
ان القباح وان رخصن غوالي

وعرض خالد بن عبد الله القسري سجنه يوما فكان فيه يزيد بن فلان البجلي فقال له خالد في اي شيء حبست يا يزيد قال تهمة اصلح الله الامير قال افتعود ان اطلقتك قال نعم ايها الامير وكره ان يعرض بقصته لئلا يفتضح معشوقه فقال خالد احضروا رجال الحي حتى تقطع يده بحضرتهم وكان ليزيد اخ فكتب شعرا ووجه به الى خالد

أخالد هذا مستهام متيم
رمته لحاظ انه غير سارق
اقر بما لم يأته المرء انه
رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه
لالفيت في أمره غير ناطق
اذا بدت الرايات للسبق في العلا
فأنت ابن عبد الله اول سابق

فلما قرأ خالد الابيات علم صدق

ان كنت عاذلتي فسيري * نحو العراق ولا تحوري

ولقد دخلت على القنا * ة الخدر في اليوم المطير

والكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير

فدفعتها فتدافعت * مشي القطاة الى الغدير

ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبي البهير

فرنت وقالت هل بجسـ * ـمك يا مفضل من فتور

ماشف جسمي غير حبـ * ـك فاهتدي عني وسيري

وأحبها وتحبني * ويحب ناقتها بعيري

ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير

فاذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير

واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير

يا هند هل من نائل * يا هند للعاني الاسير

(ومن الرابع) ما يحكى عن سليمان بن عبد الملك وكان شديد الغيرة انه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة والمحبة لسليمان وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمان فزاره ضيوف فأكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا مالم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمر فأنشد

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * في آخر الليل لما بلها السحر

تثني على فخذها مثني معصفرة * والحلي منها على لباتها حصر

لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر

في ليلة النصف ما يدري مضاجعها * اوجهها عنده ابهى ام القمر

لو خليت لمشت نحوي على قدم * يكاد من رقة للمشي ينفطر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعا يتفهمه وكانت عنده جارية اسمها عوان وكان يحبها حبا شديدا وهي مشهورة بالجمال فجاء اليها فرآها على صفة الابيات وكانت يقظانة فلما فطنت به قالت يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال

الا رب صوت جاءني من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد

قصير نجاد السيف جعد بنانه * الى امة يدعى معا والى عبد

فسكن ما به وقال قد راعك صوته قالت صادف مني يا أمير المؤمنين خلف اسقلته فأرسلت عبدا يحذره وقالت ان لحقته قبل ذلك ديته وأنت حر فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر اليه مليا ثم قال أنت الجتري ويلك فقال أنا فارسك فاستبقني فقال لا أقتلك ولكن أزيل تفعلك وأمر به فخصي وألقى في دير الخصيان قالوا وفي ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة فكتب الى عامله ان احصهم يعني اضبطهم لتنظر في امرهم

قوله فأحضر أولياء الجارية فقال زوجوا يزيد فتاتكم فقالوا اما وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال ان لم تزوجوه طائعين لتزوجونه كارهين فزوجوه ونقد خالد المهر من عنده (وذكر) احمد بن الفضل الكاتب ان غلاما وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف بجهله حتى صيره قريبا منها فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

اذا رأينا محبا قد اضر به * طول الصبابة أوليناه احسانا

فجاء المعلم فسمع ذلك منهما فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين

صلي العريف ولا تخشين من احد * امسى العريف صغير السن ولهانا

اما الفقيه فلا يسطو عليه أذى * فانه قد بلي بالعشق الوانا

فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم فقال كل عند خصيه كلمة سارت مثلا فقال طويس ماهذا الا ختان أعيد علينا وقال دلال بل هو الختان الاكبر وقال نسيم السحر بالخصى صرت مخنثا حقا وقال نومة الضحى بل صرنا نساء حقا وقال برد الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول معنا وقال ظل الشجر ما نصنع بسلاح لا يستعمل ويروى ان الذى معه سليمان لم يكن سنانا الكلبى بل كان سميرا الايلى وفى الرواية بدل محجوبة وعادة سمعت وبدل قوله فى ليلة النصف فى ليلة البدر وهو اليق فى هذا المقام لان القمر وان لم ينقص ليلة النصف فهو فى ليلة البدر ابهج ولم يلهج الشعراء الابه وان سليمان قال حين رجع فى خصيه ان الفرس يصهل فتستودق الحجرة والفحل يخطر فتضبع الناقة والتيس ينب فتستحرم العنز والرجل يغنى فتشبق المرأة *(ومن الثانى)* ماحكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة فقيرا وكان عنده امرأة مفرطة فى الجمال وكان اذا قدم قامت لخدمته من فرش وتقديم طعام ونحوه وان عجوزا دخلت عليها فتأملت حسنها وذهبت فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز بمال كثير على ان تخلصها له فقالت لها كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل بالمسحاة ولو طاوعتنى لزوجتك بالملك وأمرتها ان تعصيه وترجع عن خدمته فجاء فلم تقم اليه على العادة ولم تقدم له شيأ فقال ماهذا يا هناه قالت هو ماتراه فقال أطلقك قالت نعم ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر اليها كف ومد يده فشلت فرفع الامر الى نبى ذلك الزمان فجاء الوحى ان يعمى ما فعل بصاحب المسحاة وقد ساق هذه الحكاية فى النزهة فى باب من عشق بالسماع وذكر ان المرأة ايضا فلجت وأنها ماتت بعد سبعة ايام

(ومنه) الزرقاء جارية ابن رامين كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها غالب أهل زمانها وكان الناس يقصدونها لسماع صوتها ويبذلون لها مالا خطيرا فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفى بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لى فيهما اربعون ألف درهم فقالت هبهما لى فقال افعل ان شئت قالت شئت فخاف لا يعطيهما لها الا من فمه الى فيها فغمزت الخادم فخرج وكان يزيد واقفا منكسرا بين يديها يعنى كاتفا يديه فجلس متعمدا يعنى على رؤس أصابعه وتقدم اليها فأقبلت تتناولهما فجعل يزوغ بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت عليه فأخذتهما وقالت المغلوب فى استه عود فقال اما أنا والله لايزال طيب هذه الرائحة فى انفى وفى ما حييت أبدا وانها افضت الى جعفر ابن سليمان وأبوه عامل المنصور فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها فى هذه الايام وقد خرج عليهم خارجى فغمز جعفر الخادم فأخرجها اليه فقبلت رأسه واجتلبته فرضى ولم يعتب بعدها وان جعفرا قال للزرقاء يوما هل تمكن أحد من تجنبك يوما منك بشئ فخشيت أن تكتمه ما عساه ان يكون بلغه فأخبرته بموافقة الصيرفى فاحتال عليه حتى حصل عنده فضربه حتى مات

وذكر الخرائطى عن أبى عساف قال أمر ابو بكر رضى الله عنه بجارية وهى تقول

وهويته من قبل قطع تمائمى
متمايسا مثل القضيب الناعم

فسألها أحرة أنت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هوالك فتلكأت فاقسم عليها فانشدت

وانا التى لعب الغرام بقلبها
قتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبى طالب وقال هؤلاء فتن الرجال فكم والله قدمات بهن كريم وعطب بهن سليم ودخلت عزة على ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز وكانت من العابدات فقالت لها ما معنى قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان هذا الدين قالت وعدته قبلة ومطلته ثم خرجت منها فقالت انجزيها وعلى اثمها (حدث) محمد بن عبد الله بن ابى مليكة عن أبيه عن جده قال دخل عبد الرحمن

(ومن

(ومن الثانى) ما حكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه حتى كان لا يصبر عنها ساعة فتزوج بها واقاما مدة ثم ماتت فاشتد وجده وطار عقله فمضى الى المسيح عليه السلام وسأله ان يحييها له فقال لا يتيسر الا ان تهبها من عمرك شيأ فقال قد وهبتها نصف عمرى فأحياها له ومضيا وقد لحق عبودا تعب شديد فجلسا يستريحان فوضع رأسه على ركبتها فنام فمر ملك الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهو ايضا بقلبها فأعرض عليها ان تكون معه فأجابته فحملها فى قبة وانتبه عبود فلم يجد احدا فقام مرعوبا فوجد قوما من المارة ينعتون حسنها فسألهم فاخبروه بأنها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها بما صنع وهى ساكنة فقال لها قد كنت مت وسألت المسيح فى احيائك ووهبتك نصف عمرى لى ان تكونى معى فحيث لم ترضى فردّى علىّ ما وهبتك فقالت قد رددته فما خرجت الكلمة حتى ماتت

(ومن الثالث) ما حكى عن لقمان بن عاد الذى كان يضبط عمره بأن يمسك النسر من حين خروجه من البيضة الى ان يموت فيؤتى بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد على ما قيل مائة عام انه كان مغرما بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد الاحتراس وهن يخنه فتزوج جارية صغيرة وجعلها فى بيت نقره فى جبل لا يصعد عليه الا بالسلاسل وان عملقا نظرها فوقعت من قلبه فأمر قومه فشدوه فى سيوف حزمة واستودعوها لقمان مدة فوضعها فى بيته فلما خرج تحرك العملق فحلته الجارية فكان يكون معها الى ان يأتى لقمان فتجعله فى السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم فدفعها ثم جلس فنظر الى نخامة فى سقف بيته فسألها عن فعلها قالت انا فأمرها تفعل فقصرت لان النساء لا يقدرون على رفع النخامة الى الاعلى لضعف مزاجهن فقال ياويلتاه والسيوف دهتنى ثم رمى بالمرأة من اعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فكلمته فضربها بحجر فكسر رأسها فضربت العرب أمرها مثلا لمن يؤخذ بلا ذنب فكان يقول المظلوم منهم ما اذنبت الا ذنب صحر يعنى ابنة لقمان

(ومن الثانى) ما حكى ان رجلا عشق ابنة عمه حتى فنى فى حبها فتزوج بها فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يجالس الناس فلم يصبر الى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع وأن ابن عم لها غيره اكترى دارا الى جانبها وراسلها فوقع حب كل عند الآخر فنزلت اليه ودخل زوجها فلم يجدها وسأل امها فقالت تقضين حاجة فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها واذا هى قد أتت من الدار فعزم عليها ان تصدقه اين كانت فقالت اما اذ عزمت علىّ فانى أصدقك وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق امها وهرب فكان كثيرا ما يتمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتى

(الصنف الثانى فى ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان خامرته الحيرة فجرته الى تهمة محبوبه فما ترقت له على نيل مطلوبه)

ابن أبى عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جوارى فعشق منهن واحدة واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه

يلومنى فيك اقوام أجالسهم
فما ابالى اطار اللوم ام وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى سيد الجارية فاشتراها منه بأربعين الف درهم وأمر قيمة جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل الناس عليه فقال مالى لا أرى ابن ابى عمار فاخبر انه منقطع فى منزله لفرط ما به فأتاه ابن جعفر فلما رآه أراد أن ينهض فاستجلسه وقال له ما فعل حب فلانة قال هو فى اللحم والدم والعصب والعظام قال اتعرفها ان رأيتها قال او اعرف غيرها قال فأنا قد ضممنا اليها واحدة والله ما نظرت اليها وامر بها فخرجت فى الحلى

(حكى) ان عبد الله بن رغبان الكلبي وقيل عبد السلام المشم ويديك الجن الحمصي كان أديبا حاذقا شاعرا لبيبا كانما تنطق قريحته بالرقة واللطافة والغزل والظرافة الا انه كان من اعظم الفساق بين العشاق واجمعهم للقساوة والاشتياق وأنه عشق جارية وغلاما واشتد بهما كلفه وتهالك فى حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما وكان يجعل الجارية عن يمينه والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمها ويشرب من يدها تارة والغلام اخرى ولم يزل كذلك الى ان قام فى نفسه من شدة الحب انه سيموت ويصيران الى غيره فذبحهما وحرقهما وعمل من رمادهما برنيتين فكان يشرب فيهما ويقبلهما عند الاشتياق واشعاره فى ذلك متظاهرة ومن احسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية قوله

ياطلعة طلع الحمام عليها * فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي فى مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها
روّيت من دمها الثرى ولطالما * روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
فوحق نعليها لما وطئ الحصى * شئ أعز علىّ من نعليها
ما كان قتليها لانى لم اكن * ابكى اذا سقط الذباب عليها
لكن بخلت على العيون بلحظها * وأنفت من نظر العيون اليها

(ومن لطيف شعره ايضا)

جاءت تزور فراشي بعدما قبرت * فظلت الثم نحرا زانه الجيد
وقلت قرة عيني قد بعثت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة * تعبث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرة * هذى زيارة من فى القبر ملحود

(وعند تقبيل برنية الغلام)

أشفقت ان يرد الزمان بغدره * او ابتلى بعد الوصال بهجره
فرقدت استخرجته من دجنه * ليلى وأثرته من خدره
فقتلته وله علىّ كرامة * ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتى فى نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده * بالحى منه بكى له فى قبره
غصص يكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

(ومن لطيف شعره فى الدعاء على المحبوب)

كيف الدعاء على من جار او ظلما * ومالكي ظالم فى كل ما حكما
لا آخذ الله من اهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا ظلما

(ومما ارخه الفرس) عن اردشير ملك الطوائف انه لما حضر ثار وهى قلعة فى برسنجار

والدال فقال هى هذه قال نعم بأبي انت وامى قال فخذ بيدها فقد جعلتها لك أرضيت قال اى والله وفوق الرضا فقال له ابن جعفر لكن والله لا أرضى ان اعطيكها هكذا احمل اليه يا غلام مائة الف درهم

(الباب السابع عشر فى ذكر دواء علة الجوى)

أقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب الذى اعجز أهل الطب فهم فيه حيارى سكارى وما هم بسكارى على ان الذى اجمعوا عليه واشاروا اليه انه لا شفاء من هذا الداء العضال الا بطيب الوصال مثل غمز النهدين وقرع الشفتين والتصاق البدنين

رأيت الحب ليس له دواء * سوى وضع الصدور على الصدور
ولا سيما بدت نهوده وتوردت * خدوده وعذب مذاقه وطاب عناقه

من مدن الشرق استعصم بها ملكها المعروف بالساطرون وطال الامر فصعدت ابنته يوما على القلعة فرأت اردشير فعلقته فرمت اليه بكتاب فى نشابة فيه ان انت شرطت لى ان تتزوجنى عرفتك كيف تأخذ القلعة فراجعها انى شرطت لك ذلك فدلته فلما أخذ القلعة وتزوج بها وأقاما مدة ضجرت ذات ليلة من شئ يؤلمها فى الفرش فكشفوا فاذا هى باقة نرجس فتفكر فى رقة جلدها فقال لها ما كان يطعمك ابوك قالت الشهد والمخ العظم والزبد فقال اذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف بى واشتد عنده التخيل والغيرة والحساب فقتلها (وحكى) صاحب محاسن البلدان ونزهة الازمان ان لكل اقليم اختصاصا بصفة وتمييزا بحالة تغلب عليه من قبيل ما تتغير به الكائنات الفاسدة من العلويات وغيرها ان مصر وضعت فى طالع الجوزاء وهى تعرف عندهم بالتوأمين والعذراء والمؤنثة ومقتضاها الرقة وسرعة التأليف واللطف وعدم الانضباط على حالة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة وقد ظهر أثر ذلك فى أفعالهم قال الاترى الى لطف العزيز وتغافله وقد رأى زوجته متهيئة للخلوة من غلق الباب ونحوه ولم يكن عالما بعصمة يوسف عليه السلام ليقال انه استند الى ذلك ومع هذا قال للرجل أعرض عن هذا وقال للمرأة استغفرى لذنبك وعكس ذلك الاقليم الخامس فقد وضع فى طالع المريخ ومقتضاه الغلظة واليبس والقسوة وسفك الدم الاترى ان ملكا من ملوك الاندلس كان شديد الكلف بجارية عنده حتى انه كان لا يستطيع عنها صبرا فجلس مع ندمائه يوما وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتا فلما انقضى المجلس جيء بطست فوضع بين يدى مستعيد الصوت وقال له الملك اكشفه فاذا فيه رأس مقطوع فقال له استعد الصوت منها فقام مريضا وقد نقل الحكاية أبو حيان فى تفسيره ملخصا

(الصنف الثالث فى ذكر من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شورك فى محبوبه فصنع من الحيل ما افضى الى قتله وقتل من شاركه فى فعله)

(حكى) لى رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ان رجلا موصليا علق امرأة فزاد بها وجده فكان لا يصبر عنها ساعة وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها وأقاما مدة وجاء يوما فوجدها تأكل فى طعام لم يكن جاء به هو فسألها عنه فقالت من بعض اهلى فداخله من ذلك شئ وقوى عنده وتجسس عن أمرها فلم يقع على شئ فمضى وركب دواء سميا ثم جاء به اليها فقال احتفظى بهذا فانه باهى فقالت كل منه فأكل ورفعت الباقى ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متعرضا فوجدها والرجل ميتين فخرج وقد اتفق عليه الغم وباقى السم فمات من ليلته (ورأيت) فى الشهنامة الفارسية ما ترجمته أن ابرويز أحد ملوك الفرس تزوج امرأة

اعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تدانى
والثم فاه كى تزول حرارتى
فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال الآخر)

شفاء الحب تقبيل وشم
ووضع للبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه
وأخذ بالمناكب والقرون

(وقال آخر)

اسقم قلبى ثم لم يبره
عاقد زنار على خصره
لا اشتفى روحى مع جسمه
حتى أرى صدرى على بطنه

(وقال أبو جعفر العدوى)

سكر الهوى أدوى لعظمى ومفصلى
اذا سكر الندمان من لذة الخمر
واحسن من قرع المثانى ونقرها
تراجع صوت الثغر يقرع الثغر

صغيرة بديعة في الحسن وقد بلغ ثمانين سنة فوجد بها وازداد عشقه لها وهي تظهر
حبه وتخفي بغضه وعلقت ولده واشتد ميلها اليه وان الملك دخل فرآهما على الحالة
المنكرة فكادت نفسه ان تزهق وعلم انه ان اظهر أنه رآهما امرت المرأة ولده بقتله
فرجع وأخذ في تدبير الحيلة فأخذ كتابا وسم ورقه وجلده بالذهب ورصعه بالجواهر
واودعه صندوقا وجاء به الى المرأة فقال لها قد علمت ما حوت يدي من الذخائر والنفائس
غير أنه لم يكن يعدل نفسي الا هذا الصندوق فاحتفظي به وعلم انها ستطلع عليه ولده فلما
خلت به اخبرته القصة فقال عليّ بالصندوق فأحضرته ففضه فلم يجد الا الكتاب
مطبوقا فحاول فتحه فوجد ورقه متلاقا بعضه ببعض فجعل يبل اصبعه من ريقه
ويتصفح الاوراق فلعب السم فيه وعلم بالحيلة فأخذ السيف وخرج فضرب اباه فسقطا
ميتين (ووقفت) في سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق على كتاب لم
اعرف مؤلفه سماه درر الافكار في التحريض على تزويج الابكار ذكر فيه ما ملخصه
ان قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب لان حكماءهم يقولون ان المرأة لا تلقي
مقاليد طاعتها ولا تصدق لطائف شهوتها ولا تمحض حسن مودتها الا لمن يفض
ختام بكارتها لانه القاطف لزهر محاسنها والمجتلي على اول مطالع بدر مواطنها
فان وقع منها لغيره ودفنادر لا يعتد به ونزر لا ينبغي التمسك بسببه ولم تزل هذه الوصايا عندهم
محفوظة وبعين الكمال ملحوظة وان ملكا جاوز الستين ولم يرزق ولدا وكان ذا ملك عظيم
ومال ورزق جسيم فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه فجمع أهل التنجيم
والخطوط وأمرهم بالنظر في ذلك فرأوا انه ان تزوج من الحبشة رزق ولدا يكون له الملك
فأرسل فجيء له ببنت فاختاروا له طالعا بنى بها فيه وواقعها فحملت وجاءت بذكر صحيح سوي
حسن الخلقة فأولم الملك أربعين صباحا ونشأ الولد فحفظ الادب والحكمة وان اباه طلب
تزويجه ونادى بعرض البنات عليه فوقع اختياره على واحدة ليست بالشريفة المناسبة
للملك فارادوا تحويله عنها فأبى فزوجه بها على غضاضة في نفسه ودخل فوجدها ثيبا
فكتم أباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها وان امه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن
في حب كل منهما لصاحبه فيجدنه أعظم حبا لها منها له فكن يخبرن الملك فيقول ان صدق
الحدس فانها ثيب ولا يستطيع أحد أن يكلمه في أمرها فلما أفضى الملك اليه بعد والده
دخل يوما فوجدها كالتي فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها وكان اذا جامعها
تدوم حمرة وجهها مصفرة يوما وهذه التي تغيب حال الفعل تسمى الربوخ فسألها عن
العلة فاجابت انها تشكو صداعا وكان عارفا بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره ان يغضبها
فامسك وتنكر منه رؤيتها كذلك وكان قد برع في الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة
وأتى بها الى بيتها فوضعها في صندوق محرز في خزانة سره وأخذ مفتاحها وجعل كلما
جامعها أخرج من الطيب ودهن مذاكيره وسرته وأمرها فتدهن فرجها وأخبرها

(وقال أبو دهقان)
حدثنا عن بعض اشياخه
أبو هلال شيخنا عن شريك
لا يشتفي العاشق مما به
بالشم والتقبيل حتى ينيك
وقال في الاغاني قال أبو العيناء
أنشدت ابا العير قول المأمون
ما الحب الا قبلة
وغمز كف او عضد
من لم يكن ذا حبه
فانما يبغي الولد
ما الحب الا هكذا
ان نكح الحب فسد
فقال كذب المأمون وأكل من
خراي رطلين وربعا بالميزان وأخطأ
واساء الادب هلا قال كما قلت انا

ان ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وانه يقوى الاعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة وخرج عنها فجاء صاحبها فكانت تطيبه من الطيب الى ان علم ثبوت ذلك عندها فجاء بسم قاتل لوقته فاوهمها الاخذ من الدهن ووضع ذلك فيه واعلمها انه خارج فى شغل يقيم فيه سبعة أيام وخرج بعسكره من البلد ثم عاد من الغد على غفلة مستخفيا فدخل عليها فوجدها والرجل فيهما رمق الحياة فرمى عنقهما وسال عن الرجل فاذا هو جارها انشأ معها صغيرا فعلم انه الذى أزال بكارتها ثم أقام مدة فكان يعاوده من حبها وهو على سرير ملكه مايذهب عقله فيقوم الى الخلوة ويذكر عشقها السوقة عليه وايثارها الارذال فيسكن مابه ويعود فلم يزل أياما على ذلك حتى غلب الحب على التاسى فمات

(الصنف الرابع فى ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق)

قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد لكل باب عقوبة الفساق وأهل العشق الصحيح بريئون من الاثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم * فمن أهل هذا الصنف ما حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه آلى ان لا يهدر دم مسلم فأتى يوما بشاب أمرد مقتول فعرف المكان الذى وجد فيه واستكتم من جاء به أمره وقال ارجو ان لا يفوتنى فلما كان بعد حول رأى طفلا ملقى موضع الشاب فقال قد ادركت ما أطلب واخذه فسلمه الى من ترضعه وأجرى عليها ما تحتاج اليه وقال لها اذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فاعلمينى بها فجاءت جارية يوما الى المرأة فقالت ان سيدتى تطلب الغلام ساعة فمضت به اليها فرشفته وضمته ثم دفعته الى المرأة فجاءت الى عمر فاعلمته بذلك فأخذ سيفه ومضى الى الباب فاذا أبوها شيخ من الانصار قد كبر فقال اين ابنتك فقال بالبيت فقال كيف سيرتها فقال على أحسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحقى فقال مكانك حتى ادخل عليها وأعظها فقال افعل فاستأذن عليها فحين صار عندها قال اصدقينى ما فعلت والا رميت عنقك فقالت يا أمير المؤمنين انى والله محدثتك بما كان لا أكذبك شيأ اعلم ان عجوزا كانت تدخل على من الصغر وتخدمنى الى ان صرت كما ترى وانا اظنها صالحة فقالت لى يوما قد عزمت على مكة وعندى ابنتى ولا آمن ان اتركها فى البيت فأريد ان اجعلها عندك حتى اعود فقلت كرامة فمضت واحضرت شخصا مؤزرا مبرقعا فلما كان الليل ونمت آمنة وثب على صدرى فنال منى فعمدت الى شفرة بالقرب منى ففجرت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت فبعد مدة رأيت انى حامل فلما وضعت جعلته مكانه فدعا لها وجزاها خيرا واوصى اباها بها

(ومنهم أعرابى من اسد)

خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة فقدمت له ما يحتاج اليه فلما لم ير عندها احدا سامها نفسها فقالت على رسلك لا اصلح من شأنى وغابت ثم جاءت وقد اخفت مدية فوثب ليعانقها فضربته بها فى نحره فخر ميتا وسقطت حين رأت الدم وجاء بعض اهلها وهى على تلك الحالة فأجلسها حتى سكن مابها وحدثته القصة فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل جعفر بن ابى

وباض الحب فى قلبى
فواويلا اذا افرخ
وما ينفعنى الحب
اذا لم أكسر البربخ
وان لم يطرح الاصلع
فزجيه عن المطبخ
ثم قال لى كيف رأيت قلت عجبا
من العجب قال كنت ظننت انك
تقول غير هذا قابل يدى فارفعها
قلت قول المأمون ان نكح الحب
فسد هذا على قول من يرى ذلك
كما ذكر المرزبانى ان اعرابيا قال
علقت امرأة كنت آتيها
فأخذتها وما جرت بيننا ريبة قط
الا انى رأيت بياض كفها فى ليلة
ظلماء فوضعت يدى على يديها
فقالت مه لا تفسد ما صلح فانه
ما نكح الحب الا فسد * وحكى عن
بعض الادباء انه كان يعشق جارية
فقالت أنت صحيح الحب كامل
الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا
حيث شئت فلما حصل فى منزله لم
يكن همه الا ان رفع ساقيها
وجعل يجامعها بجميع
جوارحه فقالت له وهى فى
القالب

عليه وقيل صبيّ بن سعيد الباهلي وقيل غيرهما هذه الابيات

لعمري لقد أخفت معاداة ضيفها * وسوف عليه مهده ثم برت

فلما بغاها نفسها غضبت لها * عروق غمت وسط الثرى فاستقرت

وشدت على ذي مدية الكف معصما * وضيئا وعزت نفسها فاستمرت

* فأمت بها في نحره وهو يبتغي النكاح ومرت في حشاه وجرت

فنخ كان الغبل في جوف صدره * وادركها ضعف النساء فخرت

ويقرب منه ما حكي أن رجلا اضاف بني هذيل فحين خرج عن البيوت رأى جارية منهم فراودها عن نفسها فتعاسفا فاخذت حجرا فضربته به ففضت كبده وبلغ عمر فقال هو قتيل لا يودى * وغزا رجل فخرج جاره فرأى في بيته مصباحا وانصت فسمع قائلا يقول

واشعث غره الاسلام مني * خلوت بعرسه ليل التمام

ابيت على ترائبها ويضحي * على جرداء لاحقة الحزام

كان مواضع الربلات منها * فئام ينقلن الى فئام

فدخل فقتله وكان في عهد عمر أيضا فلما أصبح اعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل الآخر فقال له اقتله فقال قد فعلت فجزاه خيرا وأقتدى به في عدم ايداء الفاسق عبد الملك بن مروان وقد جاء اليه رجل راود امرأة عن نفسها فاغلقت بينها وبينه فأدخل رأسه فشدخته وقال لا يودى وأما مصعب بن الزبير فأخذ به رجل وجده رجل مع زوجته فقتله

(ومنهم ما حكي عن عبد الله بن سبرة)

ان امرأة مغيبة يعني غاب عنها زوجها ارسلت اليه فلما جاء اخبرته ان رجلا يسومها نفسها فقال ادعيه اليه واختبي فلما جاء قام فقتله وامر الجارية فحفرت حفرة والقاه فيها وقتل الجارية وجعلها معه وأعطى المرأة ستين دينارا وقال اشترى بها خادما وقال

* وكل حديث جاوز اثنين شائع * وكان عبد الله هذا من اعظم الناس مروأة حتى قيل ان شاميا اسمه قير وخرج الى العرب يبيع العطر فوضع يده على عجيزة امرأة فقالت يا عبد الله بن سبرة وبلغه فخرج من أذربيجان في طلب العطار الى الشام حتى قتله

(ومنهم ما حكي عن جويرية بن اسماء عن عمه)

قال خرجنا نريد الحاج فبتنا ليلة وبالقرب منا امرأة فلما اصبحنا اذا حية قد التفت على عنقها فخفنا من ذلك فلم تزل الى ان دخلنا الحرم فانسابت فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض يقول للمرأة أي شقية ابن حيتك فقالت في النار فقال ستعلمين من في النار فلما أردنا الخروج عزمت على صديق لي وبينه وبين الغريض صداقة ان يمضي بنا اليه لنسمع من غنائه فلما سرنا عنده اكرمنا وساله صاحبي الغناء فغنى

مرضت فلم تحفل علي جنوب * وأدنيت والممشى الى قريب

اسرفت في بكاي والنبك معضلة فارقني فقال ان الرفق محمود

فأجابها وهو في عمله لا يفتر ولم أملك نيلك من تبقي مودته

لكن نبكي هذا نيلك مجهود فنفرت من تحته وقالت يا فاسق

أراك على خلاف ما قلت كانك تجعل جماعي سبيلا لذهاب حبك

والله لا جمعني واياك سقف بعد هذا أبدا وعلى هذا القول جماعة أعني ان الحب اذا انكح

فسد ومنهم من قال لا يستحكم الحب الا بعد ايقاع الوطء وانه اذا وقع الوطء ازدادت المحبة

ويسمونه مسمار المحبة كما قيل لم يصف حب لمشوقين لم يذقا

وصلا يجل على كل اللذاذات

(وقال هدبة بن الخشرم)

والله ما يشفي الفؤاد الهائما

نفث الرقى وعقدك التمائما

ولا الحديث دون ان تلازما

وتعلق القوائم القوائما

(وقال آخر)

قولا لعاتكة التي

في نظرة قضت الوطر

اني أريدك للنكا

ح ولا أريدك للنظر

لو كنت مقتنعا بذا

لك كان هذا القمر

فلا يبعد الله الشباب وقولنا * اذا ما صبونا صبوة سنتوب

واستعدناها الصوت فغنى قول المجنون عفا الله عن ليلى الابيات السابقة فخيلنا ان الجبال ترقص طربا ثم استزدناه عند الوداع فغنى أبيات ابى الاسود الدؤلى التى أوصى بها ابنته عند الزفاف

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب

فانى رأيت الحب فى الصدر والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلما رجعنا اذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت عليها وصفرت واذا بالوادى كله حيات فاقبلن ينهشنها حتى ماتت فسألت جاريتها فقالت بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولدا فتحرقه

(القسم السادس فى ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الاحبة)

وهو بالنسبة الى من استدرك الغلط واستقال ما فرط والى من تمادى على نقض العهد واخلاف الوعد ينحصر فى صنفين اردفهما بثالث من هذا الكتاب اذ لم يكن مناسبا للباب * قد سبق لك فى الخطبة ان المؤلف رحمه الله قد أكثر فى كتابه من التخليط فى تبويبه وذكر غير المناسب لما بوبه ولكن لعمرى لم يقع له بهذه الاوصاف أكثر من الباب السابع حيث ترجمه بمن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر المحبوب وهجر فان الواقف على هذه الترجمة يفهم منها انه يذكر متحابين نكث أحدهما عهد الآخر ثم اما عاد وامادام ولم يذكر من ذلك الاقصة كثير التى ترجم لها فى الباب بمن تاب عن عقوقه ورجع الى معشوقه فمات فى نادى الهوى وسوقه وها أنا اذكر ما وقع لى من ذلك على الشرط المتقدم ان شاء الله تعالى

(الصنف الاول فى ذكر من تاب عن الخلاف ورجع الى حسن الائتلاف وكان محبوبه فى الوجود فتراضيا على ضم شمل العهود)

حكى المسعودى فى جزء لطيف سماه اقتداح زناد الاشواق واسترجاع شوارد العشاق ان المجنون أخبر بعد توحشه بزواج ليلى فجاء ولبس اثوابه وأقام مدة يظهر اخلال العشق وانه لم يبق له فيها ارب لما كان قد عاهدها انه ادوم معه على المحبة ولا تنقض عهد الصحبة فبينا هو ليلة نائم اذ رآها باكية قد نام منها فولت وجهها وقالت أى غادر لو ملكت من أمرى ما تملكه أنت من أمرك ما فعلت وايم الله انى لم أكن معه الا كمفترش النار فى الهواجر أو متوسد السعدان عاريا فانتبه مرعوبا باكيا ثم نزع ما عليه وعاد الى التوحش

*وفيه أيضا ان قيس بن ذريح حين تزوجت لبنى خرج متصفحا أحياء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى فتزوج بها وقال عشق بعشق وامرأة بامرأة وأقام معها والصحيح ان ذلك لم يكن باختياره وانما وقع بحيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر فى قصته

*وفيه ونقله المصنف هنا ان عزة أرادت ان تعلم ما لها عند كثير فتنكرت له ومرت به

كان زهير بن مسكين يهوى جاريه واستهام بها فلما أمكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها ألف قبلة
كفاك أما شئ لديك سوى القبل
فقلت لها حب على القلب حفظه
وطول سهاد تستفيض له المقل
فقالت وأيم الله مالذة الفتى
من الحب فى قلب يخالفه العمل

وأما نكاح الطيف فاختلفوا فيه فذهب أبو تمام الطائى الى انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه فى ذلك جماعة ومنهم من اذا افضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك أمران احدهما التورع وعفة النفس وخوف الوقوع فى الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل

ولرب لذة ليلة قد نلتها
وحرامها بحلالها مدفوع

(وقال آخر)

متعرضة فقام اليها وكلمها فقالت أين حبك عزة قال جعلت فدا لك لوانها أمة لى لوهبتها لك قالت لا تفعل فقد بلغنى انها لك مخلصة وفى المحبة صادقة فقال دعينى منها فهل لك فى المخالاة قالت وكيف تصنع بما قلت فيها قال أديره فيك ثم أنشد يقول

ماوصل عزة الاوصل غانية * فى وصل غانية عن وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فبهت فقالت الى هنا يافاسق فهلا كنت مثل جميل حيث يقول

لحا الله من لا ينفع الوعد عنده * ومن حبله ان مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على العهد خلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل الى ان قبلته ولا مناقضة بين هذا وبين ماتقدم من انه أثبت من جميل لقوله هنيئا مريئا البيت وقول جميل رضى الله فى عينى بثينة الابيات لان تلك أدل على الاشفق وهذه على الاعشق وأما قصة ذى الرمة حيث عابت عليه المرأة تشبيه محبوبته بالعنز فى الابيات التى منها

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا أأنت ام أم سالم

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلة فاعادتها وصفحت فليس من هذا القبيل اذ ليس بنقض عهد وانما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوب فاداه التوغل فى التشبيب ونظيرها ماسبق فى قصة كثير من اعتراض العجوز عليه فى قوله فاروضة بالحزن البيتين وأما من رجع نادما على الهفوات فوجد الحبيب قد فات جرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل

(ومنهم ماحكاه فى النزهة ونقله هنا مجهولا)

أن كعب بن مسعدة الغفارى قال خرجت أنا ومالك بن غفيلة العذرى نمشى فى القمر اذا بنسوة تقول احداهن اى والله هو ثم قربن منا فقالت احداهن قل لصاحبك

أليست لياليك فى حاجر بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذى سلم

فقلت قد سمعت فأجب قال قد انقطعت فأجب أنت فقلت ولم يحضرنى غيره

فقلت لها ياعز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقريت الاوجارية تقول أجب المرأة التى كلمتك فلما صرت اليها قالت أنت المجيب قلت نعم قالت فما أقصى جوابك قلت لم يحضرنى غيره فقالت لم يخلق الله احب الى من الذى كان معك فقلت على ان أحضرها ليك فقالت هيهات فضمنته فى الليلة القابلة ورجعت فرأيته فى منزلى فاخبرنى بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسنا فتعاتبا فأنشدته أبياتا أمية امرأة ابن الدمينة

وأنت الذى أخلفتنى ماوعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم

وأبرزتنى للناس ثم تركتنى * لها غرضا أرمى وأنت سليم

فلو

أتأذنون لصب فى زيارتكم
فعندكم شهوات القلب والبصر
لا يضمر السوء ان طال الوقوف به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

(وقال آخر)

خود حرائر ماهممن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا
ويصدهن عن الخنا الاسلام

وسيأتى ماورد فى هذا المعنى فى باب العفاف والثانى ماقاله العلماء فى أسباب الباه وهوان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الآن يكون الحب تكلفا لاستفراغ ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع فيما تسكره المرأة من الرجل كما قيل

وأت حى سعاد بلاجماع
فقالت حبلنا حبل انقطاع

اذا المحبوب لم يك ذا امر
راى المعشوق كالشئ المضاع

فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا * بجسمي من قول الوشاة كلوم

(فأجابها)

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن * وفي بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتني * فحبك في قلبي الى اذاء

فالتفتت الى وقالت الا تسمع فغمزته فكف ثم أنشدت

تجاهلت وصلي حين لاحت عمايتي * فهلا صرمت الحبل اذ أنا أبصر

ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته * نصيب ولي رأي وعقل موفر

ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذي جئت أقدر

(فأجابها)

لقد جعلت نفسي وأنت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب

وفي روضة القلوب بدل هذا البيت

لقد كنت انهى النفس عنك لعلها * اذا وعدت بالنأي عنك تطيب

وفيها انه قبلها وأنشد

دمعي عليك من الجفون سكوب * والقلب منك مروع مكروب

لاشئ في الدنيا ألذ من الهوى * ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

(فأجابته)

خلوتم بأنواع السرور وهنا كم * وافردتموني للصبابة والحزن

وعذبتموني بالصدود وانني * لراض بما ترضونه لي من الغبن

والمشهور انهما لم يأتلفا بعد بل حين انشد لقد كنت انهى النفس البيت قالت له أو كنت تفعل ما فيك خير بعدها وافترقا فقالت لكعب ما قلت لك انك لاتني بضمانك ولكن اذا كان السحر فأتني قال كعب فجئت فاذا أنا بالصياح فسألت جارية فقالت حين خرجتما جعلت في عنقها انشوطة وخنقت نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفكره فتقول انه لقاسي القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاءته في النوم فقالت هلا كان هذا قبل فمات من وقته * قال في النزهة وأصل هذه الحكاية ان هذه المرأة كانت من عذرة واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على أعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان في الحي رجل يحبها وهي لا تحبه فغار منهما فوشى به الى أهلها فحجبوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه فأرسل زوجته عن لسانها الى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الامر وكانت عند مالك أنه خرج الى مكة ناقضا للعهد فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته

وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر كما قال بعضهم

اذا ما شئت ان تسلو حبيبا
فأكثر دونه عدد الليالي

(وقال الآخر)

وقد زعموا ان المحب اذا دنا
يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي ود

(وقال الآخر)

وقالوا دواء الحب حب يزيله
لآخر او طول التمادي على الهجر

(وقال آخر)

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ أبو عبد الله البخاري في تاريخه باسناده ان محمد بن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد الثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا رأى رجلا يلح بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ

(الصنف الثاني في ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على اخلاف الوعد)

أخرج في اقتداح زناد الاشواق عن الاصمعي قال نزلت على رجل من بني هذيل فأكرمني وأطرفني بلطائف الاخبار فكان يوم أقصر ما يكون بالسرور فلما كان الليل فرش لي موضع الطف اموطئا وغت وجلس فقلت هل بقي لك ارب في السهر قال لا وعافاك الله ثم ودعني لماني فحدثت ان له شأناً وأوهمته النوم فقام وفتح مخدعاً فاخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواف الذهب فقدم لها طعاماً وشراباً فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلا وهو مع الفعلتين يبكي بشهيق اخال فيه ان نفسه زهقت ثم أعاد عليها ما كان عليها وادخلها المخدع وجلس يبكي وينشد

* أأحبابنا لو تعلمون بحالنا * لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وابديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتم ان لا تخونوا عهودنا * فقد وحياة الحب خنتم وما خنا
غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن * وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم * ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

ودام كذلك حتى طلع الفجر فجاء ايوقظني فرآني منتبها فلما ودعته تفرس ان في وجهي كلاما فقال انشدك الله هل رأيت من حالتي شيأ انكرته قلت اللهم نعم قال أوتحب ان اطرفك به قلت اي والله فتنفس الصعداء وكفكف دمعه فلم يملك ذلك وخنقته العبرة فأرسلها وانشد

اكفكف جفن العين والدمع سافح * كشبه غدير فوق خدي جاريا
فياليت شعري ذا البكاء الى متى * وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيض دمعه وقال يا أخا العرب كانت لي ابنة عم لا املك الصبر عنها فتزوجتها فكانت بي أبر من أمي وأقنا مدة لم آل جهدا في الانفاق عليها فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما أملقت انفت مني فأخذت في التحامل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين قالت او فاعل انت ما اقول قلت نعم قالت تطلقني فخامرني حبها فقلت قد فعلت فاعتزلتني وعاودني القلق فتألمت طويلا وجئت فشكوت اليها ذلك وذكرتها العهود والمواثيق فطيبت نفسي وحلفت انها لا تتزوج ولا تتزين لغيري فقمت وجئتها يوما فوجدتها على احسن ما يكون من انواع الزينة فكلمتها فلم تجب فسألت فقيل لي تزوجت فحلفت لها ان لا آخذ بدلها لبسها وزينتها التي عندي الا كلبة وفعلت فانا الآن امثلها بتزيين هذه الكلبة واذكر غدرها فاسلبها واعاقبها كما رأيت قلت فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط قال نعم قد كلفها الذي تزوج بها شططا وسامها انقصا فندمت فراسلتني فلم اجب مع انه لم يكن على البسيطة اعز علي منها ولكن الغيرة تمنعني قال الاصمعي فلم ار أغرب منها

واخرج

ما على الخاتم فلعله ينتهي عن ذلك والله أعلم * وقال شمس الدين ابن الاكفاني في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج الهندي اذا شرب العاشق منه اربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات في اجواف الدجاج اذا رمي في ماء وشربه العاشق سلا وكذلك ان علق عليه ايضا وكذلك حجر السلوان ومحكه باللبن ومن علق عليه حجر القلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان عاشقا الذكر وتمرغ في مناخ ناقة زال عشقه انتهى * تنبيه * التداوي بالجماع لا يبيحه الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز نكاحه واما التداوي بالضم والقبلة فان تحقق الشفاء به كان نظير التداوي بالخمر عند من يبيحه بل هذا اسهل من ذلك فان شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر *(شربة)* يستعمل البوس والعناق والشفاه الرقاق في قاعة وايوان وبركة

*واخرج في النزهة عن الرياشي قال اتجر صديق لنا فحمل الصندل الى شهرزور وقد بلغه أنه نافق بها فلما حل بها صادف كسادا فمكث مغموما فبينا هو كذلك اذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله فشكى اليها ما يجد من الغربة والوحدة وكساد متجره فقالت اما الكساد فسيزول ولم تزل الناس على هذا واما وحدتك وغربتك فلا أرى لهما دواء الا ان تتزوج بمن تحفظك اذا غبت وتؤانسك اذا حضرت وتفرج عنك اذا حزنت قلت ومن أين لي بما ذكرت قالت انا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى فشكرت صنيعها وامرتها ان تفعل فما مضت عني الا وقد جاءت الدلالون فاشتروا البضاعة بأحسن ربح الى اجل فتوسعت فيها الخير وجاءت فقالت قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها فمضينا الى دار لطيفة وقد فرش لي قطيفة بزة فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين الا ان عليها آثار الحزن وشعار الفرقة فسلمت بحشمة وجلست فقالت العجوز ها هي فتراضينا ودخلت بها ودمت اسبوعا في انعم حال غير اني اجدها تقوم من الصباح فتجلس في موضع يشرف على الاشجار وتبكي حتى ترتفع الشمس فلم اسألها عن ذلك فلما كان يوم وقد اخذها النوم حتى طلعت الشمس انتبهت مرعوبة ترتعد ثم ذهبت الى المشرف وعادت فخرقت اثوابها وجلست تبكي فلم تلهج يومها كله الا بهذه الابيات

ايا عين نوحي بالدموع السواجم * على طامس بالشرف خافي المعالم
وسحي دما ان سح دمعك واسعفي * حليف الهوى من قبل حمل التمائم
اذا ناحت الورقا على فقد الفها * ولم تك ذا عقل فما حال عالم
حرام عليّ النوم اذ فاتني به * زمان البكا والنوح قبل الحمائم

فضاق صدري لحالها وراجعت نفسي في سؤالها ثم غلب عليّ عدم التصبر بعد أيام وهي تجالسني كالمشغولة وتقوم بما احتاجه حتى اذا نمت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح الى المكان الذي يشرف على الشجر كعادتها فقلت يا سيدتي قد ضاق صدري لحالك وأنا اعزم عليك الا ما أخبرتني بما انت فيه فقالت أولا بد قلت اى والله قالت قد كان أبي ذا ثروة وعز وكان لي ابن عم قد كفله أبي صغيرا فنشأت واياه ليس عند احد منا اعز من الآخر فزوجني منه فألفنا لا نستطيع صبرا وكان في هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح فيغرد بأنواع التغريد فاذا اختفت واحدة في شجرة دارت الاخرى عليها حتى تكاد ان تموت فاذا التقيا تعانقا وغردا فلما كان يوم مر بهما حمام فطارت احداهما اليه ومضت فلم ترجع فأقامت الاخرى تغرد كل صباح الى ارتفاع الشمس ثم تلقى نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى ريشها فقلت له يوما لئن فارقتني لاكونن كهذه فقال أنا لا أفارقك أو أموت فقلت له قد تجد احسن مني قال معاذ الله ان يكون في الدنيا مثلك فأردت ان اعرف صدقه وكانت لي صديقة قد احتوت على ارفع رتبة من الجمال فاستحضرتها وأريته اياها من خلال السجف فوقعت بقلبه فراسلها فأجابته فتزوج بها

وشاذروان وطعام سبعة الوان وبنفسج ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان ودنان خندريس وألف دينار في كيس وجارية من بني الاتراك بساق سمين وطرف كحيل تستعمل هذه الحوائج على نطع احمر ذي نقش اخضر وبعد هذا يدخل الحمام فانه مجرب والسلام *(شربة اخرى)* يؤخذ ثلاث مثاقيل من صافي وصال الحبيب ومثقال من عيدان الجفاء وخوف الرقيب وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع منقاة من غلث الهجر والانقطاع واوقية من خالص الود والكتمان منزوعة من عيدان الصد والهجران ويؤخذ عطر الثغور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان ويؤخذ مائة بوسة رمانيه محكوكة مرضوضة منها خمسون صغارا سكريه وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيريه ويؤخذ غنج حلبي وشخير عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على

فلم توافقه فرجع يطلب مني ما كنت عليه فابت نفسي ان تطيع كما كانت وتشفع فلم يفد فقال أطلقك مرة قلت نعم ففعل وخرج فلم أعرف خبره وانما اخذتك لانك غريب تفارقني فان رضيت هذا الحال والا فشانك قلت فلاى شئ هجرك النوم قالت كفارة لنومي عن مناوحة الحمامة وسبقها لي

(الصنف الثالث في ذكر من اشبه العشاق في محبته وشاكلهم في مودته فتعاهد لشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فنكث احدهما عهد الآخر بعد التلاق)

وهذا هو الذي عقد له المصنف الباب ووعدنا بزيادته لان الترجمة له خلاف الصواب وقصة عاتكة مع عبد الله وان كان لها بهذا الباب اعتلاق الا انها بما مضى الصق

(فمنهم صخر بن عمرو)

وكان من اشجع العرب واكرمهم واجملهم وكانت تحبه سلمى بنت عوف بن ربيعة بن حارث الرياحي وصخر هذا هو اخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر وكان عاهد سلمى على ان لا تتزوج بعده وهو كذلك عاهدها وكان يقول اذا نظر اليها لا اكره الموت الا انه يفرق بيني وبين هذه فلما كان اليوم المشهور بيوم الكلاب وهو الذي تحارب فيه بنو عوف وبنو الحرث التقى صخر مع ربيعة بن ثور العوفي الاسدي بعد ما غلبت بنو الحرث على بني اسد ونهبتهم فطعن ربيعة صخرا وكان رمح صخر قصيرا فاصابه ربيعة فأدخل في بطنه حلقا من الدرع فمرض صخر سنة بالطعنة فكانت امه تلاطفه وقصرت سلمى في خدمته فسمع يوما امرأة تقول لامه كيف حال صخر فقالت نحن بخير ما دمنا نرى وجهه وسألت امرأته اخرى فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينعى فغم لذلك وانشد

فاى امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في عنا وهوان

(وحكى) في النزهة انه جلس يوما ليستريح وقد رفع له سجف البيت فرأى سلمى واقفة تحادث رجلا من بني عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه يقول لها ايباع هذا الكفل فقالت عن قريب فقال صخر لامه على بسيفي لانظر هل صدئ ام لا فأتته به فجرده وهم بقتل سلمى فلما دخلت رفع السيف فلم يستطع حمله فبكى وانشد

أهم بامر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا مثل يضرب للعجز والبيت والذي قبله من قصيدة لصخر وأولها

اری ام صخر لا تمل عيادتی * وملت سليمى مضجعي ومكانى
وما كنت اخشى ان اكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بامر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد نبهت من كان نائما * واسمعت من كانت له أذنان
فللموت خير من حياة كأنها * محلة يعسوب برأس سنان

وزن ثلاثة دراهم غلية مصرية ويضاف اليها حسن الاعكان ويغلى الجميع بماء المحبة المطوية ويغلى على شراب الانس وحطب الطرب في مرجل الحجاز ويصفى الجميع على مقعد دمشقي سلطاني ويحل فيه اوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة ايام ويكون الغداء مزورة من يقطين الاشتياق ويضاف اليها قلب لوز العشاق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة ارطال من المدام وتتبع برطلين من شمول الساقين ويدخل الحمام فانه نافع والسلام * سيف قاطع وبرق لامع ساطع فيما يتعلق بدواء علة الهوى وهو ما حكاه ارباب الرياضي في الاعداد المتحابة وذلك ان في الاعداد اربعة وثمانين ومائتين وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٢٨٤ وحروف نطقه دفروف الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مائتان وعشرون وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٢٢٠

فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقى وهوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة موضع الطعنة فقيل له اقطعها نحو الحديدة فادخلوها فيها فقيل كيف صبرك فانشد

فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان اريب

ثم مات فتزوجت سلمى بعده وقيل سبب موته انه سكر مع بلعاء بن ربيعة وكان الاخ جميلا عند يهودي فحسدهما على الحسن فسقاهما في الشراب سما والصحيح الاول

(ومن لطيف شعر الخنساء في صخر قولها)

قذى بعينك ام بالعين عوار * ام اقفرت اذ خلت من أهلها الدار
كان عيني لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت * ودونه من جديد الترب استار
تبكي خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
وما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار *
يوما باوجع مني حين فارقني * صخر وللدهر احلاء وامرار
لابد من ميتة في صرفها غير * والدهر في صرفه حول واطوار
يا صخر وراد ماء قد تبادره * أهل الموارد ما في ورده عار
يمشي السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان انياب واظفار
وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم في رأسه نار
* لم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار
ولا تراه وما في البيت يأكله * لكنه بارز بالصحو مهمار
طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات امار

(وقالت أيضا)

الا يا صخر ان أبكيت عيني * فقد اضحكتني زمنا طويلا
بكيتك في نساء معولات * وكنت أحق من ابدى العويلا
دفعت بك الخطوب وانت حي * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وادركت الخنساء الاسلام وحسن اسلامها فقالت لها عائشة يوما اتبكين صخرا وهو في النار فقالت هو أشد لجزعي عليه وادعى للبكاء فتعد من الاجوبة المستحسنة

(ومنهم هدبة بن الخشرم) وكان معروفا بالشجاعة والنجدة والجلادة واهل المروءة وله اخ اسمه حوط واخت اسمها سلمى تزوج بها زيادة بن الزيد الذبياني وهو رئيس قومه

وحروف نطقه كرفع عدد عشرين ومائتين يحبه ابدا عدد أربعة وثمانين ومائتين فاذا كان عند انسان خاتم أو لوح فضة اوما امكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم ثان أو لوح زنته زنة الثاني من العددين فان الذي عنده اربعة وثمانون ومائتان يحب الذي عنده عدد عشرين ومائتين فان اردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب في رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومائتين بالقلم الطبيعي المتقدم صفته واكتب في رقعة اخرى صورة الاعداد المائتين وعشرين وأمسك الرقعتين بين اللذين قد تباغضا فانهما يتحابان وما يكون بينهما شر مادامت الرقعتان معهما فان لم يمكن ذلك فالق الرقعتين في حق نظيف واكتب اسم كل واحد منهما أو لقبه المشهور وضع الحق في موضع يمران عليه فانهما يتحابان وان كتبت الاعداد المتحابة بماء وسكر وسقيت كلا منهما فانهما يتحابان واعجب من ذلك انك تطعم انسانا قد ابغض آخر اربعة وثمانين

فراهنه اخو هدبة يوما على اطلاق جملين يوما وليلة في القيظ وحملوا الماء فاخذت اخت هدبة ماء زوجها الى اخيها فقصرت لذلك ابل زيادة فسبها فغضب حوط فثار بينهما شر وعلم هدبة فبيت زيادة فقتله ورفع الامر الى سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه فجاء وسلم نفسه ومضى أخو زيادة فشكا الى معاوية فارسل الى سعيد ان يقود هدبة ان قامت البينة فكره سعيد الحكم وأرسلهم الى معاوية فسأل هدبة عن الخبر فقال تريده نثرا أو نظما فقال نظما فانشد

الا يا لقومي للنوائب والدهر * وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري
وللارض كم من صالح قد تراكت * عليه فوارته بلماعة قفر

الى ان ذكر القصة التي ذكرناها وانه قتله فقال معاوية قد اقررت فهل للمقتول ولد قالوا نعم قال ردوه حتى يبلغ فحبس ثلاث سنين فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها ارسل الى زوجته وكانت من اجمل النساء وكان بها مغرما فحضرت اليه في طيب وثياب فاخرة فحادثها ليلة وراودها عن نفسها فاجابت فخلى فمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها وأنشد

أأدنيتني حتى اذا ما جعلتني * لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف
رأت ساعدي غول وتحت ثيابه * جآجئ يدمى حزها والحراقف

وحين أخرج للقتل مر على زوجته بالبن عوف فقالت في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فانشد ارتجالا

تعجب حبي من أسير مكبل * صليب العصا باق على الرسفان
فلا تعجبي مني حليلة مالك * كذلك يأتي الدهر بالحدثان

ونظر الى زوجته تجزع وأنشد

اقلي علي اللوم يا ام بوزعا * ولا تجزعي مما اصاب فاوجعا
ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * اغم القفا والوجه ليس بانزعا
كليلا سوى ما كان من حد ضرسه * لدى الزاد مبطان العشيات اروعا
ضروبا بلحييه على عظم زوره * اذا الناس هشوا للفعال مقنعا
وحلي بذي اكرومة وحمية * وصبرا اذا ما الدهر عض فاسرعا
وكوني حبيبا اولا وعج ساعد * اذا ضن أعشاش الرجال تبرعا

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلا عن سؤاله وينشد الاشعار وهم يتعجبون فقال له عبد الرحمن بن حسان اتزوج هذه بعدك يريد زوجته فقال ان كنت بالشروط التي ذكرتها لها وأنشد اقلي علي اللوم الابيات ثم نظر الى زوجته مالك وقد قالت له كيف تصبر عن هذه فانشد

وجدت بها ما لم تجد ام واحد * ولا وجد حبي بابن ام كلاب

وأنه

حبة رمان ومائتين وتطعم الآخر المبغوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين حبة من الرمان فانهما يتحابان ويتأكد المحبة فيما ذكر بعض الحكماء انه اذا وصلت بلة من ريق كل من المتحابين الى معدة الآخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شيء يختلط باجزاء الهواء فاذا استنشقاه دخل في الخياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى فيه كسريان النوم في جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى القلب فيدب الى العروق الضوارب في جميع البدن فينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد المحبة قال الشيخ مغلطاي وهذا الذي اميل اليه ويوشك أن يدوم ويثبت ولا يغيره مر الليالي وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان

(فصل) اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا

رأته طويل الساعدين شمردلا * كما اشترطت من قوة وشباب

فمالت الى شفرة جزار فجدعت بها انفها وشفتيها قال ابن عساكر واذنيها واقبلت عليه فقالت اهذا حال من تتزوج قال لا الآن طاب الموت ثم التفت الى أبويه فرآهما في اسوأ حال قد تهيآ للحزن فانشدهما

ابليانى اليوم صبرا منكما * ان حزنا ان بدا بادئ شر

لا ارانى اليوم الا ميتا * ان بعد الموت دار المستقر

اصبرا اليوم فانى صابر * كل حى لقضاء وقدر

وأراد سعيد ان يفديه بمائة ناقة حمراء سلمية فقال أخو زيادة لو ملأت لى قبتك هذه مالا ما فديته لقوله

لنجد عن بايدينا انوفكم * ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فسلمه اليه فلما أراد قتله ارسل الى عائشة لتستغفر له ثم صلى ركعتين واقبل على الناس وقال لولا ان يقال جزع لاطلتهما قال السيوطى فى شرح الشواهد ثم قال للقاتل احد سيفك وثبت جنانك وباعد بين قدميك واجد الضربة ثم قال بلغنى ان القتيل يعقل فان كان كذلك فانى قابض رجلى وباسطهما ثلاثا فلما رمى عنقه فعل ذلك وفى شرح الشواهد انه أول قتيل فى الاسلام قودا وخطبت بعد ذلك زوجته على ما بها من التشويه فتزوجت وتزينت ورؤيت ولها ولدان قد قاربا الترعرع

(ومنهم حمزة بن عبد الله بن الزبير) تزوج بفاطمة بنت القاسم بن جعفر بن أبى طالب وكانت ذات جمال ففتن بها فلما حضرته الوفاة اظهر انه لم يكن جازعا على شئ غير تزويجها بعده بطلحة بن عمرو فحلفت له بصدقة مالها وعتق رقيقها ان تزوجت فلما مات خطبها طلحة فاخبرته فقال ان حنثت وفيت عنك بضعف ما عليك فتزوجته فوفى لها فولدت له ابراهيم وكان أوجه الناس ورسله فزوجها بمائة الف دينار فقيل له انت اتجر الناس تزوجت فاطمة باربعين الف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت ابراهيم وأربعين ألفا

(ومنهم الحسن بن الحسن) خيره عمه الحسين بين احدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لانها كانت منقطعة القرين فى الجمال فقال الحسين رضى الله عنه قد اخترت لك فاطمة لانها اشبه الناس بامى فزوجه بها فلما حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا فقيل علام هذا وانما تقدم على جدك وآبائك فقال هو كذلك ولكنى اجد كربا غير الموت ثم قال لبعض اصحابه كانى بعبد الله بن عمرو بن عثمان وقد جاء فى كبكبة يظهر جزعا على وما هو الا لخطب فاطمة فلما سمعت حلفت انها لا تتزوجه فان فعلت لزمها عتق مائة الف شاة كان الا ان مات فاقبل عبد الله كما قال فرأى فاطمة تضرب وجهها فارسل اليها ان ابقى علينا فان لنا فيك رأيا فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها وقيل ان امها الى الجأتها الى

ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من اضعف الاقوال لان القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها على الزوج بنص القرآن وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضد المعروف ان يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرة واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه فى الرد عليه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها فى كل اربعة أشهر وتخير المرأة بعد ذلك ان شاءت تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق فى الوطء أكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه فى تلك المدة وهو امثل القولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه ان يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه ان يشبعها وطأ اذا امكنه كما عليه أن يشبعها قوتا وكان ابن تيمية يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه ابن قيم الجوزية وقد حض النبى

تزوجه بان وقفت فى الشمس وحلفت لاتدخل حتى تجيب
* (ومنهم غسان بن جهضم) * وكان مفتونا بابنة عمه ام عقبة لانها كانت من أجمل النساء وأحياهن وافضلهن خصالا حضرته الوفاة فجعل ينظر اليها ويبكى ثم قال لها انى منشدك ابياتا اسالك فيهن عما تصنعين بعدى وأعزم عليك ان تصدقينى فقالت قل فوالله لا اكذبك فانشد

اخبرى بالذى تريدين بعدى * ما الذى تضمرين يا ام عقبه
تحفظينى من بعد موتى لماقد * كان منى من حسن خلق وصحبه
ام تريدين ذا جمال ومال * وانا فى التراب فى سجن غربه

(فاجابته)

قد سمعنا الذى تقول وماقد * خفته يا خليل من ام عقبة
أنا من أحفظ النساء وارعا * هن ماقد أوليت من حسن صحبه
سوف ابكيك ماحييت بشجو * ومراث اقولها وبندبه

(فقال)

انا والله واثق بك لكن * ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الازواج يا خير من كو * ثر فادعى حتى بحسن وفاء
اننى قد رجوت ان تحفظى العهـ * ـد فكونى ان مت عند رجائى

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت

ساحفظ غسانا على بعد داره * وارعاه حتى نلتقى يوم نحشر
وانى لفى شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلى من الناس يغدر
سابكى عليه ما حييت بعبرة * تجول على الخدين منى فتكثر

فلما طالت الايام تناست مصيبته فقالت واجابت الخاطب فلما كانت الليلة التى زفت فيها جاءها فى النوم فانشد

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة * ولم تعرفى حقا ولم تحفظى عهدا
ولم تصبرى حولا لحفظ لصاحب * حلفت له يوما ولم تنجزى وعدا
غدرت به لما ثوى فى ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كانما كان معها فقالت النساء لها ما دهاك فقالت ماترك غسان فى الحياة لى ولا فى السرور رغبة اتانى فى المنام فانشدنى هذه الابيات ثم جعلت ترددها وتبكى فشاغلنها بالحديث فلما غفلن عنها اخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجبن منها وقد نقل هذا فى مجلس هشام حين تذاكروا غدر النساء فقضى منه عجبا
(ومثل هذا ما حكى عن موسى الهادى) * انه كان مفتونا بجارية من جواريه اسمها غادر فرؤى يوما يبكى فقيل له علام تبكى يا امير المؤمنين فقال كأنى بى وقد مت وأخذ اخى هرون

صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه وعلق عليه الاجر وجعله صدقة لفاعله فقال وفى بضع احدكم صدقة ففى هذا كمال اللذة وكمال الاحسان وحصول الاجر وفرح النفس وذهاب افكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فان صادف ذلك وجها حسنا وخلقا دمثا اى سهلا وعشقا وافرا ورغبة تامة واحتسابا للثواب فذلك اللذة التى لا يعادلها شئ ولاسيما اذا وافقت كمالها فانها لاتكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتعتكف كل جارحة على ماتطلبه من لذاتها وتقابله من المحبوب بنظير ذلك فان فقد من ذلك شئ لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكنا لسكون النفس اليها ولذلك فضل جماع النهار على جماع الليل وله

الخلافة فتزوج بغادر فقيل له حاشاك من هذا الخاطر فزاد في البكاء وبلغ هرون فحضر وحلف له بالطلاق انه لا يتزوج بها وحلفت هي أيضا فلم يمض شهر حتى مات وافضت الخلافة الى الرشيد فكفر عنه وعنها وتزوجها فلما كان ذات ليلة انتبهت من منامها مرعوبة وذكرت انه اتاها فعاتبها وانشدها

اخلفت عهدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونكحت غادرة اخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد * ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

فقال لها الرشيد لا بأس عليك انما هو اضغاث احلام وجعل يغمزها وهي تضطرب في يده حتى ماتت

{تم طبع الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وأوله}
{* الباب الثالث في ذكر عشاق الغلمان الخ}

سبب آخر طبيعي وهو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وكان محمد بن المنكدر يدعو في صلاته ويقول اللهم قوّ لي ذكري فان فيه صلاح اهلي وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشي أهله يقول اللهم شدّ لي اصله وارفع لي صدره وسهل علي مدخله ومخرجه وارزقني لذته وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حوّاء قال يا آدم اسكن الى زوجك فقالت حوّاء يا آدم ما اطيب هذا زدنا منه انتهى

الجزء الثانى من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق تأليف العالم العلامة الشيخ داود الانطاكى المعروف بالاكمه مؤلف التذكرة الطبية طيب الله ثراه آمين

وبهامشه بقية ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة المغربى رحمة الله تعالى عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثالث فى ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم من تصاريف الزمان)

اعلم أن أصل هذا قد نشأ فى قوم لوط زينه لهم الشيطان فأخرجهم به الى العدوان (وحكى) بعضهم ان أصل ذلك من ياجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين فى قوله عز وجل ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فيجب على كل ذى نفس شريفه وهمة منيفه الزجر والردع عن هذه الفعلة الخبيثه التى ضجت الملائكة الى الله منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر فلذلك حرمه النووى رحمه الله تعالى مطلقا وقد ورد انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد وفيهم أمرد فأجلسه وراء ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الامرد وعن ابن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى وجه الامرد فاتهموه وأخرج الخطيب عن أنس موقوفا لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم ما لا تشتاق الى الجوارى العواتق وحرض النخعى والثورى على عدم مجالستهم * وعن الخدرى قال رأيت ابليس فى النوم فقلت له تعال فقال لا حاجة لى بن رمى الدنيا وان لى فيكم لطيفة فقلت وما هى قال مجالسة الاحداث فأخذت العصا لاضربه قال انا لا تخوفنى العصا وانما يخوفنى نور القلب وعن الموصلى قال نهانى ثلاثون من الابدال عن صحبة الاحداث وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل فقلت أيعذب الله هذه الصورة فقال لى أستاذى أو رأيته سوف ترى غبها فأنسيت القرآن بعد

عشرين

(الباب الثامن عشر فى تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر)

أقول هذا باب عقدناه لذكر التجنى وقول المحبوب المدعى فهو باب لمن عرفه حلو المذاق عطر الخلاق بالاتفاق لا يعرف طعمه الا من ذاقه وعرف وصل الحبيب وفراقه ولم تزل العشاق تستحلى تجنى الحبيب وتقول ضرب الحبيب زبيب

شرط المحبة عند أرباب الهوى
ان المليح على التجنى يعشق

لا يصدهم صد ولا يتقون من سيوف اللحاظ عند حد فكم رأوا جور الحبيب عدلا وقالوا نخدمه اذا أقبل أهلا وسهلا لا يأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور بارد الظلم من المظالم

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا فقد جهل المحبة وادعى

والعلم المشهور فى هذا الباب قول علية بنت المهدى

تحمل الحب على الجور فلو
أنصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن فى شرع الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج

كأنها ذهبت فى البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف

وأحسن أيام الهوى يومك الذى
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

وقد زاد النميرى على هذا فقال

واحرقى فى مقالة العذال * وشفائى فى قولهم لا تغال
لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب لصب الا بخمس خصال

بسماع الاذى وعذل نصيح * وعتاب وكاشح ومطال   وقال جميل بن معمر   لا خير في الحب وقفا لا تحركه *
عوارض اليأس أو يرتاحه الطمع   لو كان لي صبرها أو عندها جزعي * لكنت أملك ما آتي وما أدع   ومن أبلغ ما قيل في عتب

عشرين سنة والآثار في هذا المعنى كثيرة ولله در من قال في المتصفين بهذا الشان من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة * فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونكم * على مورد من جهلكم وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم * ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراطا لنا في الفسق غير حميد
أتيتم به الذكران من عشقنا بهم * فأوردنا ذا العشق شر ورود
فأنتم بتضعيف العذاب أحق من * يتابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا في النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الاحكام منقسما في ثلاثة أقسام

(القسم الاول)

فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رمسه

وهو نوعان الاول فيمن عرف اسمه واشتهر في العشاق رسمه

(أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلاني)

هو أبو بكر محمد بن داود بن علي المعروف بالفقيه الاصفهاني كان أديبا حاذقا وفقيها شاعرا وله في فقه الظاهرية والاحاديث والتواريخ اليد الطولى قال الخطيب انه كان ملازما للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب وانه شرع في كتاب جمع فيه طرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب الزهره وسايره عمره وصاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلاني كان يبيع العطر ببغداد وكان من أجمل أهل زمنه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفا وعليه عطوفا وبه رؤفا واشتهر أمرهما فلم ينكراه واتضح فلم يخفياه وقيل انه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا وان اليه الاشارة في أول الكتاب المذكور بقوله وتشكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجب ما يأتي الزمان ظالم يتظلم وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن أدلة عطفه عليه انه خرج من الحمام يوما فنظر في المرآة فأعجبه وجهه فبرقعه وأتى ابن داود فلما رآه غشي عليه فقال له لا بأس عليك انني لم أبرقع وجهي لسوء أصابه ولكن رأيته غب حمام فأعجبني فأحببت أن لا أمتع به أحدا قبلك فغداه وسر بذلك قالوا ولم يعلم فيما سلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقين فهجره أياما فسئل في ذلك فقال دخلت يوما فرأيت متحابين يتحادثان فنفرا مذ رأياني فآليت أن لا أدخل مكانا فرقت فيه بين محبين

الاحباب قول بعض الاعراب في محبوبته

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجد قالت لعنتنا * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنو فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي

وقد قسموا الهجر على أربعة أقسام فقالوا هجر دلال وهجر ملال وهجر مكافأة على الذنب وهجر يوجبه البغض المتمكن في الصدور فأما هجر الدلال فهو ألذ من كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة * فتطاردي لي بالوصال قليلا
هذا الشراب أخو الحياة وماله * من لذة حتى تصيب غليلا

وقال المتنبي

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وقال أيضا

زيدي أذى مهجتي أزدك هوى * فأجهل الناس عاشق حاقد

وقال آخر

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال أن يكون كثير التذلل قليل التبذل فقد قال ابن وكيع   قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه   لو جادها وقلت الجود عادته

وكان يجتمع مع ابن سريج الشافعي في مجلس الوزير بن عيسى فسبقه ابن داود يوما فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب للكفارة في الظهار فقال هو اعادة القول ثانيا فطالبه بالدليل ودخل ابن سريج فحين وقف على القصة قال لابي بكر قول من هذا من المسلمين غيركم فقال له وقد استشاط غضبه غاية أمرنا ان نعد قول من خالفنا خلافا فغضب ابن سريج وقال له أنت أعزك الله بكتاب الزهره أمس من غيره فقال أبكتاب الزهرة تعيرني والله لا تصلح للنظر فيه ألم أقل فيه

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال المحرما
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه * على جامد الصلد الاصم تهدما
ويظهر سري عن مترجم خاطري * فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * وما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج بم تفتخر علي ولو شئت لقلت

ومسامر بالشهد من نغماته * قدبت أمنعه لذيذ سناته
صبابه وبحسنه وحديثه * وأنزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود ليحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة فقال يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك أنزه في روض المحاسن فقال الوزير لقد حويتما ظرفا وعلما وقيل كانت المناظرة في مسئلة في الايلاء وان ابن سريج قال أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق ومن لطف ابن داود أنه سئل يوما

يا ابن داود يا فقيه العراق * أفتنا في فواتك الاحداق
هل عليها القصاص في القتل يوما * أم مباح لها دم العشاق

فأجاب

عندي جواب مسائل العشاق * فاسمعه من قلق الحشى مشتاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى * أجريت دمعا لم يكن بالراق
اخطأت في نفس السؤال وان تصب * بك في الهوى شفقا من الاشفاق
لو أن معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب أنعم العشاق

وقيل له وهو في مرض موته ماذا تشكو فقال حب من تعلم صيرني الى ما ترى فقيل ما منعك وقد كنت قادرا على ذلك فقال التمتع اما نظر مباح وقد أخذت منه بحظ واما التلذذ بالمحرم فمنعني منه قوله عليه الصلاة والسلام من عشق الحديث السابق في المقدمة وأنشد

مالهم أنكروا سوادا بخديـ * ـه ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بذر الشعـ * ـر فعيب العيون شعر الجفون

وانما عز لما عز مطلبه فاذا تبذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون لان النفس الحره لا تنفك عن غيره وقد قال العباس ابن الاحنف يا قوم لم أهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد وأما هجر الملال فيثبطه مرور الايام والليالي اما بتنائي الدار أو بطول الاختبار * حكي ان متيم الهاشمية لما اشتراها علي ابن هشام حظيت عنده وأحبها حبا شديدا فاتفق انها غضبت عليه في وقت من الاوقات وتمادت في غضبها فترضاها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وقد صدق عندي قول العباس بن الاحنف

ما أراني الا سأهجر من ليـ * ـس يراني أقوى على الهجران
ملني واثق بحسن اخاء * ما أضر الاخاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر الذي يتولد عن الذنب فالتوبة تزيله من القلب عند الاعتراف بالذنب ولاسيما اذا كان المحبوب ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

يتقي الله في الحب وقد أفـ * ـلح من كان همه الاتقاء

وأما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لا دواء له قال الحصري وهذا لا يصح بين ذوي الاخلاص وذوي الاختصاص اذ حقيقة المشاكلة تمنعه وصحة المناسبة تدفعه والذي أقوله أنا أيضا ان هذا القسم مرضه مما لا يمكن علاجه ولا يعذب أجاجه فالمحبوب فيه لا يلام ومحبته كمن يرقص في الظلام ويسلم على من لا يرد عليه السلام (أحبابه كم يفعلون بقلبه * ما ليس يفعله به أعداؤه) أخذه الارجاني فقال

أأحبابنا لم تجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا * اذا رمتموا قتلي وأنتم أحبة * فلا فرق ما بين الاحبة والعدا
وقال آخر يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب ٥ ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما

قيل له أسكرت القياس في الفقه وأثبته في الشعر فقال غلب الحب وتوفي نهار الاثنين تاسع رمضان أول الايام بقين منه أو سابع شوال سنة سبع وتسعين وماتين ومن لطيف أشعاره في محبوبه قوله

يا يوسفا لحسن تمثيلا وتشبيها * يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك في الحور فلينظر اليك فما * صيغت معانيك الا من معانيها
ما للبدور وللتعريف يا أملي * نور البدور وعن التعريف يغنيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت * ولا تزاد على النقش الذي فيها

ومنها

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقمي تزيد مع الايام كثرته * وأنت في عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها * وأنت يا قاتلي ظلما تحلله

ومنها

حملت جبال الحب فيك واني * لاعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به النفس تكلف

ومنها

سقى الله أياما لنا ولياليا * لهن بأكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها

انظر الى السحر يجرى في لواحظه * وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه * كانهن نمل دب في عاج

(أخبار القاضي شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفري)

هو قاضي القضاة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان وصاحبه المظفري أحمد بن مسعود بن الملك المظفر صاحب حماة وله معه حكايات غريبة وهو ما اشتهر به ان أباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شد وسطه بمنديل مطرز بالذهب وفي يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة كانت معه فسقط الدينار فأقام الشمعة لينظره فانطفأت الشمعة فنظر الى وجهه فرأى الدينار تجاهه في الارض فالتهبت نار عشقه في قلبه وخرج فكتم ذلك أياما فمرض واشتد به الحال فبينما هو كذلك اذ أرسل المظفر ولده يعوده فحين رآه وثب قائما كان لم يكن به مرض وكان الغلام حاذقا فعرف ذلك منه فأخبر أباه بذلك فحجبه فقال من رأى القاضي بعد ذلك انه كان يبيت الليالي الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هالك * آيس من سلامتي

وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتمو قتلي وأنتم أحبة
اذا فالاعادي واحد والحبائب

(الباب التاسع عشر في الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب)

كقولي
دعوت على الحبيب بعشق ظبي
يقاسي منه أنواع الجفاء
فواصله وبالغ في صدودي
فكان اذا على نفسي دعائي

أقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه وأراد أن يدعو على روحه فدعا على نفسه فهو يتشهى ويشتكي ويتشفى ويتمكن لا يثبت على حال ولا يفرق بسيف اللحظ بين الماضي والحال فبينا هو يشكو من محبوبه اذا هو يشكو اليه وبينا هو يدعو له اذا هو يدعو عليه فمن أحسن ما قيل في الدعاء للمحبوب قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله شبابه وجعل من الرحيق المختوم شرابه
أعز الله أنصار العيون
وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا
وان تك أضعفت عقلي وديني
وصان حجاب هاتيك الثنايا
وان ثنت الفؤاد الى الشجون
واسبغ ظل ذاك الشعر يوما
على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين وقوله أيضا أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالي
واسبغ ظل أغصان التداني * وزاد قدودها حسن اعتدال * ولا زالت عمار الانس فيها * تزيد لطافة في كل حال

ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتي خشف الغزال وقال علاء الدين علي بن المظفر الكندي ادام الله أيام العذار
وبارك في لياليه القصار ٦ وأغنى الله روضة كل خد * اذا استحيت عن الديم الغزار * ولا زالت مباسم كل ثغر

أوأرى القامة التي * قد أقامت قيامتي

وقيل مات وهو ينشدهما وحكى انه كان بعد حبه لا يركب الا يوم الموكب وان القاضي كان يقصده مستخفيا فينظر اليه فبلغ أباه فمنعه الموكب فكتب اليه ابن خلكان

ياسادتي اني قنعت وحقكم * في حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم ياحبيبي ما الذي * ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبي
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * أخطارها في الحب أصعب مركب
لو لم أكن في رتبة أرعى لها الـ * ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سري في هواك ولذ لي * خلع العذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ديك النبي
لا تفضحن بحبك الصب الذي * جرعته في الحب أكدر مشرب

(أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم)

هو أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان اندلسيا شاعرا نحويا متفقها قرأ على محمد بن خطاب النحوي واجتمع بالمزني وبأبي عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما وأسلم هذا هو ابن سعيد بن خلف كان جده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر ولي أسلم القضاء بالاندلس بعد ما كان حاجبا وله يد في الادب وديوان شعر معروف ترجمه في الاحاطه بتاريخ غرناطه معروف بالرياسه والفضل والعراقه فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الاشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك فلما غلب عليه حبه فشا أمره واشتهر فيه على الالسنة شعره وقيل ان أول ما اشتهر من ذلك ووقع زامر السلطان يغني به قوله

أسلمني في هوا * ه أسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشي * على الوصل روحي ارتشى

فحين بلغ أسلم هذا الامر انقطع في داره عن جميع الاشياء فصار يجلس على بابه احيانا فجعل أحمد لا يمر الا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلا عند العشاء فمضى أحمد وأخذ دجاجا وبيضا وتزيا بزي بعض فلاحي أسلم وأقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله على

لشائم برقها ذات افترار
ولا برحت على العشاق تضفو
ثياب العار في خلع العذار

وقال ابن ابي الحديد

لا عاقتك من البرية كلها
الايدي اليمنى وبدقنا كا
كلا ولا رشفت رضابك بعدما
قد ذقته من فيك الا فاكا

وقال آخر

يارب ان قدرته لمقبل
غيري فلمسواك أو للاكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث
يارب فلتك شمعة في المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب
يارب فليك من عيون النرجس

ومن أحسن ما قيل في الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما أدعو على هاجري
الا بأن يمتحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى
منه وما قدمت في حقي

وقال الآخر

ياذا الذي كل يوم
يزيد عقلي خبالا
ولهتني فيه حتى
أعاد رشدي ضلالا
أدعو عليك وقلبي
يقول يارب لالا

وقال الآخر وأحسن ما شاء

قد قلت لامت حتى
أرالك في العشق مثلي

وقلت في السرمني * يارب لاتستجب لي وقال الآخر أيها المعرض صفحا * عن خطابي وجوابي الضياع
لا أزال الله عمري * أو يريني بك ما بي رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب رق قلبي ان يرى قلـ * ـبك في مثل عذابي

الضباع فاستلقاه فحين عرفه قال أما يكفيك قطعي عن الطلب والخروج حتى تبعتني الى هنا ثم حلف لايخرج من بيته ومضى أحمد حزينا فكان يماجن فيقال له ذهب دجاجك ويضك فيقول أوذلو قبلت يده قبلة وأذهبت كل ليلة مثل هذا ولما طال عليه الامر انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفا على التلف فقال لو سعيت فى أن تجمع بينى و بينه لاثابك الله على ذلك ثوابا عظيما فضيت اليه فقلت له تعلم حرمتى عليك وحرمة ماضمك مع ابن كليب من الطلب فقال نعم ولكن قدرأيت مافشا من أمرنا قلت ماعليك ان تزوره فتنقذه من التلف فامتنع فلم أزل به حتى أجاب أن يمضى من الغد فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بازاء بيته فتغير وقال فى هذه الساعة أموت ورجع بعد ما جاذبته الرداء وقطع منه فى يدى قطعة ودخلت على أحمد وقد بشره غلامه بقدومه فلما لم يجده معى تغير واختلط عقله فقمت عنه فآبت نفسه اليه فقال لى اسمع وانشد

أسلم يا راحة العليل * رفقا على الهائم النحيل

وصلك أشهى الى فؤادى * من رحمة الخالق الجليل

فقلت له اسمع من ذلك فقال قد كان فلم أخرج عنه الا وقد قام الصراخ عليه ومن شعره فيه وقد أهدى له فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح

وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحى

ومنه وقد كتب الى ابن خطاب شعرا فى أسلم يعرضه عليه فقال انه ملحون فراجعه ابن خطاب فكتب

ألحق لى التنوين فى مطمع * فاننى أنسيت الحاقه

لاسيما اذ كان فى وصل من * كدرنى فى الحب أخلاقه

(أخبار مدرك وصاحبه عمرو)

هو مدرك بن على الشيبانى نسبة الى بنى شيبان عرب بادية البصرة دخل بغداد صغيرا ونشأ بها فتفقه وأحسن العربية والادب والخط وعمرو هذا هو ابن يوحنا النصرانى البغدادى كان بدير الروم من الجانب الشرقى وكان لمدرك مجلس علم لايحضره فيه الا الاحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمرو يحضره فعشقه وزاد فيه وجده فالقى اليه يوما رقعة فيها

بمجالس العلم التى * بك تم حسن جموعها

الا رثيت لمقلة * غرقت بماء دموعها

بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع عن المجلس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمرا وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش ودخل الناس

وقال الآخر يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته * فاشف السقام الذى فى طرف مقلته واسترملاحة خديه بلحيته وقال الآخر كم جفانى فرمت أدعو عليه فتوقفت ثم ناديت ذاهل لاشفى الله طرفه من سقام وأرانى عذاره وهو سائل

وقال ابن سنا الملك

أسرلطول أسرى فى يديه فيغضب اذ أسر لطول أسرى سألت الله ان يبلى بعشق فيصبح عاشقا لكن لهجرى

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم مابى وأنت بى لاتبالى فصار قلبك قلبى وصرت فى مثل حالى بل عشت فى طيب عيش تفديك نفسى ومالى دعوت اذ ضاق صدرى عليك ثم بدالى

وقوله أيضا

فهم غالط منى فهما جاءنى يسأل عما ما مقسما ما بلغته علتى كاذب والله فيما زعما رزق المظلوم منا رحمة ثم لاأدعو على من ظلما

وقال ابن منقذ

ياظالما يعرض عنى اذا دعوت غضبان على ظالمى أظنه أنت والا فلم تخشى دعائى دون ذا العالم يارب لاتسمعه فيه وان كان دعاء المغرم الهائم

وقال الآخر

قلت لمحبوبى وقد مربى محبوبه كالقمر السارى * هذا الذى يأخذلى طرفه * من طرفك الوسنان بالثار وقال الآخر ولما بدا لى انه غير زائرى وان هواه ليس عنى بمنجلى * تمنيت ان يهوى سواى لعله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى

علیه یعودونه فقال أما بینكم و بینی حومة وعشرة أما فیكم من یرحنی بالنظر الی عمرو فضوا الیه فلما أعلموه بحاله وما صار الیه من أجله مضی معهم فحین سلم علیه أغمی علیه ثم أفاق وأخذ بیده وأنشد

انا فی عافیـــــة الا من الشوق الیك
أیها العائد ما بی * منك لا یخفی علیك
لا تعد جسما وعد قلـــبا رهینا فی یدیك
كیف لا یهلك مرشو * ق بسهمی مقلتیك

ثم شهق شهقة فمات ومن أشعاره المشهورة قصیدته المعروفة بالمزدوجة وللطفها بتخمیس الحلی لها أوردناه معها غیر ان المصنف أبدل أبیاتا یسیرة من التخمیس وزاد آخر زعم ان الحلی لم یقف علیها وهذه القصیدة بالشرط المذكور غیر انی أقول فی أبیات المصنف له وهی هذه

من عاشق ناء هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان * معذب بالصد والهجران
طلیق دمع قلبه فی اسر
من غیر ذنب كسبت یداه * غیر هوی نمت به عیناه
شوقا الی رؤیة من أشقاه * كأنما عافاه من أضناه
اذ كان أصل نفعه والضر
یا ویحه من عاشق ما یلقی * من أدمع منهلة ما ترقا
(له) ناطقـــة وما أجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا
اخبار من یعلم أخفی السر
لم یبق منــه غــیر طرف یبكی * بأدمع مثل نظام السلك
تطفیه نیران الهوی وتذكی * كأنما قطر السماء یحكی
هیهات هل قیس دم بقطر
الی غزال من بنی النصاری (له) عذار خدیه سبی العذاری
وغادر الاسـد به حیاری * فی ربقــة الحب به أساری
تنشد قول مدرك فی عمرو
(له) ریم بدار الروم رام قتلی * بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرة بها استطار عقلی * وحسن وجه وقبیح فعل
وعظم ردف ونحیل خصر
ریم به أی هزبر لم یصـد * یقتل باللحظ ولم یخش القود
متی یقل ها آفات الالحاظ قد * كأنه ناسوته حین اتحـد

(الباب العشرون فی الخضوع وانسكاب الدموع) أقول هذا باب عقدناه لذكر من أصبح دمعه مسكوبا علی مسكوب قبسات وهو من جریانه كالرمح ٨ كما قیل انبوب علی انبوب ولاسیما اذا تمادی الهجر أو كان علیه بعض حجر هنالك یری من انسكاب عبرته العبر وینشد
اذا عزم الخلیط علی السفر
ومفارق سكن القلو
ب فلا خلت منه الربوع
بعث الرسول وقال لی
وأنا السمیع له المطیع
بالله قل لی ما جری
بعدی فقلت له الدموع
وقال الآخر
قال لی من أحببت والبین قد جد
وفی مهجتی لهیب الحریق
ما الذی فی الطریق تصنع بعدی
قلت ابكی علیك طول الطریق
وما أحسن قول القاضی الفاضل رحمه الله
قد استخدمت بالافكار سری
وما أطلقت لی بالوصل اجره
ولم أرلی علی الایام الا
عقدت مودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العین الا
وصرت بادمعی فی الشمس عصره
وقوله أیضا وهو من نثره الذی أصبح بین النجوم نثره فیصیر حتی تنجلی هذه الغمره وتقلع سحائب هذه السكره وتجف منادیل الجفون فانها صارت بالدموع عصره فقاتل الله البین ما أكثر فضوله بدخوله بین المحبین وفی هذا المعنی الباهر یقول ابن عبد الظاهر
لا تسلنی عن أول العشق انی
انا فیه قدیم هجر وهجره
من دموعی ومن جبینك ارخــت * غرامی بمستهل وغره ومن معانی المتنبی الغریبة قوله أتراها لكثرة العشاق افدیه
تحسب الدمع خلقة فی المآقی وقوله أیضا لا تعذل المشتاق فی اشواقه * حتی یكون حشاك فی احشائه

ان القتيل مضرّجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه (وقوله أيضا) وهبت السلو لمن لامني * وبت من الشوق في شاغل
كان المفون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل (وقول الآخر) ؟ شقت عليه يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

أفديه من ريم ومن هزبر

ما أبصر الناس جميعا بدرا * ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
أحسن من عمرو فديت عمرا * ظبي بعينيه سقاني خمرا

فما أفقت ساعة من سكري

ها انا ذا بقده مقدود * والدمع في خدي له أخدود
ما ضر من فقري به موجود * لو لم يقبح فعله الصدود

فديته لقد أطال هجري

ان كان ذنبي عنده الاسلام * فقد سعت في نقضه الآثام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام

يا خيبتي ان لم أفز بغفر

ياليتني كنت له صليبا * أكون معه أبدا قريبا
أبصر حسنا وأشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا

ولا أخاف أبدا من غدر

ياليتني كنت له قربانا * ألثم منه الثغر والبنانا
او جاثليقا كنت او مطرانا * كيما يرى الطاعة لي ايمانا

فلا يزال الدهر طوع امري

ياليتني كنت لعمرو مصحفا * يقرأ مني كل يوم أحرفا
او قلما يكتب بي ما ألفا * من ادب مستحسن قد صنفا

ويجعل الريق بديل الحبر

ياليتني كنت لعمرو عوده * او حلة يلبسها مقدودة
او بركة باسمه محدوده * او بيعة في داره مشهودة

يدلج في أرجائها ويسري

ياليتني كنت له زنارا * يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا

أضمه الى طلوع الفجر

فدو الذي يقيه لي أفناني * وابتز عقلي والضني كساني
ظبي على البعاد والتداني * حل محل الروح من جثماني

فليس لي عن قربه من صبر

وا كبدي من خده المضرج * وا كبدي من ثغره المفلج
لأشئ مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتحرج

الاحمال ثغره بالدر

وقال الآخر في الخضوع وانسكاب الدموع

ولم انس لا انس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(وقال ابراهيم بن المعمار)

وبي غضبان لا يرضيه الا * دموع سافكات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره

(وقال الآخر)

وقائلة ما بال عينك مذ رأت * محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظرة طالعة * فحق لها من فيض ادمعها غسل

(وقال السري الرفاء)

بروحي من ردّ التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينه * كأن دموع العين تعشقه معي

(وقال ابن وكيع)

وسحاب اذا همى الماء فيه * ألهب الرعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا * طل يذكي على القلوب الحريقا

(وقلت من قصيدة حجازية)

خليلي روض الرقمتين طرازه * اذا لمع البرق الحجازي مذهب
فلا تعجبا من سحب دمعي اذا همت * فما كل برق لاح للعين خلب

(وقلت من أخرى حجازية)

؟ تزني جفني القريح على الحديث قد وكفا * فحسبه ما جرى من ادمعي وكفا ان عز نظم دموعي حين انثره *
فالدر ما عز حتى جاوز الصدفا لا تعجبوا من وفا دمعي غداة جرى * من عينه ما جرى فالبحر فيه وفا

مازلت أبكي على وادي العقيق الى * ان قيل هذا الذي من عينيه قد رعفا (وقلت ايضا من قصيدة)
بكيت على ارض بها كنت ماشيا * فاشبهت في دمعي على صخرها الخنسا تجرأت يا دمعي فلم تجر داغما

اليك أشكو يا غزال الانس * ما بي من الوحشة بعد الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي * لا تقتل النفس بغير النفس
وجد بوصل السقام يبري
جد لي كما جدت بحسن الود * وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل الصد * فليس وجد بك مثل وجدي
وليس ذكرك مثل ذكري
ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا أفيق
محترق مامسني حريق * يرثي لي العدو والصديق
من حر صدري وعظيم ضري
فليت شعري فيك هل ترثي لي * من سقمي وضني طويل
ام هل الى وصلك من سبيل * لعاشق ذي جسد نحيل
انحله حبك طول الدهر
في كل عضو منه سقم والم * ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقا الى بدر وشمس وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم
افديه من شمس ضحى وبدر
اقول اذ قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد * ان امر أو اصلته لقد سعد
وكان من اشفيته في حر
يا عمرو ناشدتك بالمسيح * الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح * باح بما يلقى من التبريح
كسير قلب ماله من جبر
يا عمرو بالحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت * عوض بالنطق من السكوت
وأنشر الميت ببطن القبر
بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم * فكلم الناس ولما يفطم
مصرحا عن أمه بالعذر
بحق من بعد الممات قمصا * ثوبا على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفي ويبري أكمها وأبرصا
عالديه من خفي السر
بحق محيي صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور

فيا دمع ما ابجرى ويا قلب ما اقسى
(وقلت أيضا من قصيدة)
ان عيني على العقيق اذا لم
يحك دمعي بلونه حمراء
منذ اسى بلجين دمعي نضارا
صح عندي اعيني الكيمياء
لا تسل ما جرى من الدمع لما
صار من عاذلي على اجتراء
اطلع الليل ادمعي فوق خدي
مثل ما تطلع النجوم السماء
(وقلت من قصيدة)
لئن فترت عيني بجر دموعها
فثغر الذي اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاءه
فنهد الذي حلت بطرفي عاقد
(وقلت من قصيد)
سقيت بحر الدمع بار دارضها
وارسلته فيها على حين فترة
فيا طرف ان لم تسعف الصب بالبكى
قطعت حبال الدمع من حيث رقت
(وقلت من قصيدة)
خالفت فيك معنفا ونصيحا
واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلي محضر اقدامي
كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صب على سفح المقطم دمعه
تجري العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك احمر دمعه
زكيت شاهد قلبه المجروحا
(وقلت أيضا)
الطرف من فقد الكرى
يشكو الاسى اليه والخد من فرط البكى * يا ما جرى عليه (وقلت أيضا) ومن
ارحم وجد لوعتي * وابعث خيالا في الكرى ودمع عيني لا تسل * عن حاله يا ما جرى (كان) المسعودي شارح

ومن اليه مرجع الامور * يعلم مافي البر والبحور
ومابه صرف القضاء يجري
بحق من في شامخ الصوامع * من ساجد له وراكع
يبكي اذا نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
ويهجر اللذات طول العمر
بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا * مشمعلين يعبدون عيسى
قد اخلصوا في سرهم والجهر
بحق ماري مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
وكل اواب رحيب الصدر
ونينوي اذقام يدعو ربه * مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فاقيل ذنبه * ونال عند الله ما احبه
اذ رام من مولاه شد الازر
بحق مافي قلة الميرون * من نافع الادواء للمجنون
بحق مايؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
خصب البلاد في السنين الغبر
بحق اعياد الصليب الزهر * وعيد اشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر * وعيد ماري الرفيع الذكر
مواسم تمنع حل الاصر
وعيد شعياء وبالهياكل * والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل * ومن دخيل السقم في المفاصل
لكونها من كل داء تبري
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله في البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهادي
وحقق الحق بكشف الستر
بحق ثنتي عشرة من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الدجى جلا الظلم * ساروا الى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر
بحق مافي محكم الانجيل * من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبا جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل

المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ماينشد قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ماذاك مني * لسلوة وعزاء لكن دموعي شابت * من طول عمر بكائي (وقال الآخر)
وقائلة مابال دمعك ابيضا
فقلت لها ياعلو هذا الذي بقي
الم تعلمي ان البكا طال عمره
فشابت دموعي مثل ماشاب مفرقي
وعمياء ليل لادموعي ولا دمي
يرين ولكن لوعتي وتحرقي
(وقال آخر)
وقائلة مابال دمعك اسودا
وقد كان مبيضا وانت نحيل
فقلت لها جفت دموعي من البكا
وهذا سواد العين فهو يسيل
(وقال آخر)
كانت دموعي حمرا يوم بينهم
فذنا واقصر تها بعدهم حرقي
قطفت باللحظ وردا من خدودهم
فاستقطر البين ماء الورد من حدقي
(وقال الناشئ الاكبر)
بكت للفراق وقد راعني
بكاء الحبيب لفقد الديار
كان الدموع على خدها
بقية طل على جلنار

(الباب الحادي والعشرون في الوعد والاماني ومافيهما من راحة المعاني)

اقول هذا باب عقدناه لذكر الاماني التي لابد منها ولاغنى عنها فلا اقل منها
اعلل بالمنى قلبي لعلي
اروح بالاماني الهم عني
واعلم ان وصلك لايرجى
ولكن لااقل من التمني
ولم يزل المحبون يعللون بالاماني نفوسهم ويترعون براح راحتها كؤسهم فمنهم من فاز بالامنية قبل حلول المنية ومنهم من مات باعظم غصة وماوقع له الحبيب على قصة من نال من دنياه امنية * اسقطت الايام منها الالف وهذا النوع الاخير كثير والسقيم به من المحبين

جم غفير من كان من عي عزمه وهمومه * وروض الاماني لم يزل مهزولا نعم منهم من بات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد بعيدا من لقاء الردى على ميعاد يصدق قول الحبيب ويكذبه ويمتحنه ويجربه ويقول

يسند زيد علمه عن عمرو

بحق من عبد الشفيق الناصح * بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تلميذا الحكيم الراجح * والشهداء بالفلا الصحاصح
الراغبين في عظيم الاجر
بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابسي الامساح * وعابد باك ومن نواح
يشرعقدا من دموع حمر
بحق تقريبك في الاجساد * وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينيك من السواد * وطول تقطيعك للاكباد
وسلبك العشاق حسن الصبر
بحق ماقدس شعبا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور ومارويه * عن كل ناموس له فقيه
متبع في نهيه والامر
شيخان كانا من شيوخ العلم * وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم * موتهما كان حياة الخصم
وعنهم أخبر كل حبر
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني * والبترك الاكبر والرهبان
والمغرباني ذي الخصال الزهر
بحرمة المحبوس في أعلى الجبل * ومارقولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول * وبالسليح المرتضى بما فعل
وما اتاه من فعال البر
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر
بحق يوم الذبح ذي الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقي
والمذهب المذهب للنفاق * والفصح يا مهذب الاخلاق
وكل ميقات جليل القدر
بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي * وقدموا الكاس لكل حاسي
توقد في راحته كالجمر

مازلت منتظرا لوعدك سيدي
في البيت ملتفتا لقرع الباب
يا كاذبا في وعده بلسانه
من لي ببعض لسانك الكذاب
طالما أيس من وعد المحبوب
وتمسك من رؤيته ساقه بمواعيد
عرقوب كما قيل
وما بلوغ الاماني في مواعدها
الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
(تنبيه) قولهم في المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعدا واخلف وأصل المثل المذكور ان عرقوبا كان له اخ فسأله شيأ فقال له عرقوب اذا اطلع نخلي فلما اطلع قال اذا ابلح فلما ابلح قال اذا ازهى فلما ازهى قال اذا ارطب فلما ارطب قال اذا صار تمرا فلما صار تمرا أخذه من الليل ولم يعط أخاه شيأ فضرب به المثل في خلف الوعد فقيل مواعيد عرقوب (قال الشماخ)
وواعدتني مالا أحاول نفعه
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب
(وقال ابن حجاج)
فديت من لقيني مثل ما
لقيته والحق لا يصعب
فقلت يا عرقوب اطمعتني
فقال لم تفسك يا اشعب
(وقلت انا من قصيدة حجازية)
يهددني بالهجر في كل ليلة
أصدق فيها وصله وا كذب
ولما وردنا ماء مدين قال لي
وحق شعيب انت في الطب اشعب

والناس في الاماني على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس الارغبت كربه فيريح بها النفس ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس ومنهم من يقول ليس الترجي مما ينجي فيرى الاماني من الخداع

والوقوع في النزاع ولكل من القولين حجه ومذهب مسالك المحبه ومن أحسن ما سمعته في القول الاول قول بعض بني الحرث أماني من سعدى حسان كانما * سقتنا بها سعدى على ظما بردا ١٣ مني ان تكن حقا تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

(وقول الآخر)

والما حللنا منزلا طله الندى
انيقا وبستانا من النور خاليا
اجد لنا طيب المكان وحسنه
منى فتمنينا فكنت الامانيا

(وقال افلاطون) الامانى حلم المستيقظ وسلوة المحزون * وقال غيره الامانى رفيق مؤنس ان لم ينفعك فقد الهاك * وقيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها ايامك * وقال القاضى الفاضل وأحسن ما شاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلا منا

أتمنى تلك الليالى المنيرا
ت وجهد المحب ان يتمنى

(وقال ياقوت الرومى)

لله أيام تقضت بكم
ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها
شئ سوى ان نتمناها

(وقال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

اصبو الى البان بانت عنه هاجرتى
تعللا بليالى وصلها فيه
عصر مضى وجلابيب الصبا قشب
لم يبق من طيبه الا تمنيه

(وقال العفيف) احق كاتب الانشاء للناصر داود

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحى من زمن
وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الامانى مطلق الرسن

(وقال ابن خفاجة)

الارغبت فى رضا اديب * باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب * أعلى مناه أيسر التقريب
من بسط أخلاق وحسن بشر
فانظر اميرى فى صلاح أمرى * محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر * فى نثر ألفاظ ونظم شعر
فقيك نظمى أبدا ونثرى

قلت قد أودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التى عمرو منها وظاهر انه كان روميا ولكن مدرك لم يكن خبيرا بتفاصيل فرقهم وأقل منه معرفة بذلك من خمس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الاحكام ولولا وجود هذا الباب فى الاصل والتزامى ذكر مافيه لحذفته أصلا لعدم الرغبة اليه لكن ساذكر لك البعض المناسب فى فصل المناسبة (قوله عن حب له استرقا) بتشديد القاف اى جعل الناس رقا والفاعل الحب (قوله فى ربقة) بكسر الراء والموحدة التحتية فى الاصل حبل يجعل فيه حلق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن فاستعاره تخييلا كان ربقة العشق جعلت المحبين فى سنن الاستقامة كالمنتظمين فى هذه الربقة وقوله ريم يعنى غزلا والروم الفرقة الاصلية من النصارى التى تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام وفى البيت من البديع التجنيس فى ريم ورام والروم ويسمى الاشتقاق والهزبر الاسد يقول ان أشجع الوحش الاسد فلو كان العاشق أسدا لصاده هذا الغزال مع انه خلاف القياس والناسوت واللاهوت ألفاظ وقعت فى الانجيل فتأولها لوقا وهو البترك الاكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو اول من قسم الفرق وتأول الرسائل والانجيل وذكر الاب والابن وروح القدس وقسم المثلثات فقال ان عيسى تدرع الناسوت يعنى الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعنى الحصة الالهية فى ناسوته كالمصباح فى الزجاجة وهذا جيد لولا انه قال فيستحيل تارة الى اللاهوت لان حصة العذراء يعنى مريم تفنى وفى هذا كلام طويل ذكرناه فى الفرق والصليب شئ ذو خطوط أربع تخرج على استقامة يجمع أصلها المحور وأصل تبرك النصارى به انهم لعنهم الله اعتقدوا ان الذى أخذته اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شئ هذه صفته وانهم سقوه الخمر فى حنك الخنزير فلما قام بعد ثلاث حلل الخمرة ولحم الخنزير وحرض على حمل الصليب وقد كذبوا فى ذلك كله خصوصا ومدلول هذا ان الخمر حرام فى الانجيل وقد ذكر نسطوريون فى كتاب سماه تقسيم الصنائع وهو مرجع المتفقهة فى الملة النصرانية وقد طالعته ان الخمر حلال فى الاصل والقربان رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز فى كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة أخذ

وليل اذا ماقلت قدبان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب   ولاانس الاان اضاحك ساعة *
ثغور الامانى فى وجوه المطالب حسبت الدياجى فيه سود ذوائب * لهاعنق الآمال بيض الترائب

(وقال آخر)
فى المنى راحة وان عللتنا
من هواها ببعض مالايكون

(وقلت انا)
رقى لصب غدا مما يكابده
من دمعه الصب يجرى فى مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يرددها
لولا المنى مات يا اقصى أمانيه

(وقلت أيضا)
ياطيب ريح سرى من نحوهم سحرا
لولا تلافيه قلبى فى الهوى تلفا
كم ذا أعلل قلبى بالنسيم وما
ارى لداء غرامى فى هواه شفا

(وقال ابن زيدون)
لاسرحت نواظرى
فى ذلك الروض النضير
ولا تكلمك بالمنى
ولاثمرتك بالضمير

(وقال آخر)
عللينى بوعد
وامطلى ماحييت به
ودعينى أفوز منك * بنجوى تطيبه
فعسى يعثر الزما
ن بحظى فينتبه

(وقال آخر)
وشادن قلت له
هل لك فى المنادمه
فقال كم من عاشق
سفكت فى المنى دمه

(وقال أبو بكر الحاتمى) لى حبيب لوقيل لى ماتمنى * ماتعديته ولو بالمنون   بزيادة
اشتهى ان أحل فى كل طرف * لاراه بلحظ كل العيون   (وقال أيضا) امامى قلبى فانت جميعه * ياليتنى اصبحت بعض منالك

القسيس بعضه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة وهكذا والجاثليق الرئيس بالنسبة الى السلطنة الظاهرة وأما المطران فهو الفقيه الورع المستصحب للبس الصوف الاسود وأصل هذا الترتيب عندهم ان القارئ للانجيل من أول وهلة شماس فان تأوله واتقن حفظه صار قسيسا ويدوم كذلك مادام عنده زوجة وان بلغ فى العلم مابلغ فان ماتت زوجته فان تزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى سالخ القسوسية والاصار مطرانا فان تنزه عن الذفر ومايخرج من الارواح صار بتركا فى مذهب الارمن وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون انه لايجوز ان يكون بتركا الامن تنزه عن النساء وأ كل الارواح ومايخرج منها من أول عمره الاالعسل والسمك لانه خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى وأما الاسقف والميرون والراهب فاسماء للمتعبدين خاصة فالما كث فى القلة ميرون وكثير السياحة اسقف وتارك النساء فقط راهب وشرط الروم ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وان لايصلى خارج كنيسة ولو خمس قوله * كما يرى الطاعة لى ايمانا * بقوله * يكشف الرأس اذا ويجرى * لكان أليق لما فيه من ذكر الحكم الدينى الواجب فعله مع المذكورين والمصحف المراد به المعنى اللغوى والبيعة معبد صغير غير مرتفع والدير المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة مااشتملت على عواميد الاناجيل ولم يرتفع بناؤها طبقات والصومعة مكان رفيع رقيق الاسفل والقلة مثلها الاانها لاتسع أكثر من واحد والزنار منطقة تشد فى الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كانت على السرة ومن هنا الى آخر ماشرح مؤخر والمغر بانى الخادم الملازم للبترك وباقى البيت تقدم استطرادا والمحبوس فى رأس الجبل هو الراهب نقولا وكان بانطاكية فى بيعة البرتزفارسله لوقانديرالاهل السدفحبسه شعياء اليهودى فى جبل الغمام وضربه على ان يرجع عن النصرانية فابى ومات جوعا عند الارمن واليعاقبة تقول ان المسيح أخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم ومرقولا اوّل بترك بعد لوقا وهو الذى قسم الكنائس بين الارمن والروم والسليح بالمهملة رجل اقامه مرقولا فى خدمة الكنيسة الرومية ولو أحسن المخمس لقال (ووضعه البخور فوق الجمر) لانها وظيفته والاسقوفيا هو الاسقف وقد تجوّز فيها مدرك كما زاد الالف فى مرقولا والبيرم الفراش فى الدير وأشار بجعفر رأس مريم الى بولس الذى نحر عن مريم يوم صوّرت فى القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوما صوما مبدؤها خامس عشر ايلول وهو تاسع عشر توت والصوم الكبير هو الصوم الذى تستفتح به السنة اليونانية وأوله من اوّل اذار يعنى برمهات وقد يتقدم او يتأخر بخمسة عشر يوما وأصله فى الانجيل ثلاثون يوما ثم زاده لوقا عشرة أيام لاجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بافرنجة ثم زاده الوزير بولس عشرة لسلامة ابنته وكانت زمنة فاصبحت صحيحة وزعمت ان المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فامر

بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين الى الآن والبركة محل ماء الغطاس والمحرم تكميل ولو أحسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لان بركة الغطاس لابدان يحضر عندها القسيس ومعه شئ من دهن البلسان وأنواع الطيب لانهم يقولون ان مريم كانت تصنع ذلك فى تغسيل عيسى ويوم الذبح يريدون به يوم فراغ بختنصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن وليلة الميلاد هى ليلة ميلاد المسيح وهى سابع كانون الاصم أعنى ثالث عشر طوبة والفصح بالمهملة وبعدها معجمة العيد الاكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف فى مصر بالجماسين والقداس هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه فى المعمودية يعنى يحطه فى الماء ومن هنا الى عند ما تقدم مقدم والاقنوم لفظة رومية ويراد بها المعنى وعندهم الاقانيم ثلاثة الله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة وهو اصطلاح كاز ردشت عند المجوس وشاخان عند اليهود وأزدان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة الى غير ذلك مما استقصيناه فى الفرق والذى قص بعد الموت المسيح كما سبق والذين حلقوا الرؤس وتشمعلوا يعنى اتبعوا شمعون وهم لوقا ويوحنا واليخا وجرجس ورو بيل وبنيا ئيل وبواس ولهم قصة طويلة ذكرناها فى الفرق وحاصلها انهم تعاهدوا على مدارسة الانجيل والانفراد فى رؤس الجبال بالعبادة ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير فى الجبل البحرى بالقرب من انطاكية وللنصارى فيهم أقوال عجيبة لايساعها هذا المحل وما بعد ذلك أسماء أنبياء من بنى اسرائيل والدواء الذى فى قلة الميرون هو دهن البلسان وغسالة أرجل السنا ركة فى القمامة ليلة الغطاس يجمعها البترك ويجعلها فى الزجاجات عند أهل القلل فيبرئ به المصروع والمبرسم وصاحب الماليخوليا فان صح ذلك فلما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر ولقد قلت للبترك يوما انا أغسل رجلى بالماء وارفعه فلا يتغير أبدا فتبطل مزيتكم ثم ذكرت له العلة فاعترف والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون هو ان شمعون دخل الكنيسة يوم أحد خامس يوم من الصوم الاكبر ومعه غصن من شجرة الزيتون وشئ من خوص النخل فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة متنكرون فى الباطن رفع اليهم من ذلك شيأ وأمرهم بادخاره فبقى رطبا الى القابل فدانوا للملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن فى اليوم المذكور ويطرح فى الكنائس فاذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون عندهم الى القابل ولو عرف المخمس لقال (وخالص الكندر والمقر) يعنى الميعة بلسانهم فانهم يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويجعلون الكل بخور الكنائس وغيرها ويداوون به أمراضا كثيرة كالجمات ثم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه فى الارض اسبوعا ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا ان السنة مخصبة وان كان غير هذا فبالعكس وله أحكام طويلة ذكرناها فى كتاب الفلاحة وعيد الصليب معروف وعيد اشمونا عاشر نيسان وعيد

يدنى مزارك حين شط به النوى * وهم أكاذبه اقبل فالك (وقال الحسين بن الضحاك)
وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وماأراك أراكا ١٥ واذا ماتنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع المنى تعللنى فيك * باشراق ذا وبهجة ذاكا
(ومما احتج به ارباب القول الثانى)
وأكثر أفعال الغوانى اساءة
وأكثر ماتلقى الامانى الكواذبا
(وقال الخالدى)
ولاتكن عبد المنى فالمنى
رؤس أموال المفاليس
(وقال ابن شرف القيروانى)
غاب عنوا فى البيوت امانيا
وجميع أعمار اللئام امانى
(وقال ابن المعتز)
لاتأسفن من الدنيا على أمل
فليس باقيه الامثل ماضيه
(وقال) على بن أبى طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ماخولتم وتصغر المواهب التى رزقتم * وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الامانى (وحكى) ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها اللبن وهو يقول متمنيا أنا أبيع هذا اللبن بكذا وكذا واشترى كذا ثم أبيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالى ويحسن حالى وأخطب بنت الحجاج وأتزوجها فتلد لى ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقة وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال أليس لو رفست ابنتى هكذا لجعتنى فيها * وقال على بن عبيدة الامانى مخايل الجهل * وقال غيره الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك * اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وانشده

متى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغم هم روحين فى بدن   هناك أنشد والآمال حاضرة *

هنيت بالملك والاحباب والوطن

فوعده الملك المظفر اذا ملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاى هذا الملك قد نلته
برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته
فذا أوان الموعد الصادق

فوقع له بألف دينار وأقام معه ولزمته استفار فأنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال

ذاك الذى أعطوه لى جملة
قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا
وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فأخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم
ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى
وان مت تدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ما ذنبى الملك قال قولك حسبى الله ونعم الوكيل فأمر بخنقه فلما أحس بذلك قال

أعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة
يا ليت شعرى أم أعطيتنى دبتى

قلت وقد عيب على السلطان حقده عليه لاجل قوله حسبى الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فكان حاله معه كما قيل

فكنت كالمتمنى ان يرى فلقا
من الصباح فلما ان رآه عمى

(ولله القائل)

ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه اولى به من أمله   رب من ترجو به دفع أذى * سوف يأتيك الاذى من قبله   (ذكرت هنا قول الآخر) وقالوا لما بدا العارض فى خده * بسرت قلبى بالنعيم المقيم   وقلت هذا عارض ممطر * جاءنى فيه العذاب الاليم

الشعانين هو الذى يأتى فى الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر بلا فصل بأعياد وعيد مرمارى هو الذى يأتى بعد صوم بولس وقد سبق وعيد شعياء يكون فى صوم الميلادة بشباط بعنى أمشير والارمن تسمى عيد الشعانين عيد شعياء والبعاقبة تسمى يوم الزيتون أيضا كذلك والعمدة على كلام الروم والهيا كل الاماكن التى فيها قيور ومثل البتاركة والمطارنة والدخن المراد بها حصى اللبان الذكر والسبعين من العباد هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثنا عشر من الامم المراد بهم السبعة السابقة وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون واتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعلموه ولسبب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها فى الفرق ومرعبد عابد كان بدير سمعان وشعياء ونسطورون شيخا التفسير أول من حل الانجيل ولهما كتاب ذكرا فيه الصحف المنزلة على الانبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين أحكامها واحكام الانجيل والزبور والتوراة ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته الى هنا انتهى الغرض منه

(النوع الثانى فى ذكر من جهل حاله وكان الى الموت فى الحب مآله وقد رأينا ان نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعا للقصة المشهورة)

(فمنهم) سعيد الوراق وكان بالرها يبيع الورق ويجلس اليه الشعراء وأهل الادب فيتحدثون عنده فى الشعر كالصنوبرى والمعرى وغيرهما فلازمهم غلام نصرانى اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الادب فعلقه سعيد وزاد به وجده فانشد يوما

اجعل فؤادى دواة والمداد دمى * وهاك فابرى عظامى موضع القلم
وصير اللوح وجهى وامحه بيدى * فان ذلك لى برء من السقم
ترى المعلم لا يدرى بمن كلفى * وانت أشهر فى الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما فلما شب الغلام طلب الترهب فأجابه أهله بعد جهد فخرج الى دير زنكى وأقام به وكان سعيد يأتيه فيجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالطرد من الدير فنعه اى صارت الرهبان تغلق باب الدير فى وجه سعيد اذا أتى فلما أيس مضى فاحرق داره وثيابه وخرج عاريا ينشد الاشعار ويطوف بالدير ويبيت فى ظله وان الصنوبرى أتاه يوما وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه فقال يا ابا بكر ألا ترى الى هذا الطائر الذى على شرافة الدير قلت نعم قال لى اسأله حمل رسالتى الى عيسى فأبى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم فدفعته اليه فكتب

بدينك يا حمامة دير زنكى * وبالانجيل عندك والصليب
قفى وتحملى منى سلاما * الى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عنى * فقلبى ما يقر من الوجيب

وقالوا ارا بنا المام سعد * ولا والله ماأنا بالمريب
وقولى سعدك المسكين يشكو * لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد * اذا ما كنت تمنع من قريب
وان أك مت فاكتب حول قبرى * محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش * فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتا فاراد العامل يومئذ وهو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوا منه بمائة الف درهم وصار الغلام اذا دخل المدينة لزيارة اهله تضربه الصبيان بالاحجار ويقولون له يا قاتل سعد فانتقل الى دير سمعان (ومنهم شرف العلاء) علق غلاما نصرانيا فلبس المسوح لاجله وتبعه الى الكنائس والبيع وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن ايوب فاستحضره فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وانشد

جمعت بالكاس شملى * الله يجمع شملك
بحق رأسك دعنى * حتى اقبل نعلك

وصار على ذلك هائما حتى مات
(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزى عن سعيد قال كنت بخان التجار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفى يده مدية فاجتمع الناس اليه فانشد

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من الم التفرق أجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتى التى تترحل

ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوما واحدا ففعل هذا (ومنهم) ما حكاه النورى فى روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدورى عشق غلاما وكلف به فلما علم أبوه بذلك نقله الى مؤدب آخر عند ه فضعف واشتد غمه فكتب الى أبى الغلام يستعطفه فاجابه بانه ان لم يرجع رفع أمره الى الحاكم فتغير من وقته وتقايأ الدم وحمل الى بيته وجاءه الطبيب فاخبر ان كبده تقطرت فمات فى الرابع (ومنهم) ما حكاه فى ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق فى الباب الثانى قال عشق شاب بدمشق غلاما فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فانكر فهدد بالضرب فجاء شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وانما انا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدبا فامسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ما حكم الحاكم الجديد أن شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبى كان شابا لطيفا جيد القريحة ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى فى الادب وكان من أولاد الجند عشق شابا من اولاد الحسينية وافرط فى حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبى لمرضه فدخل

وقال ابن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وانت الذى نقضنى من يده ورفضنى من باله وانت الذى فصلنى قبل أن يستكمل الوصل مدة حمله وفصاله وانت الذى اخلفنى ما وعدتنى

واشمت بى من كان فيك يلوم
لعل عينا اصابتنا فلا نظرت
أو واشيا قال فيما بيننا كذبا
لعل عتبك محمود عواقبه
وربما صحت الاجسام بالعلل
لعل الرضا منكم وكيف مناله
يسر فؤادا ساءه منكم الهجر
لعل صدى فى النفس يروى أوامه
وجمر جوى فى القلب تخمد ناره
لعل عاطفة تدنى الى أمل
قلبا تحير بين اليأس والطمع
لعل عين الرضا ممن كلفت به
يوما تبرج ما قالته حسادى
لعل زمانا قد تولى سينثنى
الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعل ذيول العفو والعفو واسع
يجرها الجانى على مفرق الذنب
لعل سلو الفؤاد يعوده
وذا غلط ما نى فؤادى أن يسلو
لعل وما تغنى لعل وانما
علالة صب واستراحة هائم
ولا اقل من التعلل بلعل وما أقل
غناها واكثر عناها

(الباب الثانى والعشرون فى الرضا من المحبوب بأيسر مطلوب)

اقول هذا باب عقدناه لذكر الحب المطبوع والعاشق القنوع ممن يقنع من الحبيب بالنظر اذا حضر ويرضى منه بالسلام ولو مرة فى العام فهو فى الرضا منه بالنزر اليسير كما قيل
(قليلك لا يقال له قليل)

أنا راض منكم بأيسر شئ * يرتضيه من عاشق معشوق
بسلام على الطريق اذا ما * جمعتنا بالاتفاق الطريق
(وقال المعرى) لا فالك فى العام الذى ولى ولم * يسألك الاقبال فى القابل

أصحابه عليه ليعودوه فقال اريد من يوصل هذه الدراهم الى فلان يعني صاحبه فقيل له قد مات فتغير من وقته واختلط عقله وجعل يقول قد مات ثم قال احملوني من هنا واخ عليهم فاخذوه من حارة بهاء الدين الى قناطر السباع فمات بها من يومه واتفقت جنازته وجنازة محبوبه فصلي عليهما معا ومن شعره

ملأت فؤادي من محبة شادن * أميل اليه وهو كالظبي رائع
وقلت لقلبي قسم لنعشق شادنا * سواه فقال القلب ما انا صانع

(ومنها)

ان السيوف كلها * قاطعة اذا انجلت
الا سيوف لحظه * اذا تصدت قتلت

(ومنها)

وصفت خصره الذي * أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

(ومنها)

له عين لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

(ومنها)

عودا لصب بكى عليكم * يا جيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحرا * وقلبه ماله قرار

(ومنها)

لا تعشقوا غير الصبا بتحية * ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها

(ومنها)

لم أنس ليلة بتنا * والحب قد غاب عنا
وقد روى عنه لفظ * حتى حسبناه معنا

(وقال)

لم انس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والنجاح
ذاك زمان مر احلى * ظفرت منه بحبيب وراح

ومنها وهي من قصيدة طويلة ذكرها ابن حجة في شرح بديعيته أنه مدح بها صاحب حماة

ثاني المعاطف كنت أول عاشق * في حبه ولكل ثان أول
يدنو فيصلو للمتيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل

ان البخيل اذا غدله المدى * في الجود هان عليه بذل الباذل (وقال جميل) أقلب طرفي في السماء لعله * يوافق طرفي طرفه حين ينظر (وقال ايضا) واني لأرضى من بثينة بالذي * لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائله
(قلت) انظر الى هذا الشاعر الظريف والعاشق العفيف قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل واكتفى باللمح من خلل الاستار والكلل ومن هذا المعنى المبتز قول ابن المعتز
ألست ارى النجم الذي هو طالع
عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الافق لحظي ولحظها
فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع
(والعلم) المشهور في هذا الباب قول بعض الاعراب
أليس الليل يجمع أم عمرو
وايانا فذاك بنا تداني
نعم وأرى الهلال كما تراه
ويعلوها النهار كما علاني
كان الشيخ أثير الدين أبو حيان يقول عن صاحب هذين البيتين هذا العاشق القنوع وقال الآخر
الى الطائر النسر الطائر كل ليلة
فاني اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده
فنشكو جميعا ما تجن الضمائر
(وقال بعض الاعراب)
وما نلت منها وصلها غير انني
اذا هي باتت بت حيث تبول
ذكرت هنا ما حكي عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء في طاقة فأحبها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة الى أن اعيا وقل صبره وحصل على اليأس منها وتبس فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعي سيدتك تبول في هذه فبات له في الصحفة وقالت الجارية

انتبهي وانظري ما يصنع بذلك فلم تزل تتبعه الى ان دخل بعض الخربات فوضع ابره في ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق (وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء) ان الهدهد قال لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد أن تكون في ضيافتي فقال له سليمان أنا وحدي فقال له بل والعسكر في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هنالك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

(الباب الثالث والعشرون في اختلاط الاشباح اختلاط الماء بالراح)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من افرط في العناق اذا التفت الساق بالساق فأصبح هو ومحبوبه كالشيء الواحد في رأي العين حتى عند الاحول الذي يرى الشيء شيئين وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي قلب صاحبها بالوصال ولا تنقطع حبال دموعه بالاتصال كما قيل

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(وقال ابن الرومي)

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه رشفا ما سوى الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال آخر)

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد
فلو أن روحي مازجت ثم روحه * لقلت ادن مني ايها المتباعد

وتعيس منه شمائل لم ادر من * مشمولة او حركتها شمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

(القسم الثاني فيمن اشتهر في العشق حاله ولم يدر ما آله)

(فمنهم) ما حكاه من له اعتناء بنظر اتف الاخبار قال نزلت دارا فوجدت مكتوبا على حائط

دعوا مقلتي تبكي لفقد حبيبها * ليطفئ برد الدمع حر كروبها
ففي حبل خيط الدمع للقلب راحة * فطوبى لنفس متعت بحبيبها
بمن لو رأته القاطعات أكفها * لما رضيت الا بقطع قلوبها

فسألت فقيل كان بها تاجر يهوى غلاما وانه أنفق عليه ثلاثين الف دينار حتى نفد ما معه فلم يدر ما تم من أمرهما (ومنهم) ما حكاه بعضهم قال دخلت درب الزعفراني ببغداد فرأيت غلاما قد طرح شيخا على التراب وهو يعضه ويضربه فقلت لا تفعل ذلك بأبيك وأنا ما اظن انه ابوه فقال حتى افرغ وأكلمك فلما فرغ أقبل علي وقال هذا الشيخ يزعم انه يهواني وله ثلاث ما رآني (ومنهم) ما حكاه الاصمعي عن أبي نواس قال رأى غلاما بمكة فعلقه وقال لاقبلنه عند الحجر قلت اتق الله في ذلك قال لا بد منه فدنا وقبله حين أراد أن يلثم الحجر وأنا انظره فلما عنفته قال ان الله رحيم وانشد

وعاشقان التف خداهما * عند استلام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير ان يأثما * كأنما كانا على موعد

(ومنهم) رجل بافريقية كان يهوى غلاما وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وانه انفرد ليلة يشرب فذكر تجني الغلام عليه وهجره له فأخذ قبسا فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين أصبحوا رفعوه الى القاضي وكان لطيفا فقال لاي شيء فعلت هذا فأنشد

لما تمادى على بعادي * واضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أكبر في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذا من مرادي

فاستظرفه القاضي وحل عنه ما أفسده

(القسم الثالث في ذكر من ساعده الزمان في المراد حتى بلغه ما اراد)

فمنهم ما حكي انه كان ببغداد رجل صوفي معروف بالزهد والعبادة فهوي غلاما جنديا حتى امتزج حبه بلحمه ودمه واشتهر امره عند غالب غلمان الغلام لان الصوفي كان يقصده في الطرق والمواكب لينظره فبينما الصوفي ليلة يصلي على سطحه اذ سمع صوت الغلام مارا فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا فقال مولاهم ما لكم فقالوا لا شيء فاقسم عليهم فتقدم اليه بعضهم وأسر الخبر اليه واعلمه أنه يهواه فقال منذ كم قالوا من

زمان طويل فقال بئس المرء الذي لا يعرف من احبه ثم نزل فاقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فانشد

يا محرقا بالنار وجه محبه * رفقا فان مدامعي تطفيه
حرق بها جسدي وكل جوارحي * واشفق على قلبي فانك فيه

فحمله الى بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجازي في روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقي (ومنهم) البحتري المشهور كان يهوى غلاما اسمه نسيم فاشتراه حين اشتد به بلاؤه فلما اشتهر حاله مازحه أبو الفضل يوما وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه الف دينار فأبى وكان لا يساوي اكثر من مائة فقال خذ الفين فقال احضرهما فاحضرهما واشتراه ومضى به فلم يلبث البحتري اكثر من يوم حتى ذهب عقله واكثر التردد الى أبي الفضل فلم يجبه وزاد به الوجد فكتب اليه

ابا الفضل في تسع وتسعين نعجة * غنى لك عن ظبي بساحتنا فرد
اتأخذه مني وقد اخذ الهوى * فؤادي له فيما أسرّ وما ابدي
رتغدو عليه صبوتي وصبابتي * ولم يعده وجدي ولم يأله جهدي
وقلت أسل عنه فالمنية دونه * وكيف بسلوان الظمآن عن الورد

فقال ابيعكه بجميع ما ملكت في سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما اصبح أقاله وقال اياك وهجر الاحرار فان لهم مكائد (ومنهم) ما حكي عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن انه كان له اخ جميل فاختار له معلما ذا هيبة ووقار وأدب فكان يعلمه في بيته فافتتن الشيخ بحب الغلام وزاد به الحال فشكا يوما الى الغلام امره فقال ما أصنع واخي لا يفارقني ليلا ولا نهارا فقال الشيخ ان داري ملاصقة لحائطكم فاذا كان الليل أتنا ولك فتجلس معي لحظة لطيفة ثم تعود فاجاب فلما كان الليل اظهر الشاب انه نائم فنام اخوه ففتح الباب النافذ الى الحائط فوجد الشيخ واقفا فاخذه ومضى فرآه قد هيأ مجلسا لطيفا ملبين فرش وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الكأس وكانت ليلة البدر وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحا فاطلع فرآهما على تلك الحالة والكاس في يد الشيخ وهو ينشد

سقاني شربة من خمر فيه * وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقي خد الخد * مليح في الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا * سألوه لا ينمّ على أخيه

فكان من لطفه ان قال والله لا انمّ عليكما وانصرف *وذكر الحجازي بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك ان شخصا كان يهوى غلاما فمات فجلس يبكيه فطلع البدر فنظر اليه فلم يقدر ان يملأ عينه منه فأنشد

شقيقك غيب في لحده * وتطلع يا بدر من بعده

ثم اعتنقنا فترانا معا * في ظلمة الليل ونور العتاب بجسمين صارا في الهوى واحدا *

٢٠ (وقال خالد الكاتب) كأني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد

(وقال ابو الحسين التونسي)
كشكلتين اختلطا في كتاب
فلو ترانا في قميص الدجى
حسبتنا في جسد واحد

(وقال نفطويه النحوي)
ولما التقينا بعد بعد بمجلس
تغازل فيه اعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقه
فلم يفترق حتى توهمته بعضي

(وما احسن قول ابي بكر الاربلي)
هم الرقيب ليسعى في تفرقنا
ليلا وقد بات من اهواه معتنقي
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى
فذ رأى واحدا ولى على حنق

(وقال سيف الدين المشد)
ولما زار من اهواه ليلا
وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفيه فصرنا
كأنا واحد في عقد كاتب

(وقال آخر)
توهم واشينا بليل مزاره
فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا
فلما أتانا ما رأى غير واحد

قال قاضي القضاة كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين امسك امساك أعمى (وقال ابو الفضل)
سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا
ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفي حبائلكم
بسهم هجرك ترمي ثم تنويني

ومثل هذا القول في عدم السلامة وتوجيه الملامة (قول بن سنا الملك)
وليلة بت ابدو مسكري وسكره * نبذت وسادي ثم وسدته يدي
وبتنا بجسم واحد من عناقنا * والا كحرف في الكلام مشدد

وهلا

فهلا خسفت وكان الخسوف * لباس الحداد على فقده

تخسف من وقته (ومنهم) الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي وكان أديبا ظريفا عارفا بالشعر والادب وكان شيعيا وكان السيد المرتضى الموسوي نقيب الاشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة قال ابن سعد في الطبقات لان السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من اجلاء طرابلس فبعث الى الشريف بتحف مع عبد اسود فأرسل الشريف يعتبه في ذلك وكان معروفا بالشهامة فما قال له اما رأيت شرا من السواد حتى ترسله الينا وحكى قاضي القضاة ابن البراج ان مهذب الدين لم يرسل الى الشريف الا العبد فقط فكتب اليه اما بعد فلو علمت عددا اقل من الواحد أو لونا اشر من السواد لبعثت به الينا والسلام وكان مهذب الدين يهوى مملوكا له اسمه تتر وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة وكان اذا اشتد غمه أو رمي بمحنة نظر اليه فزال ما به فحلف لا يرسل الى الشريف الهدايا الا مع اعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه واخذ يقاسي مشاق فرقته فلما وصل المملوك الى الشريف توهم أنه من جملة الهدايا تعويضا من ذنب العبد فأمسكه وطال الامر فلم يرما يشكي به الشريف ويبعثه على ارسال المملوك الا اظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب اهل السنة وان دليل ذلك امر عظيم اخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل اليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتسنن وهي

عذبت طرفي بالسهر * وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي * من بعد بعدك بالكدر
ومنعت جفاني الضنى * وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا * دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالاغن من الظباء وبالاغر
* ريم يفوق ان رما * لك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها * من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن قسي * لا يناط بها وتر *
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر *
تلهو وتلعب بالعقو * ل عيون أبناء الخفر
وكأنهن صوالج * وكأنهن لها أكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى * يقضى اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر

لو قال تحرف في النظام ما وقع في الملام لان الحرف المشدد في اللفظ معدود عند العروضيين بحرفين وأماني الطفلا فعلى هذا لا يتم له ما أراد ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد ٢١ ولا عذر له لان الوزن ساعده وأعانه على تحصيل هذه الفائدة وقال بعض شعراء الذخيرة

بتنا وراء الحجاب يلحفنا
برد وقار والشمل مشتمل
اثنان من شدة التعانق قد
صارا كفرد بالروح يتصل
لو ان غيث السماء أمطرنا
لم يصب الارض تحتنا بلل

قال محمد بن عرس اجتمعت أنا وعلي بن الجهم في سفينة ونحن غير هشار فبينما تذاكرنا وجدته حلو المذاكرة فكان في بعض ما قاله أنا أشعر الناس فقلت له بماذا قال بقولي

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة
وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة
من الخمر فيما بيننا لم يسرب

فقلت له والله لقد أحسنت ولكني أشعر منك قال بأي شيء قلت بقولي

لا وانمارل من نجد وليلتنا
ببغداد جسدانا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه
يوما فما انفك لا خد ولا عضد

والاصل في هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر المحرك

ومرتجة الارداف مهضومة الحشا
غرور بسحر عينها ترتمي
اذا نظرت صبت عليك صبابة
وكادت تذوب الماشة بي تدري
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا
الى الصبح دوني حاجب وستري

ذكرت بقولي في أول الباب الاحول الذي يرى الشيء شيئين قول بعض المغاربة في مليح له رقيب أحول

بأبي رشا يحوي مع الاحسان * ماكيه موضوعها انساني أحوى الجفون له رقيب أحول * الشيء في ادراكه سيان

عذل العــذول وما رآ * ه فخين عاينـه عــذر
قـــــمر يزين ضوء صبـــــح جبينه ليل الشعر
ترمى اللواحظ خــدّه * فــيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر
و بلاه ما أحــلاه فى * قلبى الشقىّ وما أمر
نومى المحــرّم بعــده * وربيع لذاتى صفر
بالمشعر ين وبالصــفا * والبيت أقسم والحجو
وبمن سعى فيــه وطا * ف به ولبى واعتــمر
لئن الشريف الموسوىّ ابن الشريف أبي مضر
أبدى الجحود ولم يرد الى مملوكى تتر
والت آل أميــة الــطــهر المياميين الغــرر
رجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين قوم واشتهر
قلت المقدّم شيخ تيــــم ثم صاحبه عمــر
ماسل قط ظبى على * آل النبىّ ولا شهر
كلا ولا صــدّ البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى ولا * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـــد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراقه * مصحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـــر بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أوعذر
وأقول أم المؤمنيـــين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصـــلح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيـــش المسلمين على غرر
فأتى أبو حســـن وســل حسامه وسطى وكرّ
وأذاق اخوته الردى * وبعــيرأمهــم عقر
ماضرّه لو كان كـــف وعف عنهــم اذقــدر
وأقول ان امامكم * ولى بصــفين وفــر
وأقول ان أخطا معا * وية فما أخطا القــدر
هــذا ولم يغــدر معا * وية ولا عمــرو مكر

يا ليته ترك الذى أنا مبصر * وهو الخبير فى الغزال الثانى وقال ابن اسرائيل من دوبيت قد بالغ فى حديثه بالمين
من قال رأيت مثله بالعين ما يبصر مثله سوى ذى حول ٢٢ من حيث يرى الواحد كالاثنين وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لى لم ذا كلفت بأحول
يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف أختها
فمادت بطول الدهر تنظرها شزرا

(الباب الرابع والعشرون فى عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما فى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أدى به النحول الى الذبول وأصبح كالطلل بين الطلول فهو من شدة الضر كما قال صردر

وكم ناحل بين تلك الخيا
م تحسبه بين أطنابها
فحوبه فى الخفاء واحد كالالف
وهو فى رقته كالخيال عنى الى
خالف
ولما رأتنى كعود الخلال
وجسمى كما ينسج العنكبوت
فقالت تموت الى كم تئنك
فقالت أئنك الى أن أموت

والعلم المشهور فى هذا الباب قول المتنبي

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد فى مثل الخلال اذا
أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمى نحولا اننى رجل
لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

(وقال أيضا)

ولو قلم القيت فى شق رأسه
من السقم ماغيرت من خط كاتب

(وقال أيضا) الام طماعية العاذل * ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
وانى لاعشق من عشقكم * نحولى وكل فتى ناحل بطل

بطـل بسـوءته يقا * تل لابصارمـه الذكر
وجنيت من رطب النوا * صب ماتمـروا ختمر
وأقول ذنب الخارجيـن على عـلى مغتفـر
لاناتريقتالهـم * فى المـروان ولاأثر
والاشـعرى عابو * ل اليـه أمرهماشـعر
قال انصبوالى منبرا * فأناالبرىء مـن الخطر
فعلا وقال خلعت صا * حبكم وأوجزوآختصر
وأقـول ان يزيدما * شرب الخور ولا فجـر
ولجيشـه بالكفءن * أبناءفاطـمةأمر
والشمر ماقتـل الحسيـن ولاابن سعد ماغـدر
وحلقت فى عشر المحـرم مااستطال من الشعر
ونويت صوم نهـاره * وصـيام أيام أخر
ولبست فـيه أجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطر * يق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجيرالبقو * ل بلحـم جونى الجفـر
وجعلتها خـيرالمآ * كل والفوا كه والخضر
وغسلت رجـلى كله * ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهرفى الصلا * ة كن بها قبـلى جهر
وأسـن تسنيم القبو * رلكل قـبر محتفر
واذا جرى ذكر الغـديـر أقول ماصح الخـبر
والبست فيـه من الملا * بس ما اضمحل وما اندثر
وسكنت جلق واقتـديـت بهـم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم * بالفاشرايا قـد فشر
مصطيتى مكسورة * وقطـيرتى فيهـا قصر
بقسرترى برتيسهم * طيش الظليم اذا نفـر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهـم هـذر
وطباعهم كجبالهـم * خلقت وقـدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـريد البـلابل فى السحر
وأقول فى يوم تحا * رله البصـيرة والبصر

ولوزلتم ثم لم أبكـكم * بكيت على حبى الزائل (وقال المعمار)
فى العشق جسمى يندرالعشاقا فـكأنه ألف بخط مذهب
ترك اضطرارى والنحول كلاهما * جعل الدجى أرقى له أوراقا
وقلت أنا من قصيدة
كأن ضباب الافق نمت به
نسيم الصبا من نحو أرض الاحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم
ولم يبق منه غير صوت وآنة
(وقال المنقل)
ان جفانى الكرى وواصل قوما
فله العذر فى التخلف عنى
لم يخل الهوى بجسمى شخصا
فاذا جاء فى الكرى لم يجدنى
(وقال ابن لؤلؤ)
وأرقنى خيال من حبيب
تناءت داره لما رآنى
فمن سهرى بلم فما أراه
ومن سقمى يطوف فما رآنى
وقال محيى الدين بن عبد الظاهر
أيها الصب بالمحفوظ ن
هو من دون الورى مقتضى
لاتسم طائرقلبى هربا
انه من أضاحى فقصى
(وقال مضر المغربى)
أذابه الحب حتى لو توهمه
بالوهم خلق لاعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه
لم يدره بعيان من يكلمه
وقال محاسن الشواء
ضنيت وضن من أهوى بوصلى
وعادنى الخيال وكان عائد
فاشبهت الذى للسقم نقصا
وان خالفته صلة وعائد
وقال الارجانى
ولولا سناها لم يرونى من الضنى * ولا أبصروا من أجلها خصمائى ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلحت خلال الضوء مثل هباء
(وقال آخر)
قد كان لى فيما مضى خاتم * فدق جسمى فمنطقت به

والعصف ينشر طيها * والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني * بعد الهداية والنظر
مالي مضل في الورى * الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو بنا * تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسي * اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
والكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
ودري وأيقن أنني * بحر وألفاظي درر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وبديعة كبديعة * عذراء ترفل في الحبر
والى الشريف بعثتها * لما قراها وانبهر
رد الغلام وما استمر * على الجحود ولا أصر
وأثابني وجزيته * شكرا وقال اقد صبر

فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد أبطأنا عليه فهو معذور وجهز المملوك مع هدايا حسنة فدحه مهذب الدين فقال

الى المرتضى حث المطي فانه * امام على كل البرية قد سما
ترى الناس أرضا في الفضائل عنده * ومحل الزكي الهاشمي هو السما

وذكر ابن حجة ان مهذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد (قوله) وأقول مثل مقالهم يقسم ومابعده من الكلمات المهملة التي تستعملها أهل دمشق في الخلاعة والمصطحة خشبة في الاصل تجعل تحت دود القز وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطحة ويكون معهم في المواسم وقد تطرف في المبالغة في المجون والخلاعة حيث قلب اللفظ فنسب القصر الى القطيرة والكسر الى المصطحة والمستعمل العكس فانهم يضعون الصوالج قائمة في لعبة من جاء وبلده قصير اخرج من اللعبة فيقول مصطحتي قصيرة وكذا في لعب القطيرة من قطيرته مكسورة وقوله والى الشريف بعثتها الى آخر القصيدة قد يتوهم أنه ملحق بعد رد المملوك وليس كذلك وانما قاله تفاؤلا وحسن ظن بالشريف واعتمادا على شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف

(القسم الرابع)

في ذكر من منعه الزهد والعباده ان يقضي من محبوبه مراده

(وقال بن عبد ربه)
ولما ان رأى أهلي سقامي
تجاوز حده حد السقيم
سددت منافس النسمات عني
مخافة ان أطير مع النسيم
(وقال آخر)
واذا عائدونا لكلامي
لعبت بي انفاسه في الفراش
(وقال آخر)
عبثت به أيدي الضنى فكأنه
سر خفي في ضمير كتوم
وقال ظافر الحداد
أنحلني حبك يا منيتي
وزادني الشوق فلم أعرف
ذبت حتى لو رمى بي الهوى
في ناظر الناظر لم يطرف
وقال ناصر الدين القيسي
قول جسمي لنحولي وقد
أفرط بي فرط ضنى واكتئاب
نعلت بي يا سقم مالم يكن
يلبس والله عليه الثياب
ومما يقرطني هذا السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال وأحسن في المقال
واها على خصر الرقيق رأيته
قطع الطريق حديثه الموقوف
خصر أدير عليه معصم قبلة
فكأن تقبيلي له تعنيق
وقال الشيخ صفي الدين الحلي
مليح يغار الغصن عند اهتزازه
ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره
وما فيه شي بارد غير ريقه قلت أخذه من قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني وأراد قصره على الحسن فقصر قد يجري خاطره ليعثر على المعنى فاعثره عليه بل اعثره والفرق بينهما كما بين الاجاج والكوثر والخصر والاثر قول ابن العفيف

قدرأينا ان نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب والكفارة لمن عزم ان يتوب لاشتماله على ذكر اقوام عصمهم الله من الوقوع فى الخطا وأسبل عليهم الغطا وهو نوعان (الاول فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى) فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره انى اشتريت منه بقرا وراعيها وانه أتانى يطلب أجره فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لى انما لى عندك فرق من أرز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت ان أوقظهما وكرهت ان أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لى ابنة عم من أحب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فابت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فأتيتها بها فدفعتها اليها فأمكنتنى من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا (وحكى) ان رجلا افتتن براهبة فتسور اليها وراودها فلم تمكنه الا بعد جهد فلما قدر عليها جعلت يدها فى مجمرة فاحترقت فقال لاى شئ فعلت هذا قالت خفت ان أشاركك فى اللذة فأشاركك فى المعصية فحلف لا يعصى الله بعدها وتاب (وحكى) ان رجلا عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها وان اهلها ارسلوها لحاجة فتبعها وراودها فقالت انى احب لك منك لى ولكنى اخاف الله فقال اتخافينه ولا اخافه ورجع فناله عطش كاد ان يأتى عليه فلقيه رسول لبعض الانبياء فشكا ذلك اليه فقال له هلم ندعو الله ان تظلنا سحابة حتى نصل القرية قال ليس لى عمل فقال الرسول انا ادعو وانت أمن وفعلا فأظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعاه الرسول الى بيته فتبعتهما السحابة فقال له تقول مالى عمل وقد تبعتك اخبرنى ما فعلت فأخبره فقال ان التائب عند الله احسن من العابد (وحكى) ان عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه فلما افضت اليه الخلافة زينتها بانواع الزينة ثم قالت يا أمير المؤمنين قد كنت امسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك فسر بها سرورا بالغا ثم قال لها اخلعى ثيابك فحين همت ان اجلسها ثم قال لها من اين جىء بك فى الاصل قالت اغتصب الحجاج مال

وحلاوة منطقه الظريف فكم يجافى خصره وهو ناحل * وكم يتمالى ردفه وهو بارد وكم يدعى صونا وهذى بعقوبة بفترتها للعاشقين تواعد (وقال ايضا) شكوت الى ذاك الجمال صبابة * فكانت جفونى انه قط لا يفقو

فلا انت لى الاعطاف والخصر رق لى
ولكن تجافى الشعر واثاقل الردف

(وقال ايضا)

تلاعب الشعر على ردفه
أوقع قلبى فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره
رفقا به ما أنت الا ثقيل

وعلى ذكر الردف ما أحسن قول الآخر

للبدر من وجنته نكتة
وفترة فى الظبى من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه
كأنه يمشى الى خلفه

وقال الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح راقص

جاء وفى قده اعتدال
مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال
وثقلت ردفه شمول
ثم انثنى راقصا بقد
تثنى الى نحوه العقول
يجول ما بيننا بوجه
فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا
خف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف
وردفه خارج ثقيل

(وقال ابن رشيق)

أحمل أثقالى على ردفه
وامسك الخصر لئلا يضيع

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

سألت النقا والبان يحكى لناظرى * ٤ تر فى روادف او أعطاف من طال صدها فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

*(الباب الخامس والعشرون فى ذكر ما يكابده الاحباب من الامور الصعاب وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق والم

الفراق) * كقوله   شكى ألم الفراق الناس قبلي * وروع بالنوى حي وميت   وأما مثل ما ضمت ضلوعي *
فإني ما سمعت ولا رأيت   أقول هذا باب ٢٦ عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الأخطار في طلب الأوطار فهو
لايزال مشغولا بحاله متقلبا تحت
أحماله يقاسي في طلب الحبيب
من الأهوال ما هو أثقل من
الجبال ويسمح في مقابلة النعمة
اليسيرة منه بالنفس والمال
(قال الطغرائي)

ومن طلب الأحبة كان أسخى
يبذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من
نضى من دون مطلبه حسامه

(وقال أيضا)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
برشقة من نبال الأعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني
باللمح من خلل الأستار والكلل

وقال الإمام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحب فيك وإنني
لأعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة
ولكنه شيء به الروح تكلف

وهذا البيت الأخير مثل قول
الآخر

وكم في الناس من حسن ولكن
عليك لشقوتي وقع اختياري

وقد أنصف هذا العاشق لاعترافه
بأن ثم من هو أحسن من محبوبه
ولكن غلبة الهوى وميل
النفس أوقعاه في هواه ومن
أحسن ما سمعته في طلب الأوطار
وركوب الأخطار قول ابن
خفاجة

أقد جبت دون الحي كل تنوفة
يحوم بها نسر السماء على وكر   وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر   ميتة
وجبت ديارا والحي والليل طارق * مهم ثوب الأفق بالأنجم الزهر   أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت بأطراف المثقفة السمر

عامل فاصطفاني منه وأرسلني لعبد الملك فوهبني لابنه فقال أخي هو قالت لا قال هل له
ورثة قالت ولد فأحضره وأمره أن يذكر ما أغرم الحجاج أباه وأعطاه عمر رضي الله عنه
ذلك مع الجارية وقال له احذر أن يكون أبوك مالها فقال هي لك يا أمير المؤمنين فأبى فقال
اتبعها فأبى فقالت الجارية أين وجدك بي قال قد زاد ولكني أنهى النفس عن الهوى
(وحكي) أن امرأة كانت في بني إسرائيل قد حازت ثلث الحسن وكانت لا تمكن من
نفسها إلا بمائة دينار فأعجبت شخصا فمضى فجمع مائة دينار وجاء إليها فقالت ادفعها إلى
الجهبذ يعني الناقد ففعل فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها
أخذته الرعدة فقالت خل عنك ولك المائة فقال أجيئك فجمعت المال وجاءت به وقالت
لئن صدقت فليس لي زوج غيرك فخرج فباعت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات
فقالت أما هذا فقد فات فهل له أحد قالوا له أخ فتزوجت به إكراما له قال ابن عباس فجاء
منها سبعة أنبياء * وأما قصة بشر وهند فقد آلت بها الشهرة إلى أن أفردت بالتاليف
وحاصلها أن بشرا رجل من أسد ذكره الحافظ ابن حجر في القسم الأول من الإصابة وهند
جهنية قيل ذكرت في حديث ساقط وكانت بالمدينة فمر بشر إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعلقته وتعرضت إليه بمراسلات بأشعار أظنها موضوعة لاحتمالها فلذلك
حذفتها فلما رأى بشر إلحاحها هجر الممر وصار يأتي من غيره فلزمت الوساد وهم زوجها أن
يدعو لها الأطباء فنهته وقالت أنا أعرف علتي فلما علمت الطريق التي يمر منها بشر أخبرت
زوجها أنها رأت في نومها أنها متى سكنت في موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت
تنظر إليه فيرث وأطلعت عجوزا على أمرها فوعدتها أن تجمعها به ثم وقفت له فسألته
أن يقرأ لها كتابا أو يكتبه ففعل وهند تسمع ثم قالت له العجوز أراك مسحورا وما قلت لك
الأعن يقين ثم وعدته أن يأتيها يوما لتنظر له فيما يصلح له وقالت لهند قد سمعت فتهيئي فلما
خرج زوجها إلى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشرا فجاء فحين جلس إذ دخلت هند
عليه وأغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآه طلقها ثم مضى به إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله سل هذا لم دخل بيتي فقال بشر والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ
أسلمت ولا زنيت منذ عرفتك ولكن القصة كذا وكذا فأدب العجوز وقال أنت أصل
البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلي بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات
فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معا فجاءت العجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرة
فأخلصت توبتها (وفي امتزاج النفوس) عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا
كنت أعرف فيه راهبا معروفا بالأخبار فوجدته مسلما وجميع من في الدير فسألته عن
السبب فقال عشقت جارية منا غلاما مسلما عابدا وافتتنت به ودعته إليها فأبى فلما زاد بها
الوجد أعطت مصورا مالا فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكي كل يوم إلى الغروب
وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت اسم الصورة فلما أصبحنا وجدناها

ميتة الى جانبها وعلى يدها مكتوب

يا موت دونك روحي بعد سيدها * خذها اليك فقد اودت بعافيها
أسلمت وجهي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبـــــة لم تزل تشقى محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فأخذوها ودفنوها الى جانبه فرأيتها فى النوم فقلت ما فعل الله بك فأنشدت

أصبحت في راحة مما جنته يدى * وبت جارة فرد واحـد صمـد
محا الاله ذنوبي كلها وغـدا * قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت عـلى الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلـــد
أثابنى رحمـة منـه واسكننى * مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الاسلام حق فاسلمت وأسلم أهل الدير باسيهما (وحكى الشيرزى فى روضة العشاق) عن راهب أسلم وكان اسمه عبد المسيح قال سئل عن سبب اسلامه فحكى انه كان عندهم جارية نصرانية تبيع الخبز فهو يها شاب مسلم واشتد حاله فى حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها فى الحرام فأبى فعرضت عليه التنصر فأبى فأمرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا فى الجنة فرأته فى النوم وقد انطلق بها الى الجنة فمنعت لاجل الاسلام فاسلمت ودخل بها فأراها قصرا من اللؤلؤ وقال هذا لى ولك وستأتى بعد خمس ليال فاستيقظت فاسلمت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال فاسلمت لذلك (وحكى ابن عاصم) قال قال لى بعض أصحابى بالكوفة هل لك أن تنظر الى عاشق فقلت نعم فانى أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بى الى دار فرأيت شابا مطرقا ساكتا يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء فقال صاحبى كأن فلانة ارسلتها اليك فحين سمع ذكرها رفع رأسه وأنشد

جعلت من وردتها * تميمة فى عضـدى
اشمها من حبها * اذا علانى كمدى
فمن رأى مثلى فتى * بالحزن أضحى مرتدى
اسقمه الحب وقد * صار حليف الاود
وصار سهوا دهره * مقارنا للكمد

فنهضنا فبلغنا الباب حتى مات فرجعنا التشهده فحين دفناه اقبلت جارية مسفرة ما رأيت أحسن منها فما تركت ترابا على القبر حتى جعلته على رأسها فجاء قوم يجرونها فقلت ارفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا اهمتهم فوالله لا ينتفعون بى فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل فى شرائها ملكه فأبوا عليه حسدا ان

فلم أر قبلى الاصعد فوق لامة * فقلت قضيب قد اطل على نهر ولا شمت الاغر فوق اشقر * فقلت حباب يستدير على خمر فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر ٢٧ (قلت) انظر الى هذه الابيات التى أفرغت فى قالب عجيب وأسلوب غريب فبينما صاحبها يصف أدهم الليل اذ مالت عليه الخيل كل الميل وبيناهو يكافح الاسود اذا به يتنهد على النهود وبيناهو يقيم قدود الملاح مقام الرماح اذا به يقول لخدودها

من صدعن نيرانها
فانا ابن قيس لابراح

قد أحسن فيها الاستعارة وساير بنظمها العالى وعددها السبعة السيارة فنظمه فى النجوم ودمع المتلبس بحالته كالرجوم ومن شعره فى هذا النمط ودره الداخل فى هذا السقط قوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته
أجد على حكم الشباب مزارا
تخالطت أطراف الاسنة انجما
ودست بهالات البدور ديارا

(وقال أيضا)

يعللنى منه بموعد رشفة
خيال له يغرى بمطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم
عليها حباب من أسنة مران

(وقال ابن بسام)

لقد صبرت على المكروه اسمعه
من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم
لولاك ما كنت أدرى انهم خلقوا

(وقال الآخر)

تهون علينا فى المعالى نفوسنا
ومن يطلب العلياء لم يعيه المهر

(وقال آخر) يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام ليلا * لقد أطمعت نفسك بالمحال

(وقال المتنبي)

تريدين ادراك المعالى رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(الباب السادس والعشرون في طيب ذكر الحبيب) (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال وذكر محبوبه حين تكسرت النصال في كل موقف ٢٨ الوقوف فيه هزيمة والموت غنيمة ولا سيما اذا اقيمت القسي مقام الحواجب

والتبست الخدود بنهود الكواعب
واشتبهت الرماح بالقدود
والبيض بحمرة الخدود هنالك
يجعل حبيبه المشار اليه نصب
عينيه لا يلهيه عنه ضرب الحسام
ولا جعله غرضا للسهام وعلى هذا
حكاية الطغرائي التي أربى فيها
على عنترة العبسي وزاد بها في
الوفاء بشرط المحبة على كل
جني وانسي وهي ما حكاه غير
واحد من أرباب التاريخ عمن
خبر وخبر وتصدى وتصدر
وذلك ان مؤيد الدين فخر الكتاب
أبا اسمعيل الحسين الاصبهاني
المنشئ المعروف بالطغرائي
كاتب الانشاء للملك مسعود لما
كانت الوقعة بين الملك مسعود
وبين أخيه السلطان محمود بالقرب
من همدان والري وانهزم الملك
مسعود كان أول من أخذ
الطغرائي فلما عزم السلطان
أخو مخدومه على قتله بعد ان
قيل له عنه أشياء من جملتها انه
ملحد وانه يحب المملوك الفلاني
من مماليك السلطان ممن كان
السلطان يحبه ويميل اليه فأغروه
عليه الى ان أمر بقتله وان يشد
الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة
لرموه بالسهام ففعل ذلك وأوقف
أنسانا خلف الشجرة من غير ان
يشعر به الطغرائي وأمره ان
يسمع ما يقول وقال لارباب
السهام لا ترموه الا اذا اشرت اليكم فوقفوا والسهام في أيديهم مفوقة لرميه (وأخبرني) بعض من حكى لي هذه
الحكاية من أهل الادب ان أول من فوق اليه السهم المملوك المتيم هو بحبه فأنشد الطغرائي في تلك الحالة يقول

يكون عنده مثلها فأرسلت اليه تقول مرني بما شئت فأرسل اليها ان الزمي طاعة ربك
ومولاك وأقبل على الزهد وهو مع ذلك لا يفتر عن ذكرها حتى بلغ الى ما رأيت

(النوع الثاني في ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه من الغلمان)

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند ارادة
النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الاحوال عن قبيح عواقب الافعال
فرجعوا الى انفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى غلب على هواه قال
بعضهم مررت بدار قوم لوط فأخذت منها حجرا لحاجة فنزلت في دار جعلته في طبقة
فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بي فقضى منه وطرا فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من
ذلك * فمن المذكورين صوفي يسمى المهربان كان مجوسيا ثم حسن اسلامه قال من شهده
رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما شاء و ينام
يفعل ذلك مرارا كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم أنت تعلم ان الليل قد مضى علي سليما
لم اقارف فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة علي فيه معصية وان الذي اضمره في قلبي لو حملته
الجبال لتصدعت او كان بالارض لتدكدكت ثم يا ليل اشهد بما كان مني فيك فقد
منعني خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدي انت
جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الاحباب فقلت له قد سمعتك تقول كذا وكذا
فما الذي يدعوك الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده بذلك
امتحان نفسه * وعالج بعضهم نفسه في صحبة الاحداث بالهجر قال أبو حمزة رأيت صوفيا
يصحب غلاما دهرا طويلا ثم هجره فسألته عن ذلك فقال وجدت نفسي عند الخلوة به
تحدثني بما يسقطني من عين الله ففارقته ليثيبني الله ثواب الصابرين عن محارمه و يجمع
بيننا في دار الكرامة قال ورأيت ايضا رجلا ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح
الفتى محزونا فقلت له ما أراك تسلو عن صاحبك فقال كيف اسلو عن شخص أحسن
تأديبي وعصمني من الفسق * وحكى أبو حمزة الصوفي قال نظر رجل صوفي الى غلام جميل
فافتتن به فأقعد فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به و بلغ الغلام حاله فعاده فهش له
وضحك فأكثر من زيارته فقام وذهب مرضه فعزم الفتى يوما فأبى ان يذهب معه فقلت
له لاي شئ امتنعت فقال لست معصوما وأخاف ان تحدثني نفسي عند الخلوة بما يحجبني
عن الله * وحكى ايضا قال صحب محمد بن قطن الصوفي غلاما زمنا طويلا فلما مات الغلام
نحل حتى بدا عظمه فرأيته يوما وقد وقف على قبره يبكي والسماء تمطر فما برح حتى جئت
من الغد فوجدته ميتا فدفنته الى جانبه * وصحب أبو الحسن غلاما كأنما خلق الحسن
على صورته أو خلق من نفس من ينظر اليه فكان يأتي به الى بيته فتحدث الناس فيه فمنع
الغلام أهله من صحبة أبي الحسن فنحل حتى شارف الموت فأنشد

يا من بدائع حسن صورته * تثني اليه اعنة الحدق

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوي وأطراف المنية شرع والموت في لحظات أحور طرفه * دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى * فيه لغير هوى الأحبة موضع ٢٩ أهون به لو لم يكن في طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

لي منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بأمنهم * وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية أبي حمزة عنهم والكل متقارب مكرر
انتهى ما أردنا تحريره من أحوال العشاق على اختلاف أنواعهم

(خاتمة في ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو من الهوى) وهو الباب الرابع من الكتاب قد سبق في صدر الكتاب أنه لا علاج للعشق على الأصح إلا دوام الوصال ما لم يتمكن أو يوقع في الخبال فمن العلاج ما ذكر عن عمر رضي الله عنه أنه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة وذلك أنه مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل إلى خمر فأشربها * أو من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
نمته أعراق صدق حين تنسبه * أخي حفاظ عن المكروب فراج

فقال إنها امرأة معها من نصر قالت رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معنا أحد فدعا بها عمر فخفقها بالدرة ودعا بنصر فحلق شعره فعاد أحسن ما كان فقال له لا تساكني في بلدة تتمناك النساء بها وأخرجه إلى البصرة وخافت المرأة فكتبت إلى عمر تستعطفه

قل للإمام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
إني غنيت أبا حفص بغيرهما * شرب الحليب وطرف غيره ساجي
إن الهوى ذمه التقوى فقيده * حتى أقر بإلجام وإسراج
أمنية لم أطر فيها بطائرة * والناس من هالك فيها ومن ناجي
لا تجعل الظن حقا أو تبينه * إن السبيل سبيل الخائف الراجي

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف فأرسل إليها قد بلغني عنك خير فقري ومضى على نصر مدة بالبصرة فأراد عاملها إرسال بريد إلى المدينة فدس نصر بن حجاج كتابا يستعطف فيه عمر ويسأله العود وفيه يقول

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من شيء عليك حرام
إن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء فما لي في الندي كلام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي في المكتين مقام
ويمنعني مما تظن تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تظن صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهذان حالانا فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

فقال عمر أما ولي سلطان فلا وبعث إليه فأقطعه بالبصرة ما يعيش به وقيل نزل نصر على

فأمر السلطان بإطلاقه وحل وثاقه لما رآه من ثبات جنانه وحسن بيانه وقد زاد هذا العاشق على من تقدمه من المتصفين بهذا الوصف كابن عطاء السندي حيث يقول

ذكرتك والخطي يخطر بيننا
وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدري وإني لصادق
أداء عراني من حبابك أم سحر

(وقال عنترة)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(ومما رق قول الطغرائي أيضا)

إني لأذكركم وقد بلغ الظما
مني فأشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم
قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال آخر)

ذكرت سليمى وحر الوغى
كقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها
وقد ملن نحوي فعانقتها

(وقال ابن تميم)

ألا من يبلغ المحبوب أني
وقفت والظبى حولي صليل
وإني جلت في جيش الأعادي
برمحي وهو في فكري يجول

(وقال أيضا)

ولقد ذكرتك والصوارم لمع
من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو ففي الحشا * شوق إليك تضيق عنه الأضلع
ومن الصبا وهلم جرا شيمتي * حفظ الوداد فكيف عنه أرجع

(وقال الشريف البياضي) ولقد ذكرتك والطبيب معبس

مجاشع بن مسعود السلمى من بنى عمه فاكرمه ورفع محله وسمى نصر بها المتمنى وكان تحت
مجاشع شميلة بنت أبى حماء بن أبى بهرو كانت من اجمل النساء فتولعت بنصر وتولع بها
وزاد حبهما فاخفياه وكان مجاشع آمنا فكتب لها نصر يوما فى الارض أحبك حبا
لو كان فوقك لاظلك او تحتك لاقلك فكتبت هى وأنا وقيل قالت ذلك بلفظ خفى
فقال مجاشع ما قال قالت يقول ما أحسن داركم فقلت وأنا قال ما هذا لهذا وجعل على
الكتابة صحفة فحين أصبح دعا غلاما فقرأها فقال هى طالق ألفا يا ابن أخى فقال نصر وهى
طالق ان تزوجت بها وقيل ضعف نصر من حبها فارسلها مجاشع اليه بطعام فضت به
فضمت نصرا الى صدرها واطعمته بيدها فشفى من وقته فقال بعض الحاضرين قاتل
الله الاعشى حيث يقول

لو أسندت ميتا الى صدرها * عاش ولم ينقل الى قابر

وقيل لما عادت عنه مات وعاشت شميلة طويلا وقتل مجاشع يوم الجمل وقيل اسمها
خضراء وانها من بجيلة وانها أول من لبست الشفوف وقيل ان مجاشعا حين طلقها أخبر
أبا موسى بالقصة وكان عاملا على البصرة فقال لنصر ما أخرجك أمير المؤمنين من خير
اخرج عنا فاتى فارس فعلمته دهقانة فبلغ عثمان بن أبي العاص فقيل اخرجه الى الشام
وقيل انه حين عزم على اخراجه قال ان أخرجتمونى لحقت بالشرك فكاتبوا عمر فأمر بجز
شعره وتشمير ثيابه والزامه المسجد والمتمنية هى فريعة بنت همام كانت اذ ذاك تحت
المغيرة بن شعبة ثم تزوج بها يوسف الثقفى فأولدها الحجاج وبها كان يضرب المثل فتقول
العرب اصبأ من المتمنية وادنف منها * ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب
والخوض فى المشاجرات ونحو ذلك مما سبق ومنه رقوات وكتابات قيل وجد على قبر
الملوك حجر أو صحفة ذهب مكتوب عليها

ما أحسنت سلمى اليك صنيعها * تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل استخبرت كاهنة عن البيت قالت كانوا يكتبونه مقلوبا ويسقونه العاشق فيسلو
ومن الشائع بين العرب ان تراب قبر العاشق اذا شرب منه فى خشب الطرفاء يوم الاربعاء
قبل طلوع الشمس احدث السلو (وأخبرنى) من اثق به بدمشق سنة خمس وستين
وتسعمائة بالجامع الاموى قال عشق صديق انا امرأة وازداد ولوعه بها حتى أنفد
ما معه وهى تكثر التجنى عليه ومرض من حبها حتى أيس من حياته وعزم
على ان يشرب السم ليموت فشكا ذلك الى صاحب له فكتب له فى كفه يوم الثلاثاء
عشر صادات وأربع عينات وثلاث باآت وخمس هاآت وعشرين كافا وأمره ان
يلحس ذلك وكرر الفعل ثلاثا فكأن الله لم يخلق حبها عنده (ورأيت فى كتاب البونى) سماه
خزائن الاسرار فى علم الحروف والاصفار انه من كتب ورديس فى نحاس ومحاها
بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا وقيل ان عين اليوم اليسار واظفار

والجرح منغمس به المسبار وادبم وجهى قد فرامحديده * ويمد حدا على يسار فشغلتنى عما لقيت وانه
لتضيق منه برحبها الاقطار (وقال ابن رشيق) ٣٠ ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متلاطم متوقع الامواج
والموج طل والرياح عواصف
والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى عسكر
يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة
وانا وذكرك فى الذ تناجى
(وقال أبو الثناء محمود)
ولقد ذكرتك والسيوف لوامع
والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن فى شفق الدروع تخاله
حسناء ترفل فى رداء مذهب
والموت يلعب بالنفوس وخاطرى
يلهو بطيب ذكرك المستعذب
(وقال صفى الدين الحلى)
ولقد ذكرتك والعجاج كانه
مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والسوس بين مجندل فى جندل
متاو بين معفر فى مغفر
فظننت انى فى صباح مسفر
بضياء وجهك او مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كانما
فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر
(وقال أيضا)
ولقد ذكرتك والجماجم وقع
تحت السنابك والاكف تطير
والهام فى أفق العجاجة حوم
فكانها فوق النسور نسور
فاعتادنى من طيب ذكرك نشوة
وبدت على بشاشة وسرور
فظننت انى فى مجالس لذتى
والراح تجلى والكؤوس تدور
(وقال آخر) وله حكاية مثل حكاية
الطغرائى المتقدمة مذكورة فى منازل الاحباب ولقد ذكرتك والرماح تنوشنى * عند الامام وساعدى مغلول الخفاش
ولقد ذكرتك والذى أنا عبده * والسيف فوق ذؤابتى مسلول (وقال أبو طالب الرفاء) ولقد ذكرتك والظلام كانه

الخفافيش اذا جعلت فى جلد حمار وحش وحلت على العضد الايسر احدثت السلو ويقال ان حجر الجزع اذا علق فعل ذلك ولكن قد جرب ان حامله يورث الهم

(الباب الرابع فى ذكر ماسوى البشر وما القوا من العبر)

وهو نوعان (الاول) فى الجنة وما القوا من المحنة اسند المصنف عن الحافظ ابن حجر العسقلانى برفعه الى البيهقى انه قال تزوج سعد بن أبى وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعبانا فأهم بقتله فقالت هذا كان يتبعنى وأنا فى بنى عذرة عند أهلى فقال له سعد هذه امرأتى تزوجتها على كتاب الله وسنة نبيه فماذا تريد منها فانساب حتى دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وصعد فى السقف فلم ير بعدها (ويحكى) عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء من طرق مختلفة كثيرة حكاية حاصلها ان جنيا أتاها فى هيئة ثعبان اسود فعالجها فأتى بكتاب أو قال رق أو نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكبر الى الكبر أو قال من رب كعب الى كعب ليس لك على بنات الصالحين أو قال على امتى بنت عبدى الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت الى الموت أو قالت جعل يده فى حلقى فاسود وأخبرت بذلك عائشة (وحكى) عن رجل انه سافر فجاء جنى الى زوجته فى زيه فلما جاء قال له لك ليلة ولى ليلة والا قتلتك فانى أحبها فاتفقا على ذلك فجاء الجنى ليلة فقال انا نسترق السمع بالنوبة وهذه ليلتى فهل لك ان تكون معى قال نعم قال فحملنى حتى لصق بالسماء فسمع قائلا يقول ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فوقع وراء ق فصرت أقولها اذا جاء فيذهب الى ان مضى ولم أره وعندى فى هذه بعد لانه كان راكبه فكيف جاء الى أهله حين سقط الجنى فى الخراب (واما حكاية الديك) فقد أورد المصنف بعضها وأصل ذلك ان رجلا خرج لحاجة له فرأى شخصا يمشى فتحادثا الى ان قربا من القرية فقال الشخص للرجل انا جنى وقد صار بيننا صحبة ولى اليك حاجة فهل تقضيها لى قال نعم فقال امض الى بيت فلان فان عندهم ديكا أبيض مشعرا فاشتره بما عساه ان يكون واذبحه فقال له كرامة ولكن أنا أيضا لى اليك حاجة فقال وما هى قال تخبرنى اذا استعصى الانس ما الذى يخرجكم فقال له الجنى انى مفيدك ذلك بشرط ان تكتمه فلما وافقه قال له خذ عنى من أخذ من بين عينى حمار وحش قطعة كالسير فجعلها فى عضده الشمال ولبس من حافره خاتما لم يقرب به جنى قضى الانسى فاشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير أحسن منها فحين ذبح الديك صرعت فجاؤا اليه وتعلقوا به فقال على برؤها فمضى وصنع لها الخاتم والسير فحين دنا بهما منها صاح الجنى وقال له اوعلى نفسى علمك والله ان فارقتها مت فلم يلتفت اليه والبسها ذلك فذهب عنها *(النوع الثانى)* فى ذكر من كلف وهو غير مكلف وأوهن العشق قواه حتى تلف او كاد يتلف قد اسلفت لك فى صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين فى التكاليف وتداخل اللطيف فى الكثيف واختلاف القوابل والفواعل وقد

وعاركوكبها عن أعين البشر
والفلك فى وسط الامواج تحسبها
عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت
صدرى فيالك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك فى خلدى
وفى فؤادى وفى سمعى وفى بصرى
وقلت أنا فى رمل طريق مصر الى
الشام من مقامة
ولقد ذكرتكم برمل روعه
فى قلب كل مشرق ومغرب
وبنو بياضة كالدبى من حولنا
بسوادهم سدوا فسيح السبسب
والقضب تبرى هام كل مدجج
من كف اشوس بالحروب مهذب
واسنة الارماح تلمع فى الدجا
كوميض برق فى الدجا متلهب
وعلى العوالى كل نسر واقع
يفرى اديم الليث منه بمخلب
والرعد للارماح رعد قاصف
والجريهم در كالهزبر الاغلب
والبر بحر بالدما والبربر
بالفرنج وكل كلب أجرب
وعلى السواحل غارة شعواء ما
فيها لمن يرجو النجا من مهرب
وانا باوتار القسى كاننى
فيه اغنى بالرباب وزينب
وأقول ليت أحبتى يدرون ما
أنا فيه من لهو وعيش طيب
وقال مجنون ليلى
ذكرتك والحجيج له ضجيج
بمكة والقلوب لها وجيب

فقلت ونحن فى بلد حرام * به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يا رحمن مما * جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فاما عن هوى ليلى وتركى * زيارتها فانى لا أتوب
والناس على هذا البيت الاخير كلام (وحكى) عن ليلى الاخيلية انها

روى استعداد كل لصاعد اونازل وان العشق سر يودعه الله فى الارواح عند صفائها وسهولة انقيادها ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعى وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا يخص نوعا دون نوع من أحد الاجناس كما ترشد اليه ادلة التجربة والقياس غير انه مختلف الرتب كما لا يخفى على ذوى الادب وقد صح كما سبق ان الانسان أفضل الموجودات لعلمه باحكام الاحوال المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا الشأن ثم ما يليه الاقرب فالاقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهى القول الى الاجرام العنصرية وما بينهما وبين الطبقات السماوية وحيث انهينا الكلام فى هذا المقام على ما يتعلق بالانسان فلنبين كيفية دخول العشق فى باقى أنواع الاعيان فننظم هذا النوع فى خمسة أصناف *(الصنف الاول فى الطيور)* هى الطف الحيوان مزاجا لانحلال كثيفها بخرق الهوا وذهاب فضلاتها فى نحو الريش فلذلك داخلها التألم بالنوى حكى الحافظ عن بعض الثقات انه تفرد فى معبد منقطع فوجد فيه حمامتين يبيتان فاذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان الى الليل قال وكنت أشهد احداهما تتخلف فتأتيها الاخرى بقوتها وداما على ذلك مدة فلما كان يوم من الايام خرجنا فاذا بباشق انقض فأخذ الواحدة فرأيت الاخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت الى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تمر ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحيها الارض وتمرغ على الريش وتضرب نفسها حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها أكلا وماء فلم تلتفت لشئ فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش فى فمها (ورأيت فى كتاب) لا أعلم مؤلفه سماه لطائف الاسرار وكيفية جريان الاقدار طالعته سنة تسع وخمسين ولم يكن لى اذ ذاك اعتناء بهذه الاشياء ان غرابا كان يأوى الى حائط فيقيم به فجاء يوما فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت فقال من رآه انه رمى به وأخذ الحجر فتبعته فمضى حتى ألقاه فى عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والاكل فيمضى بهما الى أفراخ الخطاف مدة طويلة ولم اشعر يوما الا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أياما فبينا انا يوما اذا بالواحد منهما سقط فنزل الغراب ليحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يزهق نفسه حتى مات فقمت الى العش فرأيت الخطاف ميتا والآخر الى جانبه يضطرب فمات وأنا أنظره قلت ولم ازل اتفكر فى هذا الحجر حتى وقفت على خواص الاحجار فرأيت ان داخل الصين اغوارا يسيل الماء فيها فينعقد حجرا اذا ترك مدة وغزل خيوطا كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثيابا اذا اتسخت القيت فى النار فيذهب ما فيها وانه قبل ان ينغزل اذا أخذ نفع من اليرقان والحصى وسائر السموم وانه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد الى اعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها ان اليرقان اعتراها فتمضى الى اماكن هذه الاحجار فتأتى بها فتأخذه الحكماء فسبحان من

عرفت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذى قال
ولو ان ليلى الاخيلية سلمت
على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح فقالت دعه
فقال أقسمت عليك الا مادنوت منه فسلمت عليه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك وزقا ونفر منه جمل ليلى فوقعت من اعلاه فاندقت عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وهذا من العجائب لانه وفى لها بما التزمه بعد الموت وقد بالغ الآخر حيث قال

لو حز بالسيف رأسى فى مودتها
لمر يهوى سريعا نحوها راسى
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى
لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
لو يقبض الله روحى صار ذكركم
روحا أعيش به مادمت فى الناس

(وقال آخر)

ولقد ذكرتك والظلام معبس •
وأنا قعيد فى البيوت وحيدتى
والجو يصفر من قعودى فى الهوا
مافيه من خل يكون عنيدتى
والبق والناموس حولى عسكر
يتقاتلون على شريب دميق
والفار يلعب فى الزوايا دائما
ويئط كالقعقاع فوق كويرتى
والعنكبوت يحوك حوله خيمة
يصطاد ذبابا تجوز كويتى
والاكل خبز مثل راسى يابس
والشرب مر من دخين بلدتى
وسماع نغمات طنين بعوضة
وصرير صرصر صرة وصفر بويتة
فوددت تعنيق القويرة كلما • نمت لانك مثلها فى الخفة
باصابع لك شبهها فى الرقة
وحسدت أيدى العنكبوت لشبهها الهم
وطربت من صوت الصراصر نغمة * اذ أشبهت نغمات صوت حبيبتى

فبكيت شوقاً حيث لاأنت معي * تتنعمين تنعمي في غرفتي *(الباب السابع والعشرون في طرف يسير من المقاطع الرقيقة ولاغزال الفائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك)* ٢٣ أقول هذا باب عقدناه لذكر طرف يسير من الغزل والنسيب ومحاسن التشبيب مما يطرب سماعه ويؤخذ لطالع الحسن ارتفاعه كقول بلديّنا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخديك نازل

نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا * وعند التناهي يقصر المتطاول

وما كنت مجنون الهوى قبل ان يرى * فقلبي من صدغيك في الامر عاقل

ولولا سنان من لحاظك قاتل * لما كنت أدري ان طرفك ذابل

ولم لا يصح الوجد فيك وناظري * لنسخة حسن من سناك يقابل

ولو أن قدا واصفا منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

نعم هذا الباب من أوسع هذه الابواب مجالا وأجراها جريالا وأحسنها خطابا وأعذبها نصابا فيه يتميز سمين الشعر من غثه وجديده من رثه ولا يكاد يجود فيه الا الذكي ولا يدركه الا كثير الدراية وما أدراك وقد تقدم ان أغزل بيت قالته العرب قول بشار

أنا والله أشتهي سحر عينيك * وأخشى مصارع العشاق

(وقال محمد بن العفيف) وأحسن ما شاء

وعيون أمرضن جسمي * وأصرمن لقلبي لواعج البلابل

ونرى * وخدود مثل الرياض زواه * مالايام وردها من زوال * لم أكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي (وقال أيضا) يحكي الغزال نظرة ولفتة * من ذرآه مقبلا ولا افتتن * أحسن خلق الله لفظا أو فما

ألهم كل نوع رشده (وفي الكتاب المذكور) ان رجلا اشترى زوج بط فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء الى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات * وقالوا ان أوفى الطيور في المحبة القمري والشفنين أعني الفاختة وانه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت وكثيرا ما سمعناه عن نحو البلبل والشحرور الحنين الى الغناء والملاهي والاصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات (وحكى عن سفيان) ان بلبلا كان لولده وانه أقام يرعى ويأتي البيت حتى قيل انه مضى مع الناس يوم موته الى القبر ورجع فاضطرب حتى مات * وأما قصة الزاغ فمشهورة جدا وهي ان السعدي قال وجهني يحيى بن اكثم بالمثلثة فدخلت واذا عن يمينه قمطر جلد يوفي قفصا فقال اكشفه فكشفته فخرج شخص نصفه الاعلى انسان والاسفل زاغ فقال لي كلمه فاستسميته فانشد

أنا الزاغ أبو عجوه * أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا * ن والنشوة والقهوه
فلا عدوان لي يخشى * ولا يحذر لي سطوه
ولي أشياء تستظر * ف يوم العرس والدعوه
فمنها سلعة في الظهـ * ـر لا تسترها الفروه
وأما السلعة الاخرى * فلو كانت لها عروه
لما شكت جميع النا * س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهيل انشدني غزلا فقال يحيى قد استنشدك فانشده فانشدته

اغرك ان اذنبت ثم تتابعت * ذنوب فلم اهجرك ثم ذنوب
واكثرت حتى قلت ليس بصارمي * وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القمطر فقلت ليحيى أصلحك الله وعاشق ايضا ثم سألته عنه فقال لا أعرف منه الا ما رأيت وقد وجهه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين ولم يره بعد ومعه كتاب لم افضه اظن فيه أمره وروية هذه القصة عن سوى السعدي وانه كان عند احمد بن أبي دواد وان الابيات التي أنشدها الزاغ هي

وليل في جوانبه فضول * من الاظلام اطلس غيهبان
كان نجومه دمع حبيس * ترقرق بين اجفان الغواني

(الصنف الثاني في ذكر بعض ما وقع للحيوان من أمور العشق في اختلاف الازمان) حكى الشيخ قدس الله سره ان أعظم الحيوان ادراكا من ذوات الاربع الخيل وانها اقرب من غيرها الى مزاج الانسان وقد بسطنا أحوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد في كتب الرردقة والخيل أحسن الحيوانات مزاجا وادراكا حتى انها لا تنزو على محرم أبدا قال الشيخ حكى لي حصان باخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشف

الثوب فعرفها فجعل يجرى حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطع * وفى لطائف الاسرار ان رجلا من اصفهان ولدت عنده فرس حصانا وأخرى أتى فاتلفا فكان اذا فرق بين واحدة وأخرى لاتمنى كل منهما ولاتأكل ولاتشرب وتصيح حتى تجتمعا قال وربما كان يطرح الاكل للواحدة قبل الاخرى فلم تذقه حتى يطرح للاخرى قال وشاهدت احداهما تدفع بيدها حشيشا الى الاخرى وان احداهما مغلت فقصدها البيطار فلما رأت الاخرى الدم قطعت الرباط وجاءت فرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة فلما رأتها المفصودة طرحت نفسها عليها فاذا هى ميتة (وحكى) فيه أيضا ان ملك الهند بعث الى صاحب بخارى بفيل فاحسن خدمته فلما كان يوم حرب بينه وبين قندهار وهم يركبون الافيال يقاتلون على ظهورها خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل الى فيل آخر فى ذلك العسكر فغلم حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاء فانطرحا الى الارض وجعل كل منهما فنطيسته على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان * وفى اللطائف أيضا ان غزالا كان يأوى الى محل فى جبل وان شخصا رآه يتردد الى ذلك المحل فتبعه فرأى وعلا فى غار وبيده ألم لايمكنه المشى ورأى مع الغزال قطفا من عنب وهو يلقيه فى فم الوعل فانصرف عنهما (وحكى فيه أيضا) عن شخص بغدادى خرج فى بعض اسفاره فبينما هو جالس فى القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل واذا بكلب أقبل فأخذ رغيفا فقام وتبعه حتى انتهى الى غار فاذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع فى فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف (وحكى) الجاحظ ان ملكا من اقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه الذهب ويجعله معه حيث كان فألفه الكلب حتى كان اذا غاب عنه لايستقر فاعتراه يوما ضعف فخرج الملك الى الصيد وتركه فى المطبخ وكان قد أوصى أن يطبخ له ارز بلبن فجعل الطباخ اللبن فى القدر وخرج ليأتى بالارز فخرجت حية من السقف فسقطت فى اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الارز ولم يشعر حتى تهرت وخشى الطباخ سطوة الملك وقد فاجأه بطلب الارز ونزل وطلب أن يأكل فى المطبخ فحين شرعوا فى وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب فقال الملك ماله فقالوا الانعلم فقدم له طعام فامتنع وجيء بالارز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده حتى قطع السلسلة وعاجل الملك قبل أن يأكل فوضع فمه فى الطعام وأكل فتفزر جلده لوقته ومات فضرب الملك الطباخين واستنهرهم فأقروا فعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه فى حرير وبنى عليه قبة قال الجاحظ وهى الآن باليمن تسمى قبة الكلب (وحكى) عن ابى العيرانه كان عنده جار فمات فرآه فى النوم ينشده شعرا يقول فيه انه مات عاشقا فسأله المتوكل ما الذى كان من شأنه قال يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته فى النوم فقلت له ألم أنق لك الشعر وابردك الماء فما سبب موتك فقال أتذكر اذ وقفت بى على الصيدلانى بعض العطار قلت نعم قال مررت

انلم يكن أحق بالحسن فمن * فى ثغره وخده وشكله * الماء والخضرة والوجه الحسن ولهذه الابيات حكاية اتفقت لابن تقى المقتول بالقاهرة (وقال أيضا) ٣٤ اذا مارمت حل البندقات * معاطفه حانا لايحل وان حلت بوجنته مداه

يرى لعذاره دور ونزل

(وقال أيضا)

بدا وجهه من فوق أسمر قده
وقد لاح من سود الذوائب فى جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى
وقد طلعت شمس النهار على رمح

(وقال أيضا)

أحلى من الشهد من هويت وكم
ذقت به فى الهوى مرارات
وكيف لاتستطاب ريقته
وثغره سكر سنينات

(وقال آخر)

ومليح قال صفنى
أنت فى القول فصيح
قلت قولا باختصار
كل ما فيك مليح

(وقال ابراهيم المعمار)

ومليح قال صف حسنى
أزداد سرورا
كم حوى جفنى معنى
قلت الفا وكسورا

(وقال أيضا)

حاكمت فى شرع الهوى قاتلى
ولى دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاته
يحقق الفتنة من عنده
ومال للحق فلما رأى
قد غريمى مال مع قده

(وقال خطيب سهود)

قال لى من هويت شبه قوامى
وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل
صافحته يد النسيم فمالا (وقال السراج الوراق) قلت للاهيف الذى فضح الغصن * كلام الوشاة ماينبغى لك اذ
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت اخشى ياغصن ان يستميلك (وقال آخر) قال لى أهيف المعاطف صف لى

اذ الذاتان فافتتنت بها ومت فقلت وهل قلت فى ذلك شيأ قال نعم وانشد

هام قلبي باتان * عند باب الصيدلانى

تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان

وبخد ذى دلال * مثل خد الشيقران

فبهامت ولو عشت * اذا طال هوانى

فقلت لها يا أبا معاذ وما الشيقران فقال أنا مشغول بما أنا فيه وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حمارا ومن كان أو لاحمارا فاسألوه فضحك المتوكل حتى سقط وأمر له بعشرة آلاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى بشار فهذا ما أردنا تلخيصه من امور الحيوانات

(الصنف الثانى فى ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية)

نقل فى لطائف الاسرار وبه جزمت الحكماء ان أصح النبات وأعدله وأكمله خلقا جمع امورا تسعة الورق والعود والثمر والنوى والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول وقد كمل فى النخل ذلك فهذا أعدل النبات وفى الاخبار انه من طينة آدم وورد أكرموا عماتكم النخل وفى الصحيحين أتعرفون شجرة هى كالرجل المسلم الحديث وفى الفلاحة النبطية ان النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب فى أصلها بفاس ويقول شخص آخر لاى شئ هذا فيقول الضارب دعنى أقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها فى ضمانى العام فان لم تحمل فاقطعها فانها تحمل وقد جرب ذلك (وحكى) فى النفائس قال زرع شخص أربع نخلات متقابلات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التى فى مقابلتها (وحكى) أيضا ان شخصا كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر ويسقط قبل البلوغ فشكا ذلك الى حاذق فجاء حتى نظرها فقال انها عاشقة ثم دعا برصاص فصنع شريطا وربطه منها الى نخلة أخرى هناك فحسن ثمرها فى تلك السنة ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر فأعاده فصلحت (وحكى) بعض ذلك فى الخريدة وأما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والازدارخت فأشهر من أن يحكى وغاية الامر أن يدعى فيه الخواص فيقال ان شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق من قبيل الخواص

(الصنف الرابع فيما بث من الاسرار بين أصناف الاحجار)

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لم يشك فى وجوده وهذا الكثرة وجود المغناطيس والافلاطر المنطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينهما فى الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل *وأغرب منه ما حكى فى اختصار الكائنات للمعلم ان بالصردابة

هيفى قلت يارشيق القوام لك قد لولا جوارح لحظيك لغنت عليه ورق الحمام (وقال النور الاسعردى)

قد قنعنا بالخمر والماء والخضرة والاهيف الرشيق القوام وتركنا مناصب الناس زهدا ٣٥ * فلماذا يؤذوننا بالكلام

(وقال ابن خفاجة)

ومهفهف طاوى الحشى
كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا
واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما
مة والغمامة والقمر

(وقال كثير عزة)

الله أعلم لو أردت زيادة
فى حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم
يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجودا

(وقال أيضا) من أبيات وهو أحسن ما قيل فى حسن الحديث ولها حكاية حكاها المبرد فى الكامل

من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

(وقال ابن الرومى)

وحديثها السحر الحلال لو آنه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هى أوجزت
ود المحدث انها لم توجز

(وقال ابن حمديس)

لا يمل الحديث منها معادا
كانتشاق الهواء ليس يمل

(وقال ابن أبى الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجرى
فلقد قنعت من الوصال بذا كا
وأطل محادثتى فان مسامعى
تهوى حديثك مثل ما أهوا كا

(وقال آخر) ومليح قلت ما الاسم حبيبي قال مالك قلت صف لى وجهك الزا * هى وصف لين اعتدالك
قال كالبدر وكالغصن وما أشبه ذلك (وقال العطوى) ذات خدين ناعمين ضنينين بماء فيهما من التفاح

وثنايا وريقة كغدير * من عقار وروضة من اقاح (وقال امرؤ القيس) خليلي مرا بي على أم جندب
تقضى لبانات الفؤاد المعذب ٣٦ ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب وقال النميري وأحسن في الوصف

كالارنب يتولد في رأسها حجر اذا أخذ وأشير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضا ان شخصا نزل بأرض اللؤلؤ مايلي جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ثم تتراقص أحجارها وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الاحجار

(الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية وهذا منتهى الكائنات ومر الموجودات ومن حيث بدئ الشئ عاد عند مفارقة الفساد)

اعلم ان الايام والاجرام والبروج والكواكب والاجسام والدوائر مترابطة التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وريحا واقطابا وطبعا وتشعبت قوى وجوانب ونقصا وزيادة الى غير ذلك فمثالها في الانسان اثنا عشر مخرجا عينان وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس اذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر في قبول الحالتين والخمس الحواس بالخمس البواقي وهكذا الى درج في العروق ومفاصل بالجوزهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجمادات الى غير ذلك مما بسطناه في كتبنا الحكمية وجار بما فيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل وهل ذلك الاقوة عاشقية فليعتبر أولوا الابصار وليتذكر أولوا الالباب فسبحان من أوجد ذلك واستغنى عنه وارتفع ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الاكوان

(الباب الخامس في تمات يفتقر اليها الناظر في هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولي الالباب)

وذلك هو المشرع الجامع لما ذكر في المصارع وينحصر في فصول مختلفة وان كانت في الجنس مؤتلفة

(فصل في تحقيق معنى الحسن والجمال وما استلطف في ذلك من الاقوال)

الاصل في المحاسن والمطلوب عند العقلاء في كل المواطن انما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وانما ضم اصلاح الظاهر الى ما ذكر طلبا لتحصيل الكمال ودلالة في الاغلب على الاعتدال ويتم الاول بتحسين المقاصد واصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق في تلك المواقف مستمدا بالمراد مستعدا للاوامر الالهية وتلقى ما في تلك المصاحف وذلك كما قال محقق المقول ومهذب الفروع والاصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة وقطب دائرة الكائنات في الدنيا والآخرة ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب

وبيضاء مكسال كعوب خريدة
لذيذ لدى ليل التمام التزامها
كأن وميض البرق بيني وبينها
اذا حان من بعض البيوت ابتسامها
(وقال ابن أبي ربيعة)
طفلة باردة الصيف اذا ما
معمعان القيظ أضحى يتقد
سخنة المشتى لحاف للفتى
تحت ليل حين يغشاه الصرد
(وقال المتنبي)
ارخت ثلاث ذوائب من شعرها
في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتني القمرين في وقت معا
(وقال ابن المستوفي الاربلي)
رأت قمر السماء فأذكرتني
ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن
رأيت بعينها ورأت بعيني
(قلت) وللناس عليه كلام ولهم على فهمه زحام حتى ان بعضهم وضع فيه كتابا (وقال آخر)
بروحي وجهي ذلك العارض الذي
غدا مسكه فوق السوالف سائلا
دري خدها أني أجن من الهوى
فاظهر لي قبل الجنون سلاسلا
(وقال سعد الدين محمد بن عربي)
لما تبدى عارضاه في غلط
قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط
وقال قوم انها لام نقط
(وقال آخر)
رأيت الهلال على وجهه من

رأيت الهلال على وجهه (وقال آخر) برزت وتقابل ناظري من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل وصلاحه
أبكي فانظر أدمعي في خدها * تجري فأحسب انها تبكي لي (وقال ابن قلاقس) فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار

ما اشتق الرمان الا * وتبدى الجلنار (وقال الخبزارزى) رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى فيهما * هلال الدجى من هلال البشر فلولا التورد فى الوجنتين * ٣٧ وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب
وكنت أظن الحبيب القمر
(وقال محمد السلامى)
بدائع الحسن فيه مفترقه
وأعين الناس فيه متفقه
سهام ألحاظه مفوقة
فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته
هذا مليح وحق من خلقه
(وقال ابن رشيق)
معتدل القامة والقد
مورد الوجنة والخد
قل للذى يعجب من حسنه
اقرأ عليه سورة الحمد
(وقال أيضا)
شكوت بالحب الى ظالمى
فقال لى مستهزئا ما هو
قالت غريم ثابت قال لى
اقرأ عليه قل هو الله
(وقال شيخ الشيوخ بحماة)
سألته من ريقه شربة
أشفى بها من كبدى حره
فقال اخشى يا شديد الظما
ان تتبع الشربة بالجره
(وقال يحيى الخباز)
طلبت منه قبلة قال لى
ايالك أن تطمع فى القرب
البوس شاليش وقد اختشى
ان تتبع الشاليش بالقلب
(وقال ابن أسد)
أريقا من رضابك أم رحيقا
رشفت فلست من سكرى مفيقا

وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الاخذ بالحظ الاوفر من أمهات الاخلاق وهى الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة فانها لهذا المورد كالاخلاط للمزاج افراطا واعتدالا وخير الامور سلوك الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم ما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم الى غير ذلك وعدّ قوم العفة أصلا بدل المروأة لانها تندرج فى العدالة وبعض المتصوفة جعل التسليم أصلا أيضا وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال فان المتخلق بها محال أن يقع منه قتل او أخذ مال بل عقله او زنا او تناول غير ما هو له فهذه أصول السياسة ونظام المدينة وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة المطهرة فقد أغنت عنها فهذه الاخلاق التى لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل واليها اشارة المترسمين وفيها غالب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة والالفاظ فيها غزيرة قال بعضهم الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح او هو تناسب الخلقة واعتدال البشرة وصفاء المادة او مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره والصباحة كالملاحة والبياض والجمال ما أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقا من اسم الشحم والصحيح انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الاشخاص ودقة الانظار وصحة التأدى الى الافكار وهذا معنى قولهم الحسن ما زين الزينة واستحسن دونها والى ذلك كله أشرت بقولى

جملة أوصاف لطيفة منظر * مليحة عطف طاب منها المغارس
يدق عن الالباب ادراك حسنها * وجلت فزلت عن علاها المقايس
منعمة لم تلبس الوشى زينة * ولكن أحبت أن تزان الملابس
غرست بلحظى الورد فى وجناتها * ومن دمى المسفوك تسقى الغرائس
وجئت لاجنى ما غرست فصدنى * من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن فى نفس الامر كذلك ولكل ذى نظر دقيق مال ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات ولا بالغ كل فى تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده والخلاف انما هو بالالفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأى أهل التحقيق من سائر الموارد ومن ثم قال بعضهم

عبارا تناشتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه فى أحسن مبنى بقوله

فكم بين حذاق الجدال تنازع * وما بين عشاق الجمال تنازع

وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا (وقال السراج الوراق) قال من شبه ريق * بالزلال العذب زلا
انما ريق شهد * قلت ذا من فيك أحلى (وقال آخر) ظبى ترى وجهك فى وجهه * ونشرب الخمرة من فيه (وقال آخر)

هـذاهو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة فقالوا الحلاوة فى العين والملاحة فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان وقالوا اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعنى فى الثغر وطلاوة الجبين البلج وبريق الوجنة الضرج وأحسن ماتكون المرأة اذا طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل والمراد بالقصر القصر المعنوى كعدم الطموح بالعين وأخذ شئ فوق الحاجة والخروج من بيتها وابيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين والمراد بالثغر الاسنان نفسها اما اللثة فقد مدحت العرب سوادها والى ذلك أشار طرفة بقوله

سقته أيات الشمس الا لثاته * أسف ولم تكدم عليه باثمد

واسود منها الهدب والعين والحاجب والشعر واحمر منها اللسان والشفة مع اللعس يعنى يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها ودق منها الحاجب والانف والسنان والخصر وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق واتسع منها الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج فهذه أوصاف بها اجتماع الحسن اذ كل ماخرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع اليها وانما العبارات الكثيرة تفنن فى الاوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه وخلقه واسمه قيل وصوته حكى بعض المفسرين فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء يعنى حسن الصوت وقال سقراط اذا احسن الله وجهك فلا تضف اليه قبيح المعاصى او قبحه فلا تجمع بين قبيحين وقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الانبياء عليهم السلام أكمل الناس لان غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتفاء موجبه فيهم وأوتى يوسف شطر الحسن وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكل جمال بالنسبة الى بحره بلالة والى نوره ذبالة فقد اتفق له صلى الله عليه وسلم محاسن الاخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذى تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذى حد جائر واذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالاولى الاول فانه من مطالب الحكمة التى غايتها السعادة وهى من الاعراض اللازمة والثانى من مطالب الشهوة وقد توقع فى المحنة ولابد وأن تفارق *(تنبيه)* قد وقع لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالالف وربما شبهوا العين بالصاد أيضا وبالفواكه كالخدود بالتفاح والشفة بالعناب والثدى بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا وبأشياء مختلفة كالوجه

ثم أنسفوا اذ القبو شاربا * من بعد ما آسى لقلبى ا كلا (وقلت اما) ياصاح سترى من موجا[illegible]
ساق متى مالاح لى كاسه * ٣٨ ذكرنى شاربه الآسا (وقلت أيضا) فتاة حين زارتنى عشاء * رأيت الشمس ايلا وسط دارى

فورد خدودها مالاح الا
واحرق عاشقيه بجلنار
فصف لى شعرها الليل وطول
وقل فى الخصر قولا باختصار
تدير لناصر اشفها عقارا
قريب العهد من كاس مدار
(ومنها)
عدمتك يا عذولى فيه قل لى
اذا لاح العذار فما اعتذارى
كانك ماشعرت بأن حبى
غدا بعذاره حسن الشعار
غدوت مكاتبا فيه بخط
قريب الشكل من قلم الغبار
سقانى من مقبله شرابا
طهورا لم يدنس باعتصار
واعقب وصله هجرا فقابى
على حرف من الهجران هار
اذا ماقادنى يوما هواه
مشيت وقطر دمعى كالقطار
أيطمعنى بخفض العيش دهرى
وجر الدمع فيه على الجوار
(وقلت) أيضا من قصيدة أمدح بها
مولانا السلطان حسن
ترادفت التهانى والسرور
وبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل انشراح
وافراح وأحباب حضور
بروج الافق فيها فرد بدر
وافق بروجها فيه بدور
تغازل باللواحظ فى دجاها
فما نامت ولا فتر الفتور
(ومنها)
أغار من النسيم اذا ماما * تصافح كفه فيها الستور اذا نشرت ذوائبها تبدى * لميت الحب فى الدنيا نشور بالبدر
ابها نغر يصون الدرجما * يبيت عليه من خفر خفير وفرق بين ضوء الصبح لما * يلوح وبينه فرق كبير

*(الباب الثامن والعشرون) * في ذكر طرف يسير من أخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال وما في معنى ذلك من ذكر موالاتهم ووصف آلاتهم (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء ٣٩ بسماع الغناء من كل محب يشبب بالشباب ويغني بالرباب فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشيء وضده لا يلهيه غيره لاهيه ولاسيما اذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب ويقيم الاعراب ويشبع الالحان ويعدل الاوزان ويصيب أجناس الايقاع ويعطي النغم حقه من الاشباع ويختلس مواضع النبرات ويستوفي ماشاكلها من النقرات ويحسن الاختلاس ويملأ الانفاس وغير ذلك مما هو معروف عند أرباب هذا الشأن من القيان ممن جمع في ذلك بين الحسن والاحسان كما قيل

ماتغنت الا تفرج هم
عن فؤادي وأقلقت أحزان
يفضل السمعين طيبا وحسنا
مثل ما يفضل السماع العيان

والناس في الغناء كلهم عيال معبد واسحق الموصلي اللذين هما أطبع المتقدمين في الغناء فيما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ وفي معبد يقول حبيب

محاسن أوصاف المغنين جمة
وماقصبات السبق الا لمعبد

وقال البحتري يصف صهيل فرس

هزج الصهيل كأن في نغماته
نبرات معبد في الصهيل الاول

ومعبد هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات في أيام الرشيد وأخباره أشهر من ان تذكر وقد ذكرها صاحب الاغاني وغيره وأما اسحق الموصلي فانه كان من أهل العلم والادب والرواية والتقدم في الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف وهو الذي صحح أجناس الغناء وميز طرائقها تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله ولا بعده من تدقيق المجاري وتمييز

بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحية والصدغ بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والشهد والسرة بحق العاج الى غير ذلك وللشعراء في ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع مارأيت في التشبيه بالحروف وبعض الاشياء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشاهيني من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها

تم العذار بعارضيه وسلسلا * وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قوله

صبحا مع الجوزاء لاح لناظري * متبلجا فأزاح ليلا اليلا
من لي بغصن نقا تبدى فوقه * قمر تغشى جنح ليل فانجلى

ومنها

كتب الجمال على صحيفة خده * بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنوني حاجبيه معرفا * من فوق صادي مقلتيه واقفلا
ثم استمد فدأسفل صدغه * ألفا ألفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذ هم ينقط نقطة * من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت في حاجرة خده * خالا فم هواه قلبي المبتلى
قسما بفاتر جيم جفونه * لأخالفن على هواه العذلا

(وللشواء) من الاساليب المذكورة وقد جمع الحيوان والحروف بقوله

ارسل فرعا ولوى هاجري * صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذي ألف ليست بوصل وذي * واو ولكن ليست العاطفه

وقال آخر

لا تقولي لا فمكتوب على * وجهك المشرق بالنور نعم
بحروف خلقت من قدرة * ما جرى قط عليها من قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان ثم الميم فم

(نكتة)

اعلم أن الاساليب في هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به في العادة مشبها ومقابله في المحبوب مشبها به وفي كل ذلك اما أن تبقى الاداة أو تحذف وفي كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسنا أولا وارفع الكل جعل الممدوح مشبها به محذوف الاداة مرشحا بلطائف الاوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم ولي من الفن الثاني

بروحي أفي من خلتها حين أقبلت * على اثر حزن تنثر الدمع في الخد

قضيبا من الكافور يعطر لؤلؤا * من النرجس الوضاح فى فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على أهل الاسلوب الاول

شمس الضحى كجبينك الوضاح * أف لمن جعلوه كالمصباح

يا قدها ما الغصن لولا الميل مع * داعى الهوى كالغصن بالارياح

أنا فيك سكران الفؤاد معذب * أبدا وان أظهرت فعل الصاحى

فدع الملام وعذل من لم يستمع * قول النصيح وخلنى يا صاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باحتياج المشبه به فى العادة الى المشبه ما قلت

يهنأ يا قلب من زارتك فى السحر * ولم تخف ثم من واش ولا ضرر

حسناء لولم تعاين نور طلعتها * شمس الضحى ما بدت يوما على بشر

ووجهها لو رآه البدر واحتجبت * عنه اذ كالم تخف نقصا على القمر

(فصل فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين)

اعلم أن مدار تلوّن البدن اما على صفاء الخلط أو شدّة الحرارة أو ما تركب منهما والاوّل يلزم حالة واحدة اما البياض فى البلغم أو الحمرة فى الدم أو الصفرة فى الصفراء أو السواد فى السوداء وما تركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الاطباء بالالوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثانى يلزم السمرة وان غلب البلغم وأما الثالث فهو الذى تناط به أمثال هذه الاحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكى ما تحته وان الباعث اليه الاخلاط هو الحرارة فهى كالنار ان اشتدت صعدت ما لاقته وموضعها القلب ومحركاتها المختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها اما الى داخل دفعة أو تدريجا أو الى خارج كذلك أو اليهما وموضع بسطه الحكمة والذى يخصنا من ذلك هنا ان نقول ان استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطانى حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا محبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا انه لا يطفئها كل هواء اذا تقرر هذا ورجع الى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لان الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لانحدار الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم اذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا * فان اجتماعى بالامان أمانى

وأما حمرة المعشوق فهى اما حياء واما خجل وكل منهما باعث للحرارة الى خارج ونتيجته

الاصناف التى يجعلوها صنفا واحدا وهى فى نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ مثله ومن كلامه حدود الغناء أربعة النغم والتأليف والايقاع والقسمة ٤٠ وكان قد سأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا اراده للغناء دعاه فأجابه الى ذلك وقال الواثق ما غنانى اسحق قط الا ظننت انه زيد فى ملكى وان اسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ أحد بمثلها ولوان العمر والنشاط مما يشترى لاشتريتهما له بشطر ملكى وجلس عند ابراهيم ابن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها
من الشمول واتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته
بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا تشرب الراح الا من يدى رشا
تقبيل راحته أشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن فى زى غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل ما معها فى داره (ومما) لحنه اسحق وله حكاية ظريفة

قل لمن صدّ عاتبا ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذى أردت وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت وان كنت كاذبا

وقد تركت حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف فى أخبار اسحق فى هذا الموضع (وحكى) أبو الفرج انه أهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال فخلا معها فى قصره يوما واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن ألفى جارية فى أحسن زى من احرار الثياب والجواهر فوصل الخبر الى أم جعفر فعظم ذلك عليها وأرسلت الى علية أخت الرشيد تشكو اليها فأرسلت اليها علية

لا يغيظك هذا نو الله لا ردنه اليك وقد عزمت ان أصنع شعرا وأصوغ عليه لحنا واطرحه الى جوارى فابعنى الى كل جارية عندك والبسهن أنواع الثياب والجواهر حتى التى عليهن الصوت مع جوارى ٤١ ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت عليه من قصرها ومعها ما ينيف عن الفى جارية عليهن غرائب اللباس وكلهن فى نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين

منفصل عنى وما
قلبى عنه منفصل
يا قاطعى قبل الملل
نويت بعدى ان تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر ومعه علية وهو فى غاية السرور وقال لم أر كاليوم سرورا قط وقال لمسرور الخادم لا تترك فى الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره فى ذلك اليوم ستة آلاف ألف درهم وما سمع بمثل ذلك قط (وحكى) عن القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة. وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من مقبرة فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما فغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح
وزها بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه
نمت بعرف نسيمك الارواح.
واذا الحنادس البست ظلماءها
فضياء وجهك فى الدجا مصباح

فكتبها القاضى طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رأيته يكبر على الجنازة وهذه الابيات ٦ تز نى على ظهر يده (وما أحسن قول ابن تميم فى عواده) وفتاة قد راضت العود حتى * راح بعد الجماح وهو ذليل خاف من عرك اذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول (وقال آخر) سقى الله أرضا أنبتت عودك الذى *

احمرار الالوان وصفاؤها فأفضل الالوان الاحمر الصافى المشرق مطلقا حتى فى الثياب كالحلل والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه أهلك الرجال الاحمران يعنى الخمر واللحم والنساء والاحامر الذهب والزعفران والخمر واللحم ولبعض الشعراء

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين كذا الطلا * بالزعفران فلا أزال مروعا

وقال المتنبى

من الجآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وأحب ما يكون اليهم منه ما كان فى الوجنات والشفاه قال أبو نواس

يا قمرا أبصرت فى مأتم * تندب شجوا بين اتراب
تبكى فتذرى الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمر والدمع الناشئ عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعنا فيهما بل مدح لانهم أرادوا انهما من المطالب التى لا تنال الا بالمشاق والصعوبة ومن ألطف ما وصف به الدمع قول عماد الدين

أرى العقد فى ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادى بغى الهوى * لاجلك يا طلعة المشترى

(ومن ألطف ما يعجبنى) فى وصف المعشوق بالاحمرار والعاشق بالاصفرار قول ابن أبى الحديد من قصيدته التى أولها

الصبر الا عن فراقك يجمل * والصعب الا من ملالك يسهل
يصفر وجهى حين أنظر حسنه * خوفا ويدركه الحياء فيخجل
فكأن ما يخدوده من حمرة * ظلمت اليها من دمى تتنقل

(وقال بعض المتأدبين) لم يقع فى هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين الى ابلدس وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقيل انشدهما الابن دريد فى النوم فاعترضه بأنهما من اللف والنشر المشوش فقال له وما هذه المشاحة فى هذا الوقت يا بغيض * (تنبيه) * قد توسع الناس فى هذا المبحث فخرجوا منه الى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك فى كلام عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقا وقوم البيض وآخرون فصلوا فقالوا ان كلا يميل الى عكس لونه وهذا تحكم وحكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح ان الميل اما بداعية

الشهوة أو النفع ولا ضبط للاول لاختلافه باختلاف الاشخاص وأما الثانى فالقول فيه اما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ فى نحو الحجاز انفع كما ان الحبشيات فى نحو الروم اجود لان حرارة الابدان تختفى فى الاغوار زمن البرد وبالعكس واما بحسب المرضى فالسود للمبرودين اجود والبيض للمحرورين كذلك وعندى ان عكس هذا اجود لما سمعت من التعليل والصحيح ان الحبشة الطف مما عداهم مزاجا وارق بشرة واعدل حرارة فلذلك هن أوفق مطلقا ولكنهن فى معرض التغيير وموضع تحقيق ذلك فى الطبيعيات واما الحكم على المصريين بانهم الى السمر اميل فمن قبيل ما قررناه من التحكم ومن الطف الاشعار المقولة فى التفضيل قول على بن الجهم

وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذى محك
قولوا له عنى اما تستحى * من جعلك الكافور كالمسك

وقال أبو جعفر الشطرنجى

اشبهك المسك واشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

وقلت فى ذلك

ارى السمر اشهى منظرا عند عارف * واشرف مطلوبا سماك المطالب
فقل للذى قد فضل البيض جاهلا * رويدك لاترغب لغير مناسب
فكم بين قيراط من المسك قيمة * وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت فى عكس ذلك

بيضا تجلوا الهم عن ناظرى * بعين حق لابعين انتقاص
فقل لمن يرغب فى اسمر * ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

واذا احكمت ما قررناه من علة اصفرار الالوان علمت ان خفقان القلب عند الاجتماع أو الرؤية من لازم ذلك الشان وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك فمن الطف ما قيل فيه قول الوراق

يقول لى حين وافى * قد ذلت ماترجيه
فما لقلبك قد جا * بخفقة تعتريه
فقلت وصلك عرس * فالقلب يرقص فيه

وألطف منه قول البها زهير

لاتنكروا خفقان قلبى والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وتطرف ابن عنين بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال

ان كان لابد من رقادى * فاضلعى هالك كالوساد

زكت منه أغصان وطابت مغارس * فغنى عليه الطير والعود أخضر * وغنى عليه الغيد والعود يابس (وقال ابن قاضى ميله) جاءت بعود يناغيها ويسعدها * فانظر بدائع ما خصت به الشجر ٤٢ غدت على عوده الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر فلا يزال عليه أو به طرب
يهيجه الاعجمان الطير والوتر
(وقال ابن حجاج)
هذا ومحسنة بالعود عاشقها
بذلك الطيب فى الاحسان مسرور
اذا انثنت وتغنت خلت قامتها
غصنا عليه قبيل الصبح شحرور
(وقال آخر)
وجارية اذا اغنتك صوتا
فمالك من فراق الحلم بد
كأن يسارها فى العود برق
ويمناها اذا ضربته رعد
(وقال آخر)
اشارت باطراف لطاف كأنها
أنابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار جسا كأنها
بنان طبيب فى مجس عروق
(وقال النور الاسعردى فى جنكية)
لبنت شعبان جنك حين تنطقه
يغدو باصناف الحان الورى هازى
لاغرو ان صاد ألباب الرجال لها
اما تراه يحاكى مخلب البازى
(وقال) الصلاح الاربلى وأحسن ماشاء
الجنك مركب عقل فى تشكله
والرق قلع له الاوتار اطناب
يجرى بريح اشتياق فى بحار هوى
يؤم ساحل وصل فيه أحباب
(وقال ابن دانيال فى دفية)
ذات القوام الذى يهتز غصن نقا
لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالجمار معصمها
أنقر وبدا ان يشبه لبلجا غناؤها برقيق الريح تزجيه * فما نقط الا كل من رشحا (وقال ابن عديم فى مغنية) فهم والله لو أنصف الاقوام أنفسهم * أعطوك ما ادخروا فيها وما صانوا ما أنت حين تغنى فى مجالسهم * الا نسيم الصبا والقوم أغصان

فثم على خفقها هدوا * كنومة الطفل في المهاد

وكثيرا ما تتبعت كلامهم فلم ار من جمع بين الاعتذار عن تغير اللون والخفقان فقلت في ذلك

قالت أراك اذا ما جئتني وجلا * عديم لون بهيج كنت تملكه
والقلب منك خفوق لا يسكنه * شيء فياليت شعري ما يحركه
فقلت ما تدران الشمس ان جمعت * بالبدر بعد تمام النور تنهكه
والطير ان الف الغصن الرطيب وقد * مادت به الريح هل يخفى تحركه

وفي الابيات مع ماذكر وصفها بالشمس فتكون هي المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها غصنا يميل مع الهواء والقلب طائرا عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب وأما وصف خفقان القلب من غير نظر الى اعتذار عنه فكثير قال ابن سنا الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم انسه اذ قال أين تحلق * حذرا علي من الخيال الطارق
فأجبت في قلبي فقال تعجبا * أرأيت عرشا كان في خافق

وقد نسب ابن تقي الى الجفوة في قوله

ومهفهف مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

فقيل انه لو قال باعدت عنه أضلعا لكان أولى بالمقام

(فصل في مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة)

وهي باعثة نفسية مادتها المروءة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والاشخاص والمحمود منها ما كان واقعا عند مشاهدة نقص في ناموس الهي وحكم ديني وغمط شرعي فتبعث المنانة في الدين والمروءة على اصلاح ما انتقص باليد ان أمكن ثم اللسان ثم القلب وهذا هو الذي ترجمه الشارع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها فأضافوا اليها سوء الظن فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه والحج والصلاة وغير ذلك مدعيا انه ليس بأهل لها او قتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلا الى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في قوالب شتى فبعضهم يغار من السواك والشربة والثوب وأمثال ذلك غير اني لم ار من غاص على لطائف هذا المعنى وتطرف في هذا المبنى الطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التي في اسم محبوبه فلله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الاذهان الى بحور الالفاظ الرسمية

وذلك قوله

(وقلت أنا) وغانية مكملة المعاني * بلطف ماعليه من مزيد اذا ما أطربتنا بالمثاني * تثنت بين زمان النهود
تغار السمر منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود
سوالفها من الريحان أطرى * يواخيها الشقيق من الخدود

(وقال آخر)

بابي اغاني مطرب * ابدا وترضاه النفوس
يشدو ونرنو بالكؤ * س له ونرقص بالرؤس

(وقال آخر)

وزامر يبعث في زمره * الى قلوب الناس أفراحا
كان اسرافيل في نايه * ينفخ في الاموات ارواحا

(وقال آخر في مشبب)

ومطرب قد راينا في انامله * شبابة لسرور النفس اهلها
كأنه عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

(وقال بن قرناص في مليح مشبب)

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تدار كنا بالنفخ احيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين احيانا

(وقلت انا)

رعى الله ارباب اليراع فانهم * ازاحوا اعتذاري عنهم بالهوى العذري
مواصيلهم من نفخهم كل ساعة * جلبنا الهوى من حيث ادري ولا ادري

(وقلت ايضا ملغزا في شبابة)

وما خرساء ان نطقت راينا * تناقض فعلها امرا عجيبا
منقبة وليس لها ازار * توافينا ولم تخش الرقيبا فتاة ان خلوت بها وصحبي * رايت لهم معي فيها نصيبا يشار عن هواها كل صب *
وان لم تشبه الرشأ الربيبا فكم من عاشق فضحته فينا * وكم جمعت بمجلسها حبيبا تجدد لي اذا نطقت سرورا * يعيد زماني البالي قشيبا

وأنزه اسمك ان تمر حروفه * من غير تي بمسامع الجلاس

فأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

الآن فيه بحسب ما يظهر مناقشة فانظر هل كلامه انه يجوز التلفظ باسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد وادق منه واسلم وان كان هذا أسمج قول يزيد بن معاوية

الا فاملي لي كاسات خمر وغن لي * بذكر سليمى والرباب وتنعم

واياك ذكر العامرية انني * اغار عليها من فم المتكلم

اغار على اعطافها من ثيابها * اذا لبستها فوق جسم منعم

واحسد كاسات تقبل ثغرها * اذا وضعتها موضع اللثم في الفم

ومن لطيف كلام ابن ابي الحديد في هذا المعنى

فيارب بغضها الى كل صاحب * سواي وقبحها الى كل ناظر

وبغض اليها الناس غيري كما أرى * قبيحا سواها كل باد وحاضر

فياجنة فيها العذاب ولم أخف * حلول عذاب في الجنان النواضر

ومما ينسب الى قيس

أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ما ضم محسود

وقال أبو تمام

بنفسي من اغار عليه مني * وتحسد مقلتي نظري اليه

ولو أني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه

حبيب بث في قلبي هواه * وأمسك مهجتي رهنا لديه

فروحي عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

ومما سنح لي في ذلك قولي

نظرت اليها والسواك قد ارتوى * بريق عليه الطرف مني باكي

تردده من فوق در منضد * سناه لانوار البروق يحاكي

فقلت وقلبي قد تفطر غيرة * ايا ليتني قد كنت عود اراك

فقالت أما ترضى السواك اجيتها * وحقك مالي حاجة بسواك

(فصل في أحكام اسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة)

قد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل كتمان الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قائل ان افشاءها يسر القلب ويسري الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وقد علمها قوت ومن كبرا المدنيين وهذا الطريق قد ادعى في ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابه ولا والله ماله فيه ذرة ولم يكن ارتضع من هذا اللقح درة وأنا أنبه على من استنجح هذه الآراء هذا مثل قولهم في المثل أبصر الحامل والمحمول ودار الولاية (وما أحسن) قول الوجيه الذروي فيمن يغني بالرباب ويجمع بين الاحباب

ارق من النسيم الرطب صوتا * وامرع في الورى منه هبوبا

تغازل دائما بعيونها من * يطارحها التغزل والنسيبا

فدع لومي اذا ما همت فيها * وأنشدني من الشعر الغريبا

وشبب لي بها أبدا وقل لي * ضروب الناس عشاق ضروبا

فأغدرهم محب ذو ملال

وأعذرهم أشبهم حبيبا

(وقال) المصيص الخياط يهجو عوادا

واذا تربع لا تربع بعدها

وغدا يحرك عوده متقاعسا

فكأن جرذان المدينة كلها

في عوده يقرضن خبزا يابسا

(وقال آخر)

غنى أبو الفضل فقلنا له

سبحان مخليه من الفضل

غناؤه حد على شربه

فاشرب فأنت اليوم في حل

(وأبلغ) ما قيل في ذم المغني قول كشاجم

ومغن بارد النغمة مختل اليدين

ما رآه أحد في * دار قوم مرتين

(وقال آخر)

ومغن بارد * اذهب اللذات عنا

قد ألناه سكوتا * فأبى يسكت عنا

فشتمناه فغنى * فاشتفى القواد منا

(وقال آخر)

مغنية سوء الفاظها

تميت السرور وتحيي الكرب

مقبحة الوجه مفلوجة

فلا للنكاح ولا للطرب

(وقال آخر)

ولرب زامرة تهيج زمرها

ريح البطون فليتها لم تزمر

شبهت انملها على ضرباتها

وقبيح مبسمها الشنيع الابخر

بخنافس قصدت كنيفا واغتدت

تسعى اليه على خيار الشنبر

(وقال آخر)

كأنها في حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

لا آراء المحررة ودون هذه المذاهب المحبرة فأقول اعلم ان الطرق الثلاث موجودة فى كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية المعطر بنفثات فيه الاقطار القائم بأعباء المحبة والاسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدى عمر بن الفارض افاض الله علينا من امداداته وشملنا بالطاف عناياته فمن كلامه فى المذهب الاول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول

ولِلحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب بالخلى

اذا أودعوا سرا رأيت صدورهم * قبور الاسرار تنزه عن نقل

ومن قوله فى المذهب الثانى وهو صريح فى استيفاء الشروط المذكورة

وابثثتها ما بى ولم يك حاضرى * رقيب بغى سرى بخلوة جلوتى

ومن قوله فى المذهب الثالث بل هو أعم من هذا المشرب وقابل لكل مطلب

ويحسن اظهار التجلد للعدا * ويقبح غير العجز عند الاحبة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم فى المذهب الاول

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فزت بوجدى

فاذا كان فى القيامة نودى * من قتيل الهوى تقدمت وحدى

وأما كلام السهروردى فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردد وحيرة للعاشق وهو

وارحمة للعاشقين تحملوا * سر المحبة والهوى فضاح

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح

واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

وللواثق فى المذهب الثانى

ظهر الهوى وتهتكت أستاره * والحب خير سبيله اظهاره

فاعص العواذل فى هواك مجاهرا * فالعيش المستهام جهاره

ولبعضهم فيه

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ولبعضهم فى المذهب الثالث

يا موقد النار الهابا على كبدى * اليك اشكو الذى بى لا الى أحد

اليك اشكو الذى بى من هوالمفقد * طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

ومن ظريف قول بعضهم

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما وأجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبى بحبك لم يبح * لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

وللمعرى فى نصرة الاول

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

أقول هذا باب عقد نا له ذكر عشاق زماننا هذا وهم ماهم تعرفهم بسيماهم فنهم من اتصف بالانصاف وسلك طريقة السلف فى العفاف وهذا النوع فيما يظهر اعز من الكبريت الاحمر لم أره ولا رأيت من رآه وان وجدت اسمه فلا ين مسماه

فاشهد بصدق مقالتى
أولا فكذبنى بواحد

هيهات بل قصارى أهل هذا العصر ان يعشق أحدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من أهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شبية قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان رأى من رآها فاذا ظفر بها فى مجلس تشاكيا وأنشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كأنه على نكاحها أمين الامناء كما قيل

لم يخط من داخل الدهليز منصرفا
الا وخلخالها قد فارق الشنفا

وقال الاصمعى قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت العناق والضمة والغمزة والمحادثة ثم قالت يا حضرى فكيف هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلى عشيقته ثم يجهدها قلت يا ابن أخى ما هذا عاشق هذا طالب ولد (وسئل

اعرابى عن ذلك فقال هو مص الريقة ولثم الثغر والاخذ من أطايب الحديث بنصيب فكيف هو عندكم أيها الحضرى فقال العض الشديد والجمع بين الركبة والوريد ورهز يوقظ النيام ويوجب الآثام فقال تالله ما يفعل هذا العدو فكيف الحبيب

والطف منه قول ابى جعفر الشطرنجي

فلا تخبر بسرك بل أمته * وصير من حشاك له حجابا

فما أودعت مثل النفس سرا * ولا أغلقت مثل الصدر بابا

ولقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ما هو أدق والطف حيث قال

ومستودعي سرا تقصيت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

وما السر في قلبي كميت بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكنني أخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما احطت به خبرا

ولبعضهم

ياذا الذى أودعني سره * لا ترج أن تسمعه منى

لم أجره بعدك فى خاطرى * كأنه ما مر فى ذهنى

فهذا وأمثاله من أكبر الدوال على ان المذهب الاول هو الصحيح المعتبر وما اتهم به بعض الشراح عارف الزمان ولسان الحضرة الالهية وموضع الاسرار الربانية سيدى عمر ابن الفارض من انه نصر المذهب الثانى بقوله

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى * فابدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتى

وأهلى فى دين الهوى أهله وقد * رضوا فيك عارى واستباحوا فضيحتى

فممنوع لان التهتك الذى اراده هو الاشتهار بالعشق لا اذاعة الاسرار بدليل قوله رضوا فيك عارى يعنى ان أهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العادون عاره فى ذلك خصلة جيدة فاين هذا مما نحن فيه وقد أسلفت فى المقدمة ان دقائق هذا الاستاذ ليس فى طوق البشر من حيث هو بشر الاحاطة بها فاذا استدللنا بشئ منه فهو استئناس لاهل الترسم فى مشربهم وفيما ذكرت من قصة المنام كفاية للمتأمل وبالجملة فافشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل وأغرب بعضهم ففسر قول بعضهم (وكل حديث جاوز اثنين شائع) بأن المراد بالاثنين الشفتان وقات من الاول

لقد أودعتنى سرها فكتمته * ولولا الهوى ما غيرا لبعد خاطرى

ولكن جوى الكتمان صعده مهجتى * وقطرها دمعا جرى من محاجرى

فشف لطول السقم جسمى من الذى * كتمت فأبدته هناك سرائرى

فنم به الواشون بينى وبينها * فصدت وقالت لا وفاء لغادر

فقلت وقد ضاقت هناك مذاهبى * ومن كان قدما عاذلى صار عاذرى

فمن شافعى يوما اليها ومالكى * هواها وعن سرى يحدث ظاهرى

ومن الثالث

يا معشر العشاق أوصيكم * بكتم أسرار الهوى والغرام

الا مع المحبوب فى خلوة * فثم كتم السر عندى حرام

قلت وقد تقدم ان الملوك ليسوا كغيرهم فى العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وهناك طبقة اخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم بصنائعهم وطبقة أخرى يجلون بادبانهم وعقولهم عن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم وما سوى هؤلاء فان عشقهم عرض من الاعراض بل مرض من الامراض اذا وصلوا اليه أسرعوا بالنصلوا فهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر العمر وهذا هو الغالب على أهل زماننا هذا وهو أفسد أنواع الحب اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عنه الشغل ويحدث عند غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو اضعفها لا محالة وأمر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفاء ويحب بقليل الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل امره وانطفأ بالبولة جره فمن أهل هذا العصر من اقتصر على دمية القصر فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع فى الامرد العذار وقال للساقى عن وجنته الحمراء النار ولا العار ومنهم من قرن بين الفريقين وجمع من المذكر والمؤنث بين الضدين فتراه يأتى على ما حضر ولا يتوقف عند صورة من الصور كما قيل

انا الرجل البصير بكل أمر * دخلت من التصابى كل باب

فيهوى المرد والشبان قلبى * ولا يأبى مواصلة الكعاب

(وقد زاد ديك الجن على هذا حيث قال)

أعشق المرد والكواعب والشيب * وعندى مثل البنين البنات

حدثما يشتهى ويعشق عندى * حيوان تحل فيه الحياة (وقال أيضا) ومنه

أنا من قولى مليح * أو قبيح مستريح

كل من يمشى على وجه * الثرى عندى مليح

حدثما ينكح عندى * حيوان فيه روح

وقال لي قد طلعت ذقنه
فقلت لا افكر في ذقنه
(وقال ايضا)
شب وجدي بشائب
من سنا البدر اوجه
كلما شاب يختفي
بيض الله وجهه
(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)
وقد عنفوني في هواه بقولهم
ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقع
وحقكم بالوجد فيه الى الذقن
(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)
وكامل العارض قبلته
فصدني وازور من قبلتي
وقال كم انهاك عن فعل ذا
وانت ما تفكر في لحيتي
(وكتبت انا الى بعضهم)
ليهن مولانا حبيب لم يزل
بوصله في كل حين محسنا
كم زينته لحية في وجهه
انبتها الله نباتا حسنا
(فكتب الى الجواب عن ذلك)
يا مادحا للحية سلوتنا
عن روضها المازها ان يحسنا
ما ذا يبتت فيه نباتا حسنا
فيا ليتما منه قبولا حسنا
(فكان كما قيل)
حاشى لمثلي عن هواه يتوب
هو دون كل العالمين حبيب
اهواه طفلا في القماط وامردا
وبلحية واذا علاه مشيب

ومنه أيضا

بوصلك والود الذي كان بيننا * حلفت ولا والله ما أنا غادر
لانت أعز الناس عندي وسرك * بقلبي باق يوم تبلى السرائر
فان لم يجد لي الدهر منك بخلوة * ففي الحشر تشكوه اليك الضمائر

(فصل في ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ما صدر عن المحبوب من الانحراف)

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوب يبلغ من احكمه غاية المطلوب وموضوعه عود الالفة بعد النفور ومادته اقيسة شعريه غالبها الزور وغايته الوصول الى المطلوب واستمالة قلب المحبوب وما الطف ما قيل فيه لابن الاحنف

كان لم يكن بيني وبينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلي
واني لاستحيي لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والمطل

وقال آخر

أتنسب لي ذنبا ولم آت مذنبا * وحملتني في الحب ما لا اطيقه
وما طلبي للوصل حرص على البقا * ولكنه اجر اليك اسوقه

وقال ابن ابي حجلة

لم اطلب الوصل من اجلي فديتك يا * من قاد قلبي سوادا منه شامات
لكن خشيت بان تبلى بحب رشا * يقتص لي منك والدنيا مكافاة

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة * الي وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سنا الملك

وغانية لم تعد عشرين حجة * اقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * لانك في العشرين وهي نصاب

وقال بعضهم

قم بنا يا نور عيني * نجعل الشك يقينا
قال كم يا حبيبي * يأثم القائل فينا

وقالت

تملكت اوصاف المحاسن والبها * وزينت ارباب اللطافة والعقل
فهذا عجز الحسادشئ تقوله * رموك باوصاف القطيعة والبخل
فلا تثبتي بالهجر زور كلامهم * ولكن صليني وابطلي الزور بالنقل
ولا تمطلي بالوعد قلبا معذبا * وان صح ان الشئ يعذب بالمطل

لسود العيني ناس وناس الى المرد فقلت لهم لو كنت اصبو الامرد * صبوت الى هيفاء مياسة القد وسود العيني ابصرت فيهم مشاركا
فآثرت ان ابقى بأبيضهم وحدي (وقال آخر وقد عشق عجوزا) ٤٨ كلفت بها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(فصل في ذكر الرسل والرسائل وتلطف الاحباب بالوسائل)

وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمة كل رائق وموضوعه الاستعطاف بالانصاف ومادته زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن الطف ما وقع فيه كلام الواوي الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال آخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي * سليمى وعرض بي كأنك مازح
فان اعرضت عني فقل متغالطا * بغيري وقل ناحت بذاك النوائح

وقال القاضي مجد الدين

شكرا لنسمة ارضكم * كم بلغت عني تحيه
كم قد اطالت بل اطا * بت في رسائلها الذكيه
لا غرو ان حفظت احا * ديث الهوى فهي الذكيه

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدي

يا طيب نشر هب لي من ارضكم * فأثار كامن لوعتي وتهتكي
اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا ريح ذكي

ويجب اختيار الرسول وان يكون ذا عفة وصيانة ومروءة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقا ويخلص من سلطان المحبة والمطلوب ان يكون بالحجة ناطقا وللعشاق في هذا المساق كلام لا تحصره الاوراق قال ابن سنا الملك

راح رسولا لحبي عاشقا * وعاقه عن رسالتي عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق

وقال أيضا

راح الرسول اليه وهو مقتصد * رجع الرسول الي وهو متيم

وما الطف قول الارجاني في هذا المعنى

قسما لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى مني اليك رسولا
ودرى بحبك انه قد خانني * فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن ألطف ما وقع في الرسائل من النكت العجيبة والطرف الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذي يغلب نوره على ابن ذكاء ان ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم أبوه أمره فمنعه عنها فازداد غمه فارسلت اليه كرة عنبر فلما كسرها وجد فيها زر من ذهب فلم يدر ما ارادت بذلك فاطلع على سره القاضي الفاضل فقال

(وقال ياقوت الحموي) وقد ظلم اهل الموصل من خصهم بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل (وقال فيهم الشاعر)

كتب العذار على صحيفة خده * سطرا يلوح لناظر المتامل
بالغت في استخراجه فوجدته * لا رأي الا رأي اهل الموصل

ولقد جبت البلاد ما بين جيحون والنيل فما رأيته لا يخرج عن هذا المذهب فلا ادري لم يخص به اهل الموصل قيل وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد الميل الى الذكر لا تخلو منه بقعة انما اهل الموصل يزيدون على ذلك بانهم يميلون الى اصحاب الذقون وربما مالوا الى من في عذاره شيب ويقولون هنا شعرة وشعرة اي شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم يسميه زرزوريا وهذا قل ان يوجد في غير بلادهم وقد رموا بهذا من بين اهل البلاد واهل الاسكندرية لانهم يقولون ما نعطي فلوسنا الا لمن ينفقها على عائلته وولده انه ما نعطيها لمن يأكل بها حلاوة وقال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق

ائمة الفساق ناكحي الذكران وتاركي النسوان وكيف اخذهم وهم في خوضهم يلعبون وقطع دابرهم وهم في احدث سكرة عشقهم يعمهون وكيف جمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمة من الامم اجمعين وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية

اهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبر قليل اللحام
فالزر والعنبر معناهما * زرهكذا مختفيا في الظلام

ومثله ان رجلا دعا محبوبته الى النزهة فأرسل اليها مروحة وباقة نرجس وسكر نبات وشرابا وعودا فارسلت اليه بخيط أحمر وصبارة وثلاث كونات سود وغاسول وزر وفي ذلك من لطيف الاشارة مايدق عن الافهام فانه أراد بالمروحة تروح وبالنرجس الى الزهر وبالسكر النبات نبيت ليلة وبالشراب نشرب وبالعود الغناء وارادت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة ان تصبر وبالثلاث كونات ثلاث ليال وبالغاسول الاغتسال وبالزر الزيارة بعد ذلك وقلت ولم اسبق الى هذا المعنى فيما أظن

رسولي تلطف وابرذ كرى لها فان * رأيت الرضا في وجهها فابسط الشكوى
وان اعرضت فاطو الذي قد نشرته * ودعني بنيران الهوى في الهوى أكوى
فقد صرت أرضى كل ماترتضي به * واستعذب التعذيب في السر والنجوى
فعاد رسولي بعد عقل وحكمة * باضعاف ماعندي من العشق والبلوى
ولم أرض ارسال النسيم لانه * يرى البث في التدبير من سائر الادوا
لخفت عليه عشقها ان يعله * فأحمل وزر الست في حمله أقوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت في هذا المنوال وسبكه في قالب هذا المثال حيث يقول

وتلطف واجرذ كرى عندهم * علهم ان ينظروا عطفا الى

فان في قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد نفور القلوب وما أحسن قوله واجرى ذكرى فانه الطف من واذ كرني لهم لانه طلب مطلق اجراء الذكر وهو يحتمل معاني كثيرة وكذا قوله عندهم أي ولو على سبيل الهذيان أو محادثة غيرهم فاني لست اهلا لمشافهتهم بذكري ولهذا لم يقل واجرذ كرى لهم الى غير ذلك مما لو أخذنا في بيان دقائقه لم تسعه دفاتر ولم تقم بحمله خواطر ومامن مشرب للعشاق باطن أو ظاهر الا ويوجد في مطاوي كلامه ولكن بلسان أهله

(فصل في ذكر الاحتيال على طيف الخيال)

وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل اليه بالمنام واغتنائه والحاجة اليه عند طول الهجر وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أر فيه ألطف من كلام استاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله به دمه بل أظنه السابق الى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال

نصبت على عيني لتحصيل غمضها * لزورة زور الطيف حيلة محتال
فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت * على بدمع دائم الصب هطال

ففي البيتين مع ما طلبه من التحسين البديعي مالا يخفى

(وقال ابن النقيب في المعنى)

لمن المتقدمين والمتأخرين قال لما تجرؤا على هذه المعصية وتمردوا ونهجوا الاخوانهم طريقا وقاموا بها وقعدوا ضجت الملائكة الى الله من ذلك ضجيجا وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا وهربت الملائكة الى أقطار السموات وشكتهم الى جميع المخلوقات وهو سبحانه قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين الابعد اقامة الحجة عليهم والتقدم بالوعد والوعيد اليهم فلما خالفوا الرسول المرسل اليهم ووقعت الحجة عليهم فعل الله تعالى بهم ما أخبر به في كتابه العزيز فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم
فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونهم
على مورد من مهلة وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم
ألم يتقدكم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم
صراطا لنا في العشق غير حميد
اتينا به الذكران من عشقنا لهم
فاوردنا ذا العشق شر ورود
فانتم بتضعيف العذاب أحق من
متابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم
بما قد لقيناه بصدق وعيد
فمالكم فضل علينا فكلنا
نذوق عذاب الهون ذوق مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم
وجمعنا في النار غير بعيد

(حكى) قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان عن الاصمعي انه قال دخلت يوما أنا وابو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على نحو سبعة أذرع

له بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره وأثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذى كتب ذلك أبو نواس (قلت) وقد جاء فى تفسير قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض ان فسادهم كان اللواط

(فصل فى النظر الى وجه الامرد)

ذكر الحافظ محمد بن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر (وفى الكامل) عن أبى هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى غلام أمرد فاتهموه وصرح الشيخ محيي الدين النووى فى المنهاج بتحريم النظر الى وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن ابن واقد عن عمرو بن أزهر عن ابان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم ما لا تشتاق الى الجوارى العواتق * وكان ابراهيم النخعى

نصبت جفونى للخيال حبائلا * لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا أغمضتهن اصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

(وتلطف ابن نباتة فى أخذه فقال)

واقسم لو جاد الخيال بزورة * اصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وتلطف ابن السروجى بقوله)

انعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصالا بالذى انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
قال العواذل يدعى بك نسبة * فسررت لما قالت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى ومملوكى وما اعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * ادرى بذا وأنا الذى شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارنى * من فرحتى بلقائه حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

(وابن السروجى) هذا ذكره فى منازل الاحباب فى عشاق الغلمان وفى ثمرات الاوراق سماه تقى الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهد من شعره هذا البيتان الاخيران وانما ذكرناه كاملا لحسنه ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضربت به الامثال البحترى ومن قوله فيه

ولم أنس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدو ولم تدرى
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة * تنتنا تباشير الصباح من الفجر

(وقوله)

وليلة هومنا على العيس اقبلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثى * بعطفى غزال بت وهنا أغازله
فكم من يد لليل عندى حميدة * وللصبح من خطب تذم هواتله

(وقال عبد الصمد)

واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان
غيران الارواح خافت رقيبا * فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان

(وقال ابن القطان)

زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه و يرتحل

وسفيان الثورى وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعى مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء (حكى) عن أبى سعيد الخراز وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رأيت ابليس فى منامى وقد

وقد انشدهما يوما عند الوزير الزيني وادّعى انه لا يمكن تذليلهما فانشد الحيص بيص بديهة

ومادرى ان نومى حبسة نصبت * لطرفه حين اعيا اليقظة الحيل

(وقال ابن العفيف)

ياحبذا طيفك من قادم * ياأحسن العالم فى العالم
طيف تجلى نوره ساطعا * حتى رأته مقلة النائم
ياغائبا يحكم فى مهجتى * على طابت غيبة الحاكم
عار على حسنك ان يشتكى * حظى منه انه ظالمى

(واحسن كشاجم حيث قال)

لقد بخلت حتى بطيف خيالها * علىّ وقالت رحمة لمحبى
اخاف على طيفى اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيب

(وقال آخر)

وزارنى طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيل لى * نيل المنى فاستحالت غبطتى اسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته فى المنام معتذرا * الىّ مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * أنبهت عند الصباح لا كانا

(وقلت)

مليكة الحسن ماشئ يقال له * نوم فان جفونى ليس تعرفه
هل تسمحين بشئ منه يطرقنى * فيه خيالك ان القلب يألفه
يحيا به ميت عشق لا حراك به * اطول هجرك كاد الشوق يتلفه

ثم تشعبت آراءهم فى التفنن فى الخيال (فمنهم) من ردّه مللا وضجرا ويشبه هذا ماسبق من جهة الضجر على ترك من حجر (فمنهم) طرفة ويقال انه أول من ذكر الخيال وفى ديوان الصبابة ان أول من ذكره عمر بن قمئة وان طرفة اوّل من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فانى واصل حبل من وصل

(وتلاه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

وسيأتى لهذا البيت حكاية فى الخاتمة تذكرها هناك من ردّ عليه (ومنهم) من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

وهو يزعق ناحية فقلت تعال فقال اى شئ اعمل بكم أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا ثم قال غيران لى فيكم لطيفة قلت وما هى قال صحبة الاحداث فأخذت العصا لاضربه فقال أنا ما أخاف من العصا انما اخاف من نور القلب (قال فتح الموصلى) صحبت ثلاثين شيخا من الابدال كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث (وحكى) أبو عبد الله احمد ابن الجلاد قال كنت أمشى مع استاذى فرأيت حدثا جميل الصورة فقلت أترى يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال أونظرت اليه سوف ترى غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلوم ان النظر الى الامرد يوقع فى سكرة العشق كما قال تعالى عن عشاق الصور لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر والعشق هو سكر ذلك الشراب وسكر العشق أعظم من سكر الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو فى عسكر الاموات

سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى يفيق فتى به سكران

(أنشدنى بعض مشايخ العصر)

يامن غدا بالمرد ذا لوعة * ماأنت فى حبهم بالمصيب
فى الخرّد العين الذى تشتهى * منهم ويفضلن بحب الحبيب

(وقال آخر)

حبك الغلمان امر * كنك النسوان غبن
انما يفسق فى الظهر اذا أعوز بطن

على ان عشق النسوان أيضا وادفار الى من لايجوز النظر اليها فيه سافيه مما لايدرك تلافيه وقد ثبت فى الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ماتركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء (قلت) ولاسيما نساء هذا الزمان

(ومنهم) من ذم النوم في قالب الاعتذار عن طيف الخيال كأنه يقول ان المنغصات في الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى في النوم ألا ترى أن من يحلم بمحبوبه أو شيء من مطلوبه ينتبه فلا يرى الا الاسف والقلق وزيادة الحرق وان حلم أنه احدث أو ضرب رأى ذلك في الصباح ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جريا على عوائد الزمان في الاتيان بغير الملائم للانسان وما احسن قول المتنبي في هذا المعنى

واحسب أني اذ هويت فراقكم * افارقكم والدهر اخبث صاحب
فيا ليت ما بيني وبين احبتي * من البعد ما بيني وبين المصائب

ومن ذم المنام والرؤيا فيه قول بعضهم

ارى في منامي كل شيء يسوءني * ورؤياي بعد الصبح ادهى وأقبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل أصبح

(وقال المعري)

الى الله اشكو أنني كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لا شك واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

(وقال الاحنف العكبري)

واحلم في المنام بكل خير * فأصبح لا أراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي * لوافى الشر من قبل الاذان

(وقلت)

لك الحمد اني لم أبت قط ليلة * من الدهر خلوا من أليم النوائب
وفي النوم ان احلم بشيء يسوءني * من الصبح يأتيني بسوء العواقب
وان كان خيرا لا ارى منه ذرة * لسوء مزاج او قران كواكب

(ومنهم) من تظرف في وصف النوم وابليس بالقيادة قال ابن المعتز

الم الخيال بلا حده * وابدلني الوصل من صده
وكم نومة لي قوادة * أتت بالحبيب على بعده

(وقال آخر)

تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذا الامر عز عندي سلوكه
يقرب من أهواه حينا فان أبي * حكاه خيالا في الكرى فانيكه

ومما يصلح ايراده هنا للمناسبة أن بعض المغفلين احب امرأة واجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له لم تفعل ذلك قال من شوقي اليك لعلي أراك في النوم فقالت انا عندك بنفسي فقم فانظرني

* (فصل في احكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمني طول زمن الوصل والرضا

من كل شمس خدر تطلع من قوادها بين قرني شيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج بعد زوجها من الباب أو الطاق كما قيل في معنى ذلك

شغل المرد بالدال واضح * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفى * فعزاء يا معشر الفساق

(وحكى) عن بعضهم انه قال لجارية تساحق ارجعي الى الحق فقالت الحق بعض مرادي تريدان السحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة مما حقها أن يقال في حقها

مغرمة بالسحاق اضحت * تبكي عليه بكل عين
فما كنت في الهتوك الا * تضيف اسحاق في حنين

(حكي) أن رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما في السحاق فجذب التي هي من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال * وقال شيخنا زين الدين ابن الوردي في نساء أهل العصر هذا الشعر

قولوا لمن تهوى السحاق الذي * حرمه الله وما فيه خير
أخطأت يا كاملة الحسن اذ * أقمت اسحق مقام الزبير

(وقال آخر)

قل لمن تدعي السحا * ق الى كم تساحق
ليس يشفي غليلك * من جميع الخلائق
غير ذي الاصلع الذي * قيس بالخليق الحالق

(وقال ابن سناء الملك)

يا هذه لا تستحي * من قد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تشا * مب ان ارى قد تغطى
وقصر (وقال بعض مشايخ بعصر)
أيري اذا ناديته * لحاجة تختص بي
قام اهابي فنسه * ماهو الاعصبي

(وسألني) بعض الاصحاب أن أنظم لمثل هذا فقلت واستغفر الله وأتوب اليه
أيري هذا عصى * يدخل منك في الدم

وقصر الهجر وقطعه اسرع من القضا وما تشعب في ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الأذواق *

فما قال متيمهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الاحبة

يا ليل طل او لا تطل * لا بد لي أن اسهرك
لو بات عندي قمري * ما بت ارعى قمرك

وما ألطف قول بعضهم في طول الليل وهجر المحب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

(وقال آخر)

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه ثباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

(وقال بعضهم)

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها * وهجره النار يصليني بها النارا
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة * ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

(حكى) ان محمدا تاسئل عن معنى هذين البيتين فقال هذا راجع الى النجوم وقام مغضبا وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقة حتى يتقن في النجوم (وقال بعضهم) في قصر ليل الوصال

يا ليلة كاد من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

عهدي بنا ورداء الليل مشتمل * والليل اطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال الشريف ابن الهبارية

لقد ساهرتني عيون الدجى * وقد نام عني عيون الملاح
اذا ما اشتكى الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال القاضي الفاضل في زمن الوصل)

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وقال الارجاني معتذرا عن طول ليل الهجر

لا ادعي جور الزمان ولا ارى * ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفسي * للهم اصدأ وجهها المصقولا

تاخرت حيضتها * قلت لها تقدّى

(وقال بعض مشايخ العصر)

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا
يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم
كأن الشمس قد ولي الوزاره

(وقلت أنا)

يا أير ان مر الحبيب مسلما
وأشار نحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تك أحمقا
ما في وقوفك ساعة من باس

(وقلت) ايضا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وفى في الصيام الحب أنشدني
أيري وقال اشترط ما شئت واحتكم
فالامر أمرك ما عندي مخالفة
ان صمت صمنا وان أفطرت لم أصم

(وحكى) قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان بعد ان ذكر قول بعضهم

ولقد قال لي صديقي لما
ان رآني اضرني الافلاس
قم تسكع بذا العمود فهذا الـ
اير يرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهري
اهله كلهم لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الاير
على الراحتين ثم يباس
اين من كان عالما بمقاد
ير الايور الكريمات الناس

فقال قيل ان الامير فخر الدين ابن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين ابن قيم الشام فكتب تحتها من خلف مثلك ما مات (وقال آخر)

زعموا أني خسرت عليها * ليت شعري من أين تلك الخساره
من مغل من ضيعتي من قماشي * من بقايا أصول تلك التجاره
حضرتني فقام ايري اذا * لا يحاكي بشطينة أو شباره

(وقال آخر)

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلى

(وقال المتنبي)

كم زورة لك فى الاعراب خافية * ازهى وقد رقدوا من زورة الذيب.

ازورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بي

فى هذا البيت من الانواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه فى مقابلة الصبح بالليل لان الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان اولى وللمتنبى دقائق لطيفة الاترى الى قوله

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن المانوية تكذب

فان المانوية فرقة تقول ان الآلهة اثنان اله الظلمة واله النور والاول لا يفعل الا الشر والثانى لا يفعل الا الخير فتقول ان زيارة المحب اعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا فى قولهم

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة فى الصباح

كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عنى نور الوجوه الملاح

وانما اكثروا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتستجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصا قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شئ ولا ينسيه مراده (وقلت جامع الغالب هذه المعانى)

بذكرك يا من فى هواها ضنى حالى * شغلت فما منه أرى ابدا خالى

فنبت عن الاغيار فيك صبابة * فغيرك لم يخطر مدى الدهر فى بالى

ولو زارنى طيف الخيال لقال لى * الا انعم صباحا ايها الطلل البالى

سوى قصر أعوام الوصال وصدها * دقيقة هجران تقطع أوصالى

فيا من اهابا لحسن يوسف قد حبا * ووالده بالحزن فى الدهر أوصى لى

متى تنمحى والشمس بالقوس ليلة * وفى ضده يوما على رغم عذالى

(وقلت ايضا اخترعا فيما اظن)

ألوم جميع العاشقين لذمهم * ضيا الصبح فى تفريق شمل الحبائب

وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها * يفيض الضيا فى شرقها والمغارب

وهلا سألتم شعرها وجبينها * اذا شئتم طول احتباك الغياهب

(فصل) فيما ذكروا واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذى اوقعه فى الفضول وكيف ادخل نفسه بين الاحباب حتى اتقمت منه اهل الآداب فوجهوا

ويحك يا ابرتى أما تستحى * تخيلنى ما بين جلاسى

تطلع من طوقى كذا عامدا * تنكس العمة عن راسى

(وقال ابن مطروح)

سألت من أمرضنى * فى قبلة تشفى الالم

فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم

فقال غصبا قلت لا * الا سماحا وكرم

قال فسرا قلت لا * الا على رأس علم

قال تخذها بالرضا * منى حلالا وابتسم

فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم

(الباب الثلاثون فى ذكر من اتصف بالعفاف وبأحسن الاوصاف)

أقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين ميلا وأظهرهم دليلا وأحسنهم سيرة وأزكاهم سريرة وأعفهم مع القدرة ولاسيما بنو عذرة الذين هم أشد الناس غراما وأعظمهم هياما فلذلك قلت وأقول العشق مع العفة فى بنى عذرة كثير والمقتول منهم عشقا جم غفير فان ذكر أحدهم بالعفة فجميل جميل الصفات صادق العزمات ويورد من أخباره فى هذا المقام ما يصدق هذه الدعوى ويحقق ان التسلى بالمحبوب عن غيره ضرب من السلوى (فمن ذلك) ما حكاه محمد بن جعفر الاهوازى قال مرض جميل بمصر مرضه الذى مات فيه فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميل ما تقول فى رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد ان لا اله الا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا فقلت له ما احسبك سلمت وانت منذ عشرين سنة اليه تشبب ببثينة فقال انى لفى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فلا نالتنى شفاعة محمد يوم القيامة ان كنت وضعت

اليه مشان اللسان والاقلام فامتحن طعنا بكل نثر ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يمسك عما استغنى عنه من الكلام فهو أحق بالملام وليس فى هذا الباب الطف من كلام سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(وقال بعضهم)

ياعاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يامن اذاعت الابصار أسودها * بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيد فى العذل تبريحا اسربه * فليت عذالى حبى قبل ما برحت

وقال ابن العفيف التلمسانى

أسرفت فى اللوم ولم تقتصر * وزدت فى عذلك ياذا العذول
قد رضيت نفسى بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده)

ولى على عاذلى حقوق هوى * شكرى عليها من بعض ما يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت فى عشقه انا السبب

(وقال بعضهم)

قد اقتصر اللاحى وجاء يلومنى * وزخرف لى زور الكلام بمينه
وقال اسل عن هذا ودع عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وانشد ابن وكيع وقد عشق غلاما نصرانيا ولامه عليه صاحبه فتربها المعشوق ولم يدر العاذل أنه هو فقال له لو عشقت هذا ما ملك عليه فانشد

أبصره عاذلى عليه * ولم يكن قبلها راه
فقال لى لو عشقت هذا * ما لامك الناس فى هواه
قل لى الى من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدرى * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا أننى هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعى * فلو ان كان قلبى سلاكم
قال لى عذلى متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال بعضهم)

يدى عليها الريبة قط فما فقنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة (ومن غريب) ما حكاه الزبير من أخبار جميل أن بثينة المذكورة من بنى عذرة وبنو عذرة قبيلة مشهورة بالعشق فى قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذرى لانهم أشد الناس عشقا وخلق الله عشقا (قال سعد بن عقبة) لاعرابى ممن أنت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذرى ورب الكعبة ثم قال ولم ذلك قال لان فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة (وقال) رجل لعروة بن حزام ياهذا بالله أصحيح ما يقال عنكم انكم أرق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا فى الحى قد خامرهم الموت ما لهم داء الا الحب (وقال) رجل من بنى فزارة لرجل من بنى عذرة تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية ورق وخور تجدونه فيكم يابنى عذرة فقال له والله لو رأيتم النواظر الدعج من فوقها الحواجب الزج من تحتها المباسم الفلج والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر لاتخذتموها اللات والعزى ثم أنشد

تتبعت مرمى الوحش حتى رمينني * من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فياعجبا للقاتلات الضعائف

(وقيل لبعضهم) ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال احل النهار وأحرم ما وراء الازار واظهر للحب ما يرضى الرب (وقال) الحافظ أبو محمد الاموى ان امرأة يثق بها حدثته ان فتى علقها وعلقته وشاع أمرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلمى نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا أبدا وأنا اقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (وقيل) لبعضهم وقد طال عشقه لجارية من قومه ما أنت صانع ان ظفرت بها ولا رقيب

الا الله قال والله لاجعلته أهون الناظرين لا أفعل بهما شاليا الا ما أفعله بحضرة اهلها حنين طويل ولها من بعد واثرك مايكره الرب ويفسد الحب (وقيل لآخر) ما كنت صانعا لو ظفرت بمحبوبك فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان في اثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها الى ان تعلت هذا اللئيم ولم يلدني كريم (قلت) وممن اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف من الخلفاء هرون الرشيد وذلك انه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت ان اباك ألم بي فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه فكان ينشد

اری ماء وبي عطش شديد
ولكن لا سبيل الى الورد

فقال له القاضي أوكلما قالت جارية شيأ تصدق قولها فقال الرشيد ما فوق الخلافة مرتبة فانظر ما احسن عفة الجارية وامتناع هرون الرشيد مع شدة شغفه بها (ودخل عليه) منصور بن عمار فاستدناه حتى ألصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا أمير المؤمنين تواضعك في شرفك احب الينا من شرفك فقال عظني فقال من عف في جماله وواسى من ماله وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدني فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا أكنت تشتريها به قال نعم قال فلو تعسرت عليك بعد شربها أكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال فقبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة (وحكي) عن السلطان ملك شاه السلجوقي انه حضرت بين يديه مغنية فأعجب بها واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان العالم اني أغار على هذا الوجه والله المليح الجميل ان يعذب بالنار وان الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي وتزوجها وأقامت في

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

(وقال آخر)

من منصفي من عاذل جاهل * يخوض باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما اعجلك الأذى * قال وما عشقك الاجنون

وقال محمد بن شرف الدين القيرواني

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

ايها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرته وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(وقال ابن عبد الظاهر)

كم على عاذلي وكم لحبيبي * ذاك تكبيرة وذا تهليله
يا ثقاتي وأين مني ثقاتي * اين من يبتغي الى الوسيله
أنا ان مت قبلوني اليه * فبباقي وحقه تقبيله

(وقال قابوس)

من عاذري في عاذل * يلوم في حب رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا (هذا)

(وقال الوداعي)

يا لائمي في هواه * افرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال البهاء زهير)

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتجهم * فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

ابغض العشاق منه انني * لم ابع في حبه رشدي بغي
قلت قد أضنيت جسمي قال قد * قلت كي تذهب روحي قال كي

(وقال ايضا)

اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا افؤادي * فآنسوا مقلتي ولاتو (حشوا)

(وقال ابن مطروح)

عصمته حتى مات رحمه الله (وحكى) سهيل اكبر خدم السلطان نور الدين الشهيد ان السلطان المذكور اشترى مملوكا بخمسمائة دينار وخامة وبغلة وكان جميل الصورة وسلمه الى وكنت قد ربيت السلطان فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسمائة دينار ثم تركني اياما وقال احضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلما كان بعد أيام قال أحضره بعد العشاء الى الخيمة ونم أنت واياه على باب البرج فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لا اقتله قبل أن يقع في المعصية فأخذت كارة فأصلحتها وجئت بالمملوك وأنا في قلق فمرت عامة الليل ونور الدين في أعلى البرج ثم غلبتني عيني فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل الجمرة وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي وأحضرت الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني نور الدين في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم فاستحييت فقال قد عرفت حالي وأنت ربيتني هل عثرت لي على زلة قلت حاشا لله قال فلم جاءت الكارة وحدثتك نفسك بالسوء ما أنا معصوم لما رأيت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت اشتريه لعله يذهب عني ما أنا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي أريد كل يوم أن أراه فأمرتك باحضاره فقالت أريد أن تحضره الى البرج بالليل فأمرتك باحضاره فلما حضر ما تركتني النفس أيام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان أصعده الى عندي فتداركني الله برحمته فكشفت رأسي وقلت الهي عبدك محمود المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى

والله ما خطر السلو بخاطري * مادمت في قيد الحياة ولا اذا

(وقال آخر)

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

(وقال آخر)

قل للعذول اطلت اللوم في قمر * يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب * قم فانظر الورد في خديه منثورا

(وقال محيي الدين البغدادي)

ان لامني من لا رآه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان نهاني من رآه فقد * اضله الله على علم

(وقال البهاء زهير)

انت الحبيب الاول * ولك الهنا المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت واكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدود * نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى * لكنني أتعلل
قل للعذول اطلت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من * غضب الحبيب واسهل

(وقال ابن أبي حجلة)

وعاذل بالغ في عذله * وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

(وقال آخر)

وشادن مبتسم عن شنب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان أني رجب

المراد بشعبان العاذل ورجب الاصم وهي اسماء كانت مشهورة في الجاهلية

(وقال السراج الوراق)

قلت اذ جرد لحظا * حده يدني الاجل
يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

هذا مثل سائر أصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة خرجا لحاجة فرجع سعد دون أخيه وكانت العرب اذا عاد الرجل منهم من سفر يقولون له سعد ام سعيد فيقول سعد ان رجع بفرصة وان عاد بدون فرصة يقول سعيد وان أباهما خرج مع رجل حتى بلغا موضعا فقال له

الرجل قد قتلت هذا رجلا واخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه بجرده وضرب الرجل فعذل فقال ضبة سبق السيف العذل (وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذل

مادمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق فقولك مقبول على ولى

(وقلت)

لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى * للومهم العذال وهو عجيب

أما عذر المجنون مع ذى جهالة * لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب

وما عاقل ذاق الهوى فيذمه * ويعذل صبا ان جفاه حبيب

(فصل فى احكام الزيارة وما جاء فى فضلها من البراعة والعبارة وتفنن العشاق فى فضل زيارة الحبيب وايثار انفاسه على نفائس الطيب)

قيل كان الشافعى رضى الله عنه يكثر من زيارة احمد وكان أحمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعى انك لتزوره اكثر وهو المحتاج اليك فأنشد

قالوا يزورك احمد وتزوره * قلت الفضائل لا تفارق منزله

ان زارنى فبفضله اوزرته * فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده فى هذا الباب حيث يقول

ولما توافينا عشاء وضمنا * سواء سبيلى دارها وخيامى

فرشت لها خدى وطاء على الثرى * فقالت لك البشرى بلثم لثامى

جعل الزيارة تفضلا منها ثم اشار الى اخذه فى اسباب السعى اليها بل شروعه فى ذلك رفعا لجانبها عن التكليف الكلى كأنه يقول انه ليس اهلا لها ثم فرش خده فى مقابلة السعى ولم يقل لها فقط بل اطلق فى جعله على الثرى المحتمل انها وطئته وانها لم تطأه وفى ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه أيضا بغاية رفع شأنه منها بأكثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمحت له به غيرة كما صرح به هضما لجانبه عن هذا المقام كما اشار اليه ولما اعطى المقام حقه ونقلته العنايات الى محل الكرامات والحظوة بنيل المرادات اشار الى ذلك بقوله بعد البيت الذى تضمن ما ذكرنا

عتبت ولم اعتب كأن لم يكن لقى * وما كان الا ان أشرت وأومت

فانظر الى هذا الانتقال وصريح هذا المقال بعد ما قال

ومنت وما ضنت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرف وقفتى

حيث عد زيارتها منة عليه لئلا يتوهم مما يأتى هضم جانبها ثم نفى عنها البخل ثم عتب بعد ذلك فأين هذا مما سبق فسبحان واهب الفضل لمن أحسن فى خدمته وقام بحقوق محبته ومن ألطف ما قيل فى الزيارة والعجلة قول العكوك

الله عليه وسلم الذى عمر المساجد والمدارس والربط يختم أعماله بمثل هذا فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد حدث به حدث وأما أنت فجزاك الله عنى خيرا والله ان القتل عندى أهون من المعصية ثم أحسن الى (وحكى) عن فاطمة بنت الخثعمى انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبى صلى الله عليه وسلم الى نفسها للنور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه
يحمى الكريم عرضه ودينه

قلت قصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم فى المثل واحدية تهوى التين وآخر يقطفه فحاله معها كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو ما حكى انه راودها عن نفسها فنفرت منه وأنشدت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه
وأنت لأخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا
وأخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الآخر

علقتها عرضا وعلقت رجلا
غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

وممن اتصف بالعفاف من ذوى الغرام الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهرى وله فى ذلك حكايات مشهورة وهذا موضع ايرادها ونشر أبرادها فمن ذلك قوله لكل شئ زكاة وزكاة الوجه الحسن امكان أهل العفة من النظر اليه (وحكى) محبوبه محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلانى انه دخل على أمير المؤمنين بالله فسأله عن ابن داود هل رأيت منه ما تنكره فقال لا يا أمير المؤمنين الا انى بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهى ثم يقول

بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شيء فزعا
زائر نم عليه عرفه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاخطار في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(وقال ابن المعتز)

زارني والدجى احم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود

(وقال آخر)

زارت على غفلة الرقيب * كظبية روعت بطيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب

وقال عبد العزيز ويقال انه أصدق ما قالت الاواخر

يقولون لي بالله ما أنت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أبيكه

(وقال ابن النبيه)

قلت لليل اذ حباني حبيبي * بعتاب يسبي النهى وعقارا
أنت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يا دجى بردارا

(وقال ابن العفيف)

ومليح كالبدر زار بليل * فجلى حسنه الدجى اذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هواه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي * يجهل النزاع كيف استدلا

(وقال بشار)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة * عودي ولا تجعليها بيضة الديك

انما قال ذلك لانه قد اشتهر ان الديك يبيض في عمره مرة ولم يذكر الطبيعيون ذلك واقول ان القياس لا يأباه لما تقرر في الطبيعة من ان البيض الريحي فضلات غليظة هيأتها الحرارة والذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المني الفاضل ولولا الحرارة الحلالة لكثر ذلك فيهم والممنوع بيض يولد النوع لعدم الزرع النامي ومن له يد في الفلسفة سهل عليه علم هذا

وقال ابن أبي حجلة

زار الحبيب ووجه الورد خجلان * فأصبح تنثني قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ماضرني ضيق عيشي حين واصلني * سم الخياط مع الاحباب ميدان

اللهم أنت تعلم أني أحبه واني أراقبك فيه قال فابلغ من رعايتك له فقالت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي وآليت أن لا ينظر أحد الى وجهي قبله وبادرت اليه فلما رآني مغطى الوجه خاف أن يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت رأيت الساعة وجهي في المرآة فاحببت أن لا يراه أحد قبلك فغشي عليه قال الليث بن سكرة كان محمد بن واسع ينفق على محمد ابن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشقه ويتقرب الى قلبه بأنواع البر الا هذا مع ما هو فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق بأخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا المعشوق حكاية غريبة أضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود قد وضع كتاب الزهرة لاجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق وقال في أوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجيب ما تأتي به الايام ظالم يتظلم وغابن يتندم ومطاع يستطيل وغالب يستنصر ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب وبدأت في كتاب الزهرة وأنا في الكتاب ونظر أبي في أكثره ومن ألطف ما حكي عنه انه التقى هو وأبو العباس بن سريج في مجلس أبي الحسن بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلاء فقال له ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق منك في الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فاني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما

(وقال ابن سكرة)

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من الحرس

تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها لـلاعن القبس

ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنايا وضوء البرق فى الغلس

ومما تدرجوا اليه من ذكر زيارة الحبيب وصف عمره بالطيب قال ابن النبيه

ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق

(وقال الطغرائى)

فسرينا فى ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر)

لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال

(وقال المتنبى)

ويفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق

ومما ينخرط فى سلك الزياره وينتظم فى عقد الاشاره ذكر العياده وما يجز الى المحب فيها من الافاده وهى فى الحقيقة زيارة جميله تستعطف بها النفوس الجميله قال الطغرائى

خبروها انى مرضت فقالت * اضنى طارفا شكا أم تليدا

وأشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى أن تعودا

وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم الشوق والمزار البعيدا

ورأتنى كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

وملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بعظمى المنهاض

قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال آخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصلكم غذى

ورفعتموا مقداره بالابتدا * حاشاكم أن تقطعوا صلة الذى

وعلى ذكر الذى والصلة قيل كتب ابن عنين وقد مرض الى الملك المعظم

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى

أنا كالذى احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه وصحبته ثلثمائة دينار فقال أنت الذى وهذه الصلة وأنا العائد

(وما ألطف قول البهاء زهير فى المعنى)

يقولون لى أنت الذى شاع ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد

وأحلى من ثقل الهوى ما لوانه * يصب على الصخر الاصم تهدما ويـنطق طرفى عن مترجم خاطرى * فلولا اختلاسى رده لتكلما

رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما فقال له ابن سريج فبم تفتخر إذ

ولو شئت اقلت

ومساهر بالغنج من لحظاته

قد بت أمنعه لذيذ سناته

شغفا بحسن حديثه وعتابه

واكرر اللحظات فى وجناته

حتى اذا ما الصبح لاح عموده

ولى بخاتم ربه وبراته

فقال محمد احفظ عليه أيها الوزير ما أقر به من الاجتماع حتى يقيم البينة بشاهدى عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمنى فى هذا ما يلزمك فى قولك

أنزه فى روض المحاسن مقلتى

وامنع نفسى أن تنال محرما

قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن لطيف ما يحكى عن محمد) أيضا ما حكاه أبو القاسم الصائغ قال قال لى محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلى باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لانى دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من أحسن الناس وجها يتعاتبان فلما رأيانى تفرقا فآليت أن لا أدخل من باب كنت فيه السبب فى التفرقة بين المحبين ودخل عليه ثعلب فقال له أسمعنا شيأ من صبوتك فأنشد

سقى الله أياما لنا ولياليا

لهن بأكناف الشباب ملاعب

اذا العيش غض والزمان بغرة

وشاهد آفات المحبين غائب

(ومن شعره) لكل امرئ ضيف يسر بقربه * ومالى سوى الاحزان والهم من ضيف فقلت

يقول خليلى كيف صبرك بعدنا * فقلت وهل صبر فيسئل عن كيف

فقلت له هبنی الذی قد ذکرته * فأین صلاتی منکم وعوائدی

(وقال ابن عباد)

مرضت فأشفقت الزیارة عامدا * وما عن قلی أمسکتها لا ولا هجر

ولکننی أشفقت من أن أزورکم * فابصر آثار الکسوف علی البدر

(الشهاب محمود)

رأتنی وقد نال منی النحول * وفاضت دموعی علی الخد فیضا

فقالت بعینی هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أیضا

(وقال الارجانی)

غالطتنی اذ کسا جسمی الضنی * کسوة أعرت من اللحم العظاما

ثم قالت أنت عندی فی الهوی * مثل عینی صدقت لکن سقاما

(ابن أبی حجلة)

شکوت الی الحبیبة سوء حظی * وما قاسیت من ألم البعاد

فقالت أنت حظک مثل عینی * فقلت نعم ولکن فی السواد

(ابن النقیب)

ومالی سوی عین نظرت لحسنها * وذاک لجهلی بالعیون وغرتی

وقالوا به فی الحب عین ونظرة * فقلت نعم عین الحبیب ونظرتی

(والکل مأخوذ من قوله)

وجاؤا الیه بالتعاوید والرقی * وصبوا علیه الماء من ألم النکس

وقالوا به من أعین الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

(شمس الدین بن العفیف)

اسم حبیبی وما یعانی * قد حیرا خاطری ولبی

قالوا علی قلت قد درا * قالوا کوافی فقلت قلبی

(ابن الوکیل)

ولی من قساقلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانی یضاعف تبعدی

أقـــــــــــــول زبرق اذ أقول أناله * وکم قالها أیضا ولکن لتهدیدی

(ومما أورده صاحب الدمیة له)

عذیری من شاطر اغصبوه * فجرد لی مرهفا فاتکا

وقال أنا لک یا ابن الوکیل * وهل لی رجا سوی ذلکا

وتشبیهاته فی نوع الزیارة کثیرة ذکرت منها ما سمعت اذ لا یمکن استیعاب ذلک

(وقلت فی أصل الزیارة)

زارت وقد أخفی نهار جبینها * لیل الشعور مخافة الرقباء

(وقال ابن السراج) فی کتاب مصارع العشاق وعن أبی عبد الله ابراهیم بن محمد بن عرفة النحوی قال دخلت علی محمد بن داود الطاهری فی مرضه الذی مات فیه فقلت کیف تجدک فقال حب من تعلم أورثنی ما تری قلت له ما منعک عن الاستمتاع به مع القدرة علیه فقال الاستمتاع علی وجهین أحدهما النظر المباح والثانی اللذة المحظورة فانه منعنی منها ما حدثنی أبی قال حدثنی سوید ابن سعید قال حدثنا علی بن مسهر عن ابی یحیی العتاب عن مجاهد عن ابن عباس عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال من عشق وکتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وأدخله الجنة ثم أنشد

انظر الی السحر یجری فی لواحظه * وانظر الی دعج فی طرفه الساجی

وانظر الی شعرات فوق عارضه * کأنهن نمال دب فی عاج

وأنشدنا لنفسه

مالهم أنکروا سواد الخدیـ * ـه ولم ینکروا سواد العیون

ان یکن عیب خده بدر الشعـ * ـر فعیب العیون شعر الجفون

فقلت له نفیت القیاس فی الفقه وأثبته فی الشعر فقال غلبة الهوی وملکة النفس دعوا الیه ومات فی لیلته رحمه الله (قلت) وقد اختلف الناس فی قوله علیه الصلاة والسلام من عشق وکتم وعف الحدیث فقال بعضهم کتم عشقه عن الناس وقال بعضهم کتم اسم محبوبه وقال المصری أحب فکتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهید وقال عثمان بن زکریا المؤدب أحد رواة الحدیث عن سوید کتم محبوبه أنه یحبه قال الشیخ الامام العلامة الحافظ علاء الدین أبو عبد الله مغلطای فی کتابه الواضح المبین هذا حدیث اسناده صحیح وان کان جماعة من العلماء أعلوه بما لیس بعلة یرتبها یعنی قوله صلی الله علیه وسلم من عشق فکتم الحدیث * ونقل

فوثبت اجلالا لا أقبل نعلها * بل ترب الها مس أدواقى
قالت لك البشرى فطب نفسا بما * أوليت من نعم وحسن وفاء
بتنا وكل جوارحى تشكو لها * شوقى وما صنع الهوى بحشاقى
فسكرت من ألفاظها ورضابها * مع لينها ومحاسن الحسناء
ونسيم انفاس لقلبى ارسلت * سحرا فأحيا ميت الاحياء
لله من وطر قضيت مؤازرا * معها بثوبى عفة وحياء
يا ليلة غلط الزمان بها ولو * عوضتها بالعمر كان مناقى

(وقلت أيضا)

افدى التى زارت بلا موعد * فى غفلة الواشين والجانى
والوجه منها روضة أينعت * ما المستها راحة الجانى
قمت لاجنى الورد من خدها * وهى بسيف اللحظ ترعانى
فقلت ما هذا وقد راعنى * قالت حديد يمنع الجانى

وأما كلام سيدى عمر بن الفارض فى وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله

ولو عبقت فى الشرق انفاس طيبها * وفى الغرب مزكوم لعادله الشم

فانه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدى اليها الا من خص بالعناية الاثرية الى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله فى الغرب الذى يكثر الهواء منه لا اليه كما فى القرينة الثانية وجعل المحبوبة فى القطر الحار الذى تفنى فيه الرائحة اذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعد البخار ومع ذلك يشم ومنه أخذت فقلت

لو اشتاقها فى الغرب فاقد شمه * وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

(وقلت فى العيادة)

أقول لها هل تسعفى بعيادة * مريضا كواه البين بالهجر والسقم
فقالت اذا ما فارق الروح زرته * لان محال جمع روحين فى جسم

ومما يخرج على الزيارة تخريج الفروع على الاصول ويهتدى الى الحاقه بها أهل العقول ما يجرى على ألسنة الاحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لتأكيده المحبه ودام له بين الاحبه والصحيح انما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكد الصحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو احق بأن ينصر ومنه يستكثر قال فى احياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن اولى الالباب وقاطع لقطيعة الاخلاء والاصحاب وكان الرجل اذا وقع فى نفسه من اخيه شئ لم يهجره حتى يوضح له ذلك فان انتهى والا هجره واما عتاب يفضى الى المقاطعه ويحدث الهجر

والممانعة

فى كتابه المذكور أيضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية فى صحته ولا لبس قلت ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث منهم الرافعى وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم أطلق كالشيخ محيى الدين النووى فانه أطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميتة طلقا يعد من الشهداء هذا مع شدته فى الدين وعدم مساهلته فى هذه الاشياء وما أحسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودم القتيل متساويان فى التشبيه والتمثيل الا ان بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة أبو الوليد الناجى

اذا مات المحب جوى وعشقا
فتلك شهادة يا صاح حقا
رواه لنا ثقاة عن ثقاة
الى الحبر بن عباس ترقى

(وقال عبد الكريم القشيرى)

ان المحب اذا توفى صابرا
كانت منازله مع الشهداء
يرويه أقوام غدوا فى صدقهم
علما وناهيكم بهذا الداء

(وقال الحسن بن هانئ)

ولقد كان روينا
عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب
ان سعد بن عباده
قال من مات محبا
كان من أهل الشهاده

(وقال ابن رواحة الحموى) وأحسن ما شاء

لا تموا عليك وما دروا
ان الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى
او كان هجر فالشهاده

وانه عكس قوله هذا فقال

ما انت فيه حامدا أمرا
يا قلب دع عنك الهوى واسترح
أضعت دنياى بهجرانه * ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

والممانعه فتقريب يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه فصلا ووصلا وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن أمثالهم في الاول العتاب مفتاح الوصال قاطع للهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقتله وهو سعيد الكاتب بقوله

اقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل تارة ويميل
ولعل أيام الحياة قصيرة * فعلام تكثر عتبنا وتطيل

(وقال آخر)

وبعض العتاب اذا ما رفقت * يباعد هجرا ويدني وصالا
فعاتب أخاك ولا تجفه * فان لكل مقام مقالا

(والى مكثر التقاطع أشار بالترك من قال)

لا تقرعن سماع من * تهوى بتعداد الذنوب
ما ناقش الاحباب الا * من يعيش بلا حبيب

(والى تأييد الاول أشار من قال)

فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شيء ألذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر)

وأحسن أيام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

(ابن سنا الملك)

وأملي عتابا يستطاب فليتني * أطلت ذنوبي كي يطول عتابه
ومن غرضي ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه

(ابو نواس)

أساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب
تعد على الواشيات ذنوبه * ومن أين للوجه المليح ذنوب

(الحكم بن قنبر)

كأنما الشمس في أعطافه طبعت * حسنا أو البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان عظمت * منه الاساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

(ابو فراس)

قل لاحبابنا الجناة علينا * دربونا على احتمال الملال
أحسنوا في عتابكم أو أسيئوا * لا عدمناكم على كل حال

(وقال آخر)

نفذ عن مقال أنت فيه مذبذب
فذلك ما قد كنت منه تحيد
سياق الذي يروى به ركب ذوى الهوى
به كل يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم
فتهم قيام حولها وقعود
يعومون في بحر المدامع عندما
تميل بهم سفن الهوى وتميد
أتبكي دوين العام من عام منهم
وقد حد حولا للبكاء لبيد
قال وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود النقية النقود المجبورة الكسور العالية القصور مشتملا كل باب منها على بيت قصيد وبحر مديد يسقي ثمر غروسها ويروى المجدب من طروسها
بعينين نجلاوين لو رقرقتهما
لنوء الثريا لاستهل سحابها
ومابقي الا ذكر مصارع العشاق وأخبار من أصبح من المحبين ميتا بالاشواق
ان لم أمت في هوى الاجفان والمقل
فواحيائي من العشاق واخجلي
ما أطيب الموت في عشق الملاح كذا
لا سيما بسيوف الاعين النجل
ياصاحبي اذا ما مت بينكما
دون الشهيين ورد الخد والقبل
فاستغفرا لي وقولا عاشق غزل
قضى صريع القدود الهيف والمقل

(وقال بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله) للعاشقين بأحكام الغرام رضا * فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا * عهد الوفا الذي للعهد ما نقضا

قف واستمع راحماأخبارمن قتلوا * فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا   رأى فخب فرام الوصل فامتنعو

فسام صبرافاعيا نيله فقضى   وقال جرير) ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

اذا مرضنا أتينا كم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال آخر)

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم

لا أستطيع أقول انت ظلمتني * الله يعــلم أنني مظلــوم

(وقال آخر)

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(ابن المعتز)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عنــدك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيــل ان أفضــل العتاب ما غرس العفو وأثمر المحبــة وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفاء وجاء في تفســير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل عن علي يعني اعف واصفح بلا عتاب وورد عنه صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عــذرا صادقا او كاذبا لم يرد على الحوض

(وما أحسن قول القائل)

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منــه

فخذ بحقــك أولا * فاصفح بفضلك عنه

ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما أحسن العفو من قادر * لاسيما عن غير ذي ناصر

يا غاية القصد وأقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر

ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فماله غــيرك من غافــر

أعوذ بالود الذي بيننا * ان يفسد الاول بالآخر

(وقال آخر)

زعمت أني ظالم فهجرتني * ورميت في قلبي بسهم نافذ

ونعم ظلمتك فاغفري وتجاوزي * هذا مقام المستجير العائذ

(ابن زيدون)

يا قمرا مطلعــه المغــرب * قد ضاق بي في حبك المذهب

الزمتني الذنب الذي جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب

فان من أغــرب ما مر بي * ان عذابي فيك مستعذب

(وقلت)

رأيت أساليب العتاب كثيرة * والطفها ما أكد الحب في القلب

يصبرعن ذا اللبــق لاحراك به

وهن أضعف خلق الله أركانا

(وقال آخر)

مازال يهوى المقلا

قلبي الى أن قتلا

الحمــد لله الذي

مات وما قيل سلا

(وقال آخر)

ترى المحبين صرعى في ديارهم

كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا

ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا

(وقال محمد الواعظ)

دعا لوصي فلومكما معاد

وقتل العاشقين له معاد

ولو قتل الهوى أهل التصابي

لماتوا ولو وردوا العادي

(خاتمة الكتاب في ذكر من مات

من حبه وقدم على ربه) من

صغير وكبير وغني وفقير على

اختــلاف ضروبهم وتباين

مطلوبهم ولاجل ذكرهم أسست

قواعد هــذا الكتاب ودخلت

فيــه من باب وخرجت من باب

لا يوصــل منه الى ذكر من ساقه

الهجر الى السيــاق وتحمــل

من العشــق ما لا طاقــة له به من

الباب الى الطاق ومن هنا أشرع

في ذكر مصارعهــم وعــرض

بضاعتهــم اذ منهــم الخاسر

والرابح والصالح والطالح

(فمنهم شقي وسعيد)

ومنهم قتيل وشهيد

(فمنهم شقي وسعيد)

اذا ما خلونا لم أجد ما أقوله * بلا سوى الشكوى اليها مع العتب
ومن ذكر المحبوب شيأ منفرا * عقوبته الهجران فى مذهب الحب
ومن ير ذنبا من حبيب فدع * وما الحب الا ان تسمح بالذنب

وهذا مسئلة ممن مدد قطب هذا الوجود وانسان عين أهل هذا الشهود سيدى عمر بن الفارض حيث قال وكل الذى ترضاه البيت السابق وقد قال بعضهم عتاب المحبين الذلة فى الأعتاب وخدمة الابواب وقال بعضهم كن اذا عاتبك الحبيب مرآة ينتقش فيك ذنبه فتراه منك وتطلب صفحه عنك ولم يوضح هذا الطريق أحد اجل من لسان العارفين وترجمان المحبين سيدى عمر بن الفارض حيث يقول

ولو عز فيها الذل ما لذ لى الهوى * ولم تك لولا الذل فى الحب عزتى

(فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح ان يكون معه فى باب)

الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوق والصفح عن التجنى حين يذوق جناه ونسخ سخطه وظلمه بظله ورضاه وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع فى قواعد مذهب المحبين اليه كما قيل

شرط المحبة عند أرباب الهوى * ان المليح على التجنى يعشق

لا يصدهم صد ولا يتقون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور مايرد من الظلم من المظالم

(ابن النبيه)

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادّعى

ولقد تلطفت علية بنت المهدى فى هذا المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور فلو * انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن فى شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

(وقال بعض الأعراب)

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الحب قالت لشد ما * صبرت وما هذا بفعل شجى القلب
وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبى
فشكواى يؤذيها وصبرى يسوءها * وتنفر من بعدى وتجزع من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها ثم تستوجبوا الاجر من ربى

ولما كان التجنى من المحبوب وتعنته الذى يكاد أن يفوت الغرض المطلوب يشده بالهجر والقطيعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد اذ أشرنا الى حقيقة الاول ان نشير الى الثانى ونذكر ماله من الاقسام والمبانى

(حكى) أبو الفرج بن الجوزى قال ذكر لى شيخنا أبو الحسن على بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه ٦٥ قد قرب الاجل ولم ألق فلانة فى الدنيا وأخشى ان اموت على الاسلام ولا القاها فتنصر فمات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت أنا ما لقيت صاحبى فى الدنيا واريد ان القاه فى الاخرى وأنا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم أسمع بأغرب من هذه الحكاية ولا اعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها الكتاب وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب فابتلى من فراق محبوبته ودينه بداءين ودارت عليه دائرة السوء فى الدارين وكيف لا وقد ورد بكسائه فى الحب دار البوار وأصبح بكفره واسلامها على شفا جرف هار

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدى يرثى حبيبا له نصرانيا وأحسن ما شاء حيث قال

أخى بوداد لا أخى بديانة * ورب اخ فى الود مثل نسيب
وقالوا أتبكى اليوم من ليس صاحبا * غدا ان هذا فعل غير لبيب
فقلت لهم هذا وان تلهفى * وشدة اعوالى وفرط نحيبى
ومن أين لى أبكى حبيبا فقدته * اذا غاب منه فى المعاد نصيبى

وكان هذا النصرانى موسوما بالجمال فهام فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به وأقام ببابا بيته فى الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة فى الاعياد والحدود طول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع

سالكين فى ذلك مسالك ديوان الصبابة اذ لا مزيد فى هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى أربعة أقسام

(القسم الاول هجر الدلال)

وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الازمنة ولهذا اذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا فى كل رتبة فيقع لاحدهم بعد المبالغة فى هذا الصفاء ان يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل أحد بما عنده من الاوصاف فانظر الى قول بهاء الدين زهير فى قوله

عتب الحبيب فلم أجد * سببا لذاك العتب حادث
ما كنت أعلم أنه * ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب التغير كما أفهمه البيت الاول لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه لانه هو كذلك وفى هذا الاصل كلام للعارفين وكل يأخذ ما يناسبه من الاشارات والبهاء زهير لا يكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت الشيخ شمس الدين البكرى أدام الله مدده يقول انه كان اماما عارفا أو ذا لسان عارف وعلامة هذا القسم الاسعاف بالمطلوب وان لم يكن كل آن والتلطف بالعاشق ورفع محله فى غصون الهوان وهم يرون اليسير خطيرا والقليل كثيرا قال استاذ الوجود فى هذا المعنى

فنى نظرة منها ولو عمر ساعة * ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضى الله عنه

وان لم أفز يوما اليها بنظرة * لعزتها حسبى افتخارا بتهمتى
ودون اتهامى ان قضيت اسى فما * اسأت بنفس بالشهادة سرت

فانظر كيف ارتضى بان يموت محبا وان لم يعلم به أحد ويكون شهيدا مع ذلك فائزا بالسعادة فى غاية الرضا بذلك بعد اذ سأل الوصل أولا ثم نظرة ما فى يوم ما ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم ثم هذه المرتبة وما أحسن التكميل بعزة النظرة فى هذا المقام وعلاج هذا القسم ينحصر فى الصبر المقرون بالرضا ثم التسليم الخالى عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضى الله عنه ولو عزفيها الذل يحقق ذلك وأما قوله

ونفس ترى فى الحب أن لا ترى عنا * متى ما تصدت للصبابة صدت

فزجر يتقى ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية (رجع الى كلام المترسمين) قال بعضهم هجر الدلال أعذب من الوصال

ويدل هجركم على * أنى خطرت ببالكم

(وقال آخر)

أهله وهجره مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم أن عليه قسما شديدا ان لا يكلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالقاصد فاقتصد فى احدى يديه ودعا قاصدا آخر فاقتصد فى اليد الاخرى ودخل داره واغلق باب بيته وهجر القاصدين فما شعر أهله الا والدم يدفع من سد باب المحل الذى هو فيه فأدركوه وقد أشرف على الموت فصالحه محبوبه النصرانى خوفا على نفسه (ومن شعره فيه)

انظر الى الشامة فى خده من
ألحاظه بالحظ جراحه
كانها من حسنها اذ بدت
حبة مسك فوق تفاحه

(ومنهم شهيد)

ذكر التميمى فى كتاب الامتزاج عن أبى زيد النحوى عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا فى بعض المنازل ذكر لى ان فيه راهبا حسن المعرفة بأخبار الناس وايامهم فسرت اليه فوجدته فى حجرة وعليه زى المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدثنى انه كان فى هذا الدير جارية نصرانية من بنى تغلب كثيرة الاموال وأنها هويت غلاما مسلما فكانت تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما أعيتها الحيلة أعطت رجلا مصورا مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام كهيئته ففعل ذلك فمازالت تاتى كل يوم الى تلك الصورة فتلثم ما تحب منها ثم تجلس بازائها تبكى فاذا امست قبلتها وانصرفت فمازالت على ذلك مدة فتوفى الغلام فعلمت فلحقها عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وبكت الى ان امست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه

الى

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني انى خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل قليل التبذل فان ذلك ادعى للسلامة وأبعد عن الملامة (ابن وكيع)

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جادهان وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

(العباس بن الاحنف)

ياقوم لم أهجركم لملالة * منى ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لاتصبرون على طعام واحد

(وقلت)

عدى واضمرى خلفا يلذ بخاطرى * كوصلك وعدمنك غايته الخلف
فعندى موثق فى هواك وعلمك * بذلك وصف لا يعادله وصف

(القسم الثانى هجر الملال)

هو هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيه غير عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة وسببه ماذكر من الاختلاف وتحرى النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الازمان وعلاجه التحبب والتخلق بخلق المراد وسلوك كل ما أراد وربما نحته الهدية والملاطفة بالاخلاق المرضية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الامر وبعض العشاق من المترسمين صرح فى علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان وفيه أنشد

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

هذا لايحسن على اطلاقه الا بعد تحقيق وثاقه وهو أن يكون للمحبة أصل وانما ضعف بالملازمة والا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبه وصفة محبوبه

(القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة)

هو هجر سببه وقوع فى ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الاوبة عند صدق التوبة وعلاجه تصديق الحبيب فى دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو ممن قدر والى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب أشار سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه بقوله

عبد رق مارق يوما العتق * لو تخليت عنه ماخلاكا

فقد حقق فى هذا الباب أن لامخلص له عن هذا الجناب وانه يطلبه بكل حال ولا يحجبه عنه فى سائر الاحوال سوى طلب أومنع أوجلب أودفع ثم دل على صدق كلامه وانقياد قلبه على مطاوعته فى مرامه فقال

ياموت دونك روحى بعد سيدها * خذها اليك فقدا ودت بمانيها أسلت روحى للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها ٦٧ مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشتق محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها الى جانبه وأخذوا مالها فبت مغموما بما آل اليه امرها فرأيتها فى المنام فقلت فلانة مافعل الله بك فقالت

اصبحت فى راحة مما جنته يدى
وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا
قلبى خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة
وقلت انك لم تولد ولم تلد
اثابنى رحمة منه وأسكننى
مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الذى صارت اليه خير من الذى انا عليه فاسلمت واسلم معى اهل الدير فكانت رحمها الله السبب

(ومنهم شهيد)

وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاى اجازة سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة قال رأيت فى الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا وله ولد يكنى ابا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة فكان يأتى الكتبيين فيما يزعم يستكتب شعرا يقوله ليس موزونا ولا معنى له لخصه انما كمن حكامهم اخذ مالا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث فى الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث أن جماعة قتلوا فى المعركة فقال له ابو يزيد يامولاى كيف قتل هؤلاء قال له ماتوا فى

ويعاشقت في هواك اختبرني * فاختياري ما كان فيه رضا كا

ثم ارتفع عن هذه المرتبة ايضاحا لمراتب السالكين ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال

وقد صرت مستدع قضاك وما به * رضاك ولا أختار تأخير مدتى

فانه أبلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة * وان أوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافا لبعض الشراح لعموم ما فى الاول بالنسبة الى هذا وبيانه يستدعى طولا وأما قوله

وما غدرت في الحب اذ هدرت دمى * بشرع الهوى لكن وفت اذ توفت

فاصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ربما تشى على القسم الاول أو هو له حقيقة

(القسم الرابع الهجر الخلقى)

وسماه بعض الصوفية الازلى يقال ان الجنيد رضى الله عنه فسر قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف بان الله حيث أخرج عالم الذر جعله فى كفه ثم أخذ العهد عليه ثم بذره فوقع بعضه متقابلا وهؤلاء هم المشتركون فى نسب أوجبت الصحبة وحققت المحبة وتدابر الاخر فحقت بين افراده المقاطعة وجبلوا على المنافرة اه وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز أن يراد به أمر معنوى غايته الاختلاف وأسباب هذا كثيرة أعظمها عند المتمسكين بالشرائع اختلاف الاديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الالهية حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته وعبر اعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز من قائل لو انفقت ما فى الارض جميعا الآية وهذا القسم والذى قبله لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه * وبعضهم يرى ان الثلاثة الاول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب فان من بلغ الى قول الاستاذ رضى الله عنه وكل الذى ترضاه البيت لم يكن القسم الثانى فضلا عن الثالث من متعلقاته واذا عرفت ما قررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له أصلا الا بالارادة الالهية ثم الهجر من الحب الصادق قد يؤل الامر فيه بالعاشق الى ان يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه ويكون فى الحقيقة ثناء لديه وقد يستخير عند تمادى الهجر وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه وألطف ما سطر فى الاول وعليه عند الظرفاء يعول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون

وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى

ذكر ابن داود فى كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس هوى فتاة من حيه فلما علمت محبته لها هجرته فزال عقله واشرف على التلف وصار ترحمه الناس فلما بلغها ذلك اتت فاخذت بعضادتى الباب وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

ولما رأتنى فى السياق تعطفت على وعندى من تعطفها شغل

أتت وحياض الموت بينى وبينها وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم اغمى عليه فمات

(ومنهم شهيدان)

ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبى قال كان رجل من اهل الادب والطرب يقال له على عشقته جارية من جوارى القينات ووصلته فكان يظهر لها ما ليس فى قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك واسف على ما كان من جفائه لها واعراضه عنها فرآها فى المنام ليلة وهى تقول له اتبكى بعد قتلك لى علىّ

فهلا كان ذا اذ كنت حيا

سكبت دموع عينك لى وفاء

ومن قبل الممات تسى اليا

فيا غرا برى جسمى وروحى

وأهلكنى وما ابقى عليا

أقل من النياحة والمراثى * فانى لا اراك صنعت شيا قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكاء حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله

(ومنهم قتيل) وخلد

اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاى فى التاريخ المذكور اجازة قال حدثنى طقطاى مملوك نائب الكرك الساكن بالحرنفش ان
اخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت له ولدا وأقامت عنده مدة سنين

وخلد دولة الاعطاف فينا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك السعد يوما * على قد به هيف الغصون
وصان جآذرا تيك الثنايا * وان جارت على الفذ الطعين

(وقال أيضا)

أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى
واسبغ ظل اغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولازالت ثمار الانس تجنى * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

(وقال آخر)

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فلمسواك والا كؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

(وقال شهاب الدين بن العاثم)

وا قسما أدعو على هاجرى * الا بان يحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قدمت فى حقى

(وقال آخر)

أيها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى
لا أراك الله عمرى * أو يرينى بك ما بى
رب قاجع لدعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبى ان يرى قلبك فى مثل عذابى

(وقال آخر)

كم جفانى فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لاشفى الله طرفه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

(ابن وكيع)

ان كنت تعلم ما بى * وأنت بى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش * تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدا لى

(وقال آخر)

ولما بدا لى انه غير راثد * وأن هواه ليس عنى بمنجلى
تمنيت ان يهوى ويصبا لعله * يذوق مرارات الهوى فيرق لى

فخنث فيها يوما فلما بلغها ذلك ألقت نفسها من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهى مادة اصبعها بالتشهد واستشهد بحضوره علاء الدين استاذدار نائب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا انما هى قصة معروفة فى تلك الحارة شهدها الرجال والنساء ومكثوا حينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه واسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا

(ومنهم شهيد)

ذكر ابو القاسم التنوخى انه كان ببغداد صوفى يعرف بابى الفتح الاعور يجلس فى مجلس أبى عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة حسنة وصبى يقرأ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفى بلى بلى دفعات واغمى عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع فى صحن دار كنت أنزلها فلم يفق الصوفى الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد أيام سألت عنه فعرفت انه حضر عند جارية فى الكرخ تقول فى القضب

وجهك المأمول حجتنا
يوم تأتى الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان اغمى عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخى واستفاض الخبر بهذا وشاع واخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد بن المعذل وهى يابديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج

(وقال)

الى طلعة بالحسن واللطف ناضره * أرى كل أرباب المحاسن ناظره

لقد بطنت فى كل معنى وصورة * من الكون لما أصبحت فيه ظاهره

تضن على العشاق بالقتل فى الهوى * فما طلبى للوصل الا مكابره

ولكننى أرجو تبدل ما بنا * من الميل واستكشاف حجب المساتره

فتطلبنى من بعد ما انا طالب * لها وتحيينى بحسن المحاضره

فيارب خذ منها بحقى وانتصر * لنفس غدت فى ابحر الشوق حائره

ولا تستجب منى وسلطان عزها * أدمه وان كانت على الناس جائره

ثم قد يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء ويعز الوصل ويصعب الرضاء فيأخذ العاشق فى سح الدموع والانحطاط من اوج الارتفاع الى حضيض الخضوع * ولاقطب هذه الدائرة وبدر سماء هذه الكواكب السائرة ذى المرتبة التى لا تلحق وقصب السبق التى لا تدرك والجواد الذى لا يسبق قوله

ومن درجات العز أمسيت مخلدا * الى دركات الذل من بعد نخوتى

فلا باب لى يغشى ولا جاه يرتجى * ولا جار لى يحمى لفقد حميتى

فقد أشار فى هذين البيتين الى طرح حظوظ نفسه التى قد تكون مانعة من الوصول باشارة يدق ادراك كنهها عن العقول فقد اثبت له رتبة رفيعة بين أن تركها بعد علاج عظيم ومن ثم كان تدريجا لعدم امكان طرحها دفعة كما أفهمته الدرجات والاضافة الى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لانه فى غاية المقابلة وأكد ذلك بالاشارة الى غاية المحو الذى به حقق اثباته كما أشار بعده بقوله لفقد حميتى وأما اشارته الى الدموع وانسكابها فالغاية التى لا يدرك منها الناس الا القشور فمنها قوله

فسهدى حى فى جفونى مخلد * ونومى بها ميت ودمعى له غسل

فانظر الى غرابة هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود ثم بالغ فى تحقيق هذا المرام وارتقى فى مسالك هذا المقام بقوله

وادمع هملت لولا التنفس من * نار الجوى لم أكد أنجو من اللجج

وأبلغ منه قوله

فطوفان نوح عند نوحى كادمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى

فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى * ولولا دموعى احرقتنى زفرتى

فعكس التشبيه كما سبق فى صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا ومن قال بتساوى المعنيين فى القصيدتين لم يعرف معنى الطرفان بالنسبة الى اللجج فى الاول لانه انقلاب العناصر كلها الى واحد وهذا فى الدقة كقوله رضى الله عنه وان لم يكن عما

ان بيته أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج
وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتى الناس بالحجج

قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا نقلوه الى ما لهم فى ذلك من المعانى وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة وأمره من مفردات الاخبار

(ومنهم قيلان)

قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكرونى له فاحضرنى بين يديه فلما رأى قبح صورتى كره النظر الى وأمر لى بعشرة آلاف درهم فاخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد ابن اسحق بن ابراهيم الموصلى وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا فى الحراقة وكانت دجلة فى غاية الزيادة والمد فدعا بالغداء فأكلنا ثم أمر بالنبيذ والغناء فناشدته ان لا يفعل فابى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عوّادة ما سمعت أحسن من صوتها ولا أحذق منها بصناعة الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى أنا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمة للعاشقينا
ما ان أرى لهم معينا
كم يعذلون ويهجرون
ويقطعون فيصبرونا
وتراهم عتابهم
بين البرية خاضعينا

يعذلون ويظهرو * ن تجلدا للعاشقينا

فقالت لها العوّادة يا فاجرة فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيدها فى الستارة فهتكتها وبدرت علينا كالقمر ثم

نحن

ألقت نفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام رومي الجنس يضاهيها في الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما رأى ما صنعت الجارية ألقى المذبة من يده وأتى الى الموضع الذى طرحت نفسها منه ونظر اليها وهى تمر بين الماء فقال

نحن فيه

وتحفت أخفاقها فهى تمشى * من جواها في مثل جمر الرماد

حيث نسب تحفية الاخفاف الى حرارة الجوى التى شأنها الصعود عكس الاخفاف فكأنه يقول لشدة هذه الحرارة أستوعب الاحياز كلها وأما قوله

فلو بكى فى قفار خلتها الجيا * وان تنفس عادت كلها ايبسا

وغيره فكثير لا يمكننا ادراك أقله وأنى للبشر من حيث انه بشر ادراك دقائق الفيوضات الالهية والكرامات التى خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضى الله عنه حيث قال

فما منهم نبي ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسالة

وأصرح منه قوله

فما كان منه معجزا صار بعده * كرامة صديق له او خليفة

(رجع الى كلام المترجمين) قال القاضى الفاضل

قد استخدمت بالافكار سرى * وما أطلقت لى بالوصل أجره

ولم أرها على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره

ولا استقطرت سحب العين الا * وصيرت بادمعى فى الشمس عصره

(ابن عبد الظاهر)

لا تسألنى عن أول العشق انى * أنا فيه قديم هجر وهجره

من دموعى ومن جبينك ارخت * غرامى بمستهل وغره

(المتنبي)

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى الاماق

(وله أيضا)

وهبت السلو لمن لامنى * وبت من الشوق فى شاغل

كأن الجفون على مقلتى * ثياب شققن على ثاكل

(وقال آخر)

ولم انس لا انس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد

وخدى يضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(ابراهيم بن المعمار)

وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره

فعاطفت معاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

(وقال آخر)

وقائلة ما بال عينيك مذ رأت * محاسن هذا الظبي ادمعها هطل

أنت التى غرقتنى

كيف القضا لو تعلمينا

لا خير بعدك فى البقا

والموت ستر العاشقينا

ثم ألقى نفسه فى اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقات ثم غاصا فلم ير احد منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله الامر ثم قال يا عمرو لتحدثنى حديثا تسلينى به عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين ان يخرج الى جاريته فلانة تغنى ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أتبع الرسول برسول آخر يأمره بأن يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذى حملك على هذا قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك قال فأمره بالجلوس بعد أن لم يبق احد من بنى أمية حتى خرج ثم مرج بها فخرجت ومعها عودها قال لها الفتى غنى

افاطم مهلا بعض هذا التدلل . وان كنت قد ازمعت هجرى فأجملى

قال فغنت قال له يزيد قل الثانى فقال لها غنى

تألق البرق نجديا فقلت له * يا برق انى بروحى عنك مشغول

قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمر لى برطل من شراب فأمر له به فلما شربه أشار اليها بأبيات فغنتها ثم انه وثب وصعد على قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون

فقلت زنت عيني بنظرة طلعة * فحق لها من فيض أدمعها غسل

(السري الرفاء)

بروحي من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي

وحالت دموع العين بيني وبينها * كأن دموع العين تعشقه معي

(وقال آخر)

وقائلة ما بال دمعك اسودا * ولونك مصفرا وأنت نحيل

فقلت لها ان الدموع تجففت * وهذا سواد المقلتين يسيل

(ابن وكيع)

وسحاب اذا همى الماء فيه * ألهب الرعد في حشاه البروقا

مثل ماء العيون لم يجر الا * ظل يذكي على القلوب الحريقا

(المسعودي شارح المقامات)

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي

فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء

فقلت ماذا التأسي * ولم يكن عن تناسي

لكن ضلوعي شابت * من طول عمر التنائي

(وقال آخر)

كانت دموعي حمرا يوم بينهم * فذنأ وا قصرتها بعدهم حرقي

فطافت باللحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

(ابن الناشئ الاكبر)

بكيت الفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لفقد الديار

كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقال)

ومحجوبة مذ كلمتني كلمت * فؤادي وألقت بين سمعي وناظري

الى ان رأتها مقلتي فاض دمعها * على الارض أمثال البدور الزواهر

فقالت عقيقا ما أرى قلت بل دمي * جرى عند ما من هجرك المتواتر

(فصل)

في نفي كدر الهم والصدود باستجلاب الاماني والوعود والتعلل بالاماني والطمع في التهاني وهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه وهو العزيز النادر وغير الوافي الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته واعجب ما فيه أن الراضين به مع العلم بزوره أكثر العشاق واغلب من نودي عليه في هذه الاسواق وقد كشف عن غامض هذه

الطريقة

كان الاسحق يظن انه استريح اليه جاريتي تغنيه واردها اليه ملكي يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهلها ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها ٧٢ الى أهله فلما توسطت الدار ونظرت الى حفرة في وسط دار يزيد قد اعدت للمطر فجذبت نفسها من بين ايديهم وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا

لا خير في عشق بلا موت

وألقت نفسها في الحفرة على دماغها فماتت

(ومنهم قتيل)

حكى ابن عبد ربه في العقد الفريد عن محمد بن الحجاج وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حمار قبل ذلك رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له ويلك مالك مت قال لانك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهاني فرأيت أتانا عند بابه فعشقتها فمت وانشدني

سيدي خذ بي أتانا

عند باب الاصبهاني

تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان

وبغنج ودلال * سل جسمي وبراني

ولها خد اسيل * مثل خد الشيفراني

فبها مت ولو عشت

اذا طال هواني

فقال له رجل من القوم يا ابا معاذ ما الشيفراني قال هذا من لغة الحمير فاذا لقيتم حمارا فسلوه (قلت) وذكر جماعة من اهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلي عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي منصور وكان له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه خيبر أصاب حمارا اسود فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبهم الا نبي

الطريقه واستثنى الرضا بزو رهذه الحقيقه الاستاذرضي الله عنه فقال

عديني بوصل وامطلي بنجازه * فعندي اذا صح الوفا حسن المطل

وما الصد الا الود ما لم يكن قلي * واصعب شئ دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقه وانغمس في بحار الحقيقه فانطوت نفسه الابيه في مطاوى الحقائق القدسية فقال

ان لم يكن وصل لديك فعد به * املي وماطل ان وعدت ولا تفي

وأما المترسمة فقد اكثروا في هذا الباب الاقوال واختلفوا باختلاف الاحوال قال بعضهم

أعلل بالمنى قلبي لعلي * أروح بالاماني الهم عني

واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمني

(وقال آخر)

وما بلوغ الاماني في مواعدها * الا كالشعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام افلاطون الاماني حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمني مؤنس ان لم ينفعك فقد الهاك * قيل لاعرابي ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها آمالك

(ياقوت الرومي)

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها

مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى ان نتمناها

(ابن الوردي)

وشادن قلت له * هل لك في المنادمه

فقال كم من عاشق * سفكت في المنى دمه

(الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت اني وما أراك أراك

واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاك

خدعات المنى تعللني فيك باشراق ذا وبهجة ذاك

(ابن أبي حجلة)

رقي لصب غدا مما يكابده * من دمعه الصب يجري في مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات يا أقصى أمانيه

(وقلت)

عدي فتى شفت الاسقام مهجته * بزورة منك يا أقصى تمنيه

فالهجر منك لكاس الموت يسقيه * والوعد منك ولو بالزور يحييه

ولم يرو من نسل جدي غيري ولا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غيرك وأنا أتوقع ان تركبني وكنت قبلك لرجل من اليهود فكنت أعثر به عمدا فكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد سميتك يعفور تشتهي الاتان قال لا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا نزل عنه يبعثه في حاجته فيأتي باب الرجل فيدفعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار عرفه وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فلما قبض عليه الصلاة والسلام جاء الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فصارت قبره

(ومنهم قتيل)

(قال محمد بن هرون) حدثني فيما أذكره السراج قال اشتريت زوج بط فذبحت الذكر وتركت الانثى تحت المكبة فجعلت تضطرب تحت المكبة حتى كدت أن تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت فجاءت فلم تزل تضطرب في دم الذكر حتى ماتت (وقال) ابو عبد الله محمد بن محمد التميمي في كتاب امتزاج النفوس ليس في جميع الطير أوفى من القمري والقمرية وذلك انه اذا مات أحد الزوجين تعزب الآخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا يزال باكيا مردا الى أن يموت

(ومنهم قتيل)

ذكر الكيجي في تاريخ القدس عن ابراهيم بن فاتك قال بينما سمنون يتكلم في المحبة في المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الارض وسال منه الدم ثم مات

(ومنهم شهيد) ذكر العتبي قال جلست يوما وعندي جماعة من أهل الادب فجرى الحديث الى أخبار

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والامانى وعدوا ذلك جنونا ومشى على ذلك جمع كثير .

(الخالدى)

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(ابن المعتز)

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الامثل ماضيه

قال على كرم الله وجهه اجتنبوا المنى فانها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين انى رأيت كانى أسبح فى غير ماء واطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الامانى وسمع الحجاج ليلة ابانا يقول أبيع اللبن بكذا واشترى بضاعة فاكسب فيها كذا فيكثر مالى فاتزوج ابنة الحجاج وتلد لى ولدا وآمرها بوما بشئ فلم تطع فارفسها هكذا ورفع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطا وقال ألست تفجعنى فى ابنتى لو فعلت بها هذا

(وقال آخر)

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم

وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الاليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طال الوعد وكثر الخضوع وامتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف * المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس فى هذا النمط الطف من جميل فى قوله وانى لارضى من بثينة الابيات السابقة فى قصته

(وقوله)

الست ارى النجم الذى هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع

عسى يلتقى فى الافق طرفى وطرفها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

(وقال بعض الاعراب)

اليس الليل يجمع أم عمرو * وايانا فذلك لنا تدانى

نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علانى

(وقال بعضهم)

الى الطائر النسر انظرى كل ليلة * فانى اليه بالعشية ناظر

عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده * فنشكو اليه ماتكن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير اننى * اذا هى بالت بلت حيث تبول

(وقال بعضهم)

العشاق وفى الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لى ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتى فحضرت فى بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا فقال لها أحسنت ياسيدتى اتاذنين لى أن أموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت أهلى بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتى كلامى نهضت الى مجلس انا مبادرة فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فاذا هى ميتة فاخذنا فى جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هى جنازة القينة بلغها قول ابنتى ففعلت مثل مافعلت فماتت فدفنا الثلاثة فى يوم واحد

(ومنهم شهيدان)

ذكر الشيزرى فى روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح أسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخمر فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراما فابى فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فابى فسلطت عليه الصغار فاثخنوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع بيننا فى الجنة ومات فلما كان من الليل وكن رأت الجارية الشاب قالت فاخذ بيدى وانطلق بى الى الجنة فلما اردت أدخلها منعته لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه

فرأيت شيأ عظيما ورأيت قصرا من الجوهر فقال هذا الى والك وأنا الاداخله الاول والى خمس ليال تكونين عندى فلما استيقظت

اسلمت وجلست عند قبره وماتت فى الليلة الخامسة فكان ذلك سبب اسلامى

وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه اشارة الى مثل يضرب للقناعة باليسير وأصله ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام أنت فى ضيافتى بجميع عسكرك فى جزيرة كذا فلما حضروا أخذ جرادة ورمى بها الى البحر وقال يا نبى الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك اذا ذكره وعكس هؤلاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله وأطماعه فلم يرض الا بامتزاج الاشباح فضلا عن الارواح والتأليف الذى لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحدا فى العين الاحول الذى يرى الشئ اثنين

(قال بعضهم)

وكدت وهو حبيبى ان أقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(ابن الرومى)

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى
والثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما ألقى من الهيمان
كان فؤادى ليس يشفى غليله * تشفيه مما ترشف الشفتان
ولم يشف ما قد ارى الذى بى من الجوى * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(خالد الكاتب)

كأنى عانقت ريحانة * تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

(نفطويه النحوى)

ولما التقينا بعد بعد بمجلس * تغازل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتمادى ضمه وعناقه * فلم نفترق حتى توهمته بعضى

(أبو بكر الاربلى)

هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا * ليلا وقد بات من أهواه معتنقى
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى * فذر أى واحدا ولى على حنق

(وقال بعضهم)

توهم واشينا بليل مزاره * فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا * فلما أتانا ما رأى غير واحد

(أبو الفضل)

سقيا العيش مضى والدهر يجمعنا * ونحن نحكى عنا فاشكل تنوين
فصرت اذ علقت كفى حبائلكم * بسهم هجرك تنوى ثم تنوينى

(ابن سنا الملك)

وليلة بتنا بعد سكرى وسكره * نبذت وسادى ثم وسدته يدى

(ومنهم قتيل) ذكر أبو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه الحمام فمرت به امرأة جميلة وهى تقول أين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها بابه فلما دخلت دخل معها فلما رأت ذلك ظهرت له السرور وقالت تشتهى أن تكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا لتأتيهما بما سألت وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت فكثر ولهه بها فكان يمشى فى الطريق ويقول

يارب قائلة يوما وقد جهلت
كيف الطريق الى حمام منجاب

وبقى على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق

قرنان هلا جعلت اذ ظفرت بها
حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يارب قائلة يوما البيت حتى مات

(ومنهم شهيد) ذكر أبو القاسم الشروطى فى كتاب التسلى عن أبى الفرج الصوفى وغيره انه كان عندهم رجل صوفى يعرف بأبى القاسم الشواء وكانت له عنيزات يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع ويجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة فى ذلك قال فبينما هو يرعى يوما عنيزاته اذ سمع صبيا من صبيان الصحراء يغنى فى حقل

إن هواك الذى بقلبى * صيرنى سامعا مطيعا
اخذت قلبى وغمض طرفى * سلبتنى العقل والهجوعا

فاردد فؤادي وخذ رقادي * فقال لا بل هما جميعا فراح مني بجانبيه * وبت تحت الهوى صريعا
قال فاعتراه طرب شديد فقال للصبي وأقبل نحوه كيف قلت فقال جميد وكان يقال له جميد الفاخوري فتردد اليه ثلاثة

و بتنا كجسم واحد في عناقنا * وكالحرف في لفظ الكلام المشدد
قيل اعترض هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد بحرفين فلو قال في الخط لحسن مطلوبه * واجتمع ابن الجهم وابن عروس في سفينة فتذاكرا الشعر فقال ابن الجهم أنا أشعر منك حيث أقول

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
وبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقال أحسنت ولكني أشعر منك حيث أقول

لا والمنازل من نجد وليلتنا * بعيد أن جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه * نوما فما انفك لا خد ولا عضد

(بشار بن برد)

ومرتجة الاعطاف مهضومة الحشا * غرير يسعى عينها وتدور
اذا انتظرت صبت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دوني حاجب وستور

وكلام بشار وان كان في الحقيقة أصلا للبيتين الا ان ابن الجهم تلطف حيث أبدل الماء بالخمر لانه أشد نفوذا وأما ابن عروس فلا الطف منه اذ لا شئ أشد سريانا من النوم وحاصله انه يمكن الجمع بين أهل القناعة باليسير من المحبوب ومن لم يقف على غاية في المطلوب باختلاف الامكنة وصفاء الايام والخلو من نحو واش وغمام ومجالس الورد والنمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحمق الوقوع في ضيق القفص ومن صفا له الزمان فجبن عن مطلوبه فهو زاهد في محبوبه ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه وقلت من الاول

لقد صار يشفيني الهواء لمزجه * بانفاسها مع ان دائي من الهوى
ويفرحني ما جد في الصبح والمسا * لاني واياها بعد ركه سوا

(ومن الثاني)

رب ليل ضمنا فيه حتى * لو فرقنا كالهيولى وصورة
مع اني سألتها القرب مني * بخضوع وان تمن بزوره

وهو معنى فوق ما قصد من لطف الخمر والكرى اذ لا يتم افتراق الهيولى والصورة بوجه وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا أبلغ منه

(فصل في ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الاهوال واستهلال قضاء الآجال فضلا عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضي الى التلف)

وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامه

أيام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلا يسيح فؤادي فؤادي الى ان قضى عليه

(ومنهم شهيدان)

ذكر المفضل الضبي عن كامل انه عشق أسماء بنت عبد الله بن مسافر ابنة عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالي فشكا أبوه الى أبيها خالد فامر بحمله الى داره ليرق جهابه ولم يعلم كامل فلما علم قال وان اسماء لتسمع قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها مات بشجنه قالت والله لاموتن بعده بمثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لاشفق نسائها عليها صوري لي مثاله فاني أحب ان أزوره قبل موتي ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب أبو الفتاة الى أبيه ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما

بنفسي هما ما متعا بهواهما
على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة
فلما أصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه
ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم شهيدان)

ذكر مصعب بن الزبير ان مالك ابن عمرو الغساني تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكا شجاعا فاشترطت عليه اذ لا يقاتل شفقة عليه وضنا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو مثقل منها الا ليت شعري عن غزال تركته * اذا ما أتاه مصرعي كيف يصنع وصار

وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها انتظامه سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله به كأنه وهدانا الى ادراك دقائق نفحاته فقال

ونافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك ياحبذا البذل
ومن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

فانظر كيف اضرب عن ذكر ماسوى النفس وان عز وأمر ببذلها من بادئ الرأى فكم طوى فى ذلك من المراتب وهذا فى الحقيقة اجمال بالنسبة الى قوله

بكل قبيل كم قتيل بها قضى * امى لم يفز يوما اليها بنظرة

فانه أشار الى قطع كل رتبة بحيث ينتهى السالك الى ذهاب النفس وايسر ذلك بشئ اذ قال انه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه وشرح ذلك واضحا قوله

بحيث ترى ان لاترى ماعددته * وان الذى أعددته غير عدة

فانه يقول ان هذا المرام لايعظم عنده شئ ومتى عد الشخص بذلا لنحو نفس فقد جعل له شيأ بالنسبة الى المحبوب وهو خلاف المطلوب ودقائقه فى هذا الباب معجوز عن حصرها كما تشهد به أولوا الالباب فلنرجع الى كلام المترجمة

(الطغرائى)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى * باللمح من خلل الاستار والكلل

(ابن خفاجة)

وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
فخالطت اطراف الاسنة أنجما * ودست بهالات البدور ديارا

(ابن بسام)

لقد صبرت على المكروه اسمعه * من معشر فيك لولا أنت مانطقوا
وفيك داريت قوما لاخلاق لهم * لولاك ماكنت ادرى انهم خلقوا

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام عنه * لقد أطمعت نفسك بالمحال

وأعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الابتلاء وامام هذا الشان والمنفرد بالسبق فى هذا الميدان الطغرائى قيل انه علق بمملوك للمؤيد الدين كان يهواه فبلغه فنقم على الطغرائى فاراد قتله واشتهر شفقة على المملوك من الالسنة ان الطغرائى ملحد فشده الى شجرة وامر أن تفوق اليه السهام وان لا يرموا حتى يأمرهم والمملوك امام الكل ثم أمر رجلا يسمع مايقول الطغرائى وهو لايشعر فاذا هو يقول

فلو اننى كنت المؤخر بعده * لما برحت نفسى عليه تقطع

ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال من يلى أمرها زوجوها لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فانها من النساء فزوجوها بعض ابناء الملوك فساق لها ألف بعير فلما كانت الليلة التى أهديت اليه فيها قامت على باب القبة وقالت

تقول رجال زوجوها لعلها * تقر وترضى بعده بخليل
فاخفيت فى النفس التى ليس بعدها * رجاء لهم واصدق أفضل قيل
وحدثنى أصحابه ان مالكا * صروم كماضى الشفرتين صقيل

فلما فرغت من انشادها الشعر شهقت شهقة فماتت

* (ومنهم شهيدان) *

قال أحمد بن محمد الغنوى فيما ذكره فى ذم الهوى دخلت الكوفة فجاءنى ظرفاؤها فقالوا ههنا فتيان تحابا وقد اعتل أحدهما ونريد ان نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظر فى وجهه فلما رآنا افرج لنا عن صاحبه فجلس أصحابى حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال أواه قال الصحيح أواه فاذا قال العليل أواه من فخذى قال الصحيح أواه من فخذى واذا قال أواه من يدى قال الصحيح أواه من يدى الى ان قالوا قد قضى رحمه الله فشد أصحابى لحى العليل وشددت لحى الصحيح ومابرحنا حتى دفناهما

* (ومنهم شهيد) * قال أبو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندى وأبو زبيد الطائى يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح اليمن هو وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان

صغير بن فاحبها وأحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن عبد الملك ذهب عقل وضاح فلما طال عليه البلاء خرج إلى الشام فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم ولا يجد حيلة حتى رأى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها ويأنس بها إلى أن قال لها هل تعرفين أم البنين قالت إنك لتسأل عن مولاتي فقال إنها لابنة عمي وإنها لتسر بموضعي لو أخبرتها قالت نعم فأني أخبرها فمضت الجارية فأخبرت أم البنين فقالت ويلك هو حي قالت نعم قالت قولي له كن بمكانك حتى يأتيك رسول ثم إنها أدخلته في صندوق فمكث عندها حينا إذا أمنت أخرجته فيقعد معها وإذا خافت رقيبا أدخلته الصندوق وأهدي يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامض به إلى أم البنين قال فدخل الخادم من غير أن يستأذن ووضاح معها فلمحه ولم تشعر أم البنين فأدى الخادم الرسالة وقال لها هبي لي من هذا الجوهر حجرا فقالت لا أم لك وما تصنع أنت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فأخبره بما رأى ووصف له الصندوق الذي رأى وضاحا دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل عليها وهي في ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصفه له الخادم فقال لها يا أم البنين هبي لي صندوقا من صناديقك قالت يا أمير المؤمنين هي لك وأنا لك أيضا فقال أريد هذا الصندوق الذي تحتي فقط فقالت إن فيه شيئا من أمور النساء قال ما أريد غيره فقالت هو لك فأمر به فحمل ثم دعا بغلامين فأمرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء ثم وضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقا فقد دفناك ودفنا خبرك ودرسنا أثرك وإن كان كذبا فما علينا في دفن (الصـفي

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه * دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش في فؤادي هل ترى * فيه لغير هوى الأحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فأطلقه ورفع شأنه

(أبو عطاء السندي)

ذكرتك والخطي يخطر بيننا * وقد نهلت منا المثقفة السمر
فوالله ما أدري وإني لصادق * بنا أنكت تلك اللواحظ أم سحر

(عنترة العبسي)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(الطغرائي)

إني لأذكركم وقد بلغ الظما * مني فأشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال بعضهم)

ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوي فعانقتها

(ابن رشيق)

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهي قد فراه حديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتني عما يليق وإنه * ليضيق عن برحائها الأقطار

(الشريف البياضي)

ولقد ذكرتك في السفينة والردى * متوقع بتلاطم الأمواج
والجو مطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجي
وعلى السواحل للأعادي عسكر * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لأصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك في ألذ تناج

(أبو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مسترقا رماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

صندوق من خشب حرج ثم أمر به فالقي في الحفرة وأمر بالخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا التراب قال أبو مسهر فكانت أم البنين لاتزال توجد في ذلك المكان تبكي الى ان وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة وذكر المعافى بن زكريا ان

(الصفي الحلي)

ولقد ذكرتك والعجاج كأنه * مطل الغني وسوء عيش المعسر

والشوس بين مجدل في جندل * مناو بين معفر في معفر

فظننت اني في صباح مسفر * بضياء وجهك أو مساء مقمر

وتعطرت أرض الكفاح كأنما * فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر

(وقال)

لقد ردروحي عند ما رام نزعها * ملائكة ذكراك حين تلوته

فلو لم يكن موت البرية لازما * اذا فرغت آجالهم مانسيته

(تتمة)

تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها الى جميع الاصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لاعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الاشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها التلك الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة واثارة ماقرمن البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الاحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها باعذب الموارد بعد ماحال الصدر اذا ذكر النهد والصدر ونشر مطاوي الاشواق اذا سمع مدح الخلخال والساق الى غير ذلك مما اقترحته أفكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته في هذا الباب اذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف ومايتعلق بالعشق من هذا التأليف (ذكروا) ان أغزل بيت للمتأخرين قول بشار

انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

(شمس الدين بن العفيف)

يحكي الغزال مقلة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن

أحسن خلق الله وجها وقفا * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

في ثغره وشكله وخده * الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الابيات الى القاهرة والشاعر المشهور يومئذ بها الحلي اقترح عليه بعض أعيان الدولة محاكاتها فقال

كم قد سفكنا من دموع ودما * على ربوع للديار ودمن

وكم قضينا للبكاء منسكا * لما تذكرنا بهن من سكن

وكم أقمنا بالبكاء مأتما * اذ بعتهم روحي بغير ماغبن

فاستحسن الجل أبيات الحلي ودامت الناس مدة طويلة مفترقين في ذلك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه أهل الادب فن الاول قول ابن نباتة

أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب

الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد ابن عبد الملك وفيه نظر

(ومنهم شهيد)

ذكر الشيزري في كتاب روضة القلوب انه رأى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها احبت شابا خياطا فعملت الحيلة في وصاله فلم تقدر فطلبت من سيدها ان يعتقها ويتزوجها ففعل ثم أراد تزويجها فأنظرته حتى أرسلت الى الخياط فتزوجته عند القاضي محيي الدين أبي حامد محمد بن محمد الشيزري فلما بلغ التركي ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل الى البيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة أيام لايأكل ولايشرب حتى مات في تلك الايام

(ومنهم شهيد)

عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فاتته في خلوة فكلمته فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة غشي عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما افاق قال ياعم انطلق الى عمر فاقرئه مني السلام وقل ماجزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله

(ومنهم شهيد)

قال أحمد بن أبي الحواري فيما ذكره الخطيب بينما أنا في بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرأيت رجلا مغشيا عليه فقلت مابال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وماهي قالوا قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال أحمد فافاق عند سماعها وهو يقول

وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

(وله أيضا)

قلت وقد أبدى جبينا واضحا * وفرقه ليل دلال قد سجا

أفدى الذى جبينه وشعره * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(ابن مطران)

ظباء اعارتها المها حسن مشيها * كما قد اعارتها العيون الجآذر

فمن حسن ذاك المشى جاءت وقبلت * مواطئ من أقدامهن الغدائر

(اسمعيل السكندرى)

لم ارقبل شعره ووجهه * ليلا على صبح نهار عسعسا

والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

(حسام الدين الحاجرى)

ومهفهف من شعره وجبينه * تغدو الورى فى ظلمة وضياء

لاتنكروا الخال الذى فى خده * كل الشقيق بنقطة سوداء

(ابن الصائغ)

مشى غصنا ومد عليه فرعا * لحظى حين أطلب منه وصلا

وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(السراج الوراق)

ذو طرة يعبد ذهارب الدجى * وطلعة يعبد ذهارب الفلق

الماء والنار معا فى خده * أما ترى الماء طفى ثم احترق

(شمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق أسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب فى جنح

فقلت عجيبا كيف لم يظهر الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

(المتنبى)

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتنى القمرين فى وقت معا

(آخر)

برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل

(ابن المعتز)

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب

فامسيت فى ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

(الجلى)

ألم يأن للهجران ان ينصرما * وللغصن غصن البان ان يتكلما وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى * أما آن ان يبكى عليه ويرحما

كتبت بماء الشوق بين جوانحى * كتابا حكى نقش الوشى المنمنما

ثم خر مغشيا عليه فحركناه فاذا هو ميت

(ومنهم شهداء)

عن صالح المرى قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال ارنى عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى بعض الاحياء فى خص له فاستأذنا عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال فى أعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس فى مصلى له فقرأت ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد فشهق شهقة وبدر الدم من منخريه ثم جعل يتشحط فى دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى أدرته على ستة أنفس كل نخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم أتيت به السابع فاستأذنا فاذا امرأة من وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس فى مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما قال الشيخ بين يدى من ويحك ثم بقى مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدى فرضا فلما كان بعد ثلاثة أيام رجعت [illegible] (ومنهم شهداء)* ذكر ابن أبى الدنيا عن محمد قال [illegible] كل نفس ذائقة الموت

رقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
تندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر

(الخيزرانى)

رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى منهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد فى الوجنتين * وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر

(التهامى)

وفى كتابك فاعذر من يهيم به * من المحاسن ما فى أجمل الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر

(آخر)

أرى سهم لحظ تحت عقرب سالف * وكيف نجاتى بين سهم وعقرب
والحظ ماطلته بالحظ من دمى * على وجنتيها والبنان المخضب

(وقلت)

لله بالناس لطف فى معايشهم * لولاه لم تر موجودا من البشر
اذ كم شعرك عنهم يوم حاجتهم * للشمس فى نحو نضج الحب والثمر
وعند حاجة ليل يسكنون به * من المتاعب ابدى مسبل الشعر

(ومن الثانى قول ابن نباتة)

واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او أدنى

(الواوا الدمشقى)

يا من هو الماء فى تكوين خلقته * ومن هو الخمر فى افعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمى * والسيف ما فخره الا بزرقته
علمت انسان عينى ان يعوم فقد * جارت سباحته فى بحر دمعته

(علاء الدين الوداعى)

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تخطى
وما فى ذا لمن يدعى * سهام الليل لا تخطى

(الصلاح الصفدى)

بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
أن مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

(ابن نباتة)

فنادى مناد كم تردد هذه الآية فلقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا *(ومنهم شهيد)*
قال محمد أبو يحيى التيمى كان يختلف معنا شاب من التسالى يقال له ابو الحسين الى مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه يفتتن الناس اذا رأوه فاكثر الناس القول فيه وفى صحبته اياه فنعه أهله صحبته وكلامه فذهل عقل أبى الحسين حتى خشى عليه التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لى قل له لا تقربنى ولا تأت مجلسى فانى له كاره فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول

يامن بدائع حسن صورته
تثنى اليه اعنة الحدق
لى منك ما للناس كلهم
نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم
وشقيت حين أراك بالفرق

قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه

(ومنهم قتيل)

ذكر الشيزرى رحمه الله فى كتاب روضة القلوب انه رأى بحماة مؤدبا يقال له الوردى وأصله من حمص وكان فاضلا شاطرا فى فنه فافتتن بصبى من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك اباه فمنع الصبى من المضى اليه ثم انه أرسله الى مؤدب آخر غيره وكان عدواله فاشتد ما به من الغرام والهيام ثم انه الجأته الضرورة الى ان كتب الى أبيه يستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرأ الرقعة اطرق الى الارض ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منه الدم

ثم جاشت نفسه وجاءه القيء فخرج مبلبلا الى باب المسجد فتقايأ قيأ اسود ومضى الى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجيء له بطبيب فاخبر ان كبده تفطرت

قال ابن الجوزي كان ببغداد سنة ثمانين وأربعمائة غلام يقال له ابن الرواس يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقي لا يطعم ثم خنق نفسه فمات

(ومنهم شهيدان)

ذكر العتبي عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت في سفر فنزلنا على ماء لطي فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فلما ابصرني أنشا يقول

ألا ما للحبيبة لا تعود
أبخل بالحبيبة أم صدود
مرضت فعادني عوادقومي
فما لك لم ترى فيمن يعود
فلو كنت المريض ولا تكوني
لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديد

قال ثم أغمي عليه فمات فوقعت الصيحة في الحي فخرج من آخر الماء جارية كانها فلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى وقعت عليه فقبلته وانشأت تقول

عداني ان أعودك يا حبيبي
معاشر فيهم الواشي الحسود
اذاعوا ما علمت من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد
فأما اذ حللت ببطن أرض
وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فواقا
ولا لهو ولا أثر جديد

قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة وبها خدها

نسبوه حسنا للهلال وحسنه * للبدر ينسب لا بليت ببينه
فاذا بدا فالي هلال أصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

بابي سلطان حسن حسنه * لقتال القلب في الحب نوى
صال في العشاق منه ناظر * هو والسيف على حد سوا

(ابن نباتة)

ويح قلبي من كاسر الطرف أضحى * فيه قلبي كاترى مكسورا
قد حمى ثغره بعينيه عني * وكذا السيوف تحمي الثغورا

(الصلاح الصفدي)

سيوف الحاظه المرضى سفكن دمي * ولم يطق دفعها حولي ولا حيلي
لولا السقام الذي فيها لما انسكت * وربما صحت الاجسام بالعلل

(الفرزدق)

ومقلة شادن اودت بنفسي * كأن السقم لي ولها الباس
يسل اللحظ منها مشرفيا * اقتلني ثم يغمده النعاس

(بدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت باني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبي بملاله * مني وان وداده تكليف
لكنني لم أأتمنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(أمين الدين كاتم سر الشام)

ان كان قيده هوالذ أطلق أدمعي * فوكيل شوقي عاجز عن حبسه
أو كان منك الطرف اسمر ناظري * فلكل شئ آفة من جنسه

(الصلاح الصفدي)

غزال من الاتراك ضاق لحاظه * لحظي الا كي تضيق مذاهبي
كان الحشا طير وكاسر لحظه * تصيدها من جفنه بالمخالب

(ابن أسد الدين)

الى الله أشكو حب أهيف فاتن * وقعت فمالي من يديه خلاص
جرحت بلحظي خده وهو جارح * بلحظيه قلبي والجروح قصاص

(وقلت)

يقولون ان الشمس تحرق كل ما * تجاسده من كائنات الكواكب

البحر اذ بصرت بجارية عليها اطمار شعر فاذا هى ناحلة ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان فلما عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثم سقطت الى الارض فلما افاقت قالت سيدى لك تقرب المتقربون فى الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان فى البحار الزاخرات ولجلال قدسك تساقطت الامواج المتلاطمات أنت الذى سجدلك سواد الليل وبياض النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك الله العلى الغفار ثم أنشأت تقول

يامؤنس الابرار فى خلواتهم
يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لايزال متيما
فرح الفؤاد وحشوه بلبال

فقلت لها عسى ان تزيدينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت

أحبك حبين حب الوداد
وحبا لانك أهل لذا كا
فاما الذى هو حب الوداد
فحب شغلت به عن سوا كا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك الحجب حتى أرا كا
فما الحمد فى ذا ولا ذا لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذا كا

فهاخذها المريخ مع شمس وجهها * قد اقترنا فى سمت قوس الحواجب
ثم قضيا لى بالشقاوة منهما * بسهم لحاظ عاقنى عن مطالبى

(ومن الثالث قول ابن قلاقس)

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار
مااختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار

(الصنوبرى)

ذات خد يكاد يدميه وهم * من مشير بالجد أو بالمزاح
فى بياض وحمرة فكان قد * صيغ حسنا من ماء مزن وراح

(محمد بن ياقوت)

مالى بجور الحبيب من قبل * هل حاكم عادل فيحكم لى
حمرة خديه من دمى صبغت * ويدعى انها من الخجل

(علاء الدين المدنى)

ياحسن ورد طفا فى ماء وجنته * فزاد أهل الهوى فى حبه شغفا
وراح يجنى ثمار الوصل عاشقه * لما تمكن من خديه واقتطفا

(وقال آخر)

وأغيد تدمى وجنتاه من اللمح * تخلق الامن صدودى بالشح
غدا قاتلى ان ظلت أجرح خده * متى صار بالقتل القصاص من الجرح

(كمال الدين بن النبيه)

صنعة الكيمياء صحت لعينى * حين يزداد دبرانى احمرار
فاذا ماألقيت اكسير لحظى * فى لجين الخدود عاد نضارا

(مظفر الاعمى)

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب * لاينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال بعضهم)

فتنت بتركى حمانى عناقه * عقارب صدغيه على خده صرعى
الم ترانى كلما رمت لثمه * تخيل لى من سحرها انها تسعى

(عز الدين الموصلى)

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن الوردى)

قال من أهوى اصف صدغى بما * فيه توجيه وحببه الى

قلت ان الصدغ لام قد كوى * نصبها قلبى فهذى لام كى

(برهان الدين القيراطى)

عنقود صدغ الذى اهواه تيمنى * وقال لى ريقه لما رأى وصبى
ان كان فى الصدغ عنقود فتنت به * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

(وقال آخر)

وبين الخد والشفتين خال * كزنجى اتى روضا صباحا
تحير فى الرياض فليس يدرى * ايجنى الورد ام يجنى الاقاحا

(الصلاح الصفدى)

بروضة خده الحمراء أضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة من قول ابن نباتة)

بروحى فاتر الالحاظ ألمى * ملىّ الحسن حالى الوجنتين
له خال على دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

(العفيف التلمسانى)

ادنته لى سنة الكرى فلثمته * حتى تبدل بالشقيق السوسن
ماراعنى الابلال الخال من * خديه فى صبح الجبين يؤذن

(شهاب الدين الحجى)

وعذولى لج فى عذلى اذ * لم ير الخال على الخد الاسيل
لو رأى وجه حبيبى عاذلى * لتفارقنا على وجه جميل

(شمس الدين الصائغ)

بروحى افدى خاله فوق خده * وما أنا ذو مال فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
اورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لا يرث

(الصلاح الصفدى)

افدى حبيبا له فى كل جارحة * منى جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ابن الوردى)

لحبيبى شامة فى خده * لاعلا شان حسود شانها
رب عين دهشت منه فقد * نسيت فى خده انسانها

ففيتها حتى فغسلتها ثم أقبلن بها الى اكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فصليت عليها وهن خلفى ثم احتملنها ومضين

(ومنهم شهيد)

عن حماد المراكبى فيما ذكره العماقبى فى كتاب الاندلس قال وصفت للمأمون جارية بكل ما توصف امرأة من الكمال والجمال فبعث فى شرائها فاتى بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما همّ ليلبس درعه خطرت بباله فامر فخرجت اليه فلما نظر اليها أعجب بها وأعجبت به فقالت ما هذا قال اريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتنى والله يا سيدى ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وأنشأت تقول

سأدعو دعوة المضطر ربا
يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حربا
ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون الى صدره وأنشأ متمثلا يقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها
واذ هى تذرى الدمع منها الانامل
صبيحة قالت فى العتاب قتلتنى
وقتلى بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا مسرور احتفظ بها وأكرم محلها وأصلح لها كل ما تحتاج اليه من المقاصير والخدم والجوارى الى وقت رجوعى فلولا ما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

لكان لى ولها شأن ثم خرج فلم يزل يتعاهدها ويصلح من حالها ما أمر به فاعتلت الجارية علة شديدة اشفق عليها منها وورد نعى المأمون فلما بلغها ذلك تنفست الصعداء وأنشأت وهى تجود بنفسها

(وقال

ن الزمان سقانا من مرارته * بعد الحلاوة انفاسا واردانا ابدى لنا تارة منه فاضحكنا * ثم انثنى تارة اخرى فابكانا
الى الله فيما لا يزال لنا * من القضاء ومن تلوين دنيانا دنيا تراها تريناه من تصرفها * ٨٥ ما لا يدوم مصافاة واحزانا

(وقال آخر)

ياساباقر السماجماله * البستنى فى الحزن ثوب سماته
أشعلت قلبى فارتقى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

(ابن تميم)

رأيت حبة قلبى حين لاح لها * محبوبها انفرت من حر أفكارى
ثم استجارت بخد منه فهى به * كالمستجير من الرمضاء بالنار

(وقال بعضهم)

له على حاجبه شامة * تنزهت فى الحسن عن عائب
مثل طواشى زاد فى حقه * يعلو على الناظر والحاجب

(تقى الدين بن حجة)

قلت للخال اذبدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

(وقال آخر)

غدا خاله رب الجمال لانه * على عرش كرسى الخدود قد استوى
وأرسل فى الاصداغ رسلا اعزة * على فترة تدعو القلوب الى الهوى

(وقال آخر)

يريك بوجنتيه الورد غضا * ونور الاقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا فى الزوايا

(وقال آخر)

أبو طالب فى كفه وبخده * أبو لهب والقلب منه أبو جهل
وبينا شعيب مقلتاه وخاله * الى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

(وقال آخر)

لهيب الخد حين رآه طرفى * هوى قلبى عليه كالفراش
فاحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشى

(القيراطى)

انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم * قد راحت الارواح فيها غلط

(وقال آخر)

ومهفهف يحمى ورود رضابه * بصوارم سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكية * فى خده سطرا من الريحان

(أبو عاب)

وتحن فيها كانا لا نزايلها
للعيش احياؤنا يكون موتانا

(ومنهم شهيدان)

ذكر أبو الحسن القارى ان على ابن صالح ذكر له ان جارية من جوارى القيان عند أهل البصرة كانت تميل اليه وتحبه وتكلف به وكانت موصوفة بالادب شاعرة فكرهه من اسلفها لحضر يوما عند بعض أهل البصرة وكانت عنده قال فلما طاب عيشنا فى يومنا لم التفت اليها فاطرقت هى أيضا فلم تنظر اليه ثم دعت بدواة فكتبت على منديل كان معها ثم تغفلت أهل المجلس والقت المنديل فاخذه فاذا فيه

لعل الذى ابلى بحبك يا فتى
يردك لى يوما الى أحسن العهد

قال على فما هو الا ان قرأت الشعر حتى وجدت فى قلبى من أمرها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم أزل أعمل الحيلة فى ابتياعها من حيث لا تشعر فتيسر ذلك حتى ملكتها فلم أوثر عليها احدا من حرمى ولا أهلى ولم يبق عندى شئ يعدلها فتوفيت فانا لا اعيش لى ولا سرور بعدها والله ما لبث بعد هذا الكلام الا اياما يسيرة حتى مات أسفا عليها وكذا دفن الى جانبها (ومما يحسن هنا)

فتى أخبرك ما صنع الغرام * عشية قوضت تلك الخيام سروا والليل فى ثوبى حداد * وقد القى مراسيه الظلام
وقد هتكوا الا كلة عن بدور * كوآمل لا يفارقها التمام وفى الاصداغ ذولعس لماه * لنا كأس وريقته مدام

ساصنع في ذم العذار بدائعا * فمن شاء فليقص الدليل كما اقضى
الا انه كاللام واللام شانها * اذا الصقت بالاسم صار الى الخفض
(البدر الدماميني)
تحدث ليل عارضه باني * ساسلوه و ينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى * حديث الليل يمحوه النهار
(سيدى أبو الفضل بن وفا)
على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه جماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار رحى حما
(ابن النبيه)
جنت بمنظره البديع عيونا * فتسلسلت بمدامع الاجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره * فعجبت للجنات في النيران
(تاج الدين اليماني)
بحلت لواحظ من رآني مقبلا * برموزها ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لانه * يخشى العذار لانه نمام
(الصلاح الصفدى)
عذارك والطرف يا قاتلي * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس
(الطنبغا الجاولى)
عذارك والطرف قد أظهرا * جميع الذى فيهما يا رمز
وأنى يصان الهوى عنهما * وهذا ينم وذا يغمز
(وله أيضا)
من قال عما قد بدا في خده * أحببته شعرا به ما انصفا
هذا الذى رام شهدة ريقه * فرأى تلهب خده فتوقفا
(محمد بن الرعاد)
أعد نظرا فما في الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى * أراك خيال أهداب الجفون
(عز الدين الموصلي)
لقد كنت لي رحدى ووجهك جنتي * وكان كانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض * وراحتي في وردي بعذبك شارب
(ابن نباتة)
واحر با من هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل

عذاره

رى وقلوبنا الاغراض فانظر * بعينك هل يطيش له سهام
(ومنهم شهيدان) ذكر المرزباني عن أبى الحسن على بن الحسين الصوفى المعروف بربا ح قال حدثنى بعض اصدقائى انه دخل بمارستان ببغداد فرأى شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير نظيف وعن يساره مخدة وفى يده مروحة والى جانبه كراز فيه ماء فسلمت عليه فرد أحسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال على فمضيت وجئته بذلك و جلست مقابله حتى أكل ثم قلت له هل بقى لك من حاجة قال نعم ولا أظنك تقدر عليها لقلت اذكرها فلعل الله تعالى ان ييسرها قال تمضى الى نهر الدجاج الى درب الدهقان الى دار على باب زقاق الغلة فاطرق وقل ان فلانا قال لى

سر للعيب وقل له

محبوبكم من أجله

قال فمضيت وسألت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الى عجوز فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة ثم خرجت فقالت

ارجع اليه وقل له

عليكم من أجله

فرجعت الى الفتى فاخبرته بالجواب فشهق شهقة ومات وعدت الى القوم فاخبرتهم فاذا فوجدت الجارية قد ماتت

(ومنهم شهيدان)

ذكر الاصمعى انه رأى بالبادية رجلا قد ثقبت شفتاه وعلى جسمه وجلده فتعجبت منه ودنوت منه لاسأله عن حاله فقالوا انكره شيابو المسمى بكم ... يبق الهوى ما بى للعاشق * حتى الممات فاين منك المذهب

عذاره لا يجيب دمعي * وسائل لا يجيب سائل

(الشهاب الحجازي)

سال العذار بخده فاذا الـ * ـمبيض في خديه مسود

ولسان حال الخد ينشدنا * هـل بالطلول لسائل رد

(الزين المصري)

ان ماس فالغصن بالاوراق مستتر * أولاح فالبدر بالانوار محتجب

عـذاره بسـواد القلب منتقش * وخده بدم العشاق مختضب

(وقلت)

يا وجنة من تحت أصداغها * لانفس العشاق كم تجذب

وهاجـة كادسـنا برقها * يذهب بالابصار لم يحجب

أهل المجسطي لو رأوها قضوا * بشرف المريخ في العقرب

(وقلت)

يا عجبا للخال في خـدها * كيوان بالمريخ يستمسك

حسان دلا في اقتران على * ان دم الصب هنا يسفك

يا مطلب طلسمـه مانع * هـل مطلب الا له مهلك

(وقلت)

سألتها عن بياض * في وجنتيها وحمره

اذا طريق اجتماع * قالت ورايه نصره

(وقلت في العذار)

جرى الخلف في نبت العذار فذاهب * الى انه مسك على الورد منثور

ومن قائل آس فقلت كلاهما * غدا مصلحا للورد اذ فيه كافور

(ولبعضهم)

ولا تحسبن الخال في الشفة التي * بتيـمـه يا المحبوب نقصا ولا خللا

ولكنه ختم على ما بثغره * من الدر والياقوت والخمر والعسل

(ومن الرابع قول بعضهم)

سألتـه في ثغـره قبـلة * فقال ثغري لم يجز لثمه

فيا كيها في الخد واقنع بها * ما قارب الشيء له حكمه

(وقال آخر)

ومر على بقبلة * ارشفها من مبسمه

سوف بي ولم يزل * يوعد لكن بفمه

(وقال آخر)

فشهق الفتى شهقة ظننت ان روحه قد فارقته ثم أنشأ يقول اخلو بذكرك لا اريد محدثا * وكفى بذاك نعمة وسرورا

أبكي فيطربني البكاء وتارة * يأبى فيأتي من احب أسيرا فاذا اتى سمح بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

فقلت له أخبرني عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة ففعلت فانشأ يقول بصوت ضعيف

الا ما للمليحة لا تعود * أبخل ذا بها ام صدود

فلو كنت المريضة كنت أسعى * اليك ولم ينهني الوعيد

فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك وسترتهما بثوبي خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة عمه قال الاصمعي فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ أحمد بن محمد بن على الابنوسي في اخباره

(ومنهم شهيدان)*

ذكر ابن دريد عن الرقاشي قال قال عسكر بن ابجيج الاسدي كان لي صديق من الحي وكان شابا جميلا يعشق بنت عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان يأتيني فيشكو شوقه الي فلبث ان مرض عمه مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفي بالنظر اليها ثم يخرج الي مسرورا الى ان برئ عمه فقال

أبكي من الخوف ان يراع بها * ولست أبكي على من الجزع * مات عمي ولا عري من الوجع * وعش ما عاش في الـامر والطمع

فخطبت الجبار وتزوجها أبوها فجاء الي فودعني وقال هذا وداع لا تلاقي بعده ابدا فـ ـمده فا الجزع قد حال دون فهمه

ذكرت ريق حبيبي * بشرب راح معطر
وليس ذا بعجيب * فالشيء بالشيء يذكر

(جمال الدين بن نباتة)

وأغيد في فيه المدام ولحظه * وفي وفي اعطافه نشوة السكر
تداويت من الحاظه برضابه * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

(وقال آخر)

نقل الاراك لنا ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه حقا عن صحاح الجوهري

(الصلاح الصفدي)

يا ثغره ليس الثنايا التي * تضيء غير الانجم الغر
فليقل المسواك ما عنده * فهو عن الضحاك والزهري

(ابن قلاقس)

جمعت نكهته في ثغره * عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده * شفقا في فلق تحت غسق

(وقال آخر)

خد وثغر فجل رب * ببدع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدي يروى * وذاك يروى عن المبرد

(شمس الدين بن الصائغ)

بروحي من ولى فولى بمهجتي * وولى مناى فهو كالوصل شارد
حمى ثغره عنى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ريقه وهو بارد

(الصلاح الصفدي)

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(ابراهيم بن المعمار)

عزمت على وقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين أقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله في النظم أولا

(الصلاح الصفدي)

احببته كالغصن كم شاعر * له عليه نوح ورقاء
وثغره الصادى من حسنه * يحار في تشبيهه الطائى

(يوسف بن مسعود)

راى ثغر من أهوى عذولى فلامنى * ولم يدر ان اللوم في حبه يغرى

فقلت وأين تذهب فقال اذهب ما وجدت ارضا ونهض وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه آفاق البلاد فما قدر عليه ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه ٨٨ *(ومنهم قتيلان)* ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسى كان جالسا مع ندمائه وقد أخذ الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من وراء ستارة

يا قمر القصر متى تطلع
اشقى وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قد قضى كل ذا
منك على رأسى فما أصنع

قال وعلى رأس محمد غلام على أحسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال تصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من الدار الى الدجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على اثره فغرقا جميعا قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا

(ومنهم شهيد)

قال محمد بن بشر الانصارى رأيت صدقات بنى عذرة فبينما انا بينهم واذا بشيء يختلج تحت ثوب فاقبلت فكشفت عنه واذا رجل ليس يرى منه سوى رأسه وعينيه فقلت ما بك فقال

كان قطاة علقت بجناحها
على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفيانى

قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذى كان فيه ثم خمد فنظرت فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة ابن حزام العذرى

(ومنهم شهيد)

يروى ان الحكم بن عمرو الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى شغلت

نعم بصبر لا وربك لا ترى * بشام الحمى اخرى الليالى الغوابر كان فؤادى من تذكره الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

فوقفت وقال علي بالرجل فجيء به فقال ويحك من أنت قال أنا رجل من أهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فصل الله في الحي فقال مالي الى ذلك سبيل ولي بتلك البلاد أهل وولد قال اني أحملك الى أهلك وولدك فقال لا حاجة لي في هذا قال ليس

شغفت بهذا وارتبطت بحسنه * واحسن ما كان الرباط على الثغر

(النواجي)

لله ثغر الحبيب تجمعت * في ضمنه للعاشقين نفائس

فيه الرحيق وخاله المسك الختا * م وفيه فليتنافس المتنافس

(الصلاح الصفدي)

قد شبه الخال على ثغره * تشبيه من لا عنده شك

بسبحة من جوهر أودعت * حق عقيق ختمه مسك

(ابن ريان)

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت في الشام

لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ابن الوليد)

أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكري مفيقا

وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان في الاسماء ريقا

(شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقه شربة * اشفي بها من كبدي حره

فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

(الحريري)

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

(ابن عنين)

يا اعز الورى الغواية رشدا * في هواه واحسب الرشد غيا

ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم * يفتر عن نجوم الثريا

(ابن سنا الملك)

له فم ينعته ضيقه * ان يخرج اللفظ بتقويم

ولفظه سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم

ما فيه ميم ولكنه * علامة الجزم على الميم

(وقال آخر)

كان على انيابها الخمر مجه * بماء الندى في آخر الليل عابق

وما ذقته الا بعيني تفرسا * كما شيم من اعلى السحابة بارق

(ابن الرئيس)

لئن كان من لؤلؤ ثغرها * فان له صدفا من عقيق

من ذلك بد وأمر به ان يحمل فاضطرب في أيديهم حتى مات

(ومنهم شهيد)

عن الاصمعي قال خرجت اريد بعض احياء العرب فادركني الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فسمعت بالليل قائلا يقول من القبر

أنعم الله بالحبائب قبرا * وجسير ياسعاد البنا

وحشة ما لقيت من ظلمة القبر * عسى ان تراك أو ان ترينا

قال فأرقت ليلتي فلما أصبحت دخلت الحي واذا بجنازة قد اقبلت فسألت عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن عم لها فتعاقدا على الوفاء فلم تزل باكية بعد ان مات وها هي قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر الذي بت عنده واذا هو قبر ابن عمها فاخبرتهم بما سمعت فتعجبوا من ذلك

(ومنهم شهيد)

حكى الفرزدق قال ابق غلام لرجل من بني نهشل فخرجت في طلبه اريد اليمامة فلما صرت على ماء لبني حنيفة ارتفعت سحابة وامطرت فعدلت الى بعض ديارهم فسألتهم القرى فاجابوا فانخت ناقتي تحت بيت لهم من جريد النخل وفي البيت جويرية سوداء فخرجت جارية كأنها قمر فسألت الجارية السوداء لمن هذه الناقة فاشارت الي وقالت لضيفكم فعدلت الي وسلمت

وان كان من اقحوان النبات * فان مشاربه من رحيق

(أبو العشائر)

ثغر كلمع البرق حسن بريقه * يشفى فؤاد المستهام بريقه

قد بت الثمه وارتشف المنى * من دره ورحيقه وعقيقه

(وقال آخر)

بأبي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بانه عذب

كشهادتي لله خالصة * قبل العيان بأنه رب

والعين لا تعبأ بنظرتها * حتى يكون دليلها القلب

(ابو عبادة ويعزى الى يزيد بن معاوية وهو الصحيح)

واسقطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيدة كلها ملح وعيون وساذكرها فى الغزل المطلق وأما بيت أبى عبادة الذى بنى عليه الحريرى المقامة الحلوانية فهو

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد أو اقاح

(الحريرى)

سألتها حين زارت نضو برقعها القـانى وايداع سمعى أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر * وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

واقبلت يوم جد البين فى حلل * سود تعض بنان النادم الحصر

(وقلت)

أقول لمن بالطب أصبح جاهلا * مقالا صحيحا قيما غير ذى عوج

يرى ثغرها خصرا على ذى حرارة * لان به شهد امع الخمرة امتزج

أغرك أن الخمر أنى مزجتها * بشهد أتت بالحرف وابع الدرج

اما اعتمدات اذجاورت بردابه * تنضد والجريال فى ذلك الفلج

وهبك جهلت الطبع ماذا تقول فى * عقيق وياورمعافيه قد فتح

وبينهما خاف طويل مفصل * بكتب ارسطو والذى قبله درج

(وقلت)

أرى ريقها عمدا الشفاء لكل ما * تعذر من داء عن البرء أو فسد

عليك به فهو الحياة لشارب * وان جاوز القانون فيه أو اقتصد

فهذى اشارات كفت كل عاقل * وان قيل شئ غيرها ليس يعتمد

(وقلت)

عجبت من المسو الذى رشف ريقها * مدى الدهر لا يحميه من ذا مانع

ويبقى جمادا كيف لم يحى بالحيا * وتفنى الليالى وهو اخضر يانع

وقالت ممن الرجل قلت من بنى نهشل قالت فأنتم الذى يقول فيكم الفرزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد هدم عليه بيته حيث يقول اخزى الذى سمك السماء مجاشعا * واحل بيتك بالحضيض الاوهد قال فاعجبتنى فلما رأت ذلك فى وجهى قالت اين تريد قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت تذكرت اليمامة ان ذكرى بها اهل المروءة والكرامه الا فسقى الاله سحاب غيث يجود بسحه بلد اليمامه وحيا بالسلام ابا نجيد واهلا للتحية والسلامه قال فانست بها وقلت اذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا تؤرقه الهموم الى السحور

لكالقمر المنير المستنير وما لى فى التبعل من مراد

ولو رد التبعل لى أسيرى

ثم سكتت كأنها تسمع كلاما ثم انشأت تقول

تخيل لى ابا عمرو بن كعب كانك قد حملت الى السرير

فان تك هكذا يا عمرو انى مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فتصارخ النساء وسألت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسألت عن عمرو فقيل لى ابن عمها كان يحبها وتحبه فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد مات فى ذلك الوقت من ذلك اليوم قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية أعجب من جميع ما تقدم فان كلا من أولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس من محبوبه اما بمعاينة موته أو أخباره بذلك لان من الحكماء من يذكر ان روعة رضاب

فقد الالف وتحقق اليأس بغمران القلب وهذا واحدة فتتقن عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع مادهمه فيفيض الدم وتذهب الروح وآماهذه فاطفت نفسها الى ان رفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها مادة الاغمار دعليها من ذلك الانين فكان بمنزلة المصباح الذى للبصير فلما ذهب عن القلب احس بفقده كما يحس البصر بذهاب نور المصباح اذا طفئ

(ومنهم شهيد)
قال فى منازل الاحباب ومن الطف ماوجدته من أخبار المتأخرين فى تحليهم بالعفاف واتصافهم باحسن الاوصاف مايحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوى انه هوى فتى من ولاد الجند فكتم هواه وأخفى ضناه الى ان عيل صبره ونفث الدم فيه بل صدره ومات على كتمانه ولم يبح بشانه فمن قوله فيه

هذا خيالك فى الجفون يلوح
لو كان فى الجسم المعذب روح
ياساليا عما الاقيه فى الهوى
هل يشتفى من قلبى التبريح
غادرتنى غرض الردى وتركتنى
لاعضو لى الا وفيه قروح
لله مافعلت لحاظك فى دمى
لو بلغت جسمى الردى فتريح
لو عاينت عيناك قذفى من فى
كبدى ودمعى مع دمى مسفوح
لرأيت مقتولا ولم تر مقتلا
وعلمت انى من فى مذبوح
قل للذى عاقت منه منيتى
أأباح قتلى ياظلوم مبيح
كبدى على صدرى بحرت والى متى
اغدو وأعزب فى الهوى وأروح

عضاب يقوم الميت ان شم عرفه * ولو قطعت أوصاله والاضالع
فقال خشيت الهجر منها فعاقنى * فحسبك عذر فى جوابى قاطع
بنفسى ثغر قلت اذ لاح نوره * أبرق بدا من جانب الغور لامع
وبرد رضاب قلت عند وداعه * زمان اللقا بالخيف هل أنت راجع
وقد أكثروا من هذا النمط أعنى التشبيب بالوجه واعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وابهج وأعلى وألطف وأماماعداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر فى عضو بعينه أما فى ضمن غيره فكثير سنورد منه ماتيسر حسبما شرطنا واما مطلق القامة بمافيها فأكثر من أن يحصى مافيه وماقيل من ان أول من وصف الثدى عمرو بن كلثوم

وثدى مثل حق العاج رخص * حصان عن أكف اللامسينا

فأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لان العرب تغزلت كثيرا غاية الامر ان المتأخرين الطف فن وصفهم الجيد فى ضمن غيره قول بعضهم

لها جيد أم الخشف ريعت فأقبلت * ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الظبى فيها ملاحة * هى السحر أو ادهى التباسا وأعلق

(دعبل)

اتاحك الهوى بيض حسان * سلبنك بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضى * فاولى لو نظرت الى الخصور

(ابن الرومى)

صدور فوقهن حقاق عاج * وحلى زاى حسن اتساق
يقول الناظرون اذا رأوها * اهذا الحلى من هذا الحقاق
وماتلك الحقاق سوى ثدى * قدرن من الحقاق على وفاق
نواهد ليس يعدوهن عيب * سوى منع المحب عن العناق

(المهلبى)

أقاتلتى بفتور الجفون * ورمانتين على معصر
كحقين من اب كافورة * برأسيهما نقطتا عنبر

(الرفاء)

ومن وراء سجوف الحى شمس ضحى * تجول فى جنح ليل مظلم داجى
مقدودة حفظت ايدى الشباب لها * حقين دون مجال العقد من عاج

(الثعالبى)

قد حجبت وجهها عن النظر * بمعصم حل عقده خطرى
كانه والعيون ترمقه * عمود صبح فى دارة القمر

(وقال بعضهم)

(ومنهم شهيد) قال عبد الحق فى العاقبة مما ابتلى الله به الهادى من المحبة وعاقبه به أن كان مغرما بجارية له تسمى

غادرا وكانت أحسن الناس وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين فقال وقع في فكري اني اموت وان أخي هرون يلي الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا

فأتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فلم يزل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا ارضى حتى تحلف لي بكل ما أحلفك به انك اذا مت لا تتزوج غادرا فرضي بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولي هرون الخلافة وطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف نصنع بالايمان التي حلفنا بها فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت في قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أحسن من أخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه فبينما هي في بعض الليالي في حجره اذ انتبهت فزعة مذعورة فقال لها ما لك فدتك روحي فقالت رأيت أخاك الهادي في المنام وأنشدني

أخلفت وعدي بعدما
جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في
ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي
صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد
ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح
وصرت حيث غدوت صائر

كأن الثدايا اذا ما بدت * وزين منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة * يسعن من المسك شيأ يسيرا

(الحسن بن هاني)

بأبي غادة تميس بقد * تنثني فتخجل الاغصانا
لمست صدرها فباهت وقالت * غصن قدي قد اثمر الرمانا

(وقلت)

اذا بلهب الخد منها بناره * بلين اقنه صيغ منبسط الصدر
وذلك برأي العين اما بلامس * فلين حرير والنهود من الدر

ومن أوصافهم في الارداف والخصور بالضميمة كما سبق قول عبد الوهاب السندوبي

قام فكادت لين اعطافه * تقصها الارداف من نهضه
فكيف يرجو الغير انصافه * وبعضه جار على بعضه

(ابن قزل)

وأهيف القد بت أشكو * له تلافي وما تلافى
فمال عطفا ورق خصرا * وأغار ردفه تجافى

(آخر)

يا خصره كم جفاه * تبدي وأنت نحيل
يا ردفه مل عني * ما أنت الا ثقيل

(ابن مكانس)

كسلت ارداف حبي * فدموعي تتوالى
أيها المحبوب فارحم * رب دمع فيك سالا

(الصلاح الصفدي)

أقول له قد رق عيشي والصبا * وعقلي وكاساتي وصوت الذي غني
وقال الذي أهواه خصري نسيته * فقلت له والله قد جئت في المعنى

(سيف الدين المشد)

مهفهف القد نحيل الحشا * يسبي الورى عمدا بطرف مريض
تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبي في الطويل العريض

(ابن سنا الملك)

تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبي في العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

(ابن الوردي)

اذا قيل ماردفي وشعري أجبته * كثيب مهيل فوقه حية تسعى

قالت ثم ولى عني وكأن الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين وان

ثم انها اضطربت بين يديه حتى ماتت فى تلك الساعة فلا تسأل عن حال هرون وما لقى بعدها *(ومنهم قتيل)* أخبرنا الشيخ الامام الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاى بسنده عن أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الطبيب الاديب قال كنت اختلف فى النحو الى محمد بن الخطاب فى جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن اسلم بن سعيد الاسلمى قاضى قضاة الاندلس وكان اجمل ما رأته العيون واحمد ابن كليب كان من أهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم وفارق صبره وصرف فيه القول مستترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على الالسنة ونوشدت فى المحافل فلعهدى بعرس فى بعض شوارع قرطبة والزامر يغنى بقول احمد ابن كليب

ايسلمى فى هوا * ه اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشى
* على الوصل روحى ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها قال فلما بلغ اسلم هذا المبلغ انقطع عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا المرور على بابه سائرا ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم من الجلوس على باب داره نهارا فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مسترو حا وجلس على باب داره فعيل صبر احمد فتحيل فى بعض الليالى ولبس جبة صوف من جباب اهل البادية واعتم بمثل عمائمهم واخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى قفصا فيه بيض وتحين جلوس اسلم عند اختلاط الظلام على بابه فتقدم اليه وقبل يده وقال يا مولاى تأمر من يقبض هذا فقال له اسلم ومن انت

وان قيل هل ترى عذارى مورد يا * أقول له اى والذى أخرج المرعى

(الصلاح الصفدى)

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

(البهاء زهير وهو مما شاع ولم نره فى ديوانه)

حبذا نفحة ريح * فرجت عنى غمه
ضربت ثوب فتاة * أظهرت تيها وحشمه
فرأيت البطن والسرة * والخصر وغمه

(الباخرزى فيما يكتب على التكة)

لم لا أتيه ومضجعى * بين الروادف والخصور
واذا نسجت فانني * بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة * بأكف ربات الخدور

(بشار)

نظرت فى القصر عينى * نظرا وافق حينى
سترت لما رأتنى * دونه بالراحتين
فضلت منه فضول * تحت طى العكنتين
ليتنى كنت عليه * ساعة أو ساعتين

ولها حكاية حاصلها ان المهدى دخل على بعض جواريه وهى مجردة فلما استترت منه بيديها فاض عنهما فانشد نظرت فى القصر عينى وأرتج عليه فاستدعى بشارا فقال له أجز وأنشد الابيات

(العباس بن الاحنف)

ومثلك لم أر فى العالمين * ن نصفا قضيبا ونصفا كثيبا
وانت اذا ما وطئت الترا * ب كان ترابك للناس طيبا

(أبو الحسين الجزار)

وكم ليلة استغفر الله بتها * بنجد ونغر بين ورد وجريال
سريت راحتى غورا ونجدا الى الضحى * وما ذاك الا فى خصور وأكفال

(الصفى الحلى)

اذا انثنت بأعطاف يجاذبها * مدار غصن من الكثبان مطور
رأيت أمواج ارداف اذا التطمت * فى لج بحر بماء الحسن مسجور

(وقال آخر)

واذا السوالف بالبنفسج جاورت * ورد الخدود

وتموجت كثب الروا * دف تحت أغصان القدود
شاهدت فى ايدى الظبا * قياد اعناق الاسود

(ابن نباته)

سألت النقا والبان ان يحكيا لنا * روادفا واعطافا من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حاملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

(الصلاح الصفدى)

اقول وقد دامت على حر وجهها * ومالى عليها فى الظلام رقيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * لى وان لم آته لحبيب *

(ابن ابى حجلة)

مالت كغصن مع الارواح مياس * مصرية الحلى تبدو لى بمقياس
ما جن ليلى وأمسى حليها قلقا * الا وثار بها جنى ووسواسى
ولا بدا ردفها الراسى اذا قعدت * الا وباتت يدى منه على راسى

شمس الدين بن جابر النحوى وهو الشهير بالاعمى والبصير فى شرح الالفية يعنى باعتبار البصر فى الاول والبصيرة فى الثانى وبالعميان فى البديعية يعنى انه مفرد ناب عن جمع فلا يغتر بقول ابن حجة والعميان لم ينظموا ولم يقولوا وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا وسألت عنه فلم اظفر بمن يشفى العلة حتى رأيته فى كلام العلامة السيوطى رحمه الله تعالى

مقدمة الارداف ركب فوقها * مقدمة الخصر الذى هو ذايل
فتم قياس الحسن لما تركبا * وجاء على النظم الذى هو كامل
فانتج حسنا لم يلم فيه عاشق * بوجه ولم يوجد من الناس عاذل

(وله أيضا)

سبب خفيف خصرها وورا٠ه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر

(وله أيضا)

ردف يقيم لنا بها فتن الهوى * واذا أتت لتقوم قال لها اقعدى
أبصرتها من بين ذلك وبين ذا * فوقعت منها فى المقيم المقعد

(وله أيضا)

مليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وفته اجفان
خد عليه رياض الحسن قد خلعت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
محقق نسخ صبرى فى هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان

فقال احبك فى الضيعة الفلانية فأمر اسلم بقبض ذلك منه على عادتهم وكان احمد قد عرف اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند ورودهم منها فجعل يسأله عن الضياع ضيعة ضيعة فلما جاوبه انكر الكلام فتأمله فعرفه فقال له يا اخى بلغت بنفسك الى ههنا تتبعنى أما كفاك انقطاعى عن مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على بابى نهارا حتى انقطعت عن جميع مالى فيه راحة وقد صرت كأنى فى سجن والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلى ولا جلست بعدها على بابى ليلا ولا نهارا ثم قام فانصرف احمد بن كليب كئيبا قال محمد بن الحسين واتصل ذلك بنا فقلنا لاحمد وخسرت دجاجك وقفصك قال هات كل ليلة قبلة فى يده وأخسر اضعاف ذلك قال فلما يئس من رؤيته البتة نهكته العلة واضجعه المرض قال محمد بن الحسين فاخبرنى شيخنا ابو عبد الله محمد بن الخطاب انه عاده قال فوجدته باسوإ حال فقلت له الا تتداوى فقال دوائى معروف واما الاطباء فلا حيلة لهم فى البتة فقلت له ما دواؤك قال نظرة من اسلم فلو سعيت فى ان يزورنى لاعظم الله اجرك بذلك وكان هو والله يؤجر فقال فرحمته وتقطعت نفسى له فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه فاذن لى وتلقانى بما أحب فقلت له لى اليك حاجة فقال وما هى فقلت قد علمت ما جمعك مع احمد بن كليب من زمام الطلب عندى فقال نعم ولكن قد علمت انه برح بى وشهرنى فما ذاتى فقلت كل هذا مغتفر فى مثل هذه الحال التى هو فيها انه يموت فتفضل بعيادته فقال والله ما اقدر على ذلك فلا تكلفنى هذا فقلت له لا بد من ذلك فليس عليك فى ذلك شئ اقسمت

أقسمت بالمصحف السامى وأحرفه * مامرّ بالبال يوما عنك سلوان
ولا غبار على حبى فعندك لى * حساب شوقى له فى القلب ديوان

(وله أيضا)

وقفت يوم الوداع ملتفتا * أطمع فى نظرة أرددها
فاعرضت والظباء تغبطها * فى حسن اعراضها وتحسدها
وكلفت لدن خصرها كفلا * يكاد عند القيام يقعدها

(وله أيضا)

رقم الخال خدها فى اناء * قرالأفق فيه نقطة ليل
قلت ابن الكثيب والغصن قالت * كلما قد ذكرته تحت ذيلى

(وله أيضا)

ان شئت ظبيا أو هلالا أو دجى * أو زهر بان فى الكثيب الاميد
فالحظها ولوجها ولشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

(وله أيضا)

أقبلت فى لازوردىّ على * ناعم أبيض لدن معجب
والحلى والوجه والثغر وما * ابست والعطف والردف حبى
أنجما حفت ببدر فى دجى * فى سماء فوق بان الكثب

(ابن نباته)

أفدى التى تشتكى فى مشيها ولها * بالردف والخصر تثقيل وتخفيف
تدعو على الكثب والاغصان لاعنة * فالكثب مهتوكة والغصن مقصوف

(الشهاب الحجازى)

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به * فقال لى بلسان الحال فشدنى
انظر الى الردف تستغنى به وأنا * مثل المعيدىّ فاسمع بى ولا ترنى

(وقلت)

ما اخطأ الفيلسوف فيما * قرر من رفعة اللطافه
ما خصرها قد علا المقعد * سواه فى الظرف والترافه
ودونه الردف حط وصفا * مذ كان فى غاية الكثافه

(وقلت)

قد غرت من عشاقها * وتركهم الغزل
فى خصرها وشبهوا * بردفها والكفل
قلت الى كم تلهجوا * بسافل لابد لى

(وأما الاغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص) فكثيرة لاتحصى وغزيرة

وانما هى عيادة مريض قال فلم ازل به حتى اجاب فقلت فقم الآن فقال والله افعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا خلاف قال نعم قال فانصرفت الى أحمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد امتناعه فسر بذلك سرورا شديدا فلما كان من الغد بكرت الى اسلم فقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد حملتنى على خطة صعبة علىّ وما ادرى كيف اطيق ذلك قال فقلت له لابد ان توفى بوعدك لى فاخذت رداءه ونهض معى راجلا فلما اتينا منزل احمد وكان يسكن فى آخر درب طويل وتوسطت الزقاق فوقف واحمر وخجل وقال لى ياسيدى الساعة والله اموت ولا اقدر انقل قدمى ولا استطيع اعرض هذا على لسانى قال فقلت لاتفعل بعد ان بلغت المنزل تنصرف فقال لاسبيل والله اليه ورجع هاربا فاتبعته فاخذت بردائه فتمادى وخرق الرداء وبقيت منه قطعة فى يدى لشدة امساكى به ومضى ولم ادركه فرجعت ودخلت على احمد بن كليب قال وقد كان غلامه دخل اليه اذرآنا من اول الزقاق مبشرا قال فلما رآنى تغير وجهه وقال واين اسلم فاخبرته القصة فاستحال من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لايعقل منه اكثر من الترجيع فاستفظعت الحال وجعلت اترجع وقمت فثاب اليه ذهنه وقال لى ياعبد الله قلت نعم قال اسمع منى واحفظ عنى ثم انشأ يقول

اسلم ياراحة العليل
رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادى
من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ماهذه العظيمة فقال لى قد كان قال فخرجت عنه فوالله ماتوسطت الزقاق حتى

سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا وقال الحافظ ابو محمد وهذه قصة مشهورة عندنا ومحمد بن الحسن ثقة واسلم هذا من بني
خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة
وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة
وقال ابو محمد ولقد ذكرت هذه
الحكاية لابي عبد الله محمد بن سعد
الخولاني الكاتب قال فعرفها
وقال لقد أخبرني ثقة انه رأى اسلم
هذا في يوم شديد المطر لا يكاد احد
يمشي في طريق وهو قاعد على
قبر احمد بن كليب زائرا له وقد تحين
غفلة الناس في مثل ذلك النهار
ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم
المذكور وقد اهدى اليه فصيح
ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحي

(ومنهم قتيل)

حدث الخالدي في كتاب الزيارات
باسناد عن أبي بكر احمد بن محمد
الصنوبري قال كان بالرها وراق
يقال له سعيد وكان في دكانه
مجلس كل اديب وقد كان احسن
الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا
فما كنا نفارق دكانه انا وابو بكر
المعوج الشامي الشاعر وغيرنا
من شعراء الشام وديار مصر وكان
لتاجر بالرها نصراني من كبار
تجارها ابن اسمه عيسى من احسن
الناس وجها واحلاهم قدا
واظرفهم منطوقا وكان يجالس
الينا ويكتب عنا من اشعارنا
وجمعنا نحبه ونميل اليه وهو
حينئذ صبي في الكتاب فعشقه
سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه

لا تستقصى فلنورد منها ما حسن وقعه في الاسماع وجلب القلوب السليمة الاذواق
عند السماع شمس الدين بن العفيف

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا * فراح في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال آخر)

لو كان مالك عالما بذوي الهوى * ومحله من اضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * وان استغاثوا غاثهم بفراق

(المظفر الآمدي)

قل للذين جفوني اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكي في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(ابن الوردي)

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودي * واجمعينا أجمعينا

(ابن نباته)

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم * وبعهدنا من تعاهد طولها
املت على الزهر المقطب ذكركم * حتى تبسم ضاحكا من قولها

(الصفي الحلي)

لا غرو أن يصلي الفؤاد بحبكم * نارا تؤججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم يصور شخصكم * فيه وكل مصور في النار

(وقال آخر)

صلوا مدنفا قد واصل السقم جسمه * ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
بأحشائه نار يهب ضرامها * ومن لي باطفاء الغرام وقد وقد

(الارجاني)

تمتعتما يا مقلتي بنظرة * وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيناي كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

(الملك الصالح داود)

عيون عن السحر المبين تبين * لها عند تحريك الجفون سكون
اذا أبصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

(ابن اسرائيل)

وقلت شهودي في هواك كثيرة * وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولها * فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

(القيراطي)

لما حدا بالركب حاديهم * وأسمع الداني والقاصي

أطاعني دمع بجرى نهره * فدمعي الطائع كالعاصي

(لؤلؤ)

وأرقني خيال من حبيب * تناءت داره لما أتاني

فمن سهري يلم فلا أراه * ومن سقمي يطوف فلا يراني

(وقال آخر)

قد كان لي فيما مضى خاتم * فرق جسمي فتمنطقت به

وزادني السقم فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

(شمس الدين بن العفيف)

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتصالى ريقه وهو بارد

وكم يدعي صونا وهذي جفونه * تفسر للعشاق منها مواعد

(وله أيضا)

اذا مارمت حل البندقات * معاطفه سمانا الايحل

وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور وتزل

(وقال آخر)

قال لي أهيف المعاطف صف لي * هيفي قلت يارشيق القوام

لك قد لولا جوارح لحظيك لغنت عليه ورق الحمام

(ابن خفاجة)

مهفهف طاوي الحشا * كالغصن يخطر ان خطر

فاذا رنا واذا شدا * واذا سقي واذا سفر

فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

(ابن أبي الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجري * فلقد قنعت من الوصال بذا كا

وأطل محادثتي فان مسامعي * تهوى حديثك مثل ماتهوا كا

(ابن المستوفي)

رأت قمر السماء فأذكرتني * ليالي وصلنا بالرقمتين

كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعيني

(ابن نباتة)

علقتها هيفاء حالية الطلى * تجني على طرف المحب وقلبه

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي
وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي
فان ذلك لي برء من السقم

ترى العوالم لا تدري بمن كلفي
وأنت أشهر للصبيان من علم

ثم شاع خبره بعشق الغلام في الرها فلما كبر وشارف الاحتلام أحب الرهبنة وخاطب أباه وأمه في ذلك والح عليهما حتى أجاباه وخرجا به الى دير زكى بنواحي الرقة وهو في نهاية حسنه فابتاعا له قلاية ودفعا الى رئيس الدير جملة من المال عنها فأقام الغلام فيها وضاقت على سعيد الدنيا بما رحبت فاغلق دكانه وهجر اخوانه ولزم الدير مع الغلام وسعيد في خلال ذلك يعمل فيه الاشعار فانكرت الرهبان المام سعيد به ونهوه عنه وحرموا عليه ان يدخل قلايته

(الدمياطى)

وفتانة الالحاظ معسولة اللمى * أهيم بها شوقا اذا هى أعرضت

تصاممت لما ان سمعت كلامها * لتشفى قلبا بالاعادة أمرضت

(الوداعى)

قلت للعاذل المفند فيها * يوم زارت وسلمت محتاله

قم بنا ندعى النبوة فى العشـق فقد سلمت علينا الغزاله

(ياقوت)

وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا

قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(وقال آخر)

تجلى محياها فخافت رقيبها * فأرخت عليه من ذوائبها سجفا

محيا رآه الصب للحسن جامعا * فأجرى عليه من مدامعه وقفا

(ابن الرومى)

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها * ثم انثنت عنه فكاد يهيم

ويلاه ان نظرت وان هى اقبلت * وقع السهام ونزعهن أليم

(شمس الدين)

حتى اذا طاش عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد السلك فى الظلم

تبسمت فاضاها الجو فالتقطت * حبات منتثر فى ضوء منتظم

(ابن الساعاتى)

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر

ودخلت جنة وجهها فاباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

(الارجانى)

وفتانة صاغت سلاسل صدغها * قيودا على أعداد عشاقها الاسرى

تبسم عن درّ نظـم مثله * فلم أر أحلى منه نظما ولا نثرا

(وقال آخر)

نظرت اليها نظرة فتحيرت * دقائق فكرى فى بديع صفاتها

وأوحى اليها الوهم انى أحبها * فأثر ذاك الوهم فى وجناتها

(ابن مكانس)

علقتها معشوقة خالها * ان عمها ابا الحسن قد خصصا

ياوصلها الغالى ويا جسمها * لله ما أغلى وما أرخصا

(أمين الدين السليمانى)

وتوعدوه باخراجه من الديران دخله اليه فاجابهم الى ما سألوه فلما رأى سعيد امتناعه منه شق عليه وخضع للرهبان ورفق لهم فى القول فلم يجيبوه وقالوا علينا فى هذا اثم وعار ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير أغلقوا الباب فى وجهه ومنعوه من دخوله اليه ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف الى داره فضرب جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم ويعمل الاشعار قال ابو بكر الصنوبرى ثم عبرت انا والمعوّج الشامى ببستان بتنافيه فرأيناه جالسا فى ظل الدير وهو عريان وقد طالت لحيته وشعره وتغيرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه فقال دعانى من هذا الوسواس اترايان ذلك الطائر

أضيف الدجى معنى الى لون شعرها * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر

وحاجبها نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

(ابن الوردى)

ردفها والخصر منها * جل من ربى ودق

نهدها يطفى لهيبي * فهو رمان محقق

(أبو الحسين الجزار)

تكامل بدر السما اذ حكى * محياك لولم يشنه الكلف

وقام بعذرى فيك العذار * فأجرى دموعى لما وقف

(وله ايضا)

حمت خدها والثغر عن هائم شج * له أمل فى مورد ومورّد

وكم هام قلبي لارتشاف رضابها * فأعرض عن تفصيل نحو المبرد

(ابن النقيب)

يامالكى ولديك ذلى شافعى * مالى سألت فما أجبت سؤالى

فوخدك النعمان ان بليتى * وشكايتى من جفنك الغزالى

(شيخ الشيوخ بحماة)

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحيي سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

(وله أيضا)

حروف غرامى كلها احرف اغراء * على أن سقمى بعض أفعال أسماء

(وله أيضا)

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال فى القلب والطرف

يلوح لعينى ما انقانون صدغه * فأعبد خلاقى على ذلك الحرف

(وله أيضا)

قالت وقد عقرب صدغاله * عن مشقة الحاجب لم يحجب

قدّست يارب الجمال الذى * ألف بين النون والعقرب

(وله أيضا)

سبحان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق فى الجرلى والصبر من حصص

أقام للشعراء لعذر عارضه * فكم له فى دبيب النمل من قصص

(وله ايضا)

يانظرة ماجلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وادامتنى على وجل

عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

الذى على هيكل الدير واوما بيده
الى طائر هناك فقلنا نعم فقال
وحقكما يا اخوانى انا انا شده منذ
الغداة ان يسقط فاحمله رسالة الى
عيسى ثم التفت الى وقال ياصنوبرى
معك الواحك قلت نعم قال
اكتب
بدينك ياحمامة دير زكى
وبالانجيل عندك والصليب
قفى وتحملى منى سلاما
الى قمر على غصن رطيب
وقولى سعدك المسكين يشكو
لهيب جوى احر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد
اذا ما كنت تمنع من قريب
وان انامت فاكتب حول قبرى
محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش
فكيف بن لهما تارقيب
ثم تركنا وقام يعدو الى باب الدير

(مجير الدين الدمشقي)

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(ابن لؤلؤ الذهبي)

رفقا بصب مغرم * ابليته صدا وهجرا
وافاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

(ابن قرناص)

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

(وله أيضا)

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ساهره
انزلتهم في مقلتي * فاذاهم بالساهره

(شمس الدين بن العفيف)

ايسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة مضمنا (فقال)

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول
وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل

(وله أيضا)

وافى بوجه كالهلال مركب * في قامة غصنية هيفاء
وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

(وله ايضا)

اسكرني باللفظ والمقلة الـ * ـكحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاسي

(وله ايضا)

بأبي شادنا غدا الوجه منه * يخجل النيرين في الاشراق
سلب القضب لينها فهي غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

(وله ايضا)

لولم تكن ابنة العنقود في فمه * ما كان في خده القاني ابولهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته * حمالة الورد لاحمالة الحطب

(سيف الدين بن المشد)

وهو مغلق دونه وانصرفنا عنه وما زال كذلك زمانا حتى وجد في بعض الايام ميتا الى جانب الدير وكان امير البلد العباس بن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وباهل الرها خرجوا الى الدير وقالوا ما قتله غير الرهبان فقال لهم ابن كيغلغ لابد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولابد من تعزير جميع الرهبان بالسياط في قتله وتصعب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة الف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها لزيارة اهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد الوراق وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه وزاد عليه الأمر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما ادري ما كان منه

مسكية الانفاس على الصبا * عنها حديثاقط لم يملل
جنت لما ان سرى عرفها * وما ترى من جن بالمندل

(وله ايضا)

وشادن او ردنى هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
اصبحت حران الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

(علاء الدين الوداعى)

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

(وله ايضا)

ألحاظه وهى السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة اطولا

(وله ايضا)

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

(وله ايضا)

فديت من مبسمه * زهر اغصن قده
فصدغه مطوق * فى روضة من خده

(وله ايضا)

وذى دلال اهيف احور * اصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

(ابن نباتة)

بروحى مشروط على الخد اسمر * دنا وفى بعد التجنب والسخط
وقال على الانم اشترطنا فلا تزد * فقبلته الفا على ذلك الشرط

(وله ايضا)

وضعت سلاح الصبر عنه فما له * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خديه بالثو * على مهجتى فليتق الله سائله

(وله أيضا)

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قناله

(وله أيضا)

بروحى معسول اللمى متحجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منا من حلاوة ريقه * اتانا رقيب يتبع المن بالاذى

(وله أيضا)

بابى نائم على الطرق راحت * فى هواه وليس يعلم روحى

(ومنهم شهيد)

قال ياقوت فى تاريخه كان مدرك ابن على الشيبانى شاعرا اديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم ببغداد ويعاشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو بن يحيي وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقا وكان مدرك بن على يهواه وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الاحداث لا غيرفان حضر شيخ اوصاحب لحية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان فقم فى حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما الى المجلس فكتب مدرك رقعة

فاثنى فى السكرى فاسكريا * ياله من مسكرمفتوح

(وله أيضا)

ومن الشقا ان الجفا وتشوقى * لاينتهى هذا وذاك الى الطرف

ما مال غصن قوامه عن فكرتى * يوما ولادينار وجنته انصرف

(الصلاح الصفدى)

وظبى معانيه بيان بديعها * لها رفكرى اذرأى كل معجز

قرأت مقامات الحريرى كلها * على خده مشروحة للمطرزى

(وله أيضا)

قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت فى العشق بلافائده

فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

(ابن الوردى)

ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان

برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرمان

(وله أيضا)

عجبت فى رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت

جاءت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

(وله أيضا)

أنحلتنى حبيبة * أنحل الله خصرها

كسرتنى جفونها * ضاعف الله كسرها

(وله أيضا)

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج

خذوا من خده القانى نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

(وله أيضا)

تقويم ثغرك صح يامن ثغره * در يقصر دونه التقويم

انى لابكى من جفاك ولى أب * والثغر يضحك منك وهو يتيم

(وله أيضا)

ووعدت امس بان تزور فلم تزر * فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا

لى مهجة فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

(ابن الصائغ)

يا مليحا روو النا عنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا

طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغى ان تطيب فى الدهر معنى

وطرحها فى حجره فقرأها فاذا فيها

بجالس العلم التى

بك تم حسن جموعها

الا رثيت لمقلة

غرقت بفيض دموعها

بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

قال فقرأ الابيات ووقف عليها

من كان فى المجلس وقرؤها

فاستحيا عمرو وانقطع عن

الحضور وغلب الامر على مدرك

فترك مجالسه ولزم دار الروم وجعل

يتبع عمرا حيث شاء وقال فيه

شعرا كثيرا قال الحريرى وقد

رأيت عمرا أبيض الرأس واللحية

ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة

المزدوجة الغريبة العجيبة

(ابن مكانس)

بابى عقيقة مرشف * برّت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

(وقال والده)

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلت لهم منى
فقالوا لنا غرموا على دره وما * بحا كى اذا ما اهتزقلنا لهم غصنا

(وله أيضا)

بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بانسك
وكف الصد يامولاى عمن * يبوسك رحمة ثم يجوبا بسك

(وله أيضا)

يالائمى اذ فقدت الصبرفى قمر * اصداغه سلبت اهل الهوى وسبت
نبت سيوف اصطبارى عنه حين بدا * آس العوارض فى وجناته ونبت

(سيدى ابو الفضل بن وفاء)

ماخادم واسمه فى درمبسمه * الاأغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كانه منهل بالراح معلول

(البدر الدماميني)

وبى وجنة حمراء زاد صفاؤها * فابدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمى ينهى عن الحب جهده * فما انابالسالى صفاها ولونها

(وله ايضا)

تناسبت اوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

(وله ايضا)

لاما عذاريك هما اوقعا * قلب المحب الصب فى الحين
لجد له بالوصل واسمح به * فقيمك قد هام بلامين

(وله ايضا)

قلت لعطار به صبوتى * مجودة والصبر لايستطاب
اسقينى كاس غرام به * ذبت وما احسن هذا الشراب

(الحافظ ابن حجر)

سألوا عن عاشق فى * قمر باد سناه
اسقمته مقلتاه * قلت لابل شفتاه

(وله ايضا)

المشهورة وهى
من عاشق ناء هواه دانى
ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران
موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه
يشكو هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه
كانما عافاه من أضناه
يا ويحه من عاشق مايلقى
من أدمع منهلة ماترقا
ناطقة وما اجادت نطقا
تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بأدمع مثل نظام السلك

رسول أتى ممن احب فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

(وله أيضا)

ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد مابى
فقلت اعد وصالى قال كلا * فها أنا ذبت من رد الجواب

(وله أيضا)

محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما دنت وتفتت

(وله أيضا)

وأهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملالى

(وله أيضا)

تجرد من أحب فقال لى من * يلوم وأظهر الحسد المكتم
اجادلك الحبيب بلثم جسم * له كالخزقلت نعم وأنعم

(التلعفرى من قصيدة)

رشأ عهده وجفناه والخصـ * ـر وجسمى كلا أراه عليلا
أشبهته البدور نورا ولكن * ما حكته لونا وخصرا نحيلا
قمر جاعل من القلب والطر * ف له فى سعوده اكليلا
كلما ضل عن طريق جفاه * ظل فيه من الدليل ذليلا
بعث الصدغ منه فى فترة الجفـ * ـن لانذار عاشقيه رسولا

(وله أيضا من قصيدة)

هذا العذول عليكم مالى وله * أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة ان كل متيم * صب يطيع هوى ويعصى عذله

(يزيد بن معاوية)

أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد * وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
ونرجسة هاتيك أم هى مقلة * وتفاحة ذاك المضرج أم خد
نقا بردفى فيك هذا منضد * أبين لنا أم لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج لطيفان ركبا * بصدرك أم ثديان هذان أم نهد
ودعصان اذ وليت أم كفل يرى * وكثبان رمل فى الغلائل أم قد
وانك لو عاينت مابى من الاسى * لقلت جنون ثابت بك أم وجد
اذا ما أتى من نحو ارضك مخبر * تضوع من ارجائه المسك والند

تطفئها نار الهوى وتذكى
كانها قطر السماء تحكى

الى غزال من بنى النصارى
عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى
فى ربقة الحب له أسارى

ريم بدار الروم رام قتلى
بمقلة كحلاء لا من كحل
وطرة بها استطار عقلى
وحسن وجه وقبيح فعل

ريم به أى هزبر لم يصد
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل ها قالت الالحاظ قد
كانها ناسوته حين اتحد

ما أبصر الناس جميعا بدرا
ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا

وقفت

وقفت فاضجرت الرسول مسائلا * وأنشدته بيتاله المثل الفرد

وحدثتني ياسعد عنهم فزدتني * شجونا فزدني من حديثك ياسعد

(وله من قصيدة سلف صدرها في الغيرة)

خذوا بدمي ذات الوشاح فانني * رأيت بعيني في أناملها دمي

ولا تقتلوها ان ظفرتم بقتلها * بلى خبروها بعد موتي بمأتمي

وقولوا لها يا منية النفس انني * قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمي

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم

ولي حزن يعقوب ووحشة يونس * وآلام أيوب وحسرة آدم

ولما تلاقينا وجدت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم

فقلت خضبت الكف بعدي وهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم

فقالت وابدت في الحشى حرق الجوى * مقالة من في القول لم يتبرم

وعيشك ما هذا خضابا عرفته * فلاتك بالبهتان والزور متهمي

ولكنني لما رأيتك نائيا * وقد كنت لي كفي وزندي ومعصمي

بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي وهذا الاثر من ذلك الدم

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فكان الفضل للمتقدم

خفاجية الالحاظ مهضومة الحشى * هلالية العينين طائية الفم

منعمة الاعطاف يجري وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم

وممشوطة بالمسك قد فاح نشرها * بثغر كأن الدر فيه منظم

(وله أيضا من قصيدة طويلة)

نالت على يدها مالم تنله يدي * نقش على معصم اوهت به جلدي

كأنه طرق نمل في أناملها * او روضة رصعتها السحب بالبرد

مليحة لو راتها الشمس ما طلعت * من بعد رؤيتها يوما على أحد

سألتها الوصل قالت لاتكن عبثا * من رام منا وصالا مات بالكمد

واسترجعت سألت عني فقيل لها * ما فيه من رمق دقت يدا بيد

واستقطرت البيت السابق في الثغر (البهاء زهير)

رقت شمائله فقلت شمول * وحوى الجمال فقلت ثم جميل

ودنا فما للبين فيه مطمع * ونأى فما للقرب فيه سبيل

اهواه أما خصره فمخفف * طاو وأما ردفه فثقيل

ريان من ماء الشباب مهفهفا * أرأيت غصن البان كيف يميل

حلو التثني والثنايا لم يزل * لي منهما العسال والمعسول

أحسن من عمر وقديت عمرا
ظبي بعينيه سقاني خمرا

ها انا ذا بقده مقدود
والدمع في خدي له اخدود

ماضر من فقدي به موجود
لولم يقبح فعله الصدود

ان كان ذنبي عنده الاسلام
فقد سعت في نقضه الايام

واختلت الصلاة والصيام
وجاز في الدين له الحرام

ياليتني كنت له صليبا
اكون منه ابدا قريبا

ابصر حسنا واشم طيبا
لا واشيا اخشى ولا رقيبا

ياليتني كنت له قربانا
الثم منه الثغر والبنانا

اوجاثليقا كنت اومطرانا
كيما يرى الطاعة لي ايمانا

أحبابنا ان الوشاة كثيرة * فيكم وان تصبرى لقليل
ايخاف قلبي غدركم مع انه * جار اقام لديكم ونزيل
فأصد حتى لا يقال متيم * وأزور حتى لا يقال ملول

(وله أيضا)

رعى الله من لم يرع لى حق صحبتى * وسلم من لم يسخ لى بسلامه
وفى ذمة الرحمن من ذم صحبتى * ولم آلُ يوما ناقضا لذمامه
وانى على صبرى على فرط هجره * وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفى لحظه فى خياله * ويشتاق سمعى لطفه فى كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا * بوجه يحاكى البدر عند تمامه
شكوت الذى ألقى فظل مقابلا * بكائى وشكوى حالتى بابتسامه
فما رق من شكواى غير خدوده * ولا لان من نجواى غير قوامه

(وله أيضا)

كأسى والمدام فى فمه * قد عبقت من حباب مبسمه
وراح كالراح فى تمايله * سكران يشطط فى تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله علىّ وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

(وله أيضا)

يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال * كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه السلام لكن * قد حمل طرفه رسائل
ما أطيب وقتنا وأهنى * والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر * والعقل ببعض ذاك زائل
كالبدر يلوح فى قناع * والغصن يميس فى غلائل
والورد على الخدود غض * والنرجس فى الجفون ذابل
والعيش كما أحب صاف * والانس بمن احب كامل
مولاى يحق لى بانى * عن مثلك فى الهوى اقاتل
لى فيك وقد علمت عشق * لا يفهم سره الاوائل
فى حبك قد بذلت روحى * ان كنت لما بذلت قابل
لى عندك حاجة فقل لى * هل انت اذا سئلت باذل

ياليتنى كنت لعمرو مصحفا
يقرأ منى كل يوم أحرفا
او قلما يكتب بى ما ألفا
من أدب مستحسن قد صنفا
ياليتنى كنت لعمرو عوده
او حلة يلبسها مقدوده
او بركة باسمه معدوده
او بيعة فى داره مشهوده
ياليتنى كنت له زنارا
يديرنى فى الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا
صرت له حينئذ ازارا
واكبدى من خده المضرج
واكبدى من ثغره المفلج
لأنى مثل الطرف منه الادعج
اذهب للاسك وللحرج
اليك أشكو يا غزال الانس
مابى من الوحشة بعد الانس

في وجهك الرضا دليل * ماتكذب هذه المخايل
ماأطلب في الهوى شفيعا * لي فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعري * هل يحصل لي رضاه قابل
ها عبدك واقف ذليل * بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى * الطل من الحبيب وابل

(وقلت وجيعه جناس خطى)

هو الشمازج روحي قبل تكويني * وانت ظلما بنار الهجر تكويني
صبرت فيك على أشياء ابسرها * ذهاب نفسي وقوم عنك تلويني
وكلما قلت صحت لي محبتها * أرى ودادك ممزوجا بتلوين
قد حل عقد اصطباري طول هجرك لي * وليس غير وصال منك يبريني
اذا شممت شذا ريالك منتشقا * فالنسيم أتى من نحو يبرين

(وقلت)

هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت * تختال في ثوبي حيا ودلال
تسبي القلوب باسرها فجميعهم * في أسرها لكن بقيد جمال
يا وجهها الحاوي لبهجة روضة * أنواره أنت العزيز الغالي
اذ فيك شكل عجيبة ما بين تفاح وورد يانع ولآلي
والشهد والخمر الحلال وقرقف * مع برده يسلي ولست بسالي
يا جفنها الغزال كم من عاشق * بك في المحبة مثل شن بالي
عجبا عجبت العاشقين ونحن لم * نعرف سوى الاحياء للغزالي

(وقلت)

وسالبة بالحسن عقل ذوي النهى * لطلعتها اسنى الدراري آفل
اذا ما تجلت دك طور قلوبهم * وخروا الى الاذقان والعقل زائل
فيا كعبة العشاق هل ثم مطلب * سواك اليه تستحث الرواحل
ويا طلعة أصبحت للحسن جامعا * له القلب وقف والتبدل باطل
عذولي اتئد واقصر فكل جوارحي * لها عن سماع الزور والعذل شاغل
اذا ما أطلت اللوم لا ينتهي * وعند التناهي يقصر المطاول
لئن لم تزرني او تمن بنظرة * و ينعم دهري بالذي أنا آمل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة * ويا نفس جدي ان دهرك هازل

(وقلت)

أفدي فتاة فتنت مهجتي * وقد أذيب القلب من صدها
مالي وللدنيا اذا لم تزر * اذ ليس يحلو العيش من بعدها

يا من هلالي وجهه وشمسي
لا تقتل النفس بغير النفس
جد لي كما جدت بحسن الود
وارع كما أرعى قديم العهد
وامدد كمدي عن طويل الصد
فليس وجد منك مثل وجدي
ها أنا في بحر الهوى غريق
سكران من حبك لا أفيق
معترفا ما مسني حريق
يرثي لي العدو والصديق
فليت شعري فيك هل ترثي لي
من سقم ومن ضنى طويل
أم هل الى وصلك من سبيل
لعاشق ذي جسد نحيل
في كل عضو منه سقم والم
ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقا الى شمس وبدر وصنم
منه اليه المشتكى اذا ظلم

يقول لى الآسى وقد راعه * ما بفؤادى من جوى بعدها
خدماء ورد ولسان معا * تشرب بالماء بن من شهدها
قد صدق الآسى هذا الدوا * هو الشفا لو كان من عندها
بان يكون الشهد من ثغرها * يجنى وماء الورد من خدها

(وقلت وفيه نكتة حكمية)

نار بوجنتك التى حرق الورى * منها كنار فى فؤاد مسعره
لكن يقول الفيلسوف الحرّان * افى الرطوبة محرق ما اضمره
فلذاك احرق مهجتى تصعيدها * قطرته اجفانى وخدك حمره
اذ فيه ماء حيا العشاق غدت * فيه الحرارة باعتدال مزهره

انتهى ما اردنا ايراده من لطائف الغزل الخاصة والعامة فى الذاتيات والاعراض اللازمة وقد تغزل العشاق فى الاعراض المفارقة كحوالزينة والوظائف بيديع النكت واللطائف فلنورد منها ما الطف

(قال بعضهم فى النقش)

كأن خضرة نقش فوق معصمها * شباك مسك على كف من البرد
فى ملا مقلتيه من محاسنها * كأن الامان لعينيه من الرمد

(ابن المعتز فى الحناء)

اشرن على خوف باغصان فضة * مقوفة أثمارهن عقيق
سلام كاسقاط الندى تحت ليلة * سرى حيث لم يعلم اليه طريق

(ابن نباتة)

خضبت باحمر كالنضار معاصما * كالماء فيه رونق وصفاء
واها لهن معاصما مخضوبة * سال النضار بها وقام الماء

(الشريف المقدسى)

تقمعت بسويدا قلب عاشقها * أنامل بدم العشاق تختضب
فى كل أنملة ليل به شفق * كأنه البسر فى اطرافه الرطب

(الشواء)

محجبة لها خال كمسك * على خد أشف من الزجاج
بدت والنقش يحكى فى يديها * محزم آبنوس فوق عاج

(على بن العباس الرومى)

سقى الله قصرا بالرصافة شاقنى * باعلاه قصرى الدلال ودنا فى
أشار بقضبان من الدر قمعت * يواقيت حمرا تستبيح عفافى

(الصنوبرى)

أقول اذ قام بقلبى وقعد
ياعمرو ياعامر قلبى بالكمد
أقسم بالله يمين المجتهد
ان امرأ اسعدته لقد سعد
ياعمرو ناشدتك بالمسيح
الا استمعت القول من فصيح
يبيح عن قلب له جريح
ناح بما يلقى من التبريح
ياعمرو بالحق من اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها فى الفم
ثم استحال فى قنوم الاقدم
يكلم الناس ولم يفطم
بحق من بعد الممات قمصا
ثوبا على مقداره ما قصصا

بسطت أنامل لؤلؤ أطرافها * فيها تطاريف من المرجان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى * وتنقبت بشقائق النعمان

(محمد بن عياض)

علقتها قتالة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين أو فى الهادى
خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

(ابن الوردى)

مصرية كأنها * بدر تجل من خلق
تعلقت مكرا ولا * ينكر من مصر الملق

(وله أيضا)

يا ليتنى حاشية زركشت * يوما بكفى هذه الجاريه
قد أصبحت فى الحسن سلطانة * تفرق التبر على الحاشيه

(وله أيضا)

عوادة عوادة * بالنغم الملذذ
قالت لنا أوتارها * أنطقنا الله الذى

(الشهاب الحجازى)

فى ثوبها الخمرى قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
فلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكرى من الخمر

(ابن تميم)

جاءت بعود كلما لعبت به * لعبت بى الاشجان والتبريح
غنت فجاوبها ولم يك قبلها * شجر الاراك مع الحمام ينوح

(الصلاح الصفدى)

أتتنا بعود حركته أنامل * هى الماء لطفا فى اتباع الاناشيد
يكاد وقد جست ملاويه يكتسى * باوراقه لما جرى الماء فى العود

(ومما يلحق بهذا الفصل التلميح)

وهو نوع لطيف جليل المقدار فى البديع عظيم الفائدة فى الايصال الى المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الارب من ذوى الفهم ولم تدر الاغبياء وجل علماء المعانى على ان التلميح يرادفه والصحيح انه أخص *فمن طريق ماحكى فيه ان أبا العلاء المعرى حضر مجلس الشريف الموسوى فنال من المتنبى وكان أبو العلاء يتنصر له فقال للشريف لو لم يكن من شعره الا قوله

لك يا منازل فى القلوب منازل

وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى أكمها وابرصا
بحق يحيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم مافى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى اذا ما نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مستعملين بعبدون عيسى
بحق مارى مريم وبولس
بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس

لكفاه فامر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف فى ذلك فقال انما قصدت قوله فى القصيدة

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى كامل

وأثنى سيف الدولة يوما على المتنبى فبالغ وكان الرفاء حاضرا فقال أشتهى أن تنتخب قصيدة من كلامه وتامرنى بمعارضتها لتعلم انك اركبته فى غير سرجه فقال بديهة عارض قوله

* لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقى *

قال الرفاء فتصفحتها فلم أجدها كبيرأمر فعلمت ان هنالك نكتة فاعملت الذهن فى اخراجها فاذا أنا به قد أراد قوله

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

وحكى ان ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من أظرف نساء زمنها وكان لها بعد أن قعد بها الدهر ولوع بالوزير أبى الوليد فكتبت اليه وقد غضبت منه

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شتما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا اذا جئته * كاننى جئت لاخصى على

أشارت بذلك الى عبد لوزير كان متهما به ودعت امرأة للرشيد يوما فقالت أتم الله أمرك وفرحك بما آتاك وزادك رفعة لقد عدلت فأقسطت ٢ فقال لجلسائه ما أرادت هذه قالوا خيرا فقال انها تدعو على فان قولها أتم الله أمرك تريد قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وقولها فرحك الله بما آتاك تريد قوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وقولها وزادك رفعة تريد قول الشاعر

ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقولها لقد عدلت فأقسطت تريد قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم استقرها فأقرت فقال وما ذنبى اليك قالت قتلت رجالى واخذت اموالى فقال ممن انت قالت من بنى برمك فقال اما الرجال فقد فاتوا واما المال فيأتيك ورده اليها * وسأل احد الظرفاء امرأة ملفوفة فى كساء فقال من انت قالت انا السادس فى السابع تريد قول ابن سكرة

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

ومثله ما حكاه ابن الجوزى قال التقى رجل وامرأة على جسر بغداد فقال الرجل رحم الله ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله ابا العلاء المعرى وافترقا فتبعها رجل فقال لها اقسمت عليك الا ما اخبرتنى ما اراد وما اردت فقالت اراد بابن الجهم قوله

بحق ما فى قلة الميرون
من نافع الادواء الجنون
بحق ما يوثر عن شمعون
من بركات الخوص والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر
وعيد اشمونى وعيد الفطر
وبالشعانين العظام القدر
وعيد مرمارى العظيم الذكر
بحق شعياء وبالهياكل
والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بها من كل خبل خابل
ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العباد
قاموا بدين الله فى البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهادى
بحق اثنى عشر من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم

٢ قوله فأقسطت الصواب فقسطت تأمل

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا ادرى

واردت بقولى ابا العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

ومن دقيق الاشارات ان المتنبي مدح بعض اعداء ملكه فغضب عليه وهم ان يقتله فهرب فامر الملك بعد مدة كاتبه ان يلطف له القول ليأتى فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبي ولم تسعه المخالفة فكتب فى آخر الكتاب قد عفونا ان شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه رحل وارسل الى الكاتب الكتاب وقد زاد ألفا بعد النون المشددة وهذه من الطف الاشارات فان الكاتب اراد بان قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين واراد المتنبي بزيادة الالف قوله تعالى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها

(ومما ينسج فى هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن)

قال العلامة السيوطى عن ابن دريد انه مشتق من اللحن بمعنى الفطنة وان فائدتها التخلص من انشوطة التعسف مع الامن من المؤاخذة عند الالجاء (قيل) اسر شخص من تميم عند بكر بن وائل او سعد بن ضبيعة وعزموا على غزو قومه فطلب من يرسله الى اهله لحاجة فقالوا اليكن بحضرتنا لئلا تنذرهم قال لكم ذلك فجاؤه بمولد فقال اخاف ان يكون احمق فقال الرسول ما انا احمق وانى لمبلغ ما تقول فقبض من الرمل قبضة فقال له كم هذه قال لا ادرى وانها كثيرة فقال له النيران اكبر ام الكواكب قال الكواكب وكل كبير فاومأ الى الشمس فقال ما هذه قال الشمس فقال انك عاقل بلغ قومى التحية وأن يكرموا الاسير فان قومه يكرمونى وأن يعروا ناقتى الحمراء فقد اطالوا ركوبها ويركبوا جملى الاصهب وقل لهم قد اربى العرفج واشتكت النساء بنتما كانت معكم الحيس واسألوا الحرث عن خبرى فلما وقفوا على الكلام قالوا قد جن الاعور بعدنا اذ لم نعرف له ناقة ولا جملا وصرفوا الرسول ودعوا الحرث فلما قصوا عليه القول قال قد انذركم فقوله أكرموا الاسير يعنى استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فانهم عازمون على ان يدهموكم بخيل ورجل والرمل عدد القوم الذين يغزونكم منهم وان ذلك واضح كالشمس والناقة الحمراء الدهناء والجمل الاصهب الصمان يقول اعدلوا عن السهل الى الجبل وأربى العرفج يعنى لبس الرجال السلاح واشتكت النساء جلت الشكاء وهى قرب صغار يحمل فيها المسافرون الماء والحيس كناية عن اختلاط الرجال فعملوا بقوله فنجوا (ومن ذلك) امثلة ينتفع بها فى التورية عند الحاجة كقولك ما سألت فلانا حاجة ضربا من شجر شائك ولا رأيته اى ضربت رئته ولا كلمته اى جرحته ولا اعلمته اى شققت شفته العليا ولا اخذت له شعيرة اى راس مسمار فضة ولا ثوبا اى قطعة من أقط ولا كسرت له سنا اى قطعة عشب ولا ضرسا اى قطعة من المطر ولا ابست له جبة شئ

حتى اذا اصبح الدجى جلا الظلم
ساروا الى الله ففازوا بالحكم
بحق ما فى محكم التنزيل
من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبإ جليل
روى به جبيل قد مضى عن جيل
بحق من عبد الشفيق الناصح
بحق لو قاذى الفعال الصالح
بحق غلطنا الحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به لابس الامساح
وعابد بالك ومن سياح
بحق تقريبك فى الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تقبيلك للاكباد
بابعينيك من السواد

يستر به السنان ولا اخذت له حمارا ولا اتانا ضرتان معز وقتان ولا عنز الكة ودا ولا دجاجة كبة من غزل ولا فر وجا مدرعة ولا بحثة صوف كالحلقة ولا ظلمة اى ما سقيته لبنا ولا جلست له على حصير لحة فى جنب القرس ولا اخذت له جرابا ما حول البئر ولا بيضة يعنى الخودة ولا فرخا هامة الدماغ ولا فروة جلدة الرأس ولا ابرة عظم المرفق ولا فأسا عظم القفا ولا كتيت جمعت ولا الى هنا خط سيف البحر ولا وطئت له أرضا باطن حافر القرس ولا لعبت سال لعابى ولا رويت الحديث شددته بالرشاء وهو الحبل ولا رأيت بطنا ولا فخذا قبائل ولا ساقا ذكر الحمام ولا رجلا قطعة الجراد ولا وجها اى قصدا ولا أبصرته اى رأيت قشرا على الجلد

(خاتمة)

تشتمل على لطائف متفرقة تروق بالمسامع وتزين بها المجامع (حكى ولد الفرزدق) قال اجتمع أبى وجميل وجرير وكثير ونصيب بالموسم فقال بعضهم لبعض لا تجتمعون مثل هذه فهلموا نفعل شيأ نذكر به فى الزمان فقال جرير هل لكم ان نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها ان تكون سببا لما أردتم فقالوا نعم الرأى وانطلقوا فطرقوا الباب فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل

سرت الهموم فبتن غير نيام * واخو الهموم يروم كل مرام
درست معالمها الرواسم بعدنا * وسجال كل مجلجل سجام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام
يجرى السواك على اغر كانه * برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير أنا قلته قالت فما أحسنت ولا أجلت ولا صنعت صنع الحر الكريم لا ستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها ما أنت بكاف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت اليك هول الليل هلا قلت

طرقتك صائدة القلوب فرحبا * نفسى فداؤك فادخلى بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها فى سفرك ثم انصرفت الى مولاتها وقد افحمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت ايكم القائل

الاحبذا البيت الذى انا هاجره * فلا أنا ناسيه ولا انا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه * ولا زال مغشيا وخلد عامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائما * واسعد ربى جد من هو جاذره
به كل موشى الدراعين يرتعى * أصول الخزامى ما يفرط آثره
هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

بحق ما قدس سعيانيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه
عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم
موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى
والبطرك الاكبر والرهبان
وبكل قادس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى
وقدموا الكاس لكل حاسى
بكل ناموس له مقدم
يعلم الناس وما يعلم

فلما

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى يرجى أم قتيل نحاذره
فاصبحت فى أهلى وأصبح قصرها * مغلقة أبوابه ودساكره

قال أبى يعنى الفرزدق أنا قلته فقالت ماوفقت ولا أصبت أما ايست بتعريضك من عودة صدق محمودة خذ هذه الستمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

فلولا ان يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشأ الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب أنا قلته فقالت اغزلت وأحسنت ولا كرمت لانك صبوت الى الصغار وتركت الناهضات باحمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

وأعجبنى ياعز منك خلائق * كرام اذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا * ومدك أسباب الهوى حين يطمع
وانك لاتدرى غريم مطلته * أيشتد ان لاقاك او يتضرع
وانك ان واصلت أعلمت بالذى * لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال كثير أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم خرجت فقالت أيكم القائل

لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد ياجميل بغزوة * واى جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامى وأفضل مشهدى * اذا هيج بى يوما وهن قعود

فقال جميل أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت ادخل فلما دخلت سلمت فقالت سكينة أنت الذى جعلت قتيلنا شهيدا وحديثنا بشاشة وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك الى قبيح خذ هذه الالف درهم وابسط لنا العذر أنت أشعرهم

وهذه الحكاية هى التى سبقت الاشارة اليها فى فصل الخيال من الباب الخامس

واجتمع كثير وجميل وعمر بن أبى ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدونى أرق بيت قلتم فانشد جميل

حلفت يمينا يابثينة صادقا * فان كنت فيها كاذبا فعميت
ولو ان جلدا غير جلدك مسنى * وباشرنى دون الشعار شريت
ولو ان راقى الموت يرقى جنازتى * بمنطقها فى الناطقين حييت

(وأنشد كثير)

بابى وأمى انت من مظلومة * طبن العدو لها فغير حالها
لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

بحرمة الصوم الكبير الاعظم
وماحوى مفرق رأس مريم
بحق يوم الذبح فى الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقى
بالذهب الابريز فى الاوراق
بالقصر يامهذب الاخلاق
الارغبت فى رضا اديب
باعده الحب عن الحبيب
وذاب من شوق الى المذيب
اعلى مناه ايسر القريب
فانظر اميرى فى صلاح امرى
محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر
فى نثر الفاظ وتظم در
قيل ثم ان مدركا يسوس وسل
جسمه وذهب عقله وانقطع عن
اخوانه ولزم الفراش قال حسان
ابن محمد بن عيسى فحضرته عائدا

وسعى الى بصرم عزة نسوة * جعل المليك خدودهن نعالها

(وأنشد ابن أبي ربيعة)

الا ليت قبري يوم تقضى منيتي * بتلك التي من بين عينيك والفم

وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم

الا ليت أم الفضل كانت قرينتي * هنا او هنا في جنة او جهنم

فقال أعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم * وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت

لا يقبل الله من معشوقة عملا * يوما وعاشقها غضبان مهجور

وليس يأجرها في قتل عاشقها * لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقال لها أفي هذا المكان يقال هذا قالت أاستظرفتها قال بلى قالت هل تروي الشعر قال نعم قالت أما سمعت قولهم

بيض غرائر ما همممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

واستحضر الرشيد الرقاشي ومصعبا وأبا نواس فقال أجيزوا * كلام الليل يمحوه النهار * البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها فسألها الوصل فوعدته الى وقت فلما جاء أنشدته المصراع المذكور فقال الرقاشي ومصعب أبياتا لم تناسب المقام وأنشد أبو نواس

وليلة أقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار

وقد سقط الردا عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار

وهز الريح أردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار

فقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له كأنك كنت حاضرا معنا وأمر له بعشرة آلاف درهم ولكل من الآخرين بخمسة * وأرق الرشيد ليلة فقام يمشي في المقاصير فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فأيقظها فقالت وقد علمت به (يا امين الله ما هذا الخبر) فقال

هو ضيف طارق حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر

(فقالت)

بسرور سيدي أخدمه * ان رضي بي وبسمعي والبصر

فلما اصبح احضر ابا نواس وقال له اجز (يا امين الله ماهذا الخبر) فأنشد

طال ليلي حين وافاني السهر * فتفكرت فأحسنت الفكر

قمت أمشي في مكاني ساعة * ثم أخرى في مقاصير الحجر

واذا وجه جميل حسن * زانه الرحمن من بين البشر

مع جماعة من اصحابه فقال الست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم احد يسعدني بنظرة الى وجه عمرو قال فمضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان كان قتل هذا الرجل دينا فان احياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال ما نحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو اخذ بيده وقال كيف تجدك يا سيدي فنظر اليه ثم اغمي عليه ثم افاق وهو يقول

اتاك عائدة الامن الشوق اليكا * ايها العائد مابي منك لا يخفى عليكا

فلست الرجل منها موقظا * فرنت نحوى ومدت لى البصر
واشارت وهى لى قائلة * يا أمين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق حيكم * يرتجى المأوى لى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدى * اخدم الضيف بسمعى والبصر

فقال لها كنت معنا قال لا ولكن ألجانى الشعر الى ذلك فاحسن صلته

(فصل فى النوادر والحكم)

(نادرة)

قال اسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست انتظر انتباهه والعود فى يدى واذا بشاب على اجمل ما يكون من الهيآت قد دخل على فأصلح العود بعد ما شرب وأنشد

الا غنيالى قبل ان نتفرقا * وهات اسقنى صرفا شرابا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجى * وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم قال هكذا غن الخلفاء وغاب وقد ذهب عقلى من حسن غنائه فلما افاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت فاحسن صلتى وقال اينه متمنا بغنائه ولم يرنا شخصه قال اسحق فذكرت بهذه ما حكاه لى ابى انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع اهله فوهبه السبت لانه كان يستثقله فخلا ابراهيم يوما وقد زين بيته وحرمه واتقن طعاما وشرابا واوصى بحفظ الابواب من احد يدخل فبينما هو جالس على احسن ما يكون اذا بشيخ عليه قلانسوة وثياب ناعمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس قال ابراهيم فكدت ان اقضى فروضت نفسى فذاكرنى الادب وايام العرب حتى ظننت ان غلمانى حيونى به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعد ما ابى من الطعام واخذ شيأ من الشراب هل لك ان تغنى شيأ مما فقت به فجشمت المشقة وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فزاد غضبى ثم استأذننى فى الغناء فاذنت له معجبا من تجريه بحضرتى فاصلح العود وانشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح
ائن من الشوق الذى فى جوانحى * انين غصيص بالشراب جريح

(ثم غير الصوت وغنى)

الا يا حمامات اللوى عدن عودة * فانى الى اصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتننى * وكدت باسرارى لهن ابين
دعون بترداد الهدير كانما * شربن حميا او بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فوالله ما سمعت باحسن منه واقد خلت ان العود والجدار ينطقان معه ثم غاب فخرجت مغضبا وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل احد فرجعت واذا بهاتف من جانب

لا تعد جسما وعد قلبا
رهينا فى يديكا
كيف لا يهلك مرشو
ق بسهمى مقلتيكا
ثم انه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فاخرجنا حتى دفناه رحمه الله تعالى

(ومنهم قتيل)

قال العلامة ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزى فى كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب وشاهدت امرأة كانت من اهل شيرز تزوجت رجلا جنديا اعجميا وكانت تجد به وجدا شديدا حتى كانت لا تصبر عنه لحظة وكان اذا مشى الى نوبته الى القلعة تأتزر وتظل قائمة قبالته حتى ينصرف فاذا

البيت يقول لاباس عليك ما كان ضيفك الا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة
واخبرته ان الشيخ اخبرني اني احكمت الغناء وغنيته كما سمعت فاحسن صلتي (وحكى)
عنه في الاصل ايضا وفي غيره عن ولده اسحق قال اصبحت في يوم مطير ايقنت فيه ان
لا ياتيني احد فصنعت لنفسي ماشئت من طعام وشراب وجلست في سرور وحتى ولى
النهار فذكرت جارية اهواها فقلت لو كانت عندي لكمل سروري فما أكملت القول
حتى جاءني غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم أملك نفسي فاذا بغرس القنى قد أغمر
فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها والبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت
رجليها بيدي وقلت ما الذي جاء بك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني انك
تشكو الحرقة فكرهت ان أقول ما أرسلت أحدا فجلست وأخذت العود فغنيت

توسدها كفي وبت ضجيعها * وقلت لليلي طال فقد رقد الفجر
بوجه اذا ما غاب عني حكاه لي * وان لم يكن في حسن صورته البدر
فلما أضاء الصبح فرق بيننا * واي نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك الي
فانكرت اذ لم أعرفه وعجبت من دخوله لان المفاتيح عندي هكذا في الاصل وفي غيره ان
الجارية حين استقر بها الجلوس قالت أريد من يغني قال اسحق أنا قالت لا انت ولا أنا
ولكن اخرج فالتمس لنا أحدا فخرجت طاعة لها فاذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول لا جزى
الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوني وان سكت استخفوا بي فقلت له هل
تكون عندنا الليلة فقال خذ بيدي ان شئت فلما دخلنا وجلس قال لي غن فحين غنيت
قال قاربت ان تكون مغنيا فكدت ان أموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ما جئت بشئ
فقالت هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عودا جديدا فاصلحه وكانت الجارية حين
طرقت الباب قالت * أيدخل محبوب على الباب واقف * فانشد الشيخ

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف * حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعني الا السلام وقولها * أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكلمة فلم أزل ارضاها واحلف اني لم
أقل واتقرب اليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت فغنى الشيخ

الا ربما زرت الملاح وطالما * لمست بكفي البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم أزل * أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها أنا أعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وأبطأ فطلبناه فلم نجده فعلمت انه أبو
مرة فتمثلت بقول أبي نواس

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما أظهر من نيته
أبى على آدم في سجدة * وصار قوادا لذريته

دخل عليها الاعبها وقبلها فسكن
بعض ما تجده وقد دخل عليها يوما
مغضبا من كلام جرى بينه وبين
مقدمه فلما دخل ارادت منه
العادة فلم يلتفت اليها فظنت ان
ذلك لسبب حدث منها فارتاعت
وجزعت فمكث ساعة عنها لم يرفع
طرفه اليها فقوي عندها التخيل
فلما خرج خرجت خلفه كعادتها
فانتهرها فلم تشك ان غضبه لاجلها
فرجعت وجعلت في رقبتها حبلا
وشدته في السقف فاختنقت به
وماتت

(ومنهم شهيد)

قال الوداعي حكى الامير شهاب
الدين احمد العقيلي ان شرف
الدين العلاهوي علق غلاما نصرانيا وتهتك
فيه حتى لبس المسح وتزيا بزي

قال

(قال بعض الادباء) كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على ابليس فكثرت فيه الاقوال من الشعراء

(لطيفة ووصية)

قال بعض الحكماء لولده ونقله في الاحياء لا تتزوج حنانة يعني الى ولدها الذى من الزوج السابق ولا منانة يعني ذات المال التى تعطى الزوج شيأ ثم تمن به عليه ولا أنانة يعني على زوجها الاول وعليها نقل في تحفة العروس ان الغدور بنت قيس بن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زرارة لم تزل تظهر الاسف على لقيط فحنق عمرو وقال لها ويلك انه لم يجئ من بعض عبيدى فصفى لى بعض ما رأيت من حسنه قالت تطيب يوما وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فاركبني وخرج الى الصيد والزهو فلاحت غاية فيها اسدان فشد حتى قتل واحدا ورجع الى فضمني ضمة وددت لو مت فيها ففعل عمرو ذلك وضمها قال اين انا من لقيط فقالت ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره * وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب والا احتقرتك ولتكن هي فوقك بالصبر والجمال والادب والا احتقرتها

(عجيبة)

قيل أعظم الولائم الاسلامية اثنتان احداهما وليمة زفاف الرشيد على زبيدة كانت الهبات فيها غير محصورة حتى انهم كانوا يهبون اوانى الذهب مملوأة بالفضة واوانى الفضة مملوأة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر احد على تقويمه وضبط ما خرج فكان خمسا وخمسين الف الف وثانيتهما وليمة بوران على المأمون فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللآلى ما اغنى خلقا كثيرا قال شارح المقامات تقرر ما خرج من بيت المال فكان اربعين الف الف وقال غيره عن زبيدة سبعة وثلاثين واوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلا وكتب رقاعا باسماء ضيع ورساتيق وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذى يلتقط شيأ منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذى اوقد فيها قد نقل باربعة آلاف بغل اربعة اشهر فلم يكف حتى اوقدوا الكتان

(فائدة)

في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه اخوه فيرد عليه كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها فيقضى حاجته منها قبل ان تقضى حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فان ابقراط يقول اكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق واول الشهر ما عدا رمضان قبل وليلة النصف

الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد في نواحي حلب قيل له ان شرف العلا في هذه الارض فأرسل اليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السلطان في مجلس الشراب قال لبعض ندمائه املأ قدحا كبيرا واسق شرف العلا به فلما رأى القدح اخذه بيده وشربه وانشد في الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر

جمعت بالكاس شملى
فالله يجمع شملك

يحق رأسك دعني
حتى اقبل نعلك

(لطيفة ووصية)

قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير وا كثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذى لم يكل المراة الى طلب شئ ولم يعصها فى الخلوة ولم يطعها فى شهوة قال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت يعنى حصنت الزوج من حسنها ان يطمح الى غيرها وكفت لسانها عن الاذى وبالتزين مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفئ للغضب فان غاية النساء السكون اليهن من الوصب وبقوله لم يطعها فى الشهوة يعنى المفضية الى تبذلها كالخروج ورفع الصوت لانهما انشئتهما من مأ كل وملبس فان قطع ذلك عنها اعانة لها على الفساد وزاد بعضهم ان لايذكر الرجل محاسن المراة لاحد فان ذلك يؤل الى نزعها منه وعلى ذكر التصبب ولو بالكلام نقل ابن الجوزى عن بعضهم قال قلت لجاريتى الا تلبسين الحلى قالت لا لانه يستر المحاسن كما يستر القبائح وقلت لها اجلسى بنا فى القمر فقالت ما اولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس يوما فقالت ما كسفت الا حياء منى

(لطيفة)

اللذات اربع لذة ساعة وهى الجماع ولذة يوم وهى الحمام ولذة جمعة وهى النورة ولذة حول وهى تزويج البكر

(نادرة)

جاءت امراة الى عمر فقالت يا امير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وكررت ذلك وعمر يقول فى كل مرة جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها فقال كعب انها يا امير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فاحضر الزوج وقال ان امراتك تشكوك فقال لم اقصر فى شئ فانشدت

يا ايها القاضى الحكيم رشده * ألهى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره وليله ما يرقده * فلست فى حكم النساء احمده
زهده فى مضجعى تعبده * فاقض القضايا كعب لا تردده

فقال زوجها

زهدنى فى فرشها وفى الحجل * انى امرؤ اذهلنى ما قد نزل
فى سورة النمل وفى السبع الطول * وفى كتاب الله تخويف جلل

(فقال كعب)

ان لها حقا عليك يا رجل * نصيبها فى اربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل * فأعطها ذاك ودع عنك العلل
فان خير القاضين من عدل * وقد قضى بالحق جهرا وفصل

ثم قال له ان الله قد احل لك اربع نساء فاجعل لها ليلة من اربع فقال عمر رضى الله عنه

(ومنهم قتيل)

وهو مما رأته عيناى وسمعته اذناى ووعاه قلبى وذلك انى لما كنت فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة اتفق ان شابا من ابناء دمشق جميل الصورة عدا على انسان كان يحبه فقتله فحمل الى الوالى فلما سأله انكر فعراه ليضربه بالسياط فتقدم انسان كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالى لا تضربه فانه ما قتله وانما قتلته انا فأحضر الوالى الشهود وكتب عليه محضرا باقراره بالقتل وأطلق الشاب وكان ايتمش نائب دمشق يومئذ فلما حكيت له هذه القصة واطلع

لا ادرى باعجب من حمك أم من فهمك و ولاه البصرة

(وصية)

قيل كانت العرب توصى بناتها بما يوجب الالفة فتقول للواحدة كونى له أرضا يكن لك سماء وكونى مهادا يكن عمادا وامة يكن عبدا وفراشا يكن معاشا ولا تقربى فيملك ولا تبعدى فينساك ولا تعاصيه شهوته وعليك بالنظافة ولا يرى منك الاحسنا ولا يشم الاطيبا ولا يسمع الا مايرضى ولا تفشى سره فتسقطى من عينه ولا تفرحى اذا غضب ولا تغضبى اذا فرح

(لطيفة)

قال ابو العلاء اغزل بيت قول الاعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل

واشجع بيت قوله

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا * اوتنزلون فانا معشر نزل

(أخرى)

قيل تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت اليه دخلت القهرمانة لتصلح من شأنها فلطمتها اسالت دمها فقالت له أرسلنى الى مجنونة فدخل عليها فقال لاى شئ فعلت بالمرأة مافعلت قالت أحببت ان لا ينظرنى غيرك فان رأيت حسنا كنت اول من نشره او قبيحا كنت اول من ستره فعظمت عنده

(نادرة)

قيل جلس المنصور فى قصره وقت ظهيرة فاشرف على رجل يتردد فى الطريق وعليه امارة الكرب فاحضره وسأله عن حاله فقال يا أمير المؤمنين أنا تاجر أملك ألف دينار وقد أحضرتها بالامس الى زوجتى وطلبتها اليوم فلم تجدها فقال هل تتهم على امرأتك شيأ قال لا فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يصنع له بالخصوص فدفعها الى الرجل وقال له اجعلها عند زوجتك واعلها انى حبوتك بها وعاودنى ففعل وأمر المنصور حراس الابواب ان يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب فما كان باقرب من ان جاؤه بشخص فهدده وقال ائن لم تاتنى بالالف دينار والى أخذتها من موضع كذا الاضرب عنقك فجاء بها واحضر الخليفة التاجر وقال له هذا مالك قال نعم وقبل الارض فدفعه له وحكمه فى زوجته

(فصل فى المجون)

قيل حضرت سوق عكاظ امرأة بنحيين اعنى ظرفين من عسل فاتاها خوات بن جبير وكان فاتكا فى الجاهلية فحل احدهما وذاقه واعاده فمسكته باحدى يديها وفعل بالآخر كذلك ثم أمسك رجليها وقضى وطره فحين فرغ قالت لاهنئت قال بل هنئت وانشد

على باطنها توقف فى قتله وأمر بحبسه فلم تمض الأيام قلائل حتى حضر ارغون الكاملى من حلب عوضا عن ايتمش فى نيابته بدمشق فكان أول شئ حكم فيه من السماء شنق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال الدين بن الناس فتعجب منها واخبرنى عن القاضى زين الدين بن السفاح واخيه القاضى شمس

وشدت على النحيين كفى ضنينة * واعجلتها والفتك من فعلاتى

وبهما ضرب المثل فقالوا اشغل من ذات النحيين واظلم من خوات (قال الاصمعى) بينا نحن بطريق مكة اذا باعرابى يقول من احس من بعير بعنقه علاط وبانفه خزامة يتبعه بكرتان سمرا وان عهده العاهد به عند البئر فقالت جويرية على حوض اعزب يا فاسق لارد الله عليك ضالتك فقلنا مالك ولمن ينشد ضالته قالت انما ينشد ايره قوله علاط بالمهملة حبل يجعل فى عنق البعير وسمراوان يريد اللون المعروف ويحتمل انه تثنية سمراء يعنى الناقة * وجىء لابن ابى مساحق بابن اخته وقد احبل جارية فقال له هبك أبتليت بالفاحشة فهلا عزلت فقال جعلت فداءك بلغنى ان العزل مكروه فقال وما بلغك ان الزنا حرام * وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنده للفساد فشكوه فنفاه الوالى الى عرفات فقال لاصحابه يوما ما يمنعكم ان تاتوا الىّ على العادة فقالوا كيف لنا بذلك فقال حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة فقالوا صدقت وفعلوا فعاد امره اعظم فرفعوه الى الوالى فقال الم انهك فقال اصلحك الله انهم يكذبون على فقالوا للوالى اجمع حمير مكة وارسلها فان لم تات بيته فنحن كاذبون عليه ففعل فمضوا الى بيته فجرده ليضرب به فقال اوضاربى انت قال نعم فقال افعل فوالله ما بى الا قول اهل العراق ان اهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك وخلى سبيله (وفى منازل الاحباب) قال غلام جئت حيا قد ازمعوا الرحيل وامرأة على احسن ما يكون من الحسن والهيئة والشباب قد تخلفت تهيىء امرها فاجبتها يسيرا فقالت ايما احسن عاريا الرجل ام المرأة فقلت الرجل قالت بل المرأة وان شئت علمت ذلك بان اتجرد وامشى الى تلك الاكمة واعود وتعاهدنى ان تفعل كذلك فعاهدتها وكنت حين بقل وجهى وانا على اجمل ما يكون فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين وتمشت كما ذكرت وعادت وسألتنى الوفاء ففعلت فلم امش المسافة حتى تدرعت ثيابى واعتقلت سيفى واستوت على جملى ومضت فلم اجد حيلة الا اخذ ثيابها وجملها كذلك فكنت استحى ان الحق القوم وهم يصرخون علىّ حتى جاءت جارية فجذبت زمام البعير حتى اوصلتنى اليهم فجاءت امها فقالت اى بنية كم اتعبتنا فى هذه الليلة وادخلتنى الستر فلما عرفونى واستخبرونى عن القصة اخبرتهم بها فقالت لى امها انها ذهبت الى صاحب لها وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعنى خبالا فى عقله فهل لك ان تكون مكانها ساعة ولك عندى اليد البيضاء فأجبت الى ذلك فحين دخلت عليه مانعته ساعة وانت المرأة فخرجت * اشترى بعضهم عجلا فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهرا حتى نجمت قرناه * وفى الحلية عن الشافعى قال قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة بم توصى للمساكين قال بالمسئلة قيل فى مالك قال للذكور دون الاناث فقالوا ما قال الله هذا فقال لكنى اقوله ثم احملونى على حمار فانه لم يمت عليه كريم * وتزوج رجل اسمه حمار بامرأة من ولد دارا فاعجب بها فامرته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلا فقالت

الدين وجماعة من اهل حلب الموجودين الآن انهم اخبروه ان ناصر الدين محمد بن يكنوب احد كتاب المنسوب المعروف بالقلندرى انه كان يهوى مغنية لا تزال زرموزتها معه فى كيس حرير اطلس معلق فى رقبته تحت ثيابه فاذا حضر فى مجلس ولم يتفق حضورها فيه اخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكى فان لم يتفق له بكاء شديدا انشد

لا تمتعت عين محب بما
يشرها ان هى لم تسجم

ثم انه يامر من حضر بربط رجليه وضربه عليهما حتى يبكى انتهى

هو خير لك لم تخرج من الاصطبل بعد وأي كفيف تخاسا فقال له اطلب لي حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا الكبير المشتهر ان خلى الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السواري ولا يدخلني تحت البواري ان أقللت علفه صبر وان أكثرته شكر وان ركبته هام وان ركبه غيري نام فقال له النخاس اصبر فان مسخ الله القاضي حمارا قضيت حاجتك * وشدد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في النهي عن المعاصي كشرب الخمر فقال لصاحب عسسه وخبره اذا رأيتما سكران فائتياني به فطافا الى آخر الليل فاذا هما بشيخ حسن الهيئة بهي المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا * جبال حنين ما سقوني لغنت

فقالا له اما تستحي وأنت بهذه الحالة فقال ارفقا بي فقد شربت مع اخوان احداث فحين أخذ الشراب مني أخرجوني فقال صاحب العسس لصاحب الخبر اكتم علي وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له اذهب يا شيخ ولا تعد قال نعم وأنا تائب فلما كان في الليلة الآتية رأياه كماذكر وهو يغني

انما هيج البلى * حين عض السفرجلا

فرماني وقال لي * كن بعيني مبتلى

ولقد قام لحظه * لي على القلب بالقلى

فقالا له اين التوبة فقال ان اخواني الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا علي وحلفوا ان لا يخرجوني اذا عمل بي الشراب فغلب علي وعليهم فخرجت فاطلقاه فلما كان الثالثة رأياه على تلك الحالة وهو يغني

ارض عني قط لما قد سخطت * أنت ما زلت جافيا مذ عرفت

أنت ما زلت قاطعا الاوصولا * بل بهذا فدتك نفسي ألفت

ما كذا تفعل الكرام بنوالنا * س باحبابهم فلم كنت أنت

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال اخطأتما قالا ولم ذلك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب لم يتب الله عليه وكان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعة رأياه على الحكم وهو ينشد

قد كنت ابكي وما حنت لهم ابل * فما أقول اذا ما حمل الثقل

كأني بك نضو الاحوال به * تدعى وأنت عن الداعين مشتغل

مقلوبة بايديهم هنالك وقد * سارت بأحمالك المهرية الذلل

حتى اذا استيأسوا من ان تجيبهم * عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

ما اخبرني به القاضي كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهي ما حكاه المسترد عن التميمي أن رجلا قدم على ملك كسرى انوشروان وكان عالما بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من كمال اخلاقه المحموده فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكى اليه غلبة الوجد وطول الكمد بالمفارقة في بلده فطلب كسرى بالاذن وحمله على التسويف فبينما هو على هذه

فقالا لم يبق عفو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه الى عمر فاستنكهه فوجد الرائحة فحبسه
حتى افاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قد ظلمتني يا أمير المؤمنين لاني عبد وقد جلدتني
حد الاحرار فقال أخطأت اذ لم تعرفني وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا أمير المؤمنين
واجعل الاربعين سلفا عندك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قال لصاحب الحبس اذا
رأيت مثل هذا فارفعه الي" واجتمع قوم عند بصبص جارية ابن نفيس وكانت اعجوبة
وقتها في الحسن والغناء يتمنى كل احد رؤيتها ولو بذهاب نفسه فتذاكروا بخل مزيد
فقالت انا آخذ منه درهما فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشي
واولمت لك يوما بالعقيق فقالت ارفع الغيرة فقال ولو رفع رجليك لم أقل شيأ فخرج ابن
مصعب فرآه في مسجد المدينة فقال لها يا أبا اسحق أما تحب ان ترى بصبص جارية ابن
نفيس فقال امرأته طالق ان لم يكن الله ساخطا علي فيها وان لم اكن اسأله ان يرينيها منذ
سنة فما يفعل فقلت له اليوم اذا صليت العصر فوافني ههنا قال امرأته طالق ان برحت
من ههنا حتى تجيء صلاة العصر قال فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر فدخلت
المسجد فوجدته فيه فأخذت بيده وأتيتهم به فاكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا
فاقبلت بصبص على مزيد فقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي ان اغنيك الساعة

لقد حثوا الجمال ليهـ ـربوا منا فلم ينالوا

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة
وقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي ان تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات
واغنيك

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وباي ارض
تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي ان تقبلني شوق البين واغنيك هزجا

انا ابصرت بالليل * غلاما حسن الدل
كغصن البان قد اصبـ * ـح مسقيا من الطل

فقال أنت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا أبا اسحق ارأيت أسقط من هؤلاء
يدعونك ويخرجوني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا اسحق هلم درهما اشتري به
ريحانا فوثب وصاح واحرباه اي زانية اخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي
الذي كان يوحى اليك وعطعط القوم وعلموا ان حيلتهم لم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد اليهم
واعاد القوم مجالسهم فكان اكثر شغلهم فيه حديث مزيد والضحك منه (وحكى) ابو
يعقوب قال حضرت مجلس حماد عجرد ومعنا غلام جميل فجعل يرمقه حتى حرز المكان
الذي ينام فيه فلما هجع الناس وقد اختلف النوام فكنت موضع الغلام قام حماد فدب

الملالة اذ قدم عليه رجل من بلده
ونعى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه
فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت
لكسرى فاذا هي كلام موزون
بالموسيقى يشاكل من الشعر
العربي

لا متعت عين محب بما
يسرها ان هي لم تسجم
على حبيب تلفت نفسه
من التباريح ولم يصرم

فلما قرأها لم يملك نفسه خوفا وجزعا
فأسعدته عينه اليسرى ولم تسعده

على فأخذت يده وجعلتها على عيني العوراء فلما عرف ولي وهو يقول وفديناه بذبح عظيم
* وروى ان نصرانيا وجد مع مسلمة آخر يوم صومه فأكره على الاسلام فأسلم وضرب مائة
سوط واخذ منه مائة دينار وكان اول يوم من رمضان فصام مع الناس فقيل له بعد أيام
كيف حالك فقال كيف حال من صام خمسين وأتبعها بثلاثين وضرب مائة ووزن مائة
وخرج من ملة الى أخرى وزوج فاجرة * وسأل رجل عالما فقال اذا افطرت يوما من رمضان
سهوا قال صم عوضه قال صمت عوضه واتيت أهلي وعندهم طعام فسبقتني يدي اليه
فأكلت منه قال تقضي يوما آخر قال قضيته وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فأكلت
ساهيا فما ترى قال ارى ان لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك * ودخل رجل على الشعبي
وعنده امرأة فقال ايكما الشعبي فقال هذه * واشترى جحا يوما دقيقا واعطاه لحمال فلما
دخلوا في الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه جحا بعد أيام فتوارى منه فقيل له لم ذلك فقال
اخاف ان يطالبني بالاجرة * وقدم الى أبي حازم القاضي سكران ليحده فقال له من ربك
فقال أصلحك الله ليس هذا من مسائل القضاة انما هو من مسائل منكر ونكير فضحك
وخلى سبيله * وولي رجل تفرقة مال على العميان والايتام والقواعد من النساء فدخل
عليه رجل ومعه ولده فقال أثبتني في القواعد فقال ويلك انهن نساء لا ازواج لهن وأنت
رجل فقال أثبتني في العميان قال صدقت فان الله تعالى يقول فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قال وأثبت ولدي أيضا في الايتام فقال أفعل ذلك
لان من انت أبوه فهو يتيم * دخل جحا على المهدي يوما فقال له كم عيالك قال ثمانية
فامر له بثمانية آلاف درهم فأخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال نسيت واحدا من
عيالي قال من هو قال أنا فضحك المهدي وأمر له بمثل ذلك * مر يهودي في سوق وكان
كاتبا فصاح به صبي ياعم قف حتى اصفعك فالتفت اليه وقال أنا مستعجل اصفع اخي عني
وقال له بعض السوقة هذا النعل في قفاك فقال له اذا كان في رجل اختك ومثل ذلك
رجل قال لامرأة في يدها خف ليته على كتفي فقالت بشرط ان يكون فارغا * وقال رجل
لآخر اني اعرف صناعة الفضة واريد ان اعلمك ولكن أحتاج الى الف درهم للآلات
فأعطاه فمضى ولم يعد فقيل له قد خدعك وكذب عليك قال لا لانه علمني كيف صناعة
الفضة اي اخذها وكيفية الحيلة فان شئت أن افعل مثله فعلت

(فصل في ذكر نبذة من لطائف الاشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب)

وفي غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتقاء
المستلطف

(بعض الاعراب)

الا يا حمام الشعب شعب مؤنس * سقيت الغوادي من حمام ومن شعب
سقيت الغوادي رب خود خريدة * اصاخت لنقض من غنائك او نصب

الوفي فأقسم ان لا ينظر بها ما عاش
في الدنيا ان لم تسعده بالبكا على
حبيبه وهي أقوى حاسة من
البصر فكان يسمى الصابر (قلت)
ومن غريب ما يحكى ان ناصر الدين
القلندري المتقدم ذكره كان
يضع المحبرة في يده الشمال والمجلد
من الكتاب على زنده ويكتب منه
وهو يغني ويضرب برجله الارض
ويكتب في هذه الحالة ما شاء
ولا يغلط ولا يلحن وأخبرني بعض
من كتب عليه ان من غريب

فان يرتحل صحبي بجثمان اعظمي * يقم قلبي المحزون في منزل الركب

(ابن المرزبان)

لئن كنت لا اشكو هوالة فانني * اخو زفرات والفؤاد كئيب
فان كان قلبي فيك يضني صبابة * وقد مرضت من مقلتيك قلوب
فما عجب موت المحبين في الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

(ابو عكرمة الضبي)

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب على ذنوب
ولو أن انفاسي اصابت بحرها * حديدا اذا ظل الحديد يذوب

(صاحب الاصل)

وروض اتيناه عشية اقبلت * ملاح البرايا من غضيض وغضة
حكى لونه والبيض محدقة به * زمردة خضراء في وسط فضة

(محمد بن وهيب)

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ تعلقني الهوى * فاشربها الا ودمعي مزاجها

(صاحب الاصل)

انا الكاسات اني في انتظام * وبنت الكرم واسطة العقود
وقدر مناتزوجها ابن مزن * فهل لك ان تكون من الشهود

(وله ايضا)

ولما رأيت البدر أتى شعاعه * على نيل مصر والسفين بنا تجري
تخيلته نسرا يسير بسيرنا * من الفضة البيضاء في لجة البحر

(وله ايضا)

ولما رايت الشمس عند طلوعها * ونحن بوسط البحر في النيل من مصر
تخيلت ها تيك القلوع وسفنها * قصور نضار والقصور بنا تجري

(ولبعضهم)

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا باعيننا شذرا
نصد اذا ما كاشح مال طرفه * الينا نبدي ظاهرا بيننا هجرا
فان غفلوا عنا رأيت خدودنا * تصافح او ثغر اقرعنا به ثغرا
ولو قذفت اجسادنا ما تضمنت * من الضر والبلوى اذا قذفت جمرا

(صاحب اصل الاصل)

طبي انه يوم البين كم مات عاشق * ارى قومه لا يطلبون بثاره

ما شاهد من حاله انه كان يهوى شابا من أولاد الجند بطرابلس وكان آخر ما تمثل به ومات عقبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد

يا من وهبت له نفسي فعذبها
وردت تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقية نفس فيك قد تلفت
قبل الممات فهذا آخر الرمق

قلت ولكن هذا ما وقع عليه الاختيار وطابت به لابن أبي

وعاذلة اضحت تلوم على الهوى * انا لوعة لم يستفق من خماره
واغيد في جيش من الحسن يقتدى * لماه وعيناه وخط عذاره
حكى الظبي ظبي الرمل جيداً ومقلة * فيا ليته لم يحكه في نفاره

(ابو العلاء الرقى)

احبك يا سلمى على غير ريبة * ولا بأس في حب تعف سرائره
فقدمات قلبي اول الحب فانقضى * فان مت امسى الحب قدمات آخره

(عبد الرحمن العقيلي)

هذى الخدود وهذه الحدق * فليدن من بفؤاده يثق
لو انهم عشقوا الماء ذلوا * لكنهم عذلوا وما عشقوا
عنفوا على بلومهم سفها * لو جرعوا كاس الهوى رفقوا
ليس الفؤاد معى فأعلم ما * قدنال منه الشوق والقلق
ما الحب الا مسلك خطر * عسر النجاة وموطئ زلق

(احمد بن يحيى)

اذا أنت رافقت الرجال فكن فتى * كأنك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا * على الكبد الحرّا لكل صديق

(صاحب اصل الاصل)

اذا كنت من اسر الهوى غير منفك * فدع جسدى يضنى ودع مقلتى تبكى
الا قاتل الله الرقيب وموقفا * بكينا به والبين يفتر بالضحك
وغرّب غربان النوى حين بشرت * نعيبا من البين المفرّق بالوشك
فيا ويح ذى العشاق امست دماؤهم * تطل غراما وهى هينة السفك

(وقال بعضهم)

وما الحب الا شعلة قدحت بها * عيون المها باللحظ بين الجوانح
ونار الهوى تخفى وفى القلب فعلها * كفعل الذى جادت به كف قادح

(وقال آخر)

يقول اناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما ادرى لهم كيف انعت
فليس لشئ منه حد أحده * وليس لشئ منه وقت مؤقت

(وقال آخر)

لى فى محبته شهود اربع * وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي وارتعاد مفاصلى * وصفار لونى واعتقال لسانى

(وقال آخر)

فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون

حلة حين سقط بصر اوطار وكيف لا وقد سقطت منه على الخبير واتيت من اخبار من غفر الله لنا ولهم بالجم الغفير فثم داؤه من اعيان المشاهد وقتلاؤه وان اختلفت اسباب موتهم فداؤهم واحد ففى ذلك والحمد لله كفاية وان كان التقصير قصرا غير مقصود عن الغاية على ان فى رحلتى نشر العلمين فى زيارة الحرمين ماهو كفص الخاتم لهذه الخاتمة

فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون

(ذو النون المصري)

شوق اضر بمهجة المشتاق * اجرى سوابق عبرة الاماق

لعبت يد العبرات في وجناته * وكذا به لعبت يد الاشفاق

وانشد ابن دريد وقد اورده في الباب الثاني في قصة رملة مستشهدا به على الفرقة

اقول لورقاوين في فرع أيكة * وقد طفل الامساء او جنح العصر

وقد بسطت هذى لتلك جناحها * ومر على هاتيك من هذه النحر

ليهنكما أن لم تراعا بفرقة * ولا دب في تشتيت شملكما الدهر

فلم أر مثلى قطع الهجر قلبه * على انه يحكى قساوته الصخر

(وقال آخر)

قالت ومدت يد النحوى تودعني * وروعة البين تأبى ان امد يدا

امت أنت أم حى فقلت لها * من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا

(الشهاب محمود)

أأحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد الديار رجوع

وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد المغيب طلوع

وهل لى ولا واقه ماذاك ممكن * فؤاد اذا حان الفراق يطيع

وقد كنت أدرى والحياة شهية * تروق بكم أن النوى سيروع

(العباس بن الاحنف)

يابعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكى على شجنه

كلما جد النحيب به * زادت الاسقام في بدنه

ولقد زاد الفؤاد شجا * هاتف يبكى على فننه

شاقه ما شاقنى فبكى * كلنا يبكى على سكنه

(وله أيضا)

جرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى غروب

وماذاك الا حين اخبرت انه * يمر بواد أنت منه قريب

يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب

أيا ساكنى أكناف دجلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب

(الشريف الرضى)

ومن حذرى لا أسأل الركب عنكم * وأعلاق وجدى باقيات كما هيا

ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلا بد أن يلقى بشيرا وناعيا

(وقال آخر)

والامواج العظيمة لهذه الابحر المتلاطمة لا جرم انى لم اذكر من اخبار اهل الحجاز الا ما اشار اليه هذا الكتاب ببنان بيانه وبدا من ورقه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات لسانه فكم في الرحلة المذكورة في ذكر من مات على هذه الصورة من اخبار متيم استمع من هجوعه واصبح غريقا بسحاب دموعه

لدى سمرات الحى برق بسامره
يذكره بالثغر ما هو ذاكره

أياظبية الوادى التى سفكت دمى * بلحاظها بل يامهاة الاجرع
لى أن أبثك ما القاه من * ألم الجوى وعليك أن لاتسمعى

(أبونواس)

يانظرة ساقت الى ناظرى * أسباب مايدعو الى حتفه
من حسن ظبى حسن دله * يقصر الواصف عن وصفه
فى البدر من صفحته لمحة * ولمحة فى الظبى من طرفه
مقاتل الانفس فى ثغره * وفى ثناياه وفى كفه

(سعد بن الدهان)

قل للضيلة بالسلام تورعا * كيف استبحت دمى ولم تتورعى
هل تسمعين بذل ايسر نائل * أن اشتكى بثى اليك وتسمعى

(أبو الحسن السلامى)

ظبى اذا لاح فى عشيرته * يطرق بالهم قلب من طرقه
سهام ألحاظه مفوقة * فكل من رام وصله رشقه
بدائع الحسن فيه مفترقه * وأنفس العاشقين متفقه
قد كتب الحسن فوق عارضه * هذا مليح وحق من خلقه

(محمد بن موسى)

ياجفونا سواهرا اعدمتها * لذة النوم والرقاد جفون
ان لله فى العباد سهاما * سلطتها على القلوب العيون

(الحسين بن الضحاك)

ألا انما الدنيا وصال حبيب * وأخذك من مشموله بنصيب
ولم ار فى الدنيا كخلوة عاشق * وبذلة معشوق ونوم رقيب

(وقال آخر)

ليس المحب الذى يخشى العقاب ولو * كانت عقوبته فى الفة النار
بل المحب الذى لاشئ ينفعه * او يستقر ومن يهواه فى النار

(وقال آخر)

اراني منحت الحب من ليس يعرف * فما أنصفتنى فى المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم أعرضت * وفى اصبعيها أسمر اللون اهيف
اصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو أعجف
عجيب لهانى ودهرك معجب * يقوّم تصريف العباد محرف

(بشار بن برد)

وكاعب قالت لاترابها * ياقوم ما أعجب هذا الضرير

يذكره عهد العذيب وماحوى
على حاجر سالت عليه محاجره
اذا مابدا البرق اليمانى لعينه
فما هو الا وشيه وحبائره
سقى السفح من ذيل المقطم عارض
تعارضه من دمع عينى مواطره
فكم فيه من صب قضى وغرامه
اوائله لاتنقضى واواخره
تطاول ليلى فى هواه ولو يشا
لقصر من جيبه مقاصه
فما الهوى العذرى ما العذر عندما
تغادر يومى مثل ليلى غدائره

هل يعشق الانسان مالا يرى * فقلت والدمع بعيني غزير

ان كان عيني لاترى وجهها * فانها قد صورت في الضمير

(ابن أبي الدنيا)

اذا المرء لم ينصف اخاه ولم يكن * له غائبا يوما كما هو شاهده

فلا خير فيه فالتمس غيره أخا * كريما على فضل الكريم يعاهد

وان غبت يوما أو حضرت فوجهه * على كل حال أينما كنت شاهد

(لطيفة وخاتمة)

تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما *وجد على اكليل برأس جارية

والله يا طرفي الجاني على كبدي * لتطفئن بدمعي لوعة الحزن

بالله تطمع أن أبكي اسى وجوى * وأنت تلتذ طيب العيش والوسن

(وعلى عود)

يا أيها الزاعم الذي زعما * أن الهوى ليس يورث السقما

لو أن مابي بك الغداة لما * لمت محبا اذا اشتكى ألما

(وعلى ميل)

لو كان يدري مالك ما الذي * ألقى من الاحزان والكرب

وما ألاقي من أليم الهوى * عذب أهل النار بالحب

(وعلى كاس)

الحمد لله على ما قضى * قد كان ذا في القدر السابق

ما تحمل الارض على ظهرها * اشقى ولا اوثق من عاشق

فبينما يمشي على مرمر * وبينما يسقط من شاهق

(وعلى اترجة)

يا لك اترجة مطيبة * توقد نار الهوى على كبدي

لو ان أترجة بكت لبكت * لرحمتي هذه التي بيدي

(وعلى تكة)

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

(وعلى خاتم)

قلبان في خاتم الهوى جمعا * فأرغم الله أنف من قطعا

(وعلى آخر)

تمنيت القيامة ليس الا * لالقى من هويت على الصراط

وعلى آخر الموت في الحب جميل ونقش ابن داود على خاتم سطرين أحدهما وماوجدنا

لاكثرهم

صحا ما صحا من زال في الحب عقله
بسكرة حب لاتزال تخامره

أيبرد ما القاه يا جارتي وقد
سباني ظبي فاتن الطرف فاتره

احاول منه وصله كل ساعة
فتمنعني استاره وستائره

ولولم يكن سلطان حسن لما سرى
بعصرو كل العاشقين عساكره

يجود عليهم حين يسري جواده
ويحضر في قلب المتيم حافره

فلولا مما أمضى أمير ذوي الهوى
ولا نفذت في العاشقين اوامره

لا كثرهم من عهد والثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان يرمى به الى من ينظر الى حدث وكان ابن سمنون يعارضه فيما يفعل فقال له يوما تعارض هذا قال نعم وجاء بعد قليل وقد نقش على خاتم سطرين أحدهما وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وعلى الثانى ولنصبرن على ما آذيتمونا ومما ينخرط فى هذا السلك مايكتب على الكتب قيل ان صاحب المصارع كتب على أول جزء منها

هذا كتاب مصارع العشاق * صرعتهم يوم النوى بفراق
تصنيف من لذع الفراق فؤاده * وتطلب الراقى فعز الراقى
فاذا تصفحه الحبيب رثى لهم * اسرى هوى أيسوا من الاطلاق

(وعلى الثانى)

مصارع العاشقين صرعهم * هوى الظباء الفواتر الحدق
تصنيف من صده تصونه * عن كشف مافى الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمه * والقلب قد تاه منه فى الطرق

(وعلى الثالث)

مصارع العشاق مجموعة * فيها لمن يقرؤها عبره
جمع عفيف الحب يطوى الهوى * لو لم تكن تنشره العبره
غرامه ناعمة مسيم وان * اعدمه يوم النوى صبره

(وعلى الرابع)

كتاب مصارع أهل الهوى * ومن فتكت فيه أيدى النوى
تكلف تصنيفه عاشق * عفيف الضمائر جم الجوى
أضل برمل اللوى قلبه * فهل ناشد قلبه باللوى

(وعلى الخامس)

مصارع قتلى من العاشقين * ما لدمائهم طالب
تكلف جمع أحاديثهم * عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه * فاصبح سكرانا الشارب

(وعلى السادس)

كتاب صرعى الهوى وقتلاه * ومن صحا منهم وسكراه
تصنيف من كاد ان يشاركهم * لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منوا به طرفا * يعجب قاريه حين يقراه

(وعلى السابع)

مصارع من جارت يد البين والنوى * عليهم فاضحوا فى ديارهم صرعى
دماؤهم مطلولة قد أباحها * لاحبابهم شرع الهوى حبذا شرعا

ولولا سطا السلطان فى مصر ما مشى
مع الذئب ظبى كان قبل يحاذره
هو الناصر المنصور والعادل الذى
يباطنه ماجار فى الملك ظاهره
له فى سبيل الله خير ذخيرة
وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودرياقه فى الثغر عقرب تبله
وسمر عواليه بمصر نواشره
جزى الله عنه مصر ماهو اهله
فكم امنت فى قطرها من يجاوره

تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة * فجاءت سهام منه انفذت الدرعا

(وعلى الثامن)

كتاب مصارع قوم سقوا * كؤس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج * فشيب على الرغم منهم فراقا
جمعنا أحاديث صرعاهم * وسكراهم فيه لامن افاقا

(وعلى التاسع)

مصارع ابناء الهوى جمع عاشق * تجرع من راح الهوى ما تجرعا
فلما رأى الفودين قد حل فيهما الـمشيب منيخا والمفارق اقلعا
وأضحى مصيخا للنذير الذى علا * مفارقه ينعى الشباب المودعا

(وعلى العاشر)

كتاب من دارت كؤس الهوى * عليه صرفا ليس فيها امتزاج
فصرعتهم اذ حسوها فهم * مرضى ينادون الا من علاج
تصنيف من شاركهم فى الهوى * فليته مما لقى اليوم ناج

(وعلى الحادى عشر)

مصارع اللابسين قمص الهوى * ضفت عليهم كل يجر جرها
تصنيف من ذاق من سلافته الصفو وما فاته مكدرها
يطوى أحاديث وجده ودمو * ع العين فى فيضهن تنشرها

(وعلى الثانى عشر)

كتاب تضمن أخبار من * اطاع الهوى وعصى العذلا
فلما تمكن من قلبه * اعاد حلاوته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق * سلا العاشقون وما قد سلا

(وعلى الثالث عشر)

مصارع أقوام توالت عليهم * كؤس هوى ممزوجة بفراق
فالوا سكارى مالهم من افاقة * الى حين شمل جامع وتلاقى
فرقا لهم مما لقوا عاشق أبت * تجف له بعد الفراق أماقى

(وعلى الرابع عشر)

كتاب مصارع من جهزت * بظلم اليه النوى جندها
جمعناه لما سقينا الهوى * افاويق لم نستطع ردها
وسقنا أحاديث من جاوزت * به فجعات النوى حدها

(وعلى الخامس عشر)

كتاب مصارع العشا * ق من عرب ومن عجم

سرجواد غدت نعماه منا قريبة
وان بعدت فى السبق عنا ضوامره
فما عابه أن الجنود جنائب
وما ضره أن البروق ضرائره
له من بياض الصبح والليل ادهم
واشهب كالبازى ينقض كاسره
فلا جابر يوما لما هو كاسر
ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر فى علاه لاجل ذا
تباهى به فوق السرور سرائره

ليعتبر الخلى بما * لقوا شكرا على النعم
مصنفه عفيف هوى * مصون غير متهم

(وعلى السادس عشر)

مصارع أبناء الهوى كل عاشق * رماه الهوى عن قوسه فأصابا
ربى لهم من خاف يلقى الذى لقوا * فألف فيما قد لقوه كتابا
وجمع من أخبارهم فى هواهم * أحاديث مثل الروض جيد سحابا

(وعلى السابع عشر)

كتاب تضمن أبوابه * مصارع قتلى من العاشقين
سقاهم سلافته مازجا * هواهم فأبوابه خاضعين
غرام تلوم العيون القلو * ب فيه وتلحى القلوب العيون

(وعلى الثامن عشر)

كتاب جمعنا به عانيين * مصارع من قتل الحب صبرا
اذا ما تصفحه سالم * من الحب أخلص لله شكرا
جمعناه صاحين حتى اذا * خبرناه ملنا من الحب سكرا

(وعلى التاسع عشر)

مصارع قتلى الهوى مثبت * لعينيك ما كان من حالهم
تضمن من كل أعجوبة * وكيف تفانوا بآجالهم
فلو ذقت ما ذاق أهل الهوى * لكنت لحقت بأمثالهم

(وعلى العشرين)

كتاب جمعت به كل ما * تفرق من قصص العاشقين
وكنت ألومهم عاذلا * فصرت لهم أحد العاذرين
فكم عاشق ذاق يوم النوى * وقد غرد الحاديان المنون

(وعلى الحادى والعشرين)

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم * سلافته يسقونها صافيا صرفا
فمنهم عفيف ظل يكتم وجده * فنم عليه ماء أجفانه وكفا
جمعت كتابا فى مصارعهم اذا * تصفحه ذو اللب رق نالفا

(وعلى الثانى والعشرين)

قد صنف الناس حقا فى الهوى كتبا * فمن صحا بعد سكر منه او عطبا
وأكثروا غير انى قد جمعت لهم * وما اختصرت كتابا رائقا عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم * مجما وجدتهم فى الناس او عربا

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع فى استقصائها ولا قدرة على احصائها فلنختم الكلام الذى

وتستقبل الآمال كعبة جوده
كما استقبل البيت المعظم زائره
فأى نوال ما اضاءت شموسه
وماهى ان حققت الادنائره
هو البحر الا ان منهل جوده
موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن يجرى وتلمى دره
لما عرضت يوما عليه جواهره
أجود فيه المدح كل عشية
واذكاره فكرى بالثناء تباكره

اقتطفناه من هذه الازهار واقتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه مستغفرين الله مما جنيناه اذ هو أكرم كريم يقبل التائب والطف لطيف يؤب اليه الآيب قائلا

كتبت وقد أيقنت ان جوارحى * ستبلى ويبقى كل ما أنا عامله

فان كان خيرا سوف أحمد غبه * وان كان شرا اوبقتنى غوائله

فاستغفر الله العظيم من الذى * كتبت ومما قلت او أنا قائله

فيارب بالهادى النبى محمد * نبى على كل الورى فاض نائله

وبالآل والاصحاب ترحم عاجزا * كليلا من الذنب الذى هو حامله

أتى تائبا من غفلة اللهو قائلا * (صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله)

ولم لا وجل العمر قد فات وانقضى * (وعرى افراس الصبا ورواحله)

تفضل عليه وارحم الآن ذله * وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا اقصى ما أردنا تحريره وانتهى نهاية ما أردنا تسطيره معتذرين عن التقصير بما أسلفنا فى صدر الكتاب تقريره فليثق الناظر فيه بانا لم ندع من أصله شيأ يعتمد به الا وقد اودعناه فى مطاويه اللهم الا ان يأتى غبى يتكل على المبانى دون المعانى ويؤثر التصريح فى كل المواطن على التلويح ويقيس الابواب الاصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطئ وما علم ولو سلكنا ذلك لتركنا الكتاب بحاله ولم يظهر تمييز بين أقوالنا وأقواله ولم يتيسر ان يكون كتابنا بالنسبة الى أصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه أفضل صلاته وسلامه *(قال مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامى له يوم الاربعاء خامس عشر شوال وايار الموافق العشرين بشفس وخامسة الجوزاء الشمس من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة هجرية نبوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول المتوسل الى مولاه بالقطب الحقيق ابراهيم عبد الغفار الدسوقى مصحح دار الطباعه أعانه الله على اداء واجب هذه الصناعه

تم بعون الملك الخلاق طبع تزيين الاسواق بالمطبعة العامره الزاهية الزاهره المشرقة كواكب سعدها المتوفرة دواعى مجدها فى ظل من تعطرت بثنائه الاندية وتنضرت بغيث كرمه الاودية سلالة السراة الصناديد ونتيجة الولاة الاماجيد الراقى بهممه الى كل مقام معتلى خديو مصر العزيز اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازال متمتعا بوجود انجاله الكرام وأشباله الفخام خصوصا الوزير الشهير النبيل

اذا نام مدعى فى دجى الليل نفسه
عن القصد دلته عليه مآثره
عبرت على الشعرى العبور رقا ومأت
الى وقالت انت والله شاعره
فدعى له مدح المحب حبيبه
اذا زاره والليل قد نام ساهره
ودعى لسانا يقاس بغيره
لانى قبست الحب فيه وعامره
وقدمات قلبى أول الحب وانقضى
ولومت أمسى الحب قدمات آخره
وصلى الله وسلم على خاتم الانبياء
والمرسلين والحمد لله رب العالمين

الاصيل رب المعارف المشهورة والعوارف المشكوره من هو باحسن الثناء حقيق
سعادة محمد باشا توفيق ثم سعادة الوزير صنو الكمال مظهر الجلال والجمال أسد
العرين اشم العرنين. من به جيش الجور تلاشى سعادة مدير الجهادية حسين كامل
باشا ثم حضرة ثالث كرام الانجال المعدود فى ميزان الرجحان من فحول الابطال
حسن الصفات والاسم ومن له من حسن الصيت اوفى قسم من انتعش به البهاء
انتعاشا دولتلو حسن باشا لازالت الايام مضيئة بشموس علاهم والليالى منيرة ببدور
حلاهم وكان طبعه الرائق وتمثيله الفائق مشمولا بادارة من خاطبته المعالى بيا لذ أعنى
سعادة حسين بك حسنى وتظارة وكيله السالك جادة سبيله القائم مقامه فيما
ينفع ويغنى حضرة محمد افندى حسنى وملاحظة ذى الرأى المسدد
حضرة أبي العينين أفندى أحمد واما تمام طبعه فكان فى
اثناء ثانى الربيعين من سنة احدى وتسعين والف
ومائتين من هجرة خاتم الرسل الكرام عليه
وعلى آله افضل الصلاة والسلام
ماسرى النسيم واهتز
كل غصن قويم
آمين